منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية وآفـــاق تحليـــل الخطاب



تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة



فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديـــم

د. المهدي لعرج

ارتبطت البلاغة منذ نشأتها باللغة والخطاب، فمما لاشك فيه أن الوعي بأهمية بلوغ المخاطِب أهداف القول ومقاصد الكلام كان سابقاً على الوعي بأهمية اللغة نفسها. كان من الطبيعي أن يتمحور كلام الإنسان على تلبية الحاجات الأساسية في حياته واستدامة الضرورات التي تصون وجوده. ولذلك فاستشعار تأثير الكلام في المخاطبين به أمرٌ جوهري في التواصل البشري، وإحساس مرتبط بالحياة. كان الإنسان مندمجاً في الطبيعة ملتصقاً بتفاصيلها، لكن ذلك لم يجنبه هواجس الأحلام والأوهام ورؤية السراب، كان السراب جزءاً من الحياة، التي أحس الإنسان بهشاشتها وضآلته أمام قوى طبيعتها الكاسرة. في مثل هذا السياق نمت مشاعر الإنسان وتشكلت أهواؤه وإحساساته، وتحددت ضروراته التي ستصبح سنداً لبقائه ورمزاً لوجوده، وسيدافع عنها بكل ضراوة، من خلال مجموع ما سينتجه ويختزنه ويورثه بكل حرص وأمانة، بما في ذلك ذخيرة اللغة وكنز الخطاب. وكان كل من يأتي من بعد يزيد في هذه الذخيرة، بما يستجيب لمستجدات الحياة ويستوعب طوارئ آفاقها المشرعة.

ومما لاشك فيه أيضاً أن حياة الإنسان نمت وتطورت بمساعدة اللغة وفيها، وأنه بإمكاننا أن نبرهن على رحلة الإنسان الثقافية والفكرية وممارساته الدينية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك من أنواع التواصل التي أقامها مع بني جنسه أو مع كائنات أخرى، من خلال ما استودعه في كل نسق لغوي خاص من تجارب وخبرات في التعبير وصياغة الكلمات والملفوظات والنصوص والخطابات. إن ذلك، على أية حال يشكل تاريخاً موثوقاً حافلاً بالتقدم الهائل والانعطافات الكبرى التي أتاحت للإنسان أن يطور حياته باستمرار، أي أن يتحكم في كلفة هذه الحياة، وأن يختصر مسافة السيطرة على الكون، وصولاً إلى بناء دعائم الحضارة الإنسانية المعاصرة، التي من معالمها الأساسية إيلاء أهمية بالغة لثقافة الفهم، التي تحاول أن تعيد النظر في كل شيء، من أجل تحقيق التناسب بين التشابه والاختلاف، والانقطاع والاتصال، والماضي والحاضر. أي من أجل اختصار مسافة فهم الكون، واقتفاء أقوم السبل لبلوغ الحياة الآمنة السعيدة، بمراعاة أولويات الإنسان والنصوص والخطابات الأساسية المؤطرة لهذه الحياة والمؤسسة لوجوده.

وإنه كلما أمكن الحديث عن البلاغة ومسائلها سواء الجزئية منها أو الكلية، هجست مرة أخرى في الذهن أهمية النسق اللغوي باعتباره جهازاً بالغ العمق والثراء. إن أهمية هذا النسق لا تكمن في مجرد إقامة التواصل اليومي المباشر بين الناس، بل تتعدى ذلك إلى إنتاج نصوص وخطابات لا تستنفد طاقاتها في مقامات التلفظ بها، بل تكون لها وظائف ومقصديات ترتبط بإعادة تشكيل الوقائع والأحداث، وخلق واقع بديل لدواع وأسباب مختلفة، حتى وإن كان ذلك لا ينفصل بشكل مطلق عن شروط إنتاج تلك النصوص والخطابات. ومعنى هذا أن النص مستودع أسرار، وأنه ربما كان متاهة تند عن الفهم المباشر، وتحوج إلى مستويات أعمق من الفهم والتأويل. لقد وجدت النزعة البلاغية، منذ البداية في خضم محاولة تفسير ما استغلق على الفهم، وإعطاء معنى لكلام قد لا يبعث عليه التلفظ به، من الوهلة الأولى. ومعنى هذا أيضاً، أن البلاغة وجدت في سياق نوع من تأمل الكلام وإعادة النظر في مستويات القول التعبيرية، ودلالاته المحتملة، أو الممكنة. ثم تطورت البلاغة بعد ذلك، وأصبحت مجالاً واسعاً للتأمل، وحقلاً شاسعاً للفكر، له مفاهيمه الخاصة التي تم تنظيمها باستمرار.

وتطورت البلاغة العربية مع بداية عصر التدوين، الذي سيشكل مناسبة سانحة لتحقيق أمرين أساسيين: تأسيس علوم الفهم من جهة، وجمع النصوص التي كان يتم تداولها في سياق ثقافة شفاهية معرضة لخطر الاندثار أو التزييف، من جهة ثانية. شهد هذا العصر حركة دؤوبة ونشاطاً منقطع النظير، في الجمع والتصنيف والتأليف والملاءمة بين الأشياء، واشتقاق المفاهيم، ومن جملتها مفاهيم البلاغة، التي سرعان ما سيتم توظيفها على نطاق واسع. أي أنه بدأ بالموازاة مع ذلك، استعمال علوم الفهم الممكنة ومفاهيم الشرح المتاحة، في ممارسة ثقافة الفهم ونشاط التفسير والتأويل، بشكل واعٍ وأكثر عمقاً مما يمكن أن نشير إليه فيما كان شائعاً خلال فترة الشفاهية. وأدى تفاقم الجدل والاختلاف بصدد الخطاب القرآني، وتوسع دائرة الخصومات والصراع بشأن الشعر العربي قديمه ومحدثه، إلى ازدهار البلاغة وتشعب مفاهيمها وقضاياها، وهو ما يمكن أن نتبينه لدى عدد كبير من المشتغلين بالشعر ونقده، أو من المهتمين بالأخبار والتاريخ والطبقات، وغيرهم من المفسرين وعلماء الكلام.

وعلى العموم، فقد كانت جهود أمثال أبي عبيدة، وقدامة ابن جعفر، والجاحظ، وابن قتيبة، وابن المعتز حاسمة في تأسيس المعالم الأولى لعلم البلاغة في الثقافة العربية. ومع ازدياد حدة الخلاف بشأن مقصدية المبالغة في الكلام،

تبوأت الاستعارة مكانة مرموقة في بناء الفهم والمقارنة بين النصوص والخطابات، وذلك من منطلق وجود مسافة واضحة بين الحقيقة الواقعية والمجاز النصي أو الخطابي. ثم تطورت البلاغة بعد ذلك، خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة في سياق فورة الجدل والحجاج لقضية الإعجاز القرآني، وصولاً لآفاق أخرى من التلاقح مع الفكر الفلسفي، كما يتجلى ذلك لدى بلاغيي الغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن للهجرة، بخاصة. ومن الواضح أن تاريخ البلاغة العربية، في نهاية المطاف هو تارخ مفاهيمها التي تشكلت في خضم الجدل والحوار بصدد قضايا الدين والدنيا وشؤون الحكم والدولة، وبجوار النصوص الكبرى المؤسسة للثقافة العربية الإسلامية: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر بكل اتجاهاته ومساراته، ولاسيما القديم منه.

غير أن كل ذلك، بالنسبة للمهتمين بالبلاغة في العصر الحاضر، أصبح جزءاً من الماضي، لكن ذلك الإرثُ شكل مرة أخرى مجالاً للتأمل وإعادة الفهم والتأويل، في سياق مستجدات علوم العصر، ومفاهيم الشرح الجديدة التي ما فتئت تتطور وتتحول في تفاعلها العميق مع التحديات الجديدة التي تواجه الإنسان والمعضلات التي تكتنف حياته. وهكذا، أصبح بالإمكان أن نتحدث في زماننا هذا عن مفهوم البلاغة الجديدة، بعدما تشبع البحث البلاغي، بما يكفي من الأبعاد المنطقية والحجاج. كما أصبحت هذه البلاغة رافداً مهماً من روافد تحليل الخطاب، وخاصية أساسية من خصائصه، وذلك بالقدر الذي لم يعد مستغرباً لدى الباحثين أن يتم الاهتمام ببلاغة الخطاب عامة، أو ببلاغة هذا النوع أو ذاك من أنواعه. أي أنها لم تعد معنية ببلاغة الجملة أوالشاهد الذي يُفهم بمعزل عن سياقه، ولا مغلولة بتعليم أساليب التعبير المسكوكة، بقدر ما أصبحت مهتمة بإنتاج معاني الخطاب والكشف عن مضمراته. كان لابد إذن من تجديد البلاغة العربية، في عصرنا الراهن، حتى تستجيب لروح هذا العصر، وتتفاعل مع قضايا الإنسان وضروراته ومقاصده، التي تتبدل أيضاً بمرور الوقت وتغير الظروف والأحوال. ولسنا بسبيل بيان مظاهر هذا التجديد، وإنما نشير إلى ذلك من باب الإلماع إلى دينامية التنظير التي لا تعرف الكلل والفتور، في هذا السياق.

ويعد عماد عبد اللطيف من الباحثين العرب المعاصرين الذين نشطوا بحماس إلى تجديد الدرس البلاغي، من خلال امتلاك ما يكفي من الوعي بآليات الفهم والتأويل، ومقتضيات المنهج، التي يفرضها مثل هذا الطموح الذي يحاول أن يوصل ما يبدو كما لو أنه انقطع من حلقات تطور البحث البلاغي، قديماً وحديثاً،

شرقاً وغرباً. وكذا إسهامه بالترجمة، في هذا المجال الذي حاول أيضاً أن يوصله بآفاق تحليل الخطاب، والانفتاح على الدراسات الثقافية، لاسيما في العالم الأنكلو سكسوني.

هذا، وإنه لمن الصعب- في هذا التقديم المقتضب - الحديث عن مجموع المقالات التي يتضمنها هذا الكتاب. إنها كفيلة بأن تقدم نفسها بنفسها، ويحق لها أن تفعل ذلك، لاسيما وأنها تتمحور حول مؤلفات نفس الكاتب، وتتفاعل مع مجموع المفاهيم والقضايا التي اشتغل عليها وحاول أن يطورها فيها. وتتصل جميعها بمجال واحد قترحنا له عنوان: **البلاغة العربية وآفاق تحليل الخطاب**. واقتصر عملنا في تنسيق الكتاب والتماس التجانس بين مواده، على تقسيمه إلى أربعة محاور أساسية:

- البلاغة العربية وامتداداتها
- بلاغة الجمهور
- تحليل الخطاب السياسي
- إشكالة تدريس البلاغة.

ينطلق المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية من مبدأ الإنصات العميق لمشاريع البحث الجادة، في الثقافة العربية المعاصرة، ومرافقتها ودعمها. كما ينطلق من مبدأ التواصل والتفاعل بين المفاهيم والنظريات والثقافات والأجيال، والانفتاح على الآخر، ومساءلة التراكم المعرفي وتثمينه ومناقشته ونقده، في سياق ترسيخ ثقافة الحوار، والبحث الممتد عن آفاق جديدة للإبداع الفكري وتأطيرها. وفي هذا السياق، يقدم المركز وارف تشكراته وخالص تقديره لمجموع الباحثين والباحثات، من داخل المغرب ومن خارجه، ممن التفوا بحماس في دعم مشروع هذا الكتاب، الذي يعد نشره تتويجاً لأعمال الندوة الدولية الحافلة حول بعض الإسهامات العربية في تجديد الدرس البلاغي.

نتمنى أن يشكل هذا العمل مرجعاً للدارسين في البلاغة العربية وتحليل الخطاب، وفكرة ملهمة في ثقافة الاعتراف، كما نتمنى أن يشكل حافزاً على تعميق البحث وتطويره في هذا السياق، وتوسيع دائرة الحوار بين جيل جديد من الباحثين، والله الموفق للصواب.

البلاغة العربية وامتداداتها

البلاغة والمجتمع
قراءة في بعض إسهامات الدكتور عماد عبد اللطيف

د. عبد اللطيف عادل*

اتجهت الدراسات البلاغية في العالم العربي لفترات طويلة نحو التحقيق، تحقيق المصنفات التراثية، أو نحو إعادة تثبيت وترسيخ القواعد البلاغية ضمن المباحث الثلاثة المشهورة (علم البيان ــ المعاني ــ البديع)، أو نحو التعريف بالمنجز البلاغي العربي القديم لاسيما بعض وجوهه البارزة مثل ع. القاهر الجرجاني والجاحظ وحازم القرطاجني... كما اشتغلت على بعض المقاربات التطبيقية، وكان الشعر مدار هذه التطبيقات وبؤرتها. ولكن بدءا من الثمانينات، أخذ الدرس البلاغي العربي يتطور في اتجاه فتح البلاغة بقوة على تحليل الخطاب، بالاستناد إلى المباحث التداولية والحجاجية وما حققته فلسفة اللغة والإدراكيات. وكانت لإسهامات مصرية مثل تصورات جابر عصفور، وأبحاث مغاربة مثل محمد مفتاح ومحمد العمري، وما قدمته الجامعة التونسية، أدوار حيوية في توجيه البحث البلاغي هذه الوجهة الجديدة والمنتجة. ويشكل الدكتور عماد عبد اللطيف وجها من الوجوه البلاغية العربية الحاضرة بشكل متميز في المشهد البلاغي الراهن. وهو بتملكه للمعرفة بالبلاغة العربية القديمة، وبخلفيته الأنجلوساكسونية، وباشتغاله على الترجمة، وبتطبيقاته البلاغية على أنماط مختلفة من الخطابات، يجتهد في توسيع مجال المقاربة البلاغية، معيدا للبلاغة خاصيتها بوصفها: "إمبراطورية حقيقية أكثر امتدادا وإصرارا من أية إمبراطورية سياسية بحجمها وديمومتها"[1]، وبوصفها خطابا تتقاطع فيه روافد معرفية عديدة نفسية واجتماعية ولغوية واستدلالية.

تندرج إذن اشتغالات عماد عبد اللطيف، ضمن المقاربات التي لا ترى إلى البلاغة بوصفها مجرد دراسات أسلوبية فنية، همها البحث عن مكامن التصوير والتحسين، بل ترى إلى البلاغة من خلال ارتباطها الوثيق بالحياة الاجتماعية. بهذا المنظور، لا تبقى البلاغة مبحثا يرقد في الكتب، ويسكن مجردا في القواعد، ويهتم فقط بالتجميل، بل هو استراتيجيات إقناعية وقيمية وعقلية وعاطفية لها دور في قراءة وتوجيه السلوكات الاجتماعية وفي تفسيرها وإنتاجها. الأمر الذي يجعل البلاغة ضرورة مجتمعية. يعي الباحث عماد عبد اللطيف هذا المبدأ ويعتمده منطلقا في الدراسات البلاغية، كما يجريه على مستوى التطبيق، من خلال تحليلاته لخطابات لها علاقة مباشرة بحياة المجتمع.

*** أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.**

[1]- رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك، 1994، ص35.

ورغبة في الاقتراب من بعض إسهامات الدكتور عماد عبد اللطيف ستتابع هذه الدراسة علاقة البلاغة بالمجتمع، من خلال أربع دراسات علمية أنجزها الباحث هي:

- تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، المنشورة في مجلة فصول عدد 84/83 (2013-2012).
- حروب بلاغية : مناورات خطاب السلطة مجلة ألف في البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، عدد 32-2012.
- جدل الظاهرة والاستجابة، دراسة في فخاخ البلاغة، المنشورة في كتاب جماعي، من إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات ضفاف، ودار الأمان ومنشورات الاختلاف، ط1، 2014.
- نقد بلاغة السلطة وتفويض سلطة البلاغة، دراسة في مشروع البلاغة النقدية، المنشورة في مجلة نزوى العدد 66 - ابريل 2011.

في هذه الدراسات يسلط الباحث أضواء قوية على علاقة البلاغة بالمجتمع، هذه العلاقة ليست طارئة أو جديدة، لأن البلاغة قبل أن تعرف حالة الانحسار التي سبق أن وصفها جيرار جونيت[2]، حين انكفأ موضوعها على الصورة والحِلية، كانت شديدة الارتباط بالحياة المجتمعية. مرافعةً حول حقوق الملكية، وقولا في المحكمة وفي المناسبات العامة. ويظهر تركيز الباحث على علاقة البلاغة بالمجتمع في هذه الدراسات من خلال:

1) إدماج البلاغة ضمن سعةِ تحليل الخطاب.
2) ربط البلاغة بالبعد الوظيفي والنفعي (الوظيفة الاجتماعية).
3) المتابعة البلاغية لخطابات مجتمعية عامة.
4) الاقتناع بالبعد الإصلاحي للبلاغة.

1) ـ يختار الباحث عماد عبد اللطيف لمقاربته البلاغية الانخراط في جهد أكبر وأقوى وأوسع هو تحليل الخطاب، حتى لا تبقى البلاغة تطبيقا جزئيا على الشوارد والنوادر، وحتى لا تبقى وظيفتها الاحتفاظ فقط بالشاهد وتأمين ديمومته النقدية، وحتى يتسع موضوعها ومجالات تحليلها. لذلك ينظر الباحث بإشادة إلى تطور تحليل الخطاب منذ الستينيات، ويقر بأنه لم يعد يقتصر على الخطابات التقليدية بل وَسِعَ "كل أوجه أنشطة التواصل الإنساني الشخصي والمؤسساتي والجماهيري في جميع السياقات البشرية، مثل العمل والمدرسة وأماكن الترفيه"[3]. ومعلوم أن هذه الخطابات المجتمعية الشاسعة، تقتضي من

---

[2]- فرانسواز مورو، البلاغة والمدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الوالي وعائشة جرير، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، المحمدية، ط1، 1989، ص7.

[3]- عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ضمن فصول عدد 84/83، ص509.

البلاغة الانخراط في علاقات تضافرية وتكاملية مع آليات أخرى لتحليل الخطاب. كما أنها تعيد للبلاغة صلتها مع العلوم الإنسانية القريبة (علم النفس والاجتماع والسياسة والبلاغة والآداب والفلسفة)، فـ"تكتسب [البلاغة] كينونة جديدة"[4]. هكذا، تستعيد البلاغة علاقاتها بالإنسانيات، لتعود لها بالنتيجة علاقتها بالمجتمع، تصبح حية أكثر وغير منفصلة عن اللحظة المجتمعية. فالبلاغة ضمن تحليل الخطاب تركز متابعتها على "الملفوظات في واقع تداولها الفعلي، حيث تدرس ظواهر إنشاء الخطاب وإنتاجه واستهلاكه في لحظة تاريخية وسياق اجتماعي محدد"[5]. والبلاغة، في هذه المقاربة الموسعة، لا تقتصر على الوصف، بل تعتمد النقد، ولعل ذلك ما جعل الباحث عماد عبد اللطيف يستحضر ميشيل فوكو ومدرسة فرانكفورت. وبهذه الخصائص، تكون البلاغة ضمن تحليل الخطاب شكلا من "أشكال الدراسة الاجتماعية"[6]، تفهم المجتمع وترصد تفاعلاته وتقترب من قضاياه ومن التجليات التي تأخذها العلاقاتُ فيه... هكذا تختار البلاغة نهرَ المجتمع بمجراه وتفاعلاته وأطرافه وحرارته... والباحث عماد عبد اللطيف صريح في رؤيته هذه، لا يريد للبلاغة أن تتورط تماما في تحليل نَحْوِ (أجرومية المجتمع) الخطاب، وإنما يبتغي ويقصد أن تعطي الاهتمام كذلك لما يمكن تسميته بـ "أجرومية المجتمع"[7]. واضح إذن أن البلاغة التي يؤمن بها الباحث هي تلك المقاربة المشحونة معرفيا وتداوليا وحجاجيا واجتماعيا.

2) ـ **في تصوره للبلاغة**، يؤكد الباحث عماد عبد اللطيف على دورها الوظيفي. فهي ليست أبعادا جمالية بنيوية وشكلية، كما ليست مجرد وجوهٍ أسلوبية، فالخطابات تنتج لتؤدي أدوارا ولتخدم مقصديات ولتجتلب استجابات. إن المتكلم البلاغي لا يبحث عن الاستعراض المتشرنق حول الذات ولا يبحث عن اللزوم الفني. البلاغة وهي تبني الخطابات وتؤطرها، تتوخى الاختراق، واستمالة المتلقين. إنها واعية بمتطلبات التفاعل مع متلقين، أي مع أطراف اجتماعية/مجتمعية، لها تصوراتها وأفق انتظارها، ومتوزعة بين استعدادات مختلفة : المسايرة والنفور، والقبول والرفض... بهذا المنظور لا يكون الخطاب/اللغة في البلاغة بنية تكتفي بذاتها، "ولكنها تمارس وظيفة أكبر (...) في تشكيل الحياة الاجتماعية"[8]، حيث تقيم الاعتبار وتتحرك مستحضرة المخاطب/الجمهور/ المستمع/ المرسل إليه... لذلك اهتم عماد عبد اللطيف بمشروع بلاغة المخاطب، الجمهور، وَرَصَدَ وجهاً من وجوه استجابات المتلقي

---

[4]- نفسه، ص509.

[5]- نفسه، ص510.

[6]- نفسه، ص510.

[7]- عماد عبد اللطيف : تحليل الخطاب... مرجع مذكور، ص510.

[8]- عبد الرحمان بودرع، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، قضايا ونماذج الواقع العربي المعاصر، كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص7.

في الخطابات الجماهيرية، السياسية أساسا، وهو التصفيق[9]. لا غرو أن تكتسي البلاغة أهمية وخطورة في المجتمعات البشرية منذ القدم، فهي إذ ترسم للخطابات غايات ومقصديات، وهي إذ تسعى إلى تطويق المتلقي واجتذابه، فإنها تقوم بوظائف اجتماعية، تصدر عن سياقات وأعراف المجتمع، وتوجه السلوكات وتصنع الحقائق والمواقف. والاستعانة بها دائما تكون للتعبير عن الأفكار والأطراف في المجتمع، ولِمَنْحِ العالم تسمياته ومعانيه، وهي بذلك "تخلع على الأشياء والأفكار معاني وقيما تعلو وتقوى بحسب ما تستعمل من وسائل إقناعية وطرق حجاجية ترشد وتقنع وتوجه"[10]. البلاغة إذن منذورة للتأثير في المجتمع، لأنها تتوخى التأثير في الناس. ومن ثم فهي تشكل وتدرس القول الذي يفعل في المخاطبين، أي يفعل في المجتمع. البلاغة ليست بدون دور، إن أفقها المجتمع، مما يتيح لها أن تكون أداة حاسمة تشتغل في التاريخ والناس وعلاقاتهم... فيكون تحليلها "للنتاج الخطابي من حيث وظيفته في العالم"[11]. يقول الدكتور عماد عبد اللطيف معبرا عن قناعته القوية بوظيفية البلاغة وغاياتها التأثيرية : "كل بلاغة وظيفية في جوهرها، بقدر ما هي آنية في تأثيرها. فالتأثير في الملتقي غاية كل فعل بلاغي، سواء توسل في إنجازها بالكلمة أو الصورة أو الإشارة أو الحركة أو مزيجا منها جميعا أو غيرها. لقد تحفز الجهد البشري حول البلاغة على مدار ألوف السنين بواسطة قناعة راسخة بأن تشكل الخطابات وأداءها على نحو مخصوص قد ينجز وظائف وتأثيرات واستجابات مخصوصة. وبصياغة أكثر دقة، آمن البلاغيون والبلغاء أيضا ـــ بأن ثمة علاقات وثيقة بين اختيار المتكلم لطرائق محددة للقول والأداء والآثار التي يتركها في المتلقي"[12].

3) ـ المتابعة البلاغية لخطابات مجتمعية عامة

يوجه عماد عبد اللطيف بوصلة تحليله نحو خطابات عامة، مجتمعية هي الخطابات السياسية، خطاب باراك أوباما بجامعة القاهرة، الأيقونات والصور في ميدان التحرير بمصر، وخطابات جمال عبد الناصر في ذكرى الوحدة سنة 1966، وخطاب أنور السادات في ذكرى ثورة يوليو 1974، وخطابات مبارك خلال اندلاع الثورة المصرية في 28 يناير وفي 01 فبراير وفي 10 فبراير 2011. ويبرر الباحث عماد عبد اللطيف اهتمامه بالخطابة السياسية اعتمادا على أنها "ميدان فسيح للكشف عن مواقف الجمهور واتجاهاته مما يسمعه، ومن السياسات التي يمثلها الخطيب، ومن شخصية الخطيب ذاته"[13]. وتحليل هذه

9- عماد عبد اللطيف، "جدل الظاهرة والاستجابة، دراسة في فخاخ البلاغة"، ضمن البلاغة والخطاب. منشورات ضفاف، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط1، 2014.

10- ع الرحمان بودرع : المرجع نفسه، ص12.

11- ذهبية حمو الحاج : التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص68.

12- عماد عبد اللطيف : جدل الظاهرة والاستجابة، مرجع مذكور، ص203.

13- نفسه، ص208.

الخطابات السياسية حسب الباحث "قد يمثل إسهاما في فهم أدق للعلاقة بين الظواهر البلاغية وما تنجزه في الواقع"[14].

إن ربط البلاغة بالمجتمع هي ما يحرك هذا الاشتغال، لأن الخطاب السياسي هو دائما المجلى لحركة المجتمع، لتوافقاته وصراعاته. والخطاب السياسي هو الذي يوجه المجتمع، وفيه تنكشف الرمزيات والطموحات، ومداره مصائر الناس وأحوالهم وتدافعاتهم وصراعاتهم حول السلطة والسيادة الاجتماعية، ألم يقل رولان بارت متحدثا عن المجتمع الأوربي "كانت البلاغة هي الممارسة الوحيدة التي اكتشف فيها مجتمعنا اللغة وسلطتها(...) وكانت أيضا سيادة اجتماعية"[15]. ويبرز اقتناع الباحث بالعلاقة القوية بين البلاغة والمجتمع، في تركيزه على تحليل خطابات لم تكن عادية، وإنما تعكس قلب المجتمع، وكان لها أثرها الحاسم في التفاعلات العامة. فخطابات عبد الناصر لم تكن باهتة أو باردة، بل كانت تقدم نفسها خطابا قوميا بأهداف تحررية يُدافع عن المصلحة العامة للمجتمع. وخطابات حسني مبارك، كانت تعبر عن تطورات غير مألوفة في العالم العربي، وكانت ترجمة لتحولات مفصلية في المجتمع. وخطاب باراك أوباما، الرئيس الأمريكي في مصر، وهو يحمل الاستراتيجية الأمريكية الجديدة آنذاك في المجتمعات العربية والإسلامية، في مرحلة تحول من أمريكا الغازية للعراق، إلى أمريكا باحثة عن مداخل سالكة لإعادة تطبيع علاقاتها مع العالم العربي من بوابة الشرق، مصر. وعلاماتُ ميدان التحرير برمزيته، وبالكثافة الأيقونية التي اكتسبها، وبأهمية الأحداث التي عرفها...هكذا تقرأ البلاغة التحولات المجتمعية استنادا إلى ما تحمله الخطابات وما تتضمنه هذه التعبيرات. إن الباحث، وهو يحلل هذه الخطابات، كان يشير إلى أسماء فاعلين وإلى قرارات وأحداث كان لها تأثيرها في فترتها، حيث حددت قناعات وخلقت اصطفافات في المجتمع. وهذا التوجيه للبلاغة نحو الخطابات المجتمعية العامة، يبعد البلاغة عن التجريد، ويجعلها تغادر العوالم العاجية لتنزل أرضَ الناس وتغوص بأدواتها عميقا في المجتمع.

4) ــ الاقتناع بالبعد الإصلاحي للبلاغة:

في إطار احتكاكه واتصاله بالروافد البلاغية الغربية، تحديدا المرجعية الأنكلوساسونية، يستدعي الدكتور عماد عبد اللطيف إسهاما أمريكيا في مجال البلاغة، وهو البلاغة النقدية، لدى مايكل ماكجي وريمي مكرو Mckerrow. وفي هذا الاستحضار يتوخى الباحث التعريف بإنتاجات بلاغية أخرى، غير البلاغة البنيوية. ويبحث في هذه الإنتاجات عما يتقاطع مع مشروعه حول بلاغة

---

[14]- نفسه، ص236.

[15]- رولان بارت : البلاغة القديمة، مرجع مذكور، ص36.

المخاطب، كما يهدف إلى "التحفيز على ارتياد آفاق جديدة للبلاغة العربية خارج دائرة النصوص الأدبية"[16].

إن هذه البلاغة النقدية التي يستدعيها الباحث، تنطلق من ضرورة البلاغة للمجتمع، لأنها تقوم على العرف والسياق وعلى الاعتقاد، وليس على العقل الخالص المجرد، ولأن مجالها هو الخطابات العامة التي تؤثر في حياة المجتمعات مثل المقالات الصحفية والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وأشكال الدعاية التجارية والسياسية والبيانات الحكومية... أي ما يعرف بـ "الخطابات الجماهيرية"[17].

مع البلاغة النقدية، تصبح البلاغة مشروعا اجتماعيا، وممارسة نقدية، تقوم على كشف وتعرية أسباب هيمنة بعض الخطابات، كما تؤسس لبدائل خطابية أخرى. هنا تتجاوز البلاغة لعنة أفلاطون، واقتراناتها الشائعة مع الخداع والتزويق، لتصبح لها مهمتهاالإصلاحية. فحسب الباحث، فإن مكرو، وضع للبلاغة أهدافا اجتماعية، حيث لا تبقى البلاغة مبررة أو متفرجة، وإنما حريصة على القيم الإنسانية، وعلى الانتصار للقوى الإيجابية في المجتمع.

فمن الرومانسية حسب الباحث، الاعتقاد بأن مشروع البلاغة النقدية يمكن أن يغير العالم، ولكن على الأقل، يمكن أن يغير الدراسات البلاغية لتصبح أكثر ارتباطا بالإنسانيات وبالنظريات الاجتماعية التي يعنيها المجتمع وتؤرقها علاقاته المختلفة. هكذا تكون البلاغة النقدية عينا فاحصة ومقيمة وناقدة للخطابات، وكاشفة عن أثرها في الممارسات الاجتماعية، باحثة من وراء ذلك عما ينحاز للمجتمع ويخدم مصلحته. بعبارة مختصرة إن هذه البلاغة تهدف إلى " دعم حرية البشر وتعزيزها"[18].

---

[16]- عماد عبد اللطيف : نقد بلاغة السلطة وتفويض سلطة البلاغة، دراسة في مشروع البلاغة النقدية، مجلة نزوى، العدد 66، أبريل 2011، ص56.

[17]- نفسه، ص57.

[18]- نفسه، ص52.

المراجـــــــع

أ) المراجع العربية :

- ذهيبة حمو الحاج : التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- **عبد الرحمان بودرع** : في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي : قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، كنوز المعرفة، ط1، 2015.
- عماد عبد اللطيف : -"نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة، دراسة في مشروع البلاغة النقدية"، مجلة نزوى، العدد 66، أبريل 2011.
  - "تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية"، فصول، عدد 84/83، سنة 2013/2012.
  - "جدل الظاهرة والاستجابة، دراسة في فخاخ البلاغة" ضمن كتاب : البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق د.محمد مشبال، منشورات ضفاف، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط1، 2014.

ب) المراجع المترجمة :

- بارت، رولان : البلاغة القديمة، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، نشر الفنك، المغرب، 1994.
- مورو، فرانسواز : البلاغة والمدخل لدراسة الصور البيانية، ترجمة محمد الوالي وعائشة جرير، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، المحمدية، ط1، 1989.

كتاب "تحليل الخطاب البلاغي" للدكتور عماد عبد اللطيف
دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف

أ.د علي كاظم المصلاوي أ.د كريمة نوماس محمد المدني
العراق جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق

مقدمة

كتاب " تحليل الخطاب البلاغي" دراسة في تشكُّل المفاهيم والوظائف للدكتور**عماد عبد اللطيف** من الكتب النقدية - البلاغية المهمة التي بذل فيه جهدا واضحا، وهي تشكل مشروعا قائما بذاته، لتبيين ماهية المصطلح البلاغي وكيفية وضع البنية الاصطلاحية للمفهوم البلاغي، متخذا من المناهج النقدية السياقية والنصية آليات لاقتحام المصطلح البلاغي في تحليل البنى الاصطلاحية التي تواضع عليها البلاغيون القدماء، فكان مصطلح (الالتفات) من المصطلحات البلاغية التي شغلت اهتمام الناقد الدكتور **عماد عبد اللطيف،** فوظف المنهج التاريخي في دراسته واستقرائه للآراء البلاغية حول وضع البنية الاصطلاحية للالتفات، مستعرضا تلك الآراء التي حولت المصطلح إلى مفهوم ومصطلح، له نشأة وتاريخ ومفاهيم ومصطلحات تعاوره، وفضلا عن ذلك استعان بالمنهج الأسلوبي ولاسيما الإحصائي منه لإحصاء الدراسات البلاغية التي تناولت مصطلح الالتفات، كما أنه استعان بالمنهج الاجتماعي حين حلل البيئة المكانية للمصطلح، وكثرة تواجده في الشواهد القرآنية والشعرية، وقد حاول بكل تقنياته البلاغية الحديثة أن يفكك النصوص البلاغية والشواهد الشعرية ليصل إلى نسق المصطلح القاعدي، مستعينا بالمنهج التأويلي في الوصول إلى الإجراءات التي تمثل وظيفة الالتفات الجمالية العامة والخاصة به.

قراءة نسقيَّة للفصل الأول

البنى الاصطلاحيـــــــــة في البلاغـــــــــــة العربيـــــــــــة

تحدث فيه الدكتور **عماد عبد اللطيف** عن مفهوم البنية الاصطلاحية للمصطلح البلاغي واختار فنا بلاغيا له تاريخه البلاغي، ألاوهو - الالتفات -، وقد عرف البنية الاصطلاحية بأنها:**"مجموعة التعلقات بين مصطلح واحد ومفاهيم مختلفة في ميدان محدد"**[1]. ثم يذكر رأيا للدكتور **علي القاسمي** في تعريفه للوحدة الاصطلاحية ويشير إلىأنها ذات بعد تاريخي، لكونه يتضمن مجموعة من المفاهيم التي أنتجها ميدان محدد في إطار زمني محدد أيضا؛ ويرى أن البلاغة العربية قدمت عددا كبيرا من المفاهيم لمصطلح (الالتفات)، وأن هذا المصطلح

[1] تحليل الخطاب البلاغي، د. عماد عبد اللطيف: 15

متشابك مع مصطلحات بلاغية أخرى، لذلك نرى أن الدكتور**عماد عبد اللطيف** نظرإلى المصطلح البلاغي (الالتفات) من رؤية المنهج التاريخي إذ بيّن تاريخ وجود المصطلح في البلاغة العربية وعلاقته بمصطلحات بلاغية أخر.

ثم عمل الباحث وفقا لإحصائيات المنهج الأسلوبي جدولا أقامه لمعرفة مصطلح الالتفات وكمية توظيفه في القرآن الكريم عبر الإحصائيات، اذ قام بإحصاء جميع الدراسات التي درست هذا المصطلح،حيث يرى أنه على مدار ست سنوات قدم أربعة دارسين أربع إحصائيات لكمية الالتفات في القرآن الكريم شملت النص القرآني بأكمله ، واقتصر الرابع على إحصاء الالتفات في عشرين صورة مختارة بوصفها عينة الدراسات المعاصرة ، وهي على النحو الآتي:

الشاذلي الهيشري: 157

حسن طبل: 790

محمد عبد الحليم: 400

لبنى اسماعيل: 151

ويرى الباحث الدكتور **عماد عبد اللطيف** والدكتور علي القاسمي أن هذا التفاوت في الإحصاءات يعود إلىأنكل إحصاء له التفاتته الخاصة التي يبحث عنها، وهذا الأمر يشير إلى التعدد المفاهيمي لمصطلح الالتفات في الدراسات المعاصرة.

ثم يشير الدكتور **عماد عبد اللطيف** إلى الجهود المترجمة لمفهوم المصطلح، إذ يقتصر البحث على نموذج دال قام فيه مترجم بترجمة مصطلحين في لغة واحدة،وهي الفرنسية، ويأتيان من حقل معرفي واحد هو البلاغة القديمة إلى الالتفات:

الأولى تمثل ترجمة **عمرأوكان** لمصطلح **anaculuthe** بالالتفات، وذلك في سياق ترجمته لكتاب **رولان بارث** قراءة جديدة للبلاغة القديمة.

الترجمة الثانية: ترجمة **محمد نديم حشفة** لمصطلح **enallage** بالالتفات، وذلك في سياق ترجمته لكتاب **تودورف "الأدب والدلالة"**، وذلك في ملحق المجازات والصور البلاغية ويعرف استخدام الفعل المضارع بدلا من غيره.

وعبر ذلك العمل الإحصائي الذي يدخل ضمن محددات المنهج الأسلوبي، ألا وهو (الإحصاء) يرى الدكتور **عماد عبد اللطيف** أننا أمام حالة من تعدد المقابلات الأجنبية للمصطلح العربي، فمفهوم الالتفات متعدد المفاهيم وكلها مستمدة من التراث العربي القديم. لذا قام الناقد بعملية إحصاء دقيقة لهذا المصطلح، ووجده مضطربا حين قال: **إن التراث البلاغي يقدم ثمانية مصطلحات بخلاف الالتفات للإشارة إليها ، بما يؤكد أن ثمة اضطرابا فعليا في الخطاب البلاغي التعريفي بالظواهر البلاغية في التراث العربي ، يتمثل في إطلاق أكثر من مصطلح على**

ظاهرة واحدة وإحالة مصطلح واحد على أكثر من ظاهرة، ووجود ظواهر مهمة لم يصطلح عليها ووجود مصطلحات تشير إلى ظواهر مبهمة "[2].
وقد عزا أسباب هذا الاضطراب إلى فعلين:
الأول: يرى أن سببه الكشف عن عوامل إنتاج الاضطراب عبر نقد الخطاب البلاغي التعريفي.
الثاني: يرى أنه تأسيسي، أي إدراك علمي بالبنية الاصطلاحية عبر الاستفادة من علم المصطلح.
وعبر استقصائه التاريخي لنشأة المصطلح البلاغي عزا عوامل اضطراب المصطلح البلاغي ومنه الالتفات إلى جملة من الأسباب وهي: **أولا:** أثر قداسة النص إذ يرى عبر دراسته التاريخية لتاريخ نشأة البلاغة العربية أن العلاقة بين علوم البلاغة ومباحث النص القرآني بوصفه لغة تتحدد في محورين مترابطين هما:
الأول : دور البلاغة في الانتصار لإعجاز النص بلاغيا
الثاني : دور مباحث النص القرآني بوصفه لغة (معانيه، تفسيره، إعجازه، قراءاته)، وأثرها في نشأة البلاغة العربية.
وفي أثناء ذلك يشير إلى قضية مهمة يضطلع بها الدور التأسيسي المخلخل للاصطلاح، مصدره بعض المصطلحات التي غدت غير متسقة مع بعض الأسس العقدية وذلك إثر إحداث مطابقة للدلالة اللغوية للكلمة مع دلالتها الاصطلاحية، ويضيف أن البلاغة العربية تقدم نماذج لأسباب تعدد المصطلح متعلقة بأسباب عقدية، ورفض مصطلح بعينه لتماسه مع قداسة النص ومنشئه [3].
ومما تقدم ذكره أمكننا القول إن الدكتور**عماد عبد اللطيف** وعبر استقصائه لمصطلحات البلاغة العربية قد وظَّف المنهج التاريخي السياقي الذي يدرج كل المؤثرات الفكرية والعقدية والدينية تحت ضوئه، وهو ما جعل قداسة النص القرآني سببا في إبعاد بعض المصطلحات من القرآن كمصطلح الالتفات الذي لم يرد ذكره فيه.
أما العامل الآخر هو (الاحتكام في التحديد المفهومي للمصطلح إلى دلالته اللغوية):
يرى الدكتور عماد عبد اللطيف وفي ضوء الرؤية البنيوية أن استحضار الدلالة اللغوية للّفظ مهمٌّ في فعل التأسيس الاصطلاحي، من حيث العلاقة القائمة بين الطرفين، فإن قلب العلاقة بعد ذلك لتصبح الدلالة اللغوية للكلمة محددة لطبيعة المفهوم ومتحكمة في توسيعه أو تضييقه أو استبداله من شأنه أن ينسف بنية الاصطلاح، ثم نراه يستشهد برأي د. **عبد الحكيم راضي** على مثل هذه

[2] ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 19
[3] ينظر نظرية اللغة : 433

المصطلحات التي يسميها (مصطلحات منقولة) التي لا تنقطع فيها الصلة بين المعنى اللغوي للكلمة وبين معناها كمصطلح، ويجعله عاملا مهما في تعدد مدلول المصطلح وصعوبة المراد منه، فمصطلح الالتفات من هذه المصطلحات[4]. ويستشهد بأمثلة دالة على هذا السياق بكتاب **ضياءالدين بن الأثير** في مادة الالتفات لغويا اذ ينقل عنه: **"وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة" [5].**

يرى الدكتور **عماد عبد اللطيف** أن الدلالة المعجمية هي المتحكمة في دلالة مصطلح الالتفات البلاغي، وبذلك أنتجت قانونا جديدا للعلاقة بينهما فيما يمثل قلبا لنظام العلاقة بينهما، وهذا ما أنتج القانون الجديد في أحكامه، خاصة لدى المتأخرين الذين وسعوا المفهوم ليشتمل كل صور العدول[6].

ويعلق الدكتور **عماد عبد اللطيف** على ذلك في مسألة العلاقة بين الدلالة المعجمية والدلالة الاصطلاحية من حيث إنها علاقة مشابهة وليست مطابقة، ويورد رأيا للدسوقي في حاشيته على ذلك "أن **لفظ التفات نقل من التفات إنسان من يمينه إلى يساره إلى التعبير عن معنى بطريق بعد التعبير عنه بطريق آخر"قوله وبالعكس" فيه نظر، لأنه يقتضي أن الالتفات الحسي لابد فيه من تحويل بدنه عن الحالة الأصلية إلى جهة يمينه ثم إلى جهة يساره، وأن الالتفات الاصطلاحي لابد فيه من انتقالين، ولا يتحقق ذلك إلا بثلاثة تعبيرات، مع أنه يكفي في الأول تحويل واحد، وفي الثاني انتقال واحد، فالأولى أن يقول (أو بالعكس) ويجاب بأن الواو بمعنى أو"[7].**

ويرى الدكتور **عماد عبد اللطيف**أن الدسوقي بنى كلامه على مقدمة فاسدة هي المطابقة بين جزئيات الدلالة اللغوية للكلمة وجزئيات الدلالة الاصطلاحية للمفهوم، وكان إدراكه فساد مقدمته كفيلا بأن يتوقف عن متابعة النقاش، وتزداد هذه الممارسة خطورة حين تتعلق بنص مقدس كالقرآن الكريم. ويورد رأيا **لجمال الدين الأندلسي** في المعيار وهو قوله **"ومن هذا الباب قول الله عز وجل وإن لم يطلق عليه لفظ التفات من حيث إنه لا يستعمل في الله عز وجلّ((إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين))" [8].**

وبعد التمحيص الدقيق لكلام الدسوقي وردود جمال الدين الأندلسي عليه، رأى الدكتور **عماد عبد اللطيف** مستعينا بحفريات التأويل في تفكيك النص السابق-ما يلي:

---

4 ينظر التغيير الدلالي في المصطلح النقدي: د. عبد الحكيم راضي: 207، ينظر: تحليل الخطاب البلاغي: 22.

5 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الاثير : 168.

6 ينظر: تحليل الخطاب البلاغي : 22-23.

7 شروح التلخيص: حاشية الدسوقي ، ج1, 464 .

8 ينظر المعيار في نقد الأشعار : 166. والآية رقم 50 من سورة الأحزاب.

إن هذا النص الذي سبق إيراده مبني على مقدمة فاسدة، وهي التطابق بين الدلالة المعجمية للكلمة ودلالتها الاصطلاحية، والمطابقة بين الدلالة المجازية للفعل، أي الالتفات في النص والدلالات الحقيقية له، أي الالتفات في الجسم كما يظهر في القياس الآتي [9]:

مقدمة (1) حركة الرأس يمينا ويسارا= الالتفات
مقدمة (2)الله لايحرك رأسه يمينا ويسارا
النتيجة (1) لا يجوز على الله الالتفات (الحركة)
مقدمة (1) لايجوز على الله الالتفات
مقدمة (2) النص القرآني يحضر فيه الالتفات ((مفهوما))
نتيجة (2) المفهوم في النص القرآني ينبغي ألا يسمى التفاتا.

فمن لا يجوز أن يحدث منه فعل الالتفات "حركيا " لايجوز أن ينسب إليه فعل الالتفات "نصيا".

وبعد قراءة استكشافية واعية للمصطلح البلاغي عبر آليات المنهج التاريخي القرائي والمنهج الاجتماعي وكذلك المنهج النصي الأسلوبي المتمثل عبر المحدد الإحصائي، توصل الباحث **عماد عبد اللطيف** إلى أن البلاغة العربية في تاريخ تأسيسها تنتمي إلى عدد من الحقول المعرفية، اختص كل حقل بمادته ومنهجه وغايته، ومن هذه الحقول علوم اللغة، وعلوم القرآن، وعلم الكلام، والمنطق ونقد الشعر وشروحه، **فكثير من مصطلحات البلاغة تكوّن واكتمل في حقله المعرفي الخاص قبل أن ينتقل إلى البلاغة مثل مصطلح المجاز وغيره من المصطلحات ومن هذه المصطلحات الالتفات أيضا[10].**

لقد قام الباحث عبد اللطيف بعملية دراسة تاريخ مصطلح "الالتفات" منذ نشأته في كتب شروح الشعر وحتى كتب التفاسير، فرآى أن أغلب البلاغيين تبنوا المفهوم الذي قدمته كتب تفسير القرآن، ولأن حقلي شروح الشعر والبلاغة تربطهما علاقة تساند على أساس أن البلاغة تستمد بعض قوانينها من الشعر الذي يشتغل عليه شراحه بأدوات منها البلاغة، ليكون بينهما ما بين النظرية ومادتها من تفاعل، فقد اعتمدت بعض كتب البلاغيين المفهومين للمصطلح الواحد.

ثم يلتفت الدكتور **عماد عبد اللطيف** إلى قضية هامة في أثر تحديد المصطلح البلاغي ألا وهي البيئة الجغرافية في تعدد البنى الاصطلاحية، إذ رأى من وجهة نظره الخاصة على فرضية أن للبيئة المصرية خصوصية في صياغة المصطلح البلاغي، ويستشهد برأي الشيخ **أمين الخولي** في قضية مصطلح "الالتفات"، فصاحب "معالم الكتابة "المصري لايسميه بهذا الاسم ولا يشرحه بمثل عبارة المشارقة في شرحه وإنما يسميه الانصراف، ويقول في إيضاحه **"هو**

---

9 تحليل الخطاب البلاغي : 24.

10 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 25.

أن تبتدئ المخاطبة بهاء الكناية، ثم تتصرف إلى المخاطبة بالكاف، وهذا يحتمل إذا كان الأمر مهما دون غيره"[11].

فالدكتور **عمادعبداللطيف** يرى أن الشيخ أمين الخولي أعطى للبعد الجغرافي دورا في تغيير البنى الاصطلاحية، ولكي يفعل هذا البعد يفترض وجود طرفين جغرافيين متباينين، الأول مصر والثاني المشرق الأقصى. ومن جانب آخر يرى هذا **الباحث** اضطراب الوعي بطبيعة البنية الاصطلاحية، وقدم دليلا على ذلك من أصحاب المؤلفات البلاغية القديمة وهم خمسة مؤلفين قدموا مواد معرفية حول مصطلح الالتفات وتحليل هذه المواد يكشف عن أربعة منهم، هم ابن المعتز وقدامة والقرطاجني والسجلماسي، اذقدموا مفاهيم متباينة عن مفهوم الالتفات. ويقدم الدكتور جدولة واضحة لتبيين مصطلح الالتفات عند كل علماء البلاغة والتفسير[12].

ويضع الدكتور **عماد عبد اللطيف** إجراءات مقترحة لضبط البنية الاصطلاحية في التراث البلاغي، ويرى أن هذه الإجراءات بعضها مأخوذ من إنجازات المصطلحية وعلم المصطلح، وبعضها الآخر اجتهاد مبني على مراعاة خصوصية المادة البلاغية من حيث خصوصية نشأتها وامتدادها التاريخي، وافتراشها مساحات تنتمي إلى حقول معرفية متعددة، واستخدام منجزها لصالح حقول أخرى[13].

ومن هذه الإجراءات: **أولا:** تحديد الحقول المعرفية لضبط البنية المصطلحية وتضم هذه الحقول:

- حقل علوم القرآن: معانيه وإعجازه وتفسيره وقراءاته.
- حقل شروح الشعر ونقده
- حقل علوم العربية وفقهها
- حقل البلاغة العامة
- حقل معاجم المصطلحات العامة والخاصة.

أما المسألة الثانية فمتعلقة بالتوثيق[14]، والتجريد المصطلحي ويعني به فحص مدقق للنصوص المتعلقة بالالتفات، قصد استخراج الوحدات المصطلحية، والمعلومات الضرورية لمعالجتها. والمسألة الأخيرة هي التقييد الدلالي

---

11 مصر في تاريخ البلاغة : ضمن مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : ج1, 176.

12 من يريد ينظر الجدأول موجودة في الكتاب تحليل الخطاب البلاغي : 47, , 48, 49, 50, 51, 52.

13 تحليل الخطاب البلاغي : 44.

14ويقصد بمصطلح التوثيق: عملية جمع المصادر المكتوبة المتعلقة بالالتفات في التراث البلاغي, وهي عملية صعبة، مرجع ذلك الى امتداد الفترة الزمنية التي رفدت مبحث الالتفات والى تعدد الحقول المعرفية المهتمة به والى تناثر الكلام في بطون تلك الكتب
ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 44

للمصطلحات المستخدمة في عملية الضبط الاصطلاحي وتتأسس هذه العملية على ثلاثة عناصر هي:

1- **الواقع**: وقد يكون فرديا محسوسا أو مجردا، أوجماعيا محسوسا أو مجردا والواقع ليس له وجود تجريدي، إلا من خلال المفهوم، فالأشياء تتأسس وجوديا في اطار ممارسة معرفية تحدد بدورها طبيعة المفاهيم، ونظام الأسماء المترجم عنها اصطلاحيا(15).

2- **المفهوم**: ويعرف بأنه تمثيل فكري لشيء ما "محسوس أو مجرد "أو لصنف من أشياء لها سمات مشتركة ويعبر عنها بمصطلح أو رمز(16).

3- **المصطلح**: وهو كل وحدة لغوية دالة مؤلفة من كلمة "مصطلح بسيط "أو من كلمات متعددة **"مصطلح مركب وتسمى مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما(17).**

ومن خلال ماتقدم يرى الدكتور **عماد عبد اللطيف** أن كفاءة عملية الضبط الاصطلاحي ترتهن بدقة هذه الإجراءات القبلية وإتقانها؛ وتشمل إجراءات ضبط البنية الاصطلاحية للالتفات مايأتي:

1. تثبيت مصطلح الالتفات ورصد ما يتعاوره من مفاهيم.
2. تحليل مفهوم تحولات الضمائر إلى عناصره الأساسية.
3. تثبيت مفهوم تحولات الضمائر ورصد ما يتعاوره من مصطلحات.
4. رصد الظلال المفهومية لمصطلح الالتفات .

ثم ألحق الدكتور عماد عبر تلك الإجراءات المقترحة جداول للمفاهيم والمصطلحات التي ترادف مصطلح الالتفات، وهذا جهد مضاف قدمه الدكتور كي يؤكد عملية الافتراض التي ينبغي أن يمر بها المصطلح حتى يستقر كبنية اصطلاحية، فوظف المنهج التاريخي عبر دراسته لذلك المصطلح مع المنهج الأسلوبيالإحصائي عبر تلك الجداول التي أقامها في دراسته للكتب البلاغية القديمة.

بعد تلك الرحلة المضنية التي قام بها الدكتور**عماد عبد اللطيف** في مدار حديثه عن التعريف بالمصطلح البلاغي وبعد الكشف عن العلل الكامنة وراء هذا الاضطراب في عملية التعريف في التراث العربي البلاغي القديم، حاول تقديم مقترح مع الإجراءات لضبط البنى الاصطلاحية مستعينا باليات المنهج التاريخي والاجتماعي، وموظفا محددات المنهج الأسلوبي الإحصائي لكل المفاهيم والمصطلحات والتسميات البلاغية التي تعاور مصطلح الالتفات، اذ اقترح سلسلة من إجراءات الضبط الاصطلاحي يمكن لوطبقت على مجمل التراث العربي

15 ينظر المصطلحية : 210

16 ينظر المصطلحية : 215

17 المصدر نفسه : 215

بمشاركة نخبة من الباحثين أن تؤدي إلى معجم بلاغي سياقي تاريخي، وتتمثل في تتبع المفاهيم المختلفة التي تتعاور مصطلحا واحدا، والمصطلحات التي تتعاور مفهوما واحدا وتحليل المفاهيم البلاغية إلى عناصرها الأساسية، واستكشاف الظلال المفهومية للمصطلحات البلاغية، وتأثير العوامل التاريخية والثقافية في صياغة المفاهيم في التراث البلاغي .

قراءة نسقية للفصل الثاني، الوظائف الجمالية: إنتـاج الجمالية وتقويضها

في البدء عرف الدكتور **عماد عبد اللطيف** الوظيفة البلاغية: بأنها الآثار المترتبة على وجود ظاهرة بلاغية ما في مادة لغوية معينة كما قدمها البلاغيون العرب القدامى تنظيرا وتطبيقا وهذه الآثار قد تكون ايجابية أو سلبية[18].

ثم فسر الباحث مفهوم الآثار الايجابية للوظيفة البلاغية بأنها مجموع الآثار الجمالية التي قال بها البلاغيون، والتي تنتج عن الظاهرة وتسهم في تحقيق فاعلية النص وقدرته الأدائية. أما الآثار السلبية للوظيفة البلاغية فهي الآثار المقوضة للجمالية التي تنتج عن الظاهرة وتؤدي إلىإضعاف فاعلية النص وقدرته الأدائية[19].

بعد أن عرض الدكتور عماد الوظيفة البلاغية والآثار المترتبة عليها إيجاباأو سلبا، قام بعملية دراسة تاريخية وإحصائية دقيقة للجهود التي تحدثت عن طبيعة وظائف مصطلح الالتفات، وفي مدى نسبة الالتفات لعلوم البلاغة الثلاثة، ومن الواضح أن هناك خلافا حول نسبة الالتفات إلى أحد علوم البلاغة حول الوظيفة، فمنهم من نسبه إلى علم البديع، ويقصر وظيفته على وظيفة جمالية عامة هي تحسين الكلام وتطريته، ومنهم من ينسبهإلى علم المعاني إذ يقصر وظيفته على دوره في إنتاج المعنى في سياقه النصي والاستعمالي الخاص بهدف الوصول إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي وظيفة خاصة، ومن ينسبه إلى العلمين يجمع له الوظيفتين العامة والخاصة[20].

وبعد قراءة مستفيضة عميقة مستعينا بآليات المنهج الاجتماعي والتاريخي عبر حفريات في تاريخ البلاغة توصل الناقد الدكتور **عماد عبد اللطيف** إلى أن هذا الخلاف سابق وقديم يعود إلى نشأة اللغة والبلاغة، فقد بدأ عند ابن جني ثم تبلور عند ابن الأثير الذي رفض الإقرار بوجود وظائف جمالية عامة ،وأعلنأن لكل التفات فائدة خاصة به تقتضيه[21].

---

18 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 92

19 ينظر تحليل الخطاب البلاغي :92_93.

20 ينظر تحليل الخطاب البلاغي: 94, ينظر الشروح ج463/1, ينظر المثل السائر ج2/ 169, ينظر الطراز ج134/1_135.

21 ينظر كتاب المثل السائر ج2/ 169.

ويورد الدكتور **عماد عبد اللطيف** رأيا **للعلوي** صاحب كتاب **الطراز** رادا على رأي ابن الأثير، مبررا ذلك بأنه يجوز الجمع بين الوظيفتين العامة والخاصة للالتفات، بل ضرورة ذلك[22].

ويعلل الدكتور **عماد عبد اللطيف** سبب ذلك الخلاف في طبيعة الوظيفة البلاغية للالتفات ونسبته لأي علم يعكس هشاشة التقسيم بين علوم البلاغة المختلفة من حيث هو تقسيم قائم على وظيفة الظاهرة، وأن الوظائف لاتعرف الثبات، بل يحكمها التعدد والتنوع والتطور، وذلك لأنها تخضع بصورة أساسية لوعي البلاغي الذي يدرسها وقدرته على اكتشاف وظائف متنوعة ومتباينة للظاهرة الواحدة[23].

أما المسألة الأخرى المهمة التي أثارها الدكتور**عماد عبد اللطيف** في قضية الالتفات فهي طبيعة العلاقة بين مفهوم الالتفات ووظيفته، ويورد آراء مختلفة في ذلك ، وخلال ذلك أورد رأيا **للمغربي** الذي وجد أن هناك تعارضا بين مفهوم الالتفات عند **السكاكي** ووظيفته العامة اذ يقول: **"**ولا شك أن ماذهب إليه السكاكي من عدم اشتراط تقدم تعبير آخر يتحقق فيه معنى الالتفات من جهة المتكلم**.** لأنه التفت من مقتضى المقام إلى غيره، لكن الفائدة المذكورة على وجه العموم للالتفات وهي أن الكلام اذا نُقِل من أسلوب إلى غيره كان أكثر إيقاظا للإصغاء إليه لا تظهر فيما اذا لم يتقدم تعبير آخر فإن التعبير الأول يرد غالبا قبل ارتقاب مايصلح للمقام فلايتحقق تجديد ما لايرتقب فليتأمل**"**[24].

ويعقب الدكتور **عماد عبد اللطيف** حول رأي المغربي الذي ورد مقدما أن هذا تعارض بين الوظيفة والماهية، وهو تعارض يزعزع من تماسك مفهوم السكاكي للالتفات، إذ يلغي المفهوم المقترح وظيفة الالتفات العامة التي كثيرا ما عوَّل البلاغيون عليها بل عدَّها بعضهم وظيفته الوحيدة[25].

أما المسألة الثالثة الأهم التي أثارها الدكتور حول الوظيفة البلاغية لمصطلح الالتفات فهي تساؤل، هل للالتفات في النص القرآني وظائف جمالية مخصوصة أم ينطبق عليه ما ينطبق على غيره؟ ويجيب الدكتور **عماد عبد اللطيف** عن هذا السؤال برأيين متعارضين، الأول يمثله رأي المغربي الذي يعترض على أن يكون التنشيط والإيقاظ من وظائف النص القرآني، ويقصر هذه الوظيفة علىمن يصحّ في حقه الإيقاظ والنشاط والإصغاء .

وأما الرأي الثاني المنسوب إلى مجهول، ويأتي عرضا في سياق احتجاج الدسوقي لعموم وظيفة التنشيط والإيقاظ، ويبدأ الدسوقي مؤيدا للمغربي مستدركا على عموم الفائدة، إلا أن هذه الفائدة التي ذكرت للالتفات لا تنطبق على مادة

---

[22] ينظر الطراز ج1/ 134_ 135.
[23] ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 94.
[24] شروح التلخيص ج1/ 464
[25]تحليل الخطاب البلاغي : 95

يكون فيها المخاطب حضرة البارئ عز وجل كما في ((إياك نعبد وإياك نستعين))، لتنزهه عن النشاط والإيقاظوالإصغاء[26].
ويخلص الدكتور عماد وفق قراءاته التفكيكية والتأويلية لتلك الآراء التي أوردها أن هذه الآراء تضع القارئ أمام رأيين متعارضين يكون بينهما وسيط، الأول: ينفي الوظيفة التنشيطية للالتفات عن الكلام الالتفاتي في حالة التوجه بالخطاب إلى الذات الالهية، وأما الرأي الآخر يثبت الوظيفة لأي كلام التفاتي بغض النظر عن العوارض الخارجية، وأما الرأي الوسيط يعيد تأويل المقصود بالوظيفة التنشيطية والتطريبية لتتناسب مع خطاب الذات الإلهية[27].
ثم تعرض الدكتور **عماد عبد اللطيف** إلى قضية مهمة جدا تتعلق بتطور الوعي بالوظائف البلاغية للمصطلحات في التراث البلاغي ويجد أن هذه المسألة تتضمن تاريخين مهمين، أولهما[28]: تاريخ العلاقة بين اللغوي والأدبي، وثانيهما: تاريخ العلاقة بين الوظائف الجمالية العامة والوظائف الجمالية الخاصة.
في البدء تحدث الدكتور عن الالتفات قبل سيرته الوظيفية بما سماه (قبل الولادة، الوجود) فهو يرى أن الالتفات حاضر دون وظيفته، ولأنه حضور دون وظيفة فإنه حضور يستشعر ثقله، ويسعى للتخلص من ذلك الثقل بتحذير الوجود المنفصل عن الوظيفة والتأكيد على أن"العرب تفعل هذا"، وهذه الجملة تعكس نزعة التبرير بالمشابهة.
ثم تحدث عبر عملية إحصائية عن معظم المؤلفات المبكرة حول الالتفات في هذه النزعة التبريرية حوله، وهذه المؤلفات هي: كتب مجاز القرآنلأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة. وكذلك شروحات الشعر مثل شرح القصائد السبع للأنباري، شرح القصائد التسع للنحاس، وشرح المرزوقي لديوان الحماسة.
ثم تحدث الدكتور **عماد عبد اللطيف** عن الكتابات البلاغية التراثية المتعلقة بوظائف الالتفات، اذ تقدم صياغة نظرية لها وتتناثر الإشارات البلاغية النظرية والتطبيقية حوله. وبعد تمحص ورؤية دقيقين للرؤية البلاغية التراثية القديمة يرى أنهم كانوا يعون أن الظاهرة البلاغية تنتج وظائف عامة متعددة بتعدد عناصر الخطاب التي تتضمن المخاطِب والمخاطَب وموضوع الخطاب، وانبنى ذلك على وعي بوجود هذه العناصر أولا، وبوجود علاقات متبادلة بين الظاهرة/ الأسلوب وهذه العناصر ثانيا، وبوجود علاقات متبادلة بين العناصر ثالثا[29].
وما يكشف عنه تحليل الوظائف العامة للالتفات التي تضم ستة أنماط تتوزع بحسب عناصر الخطاب وهي :

---

26 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 96
27 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 96
28 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 97
29 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 109

1-وظائف تخص لغة الخطاب: وفيها يوظف الالتفات للكشف عن إمكانات اللغة، وقد أطلق عليها البلاغيون الاتساع والتوسع والسعة.
2- وظائف تخص منشئ الخطاب: حيث يوظف الالتفات للكشف عن قدرات المنشئ وأطلق عليه البلاغيون الافتنان والتفنن والتصرف والتصريف .
3- وظائف تخص المخاطب: وفيها يعمل الالتفات للتأثير في المخاطب، إما بتنشيطه للوصول إلى التلقي الأمثل للخطاب ، أو بإحداث آثار نفسية ايجابية مثل الترويح والتطريب .
4- وظائف تخص بنية الخطاب: وفيها يعمل الالتفات بوصفه بانيا للنص، إما باستخدامه مفصلا يربط الأغراض المختلفة للقصيدة، أوبوابة لعبور الصفات داخل الخطاب، أو مقوما لمشكلات القصيدة، أوأداة لتحقيق سهولة التجاوب الألفاظ وتلاؤم طرائق النظام.
5- وظائف تخص السياق الاجتماعي للخطاب: وهي وظائف اجتماعية يقوم الالتفات فيها بالحفاظ على التراتبية الاجتماعية بين المخاطِب والمخاطَب .
6- الالتفات بوصفه علامة على أهمية الخطاب: وهي تحليلات تبلغ من العمق والدقة والرهافة حدا يجعل من الحتمي إعادة اكتشافها وتأطيرها والتنظير لها لتحقيق أقصى استفادة منها(30).
ثم تحدث الدكتور عماد عن الوظائف الجمالية العامة للالتفات وجعلها كالآتي:
1-الكشف عن إمكانات اللغة وقدرات مستخدميها .
2- التوسع والاتساع والسعة : تعدد الإمكانات اللغوية وتعطليها .
3- الاقتدار وعادةالافتنان : الفحولة واللعب الحر باللغة .
4- المخاطب : الوظيفة البلاغية بين التنشيط والتطريب .
5- التطريب والتنشيط : المخاطب بين الإمتاع والتحفيز.
6- الوظيفة الانشائية وتشمل (الالتفات بوصفه مفصلا لأغراض القصيدة ،تسهيل تجاوب الألفاظ وتلاؤم طرائق النظام، الالتفات هو بوابة عبورالصفات، الالتفات لتقويم مشكلات الوزن والقافية).
7- الوظيفة الاجتماعية : تحولات الضمائر وتحولات المراتب الاجتماعية.
8- الالتفات بوصفه علامة على أهمية موضوع الخطاب

وبخصوص الوظائف الجمالية الخاصة بالالتفات، يشير الدكتور عماد عبد اللطيف إلى أن عامة البلاغيين أشاروا إلى أهمية الوظائف العامة للالتفات، وأن الوظائف الخاصة قد تتحقق في بعض المواضع ولا تتحقق في بعضها الآخر(31)، باستثناء ابن جني الذي ذهب مبكرا إلى أن الوظائف الخاصة هي الأصيلة، وأن اللجوء إلى وظائف عامة هي من قبيل التوسع أو الاتساع، ثم انفرد ابن الأثير

[30]_ ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 109_100، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل : 34
[31]_ ينظر المفتاح ص113, الكشاف ج1/ 118, شروح التلخيص ج473/1

بالقول إن الالتفات لا يكون إلا لوظائف خاصة بالموضع الذي يحدث فيه[32]. وذلك على إثر نفيه الوظائف العامة للالتفات، بينما يرى الدكتور عماد عبر استقرائه للدراسات البلاغية أن تحليل ابن جني والزمخشري والسكاكي والتنوخي وغيرهم للالتفات في النص الشعري أو القرآن أو لغة الحياة اليومية تستند إلىأن الالتفات منتج للمعنى المقصود إما منفردا أو بالتضافر مع خصائص أسلوبية أخرى[33].

وبعد هذه الرحلة المضنية التي قام بها الدكتور عماد عبد اللطيف في الكشف عن ماهية الوظيفة البلاغية للمصطلح البلاغي – الالتفات- التي اتكأ فيها على آليات المنهج السياقي التاريخي والأسلوبي بمحدداته المعروفة من الاختيار والتضمين والإحصاء، فضلا عن اعتماده التأويلية منهجا لتحليل وتفسير الآراء البلاغية القديمة في التوصل والكشف عن وظائف الالتفات التي أوضح فيها تحليلاته وتأويلاته الدقيقة للتراث البلاغي القديم، خاصة في كتب معاني القرآن وتفسيره وشروحاته، فضلا عن شروحات الشعر القديم وأثر ذلك في إنتاج المعنى الذي يمثل الوعي بمكامن فعاليات الخطاب الالتفاتي، وبالكيفيات التي ينجز بها، وبالتالي يكشف عن طبيعة العلاقة بين المخاطِب والمخاطَب والخطاب وإمكانية تبديل المواقع بينهما.

ثم ميز الدكتور **عماد عبد اللطيف** في خاتمة الفصل الثاني بين اتجاهين متباينين في تحديد وظائف تحولات الضمائر، إذ تمثل الاتجاه الأول الذي يعطي للظاهرة حكما مطلقا بالحسن (الجمالية) حيث قيمة الظاهرة محددة سلفا، فالذين أشاروإلى ذلك من البلاغيين قدموا جهدا كبيرا في بلورة عدد من الإجراءات والشواهد للكشف عن جمالية الظاهرة .

أما الاتجاه الثاني فيستند إلى تصور ينزع عن الظاهرة الحكم المسبق بالقيمة الجمالية، وتتفاوت مواقف ممثلي هذا الاتجاه بين رفض الظاهرة مطلقا انطلاقا من حكم قيمي يجعلها نقضا للجمالية، وتنزيلها منازل تتدرج من الجواز إلى الامتناع أو من الحسن إلى القبح.

وقد حاول في ختام فصله الثاني جاهدا أن يبين الدواعي والدوافع التي حفزت اتجاه الرفض وجعل الالتفات تقويضا للجمالية في التراث العربي وإلقائه في دائرة القبح، وهؤلاء هم القاضي الجرجاني، وابن سنان الخفاجي، وحازم القرطاجني الذين ربطوا بين بعض الظواهر البلاغية وتقويض لجمالية النصوص الأدبية العليا[34].

32_ ينظر المحتسب ج1/ 145، ينظر المثل السائر ج2/ 169

33_ ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 140

34_ ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 102

قراءة نسقيَّة للفصل الثالث: نفي الظواهر البلاغية، صراع النحو والبلاغة

حاول **عماد عبد اللطيف** جاهدا في هذا الفصل تبيان عمليات نفي وجود ظاهرة بلاغية من أمثلة النصوص العليا وأولها القرآن الكريم والشعر العربي القديم، متخذا من ظاهرة الالتفات نموذجا للتطبيق، وقد تضمنت هذه العمليات نفي تغيير مرجعية الضمائر وتقدير القول ونفي تحولات القول وتقدير الصفة المحذوفة وتمثل ذلك بثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: هو الأكثر شيوعا واطرادا وهو الذي فرض هيمنته في التراث البلاغي بدءا من القرن السادس، وهو اتجاه ينسب للظاهرة البلاغية تحقيق آثار جمالية ترفع من القيمة الأدبية للنص الذي توجد فيه.

أما الاتجاه الثاني: وهو الأقل شيوعا واطرادا وتمثله نصوص ثلاثة للقاضي الجرجاني وابن سنان الخفاجي وحازم القرطاجني، وتختص هذه النصوص بنقد الشعر، وتتفق في تصويرها الالتفات بوصفه تقويضا لجمالية النص الذي توجد فيه، وسبق تم التفصيل عنه في الفصل الثاني.

أما الاتجاه الثالث: ويمثل من حيث شيوعه واطراده درجة وسطى بين الاتجاهين، الأول والثاني ولكنه يمثل من حيث طبيعته الطرف المناقض لهما، فاذا كان الاتجاهان، الأول والثاني يتفقان في أنهما يثبتان الظاهرة ويختلفان في تصورهما لطبيعة آثارها، فإن الاتجاه الثالث ينفي الظاهرة كلية ويلغي وجودها.

ثم بعد ذلك العرض يبين عماد عبد اللطيف الأسباب وراء نفي الالتفات، ويرى أن نفيه -أي الالتفات- يتحقق عند إفقاده شرطا من شروط تحققه، وقدم دليلا من شراح التلخيص في الشروط لصياغة نظرية الالتفات، اذ يتفق البلاغيون على أن شرط تحقق الالتفات هو أن يكون الضمير الملتفت إليه عائدا في نفس الأمر إلى الملتفت عنه، وقد ذكر بعضهم شرطا اخر لكنهم ضعفوه وهو أن يكون الالتفات في جملتين لا جملة واحدة[35]. ويقف مع الرأي الذين ضعفوه استنادا إلى تواتر النصوص التي تتضمن تحولا في الضمائر في جملة واحدة، وإلى أنه لم يترتب على هذا الشرط أي إجراء لنفي الالتفات، وهو ما قد يعني عدم وجوده[36]، ثم ذكر الدكتور عماد عبد اللطيف الأسباب الداعية إلى نفي الالتفات بالتفصيل، فجعل السبب الأول هو:

1 - نفي الالتفات بواسطة تغيير مرجعية الضمائر

إذ يستند هذا الإجراء على ثراء النص من ناحية، والقدرة التأويلية لدراسته من ناحية ثانية، وينطوي هذا الإجراء على ثلاثة إجراءات مستقلة تتباين في درجة شيوعها وهي:

أولا : تغير المتكلم، ثانيا: تغير المخاطب، ثالثا تغير المسرود عنه.

---

[35] ينظر شروح التلخيص ج1/ 470-473، البرهان ج1/ 381, كشاف مصطلحات الفنون ج1/ 1389.

[36] ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 196.

وتحدث الدكتور عماد عن كل تفصيلات الالتفات وفقا لهذه النقاط الثلاث[37].

2- نفي الالتفات بتقدير القول

يرى الدكتور أن هذا السبب هو الإجراء الأكثر شيوعا في نصوص المفسرين والبلاغيين العرب، ويرجع ذلك إلى عدم اقترانه بالقدرة التأويلية للمفسر أو البلاغي كما في إجراء تعدد المتكلم، كما أنه يؤدي إلى تثبيت بنية الخطاب بما يحقق الحفاظ على النسق القاعدي للجملة، وتكمن فاعليته في قدرته على تحويل فعل الالتفات من فعل متحقق نصيا قائم بذاته إلىإمكانية من إمكانيات الكلام غير المباشر، وقدرته على فصم الاتصال النصي بين طرفي جملة الالتفات دون تغيير في معناها[38].

وقد بين الدكتور عماد أنه يمكن تجريد تطور علاقة الالتفات بتقدير القول في أربع مراحل أساسية[39]، وجاءت إحصائياته هذه عبر دراسة تاريخية عميقة لجذور تاريخ البلاغة مستعينا بآراء البلاغيين والمفسرين في ضوء معطيات المنهج التاريخي والأسلوبي الإحصائي والاختياري، هذه االمراحل هي:

المرحلة الأولى: وتمثلها مؤلفات معاني القرآن ومشكله، ونفى فيها الالتفات نتيجة للسؤال المهيمن في تلك المرحلة، وهو طبيعة لغة النص القرآني وموقعها من اللغة العرية ونصوصها العليا، وكان الاتجاه فيها نحو تضييق المسافة بين النص والقاعدة، وسادت فيها أحكام الصحة والجواز، ولجأت إلىالإحالة على النصوص الشعرية القديمة بوصفها معضدا للنص القرآني.

المرحلة الثانية: تمثلها نصوص الطبري في تفسيره، وبعض نصوص ابن جني، وتحول فيها السؤال جزئيا ليتناول وظيفة الأسلوب، ولم تشهد هذه المرحلة إقرارا كليا بالالتفات بوصفه ظاهرة بلاغية ، ولكنها شهدت إدراكا واضحا لوظيفته العامة والخاصة .

المرحلة الثالثة: وتمثلها نصوص الزمخشري في كشافه، والتي استندت فيما يرى د. عماد على تحليلات ابن جني المتناثرة في المحتسب. وقد دشن الزمخشري أسلوب الالتفات بوصفه (فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع) ويصف طريقة الالتفات بأنها مزية من البلاغة.

المرحلة الرابعة: مثالها نص الزمخشري السابق، واستقل فيها الالتفات بكل تحولات الضمائر.

3- نفي تحولات جهة الخطاب:

تتكون جملة الالتفات من ضميرين متتابعين تتغاير جهة خطابهما ويتحد مرجعهما، ثم يضرب مثلا قوله تعالى: **((حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم))**

---

37 للإيضاح ينظر المرجع نفسه: 197، 198، 199،200،201،202،203،204،205،206،207،208،209،210.

38 ينظر تحليل الخطاب البلاغي: 212

39 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 218

يتجه ضمير الجمع في كنتم إلى الخطاب، أما ضمير الجمع في بهم فيتجه إلى الغيبة، والضميران متتابعان يحيلان نصيا إلى مرجع واحد. وجملة الالتفات هي جملة داخل نص ينطوي على عدد من الضمائر قد تتحد في الجهة وتختلف في المرجع أو تتحد في المرجع وتختلف في الجهة، أو تتحد في المرجع والجهة، فتحقق الالتفات في النص نتاج للتسليم بالتراتبية الظاهرية للضمائر في النص[40].
أما السبب الرابع والأخير فهو:

4- نفي الالتفات بواسطة تقدير الصفة:

ويرى الدكتور أن هذا الإجراء يقوم على كسر الترابط النحوي بين الجملتين المكونتين للالتفات، ثم إلحاق الضمير في الجملة الثانية بضمير سابق من نفس نوعه ، ويعد هذا الإجراء مزيجا من الإجرائين السابقين للضمائر المتشابهة للقفز على تغاير جهة الخطاب .

قراءة نسقيَّة للفصل الرابع: طرق التأليف البلاغي

ويقصد به الدكتور **عماد عبد اللطيف** طريقة التأليف للدلالة على المنهاج الذي يسلكه البلاغي في بناء نصه مستخدما مدونة ضخمة من نصوص البلاغة العربية، وغايته منه أن يحدد أهمطرق التأليف البلاغي وخصوصيات كل طريقة، وأثر هذه الطرق في تطور الخطاب البلاغي العربي على امتداد مايقرب ستة قرون من الزمن ، وقد توصل إلى التمييز بين نوعين من التأليف البلاغي ،الأول هو النص الشارح، والثاني هو النص التنظيري؛ واستند في هذا التمييز إلى نوعية السؤال الذي يؤلف البلاغي نصه العلمي للإجابة عنه، حيث يرتبط النص الشارح بسؤال العلة، في حين يرتبط النص التنظيري بسؤال الماهية، وقد حاول جاهدا عبر استقراء تاريخي لحركة تطور النص البلاغي الشارح والتنظيري، والأبنية التأليفية التي تهيمن على كل نص، والعلاقات المتنوعة التي ربطت فيما بينها، وكذلك البحث في أنماط هذه النصوص الوقوف على السمات الدقيقة المميزة بين النص المعضود والنص غير المعضود في التراث البلاغي العربي[41]. ويقصد الدكتور بنمط الكتابات المعضودة بالأصول الحكمية والمنطق أو بعلوم اللغة النحو، وهي تهتم بتحليل الشواهد البلاغية وشرحها مما يجعلها تتسم بالوضوح والدقة خاصة، وهي تستند على التشابهات في الخصائص النوعية بين الظواهر في محاولة لإعادة ترتيبها وتصنيف الظواهر البلاغية، أما النمط الثاني: الكتابات غير المعضودة بالمنطق أوالأصول الحكمية ولا بعلوم اللغة، فهي لاتهتم للشرح والتحليل مما يجعلها تسبح في سديم من اللاتحديد، وهذا مايعرضها لمشكلات من قبيل تداخل المفاهيم والمصطلحات والتعارض بين المفهوم والشاهد، ولذلك تقوم على حشد كبير من الظواهر البلاغية داخل مقولة كبرى واحدة (البديع) غالبا دون

---

40 ينظر تحليل الخطاب البلاغي : 225

41 ينظر تحليل الخطاب البلاغي: 279.

اكتشاف التعالقات فيما بينها، وهو مما يفوت إمكانية تنظيمها وإعادة تصنيفها في مقولات صغرى[42]. وهذاالجهد الذي قدمه الكاتب يكشف عن قراءات واعية ودقيقة في المصطلح البلاغي عبر آليات المنهج النصي التأويلي والتفكيكي.

الخاتمة وأهم النتائج

يمكن أن نوجز أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة بالآتي:

1- مثل كتاب الدكتور الناقد عماد عبد اللطيف (تحليل الخطاب البلاغي دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف) مشروعا لتحليل الخطاب البلاغي وبيان أهدافه وتحديد مكونات هذا الخطاب واليات إنتاجه والعوامل المؤثرة فيه وتناقضاته، وانقطاعاته وعلاقاته بغيره من الخطابات الأخرى، متخذا من آليات المناهج السياقية والنصية وسيلة لتحقيق ذلك المشروع وإجراءات تطبيقاته حول مصطلح بلاغي له تاريخه العميق في البلاغةالعربية وهو الالتفات.

2- حاول الدكتور عماد عبد اللطيف إفهام القارئ كيفية تشكل البنى الاصطلاحية البلاغية وظواهر تكوينها والعوامل المؤثرة فيها متخذا من مصطلح الالتفات نموذجا لذلك وموظفا المنهج الأسلوبيبالاعتماد على معيارالإحصاء والانزياح في ذلك، ثم اقترح سلسلة من الإجراءات في ضبط المصطلح البلاغي وأن يعاد النظر في الدرس البلاغي القديم، ولو طبق ذلك بجهود نخبة من الباحثين لقيام معجم بلاغي سياقي - تاريخي.

3- قدَّم الدكتور عماد عبد اللطيف جهدا كبيرا حول معرفة الوظائف الجمالية وتشخيصها لمصطلح الالتفات، سواء العامة منهاأم الخاصة، وكيفية إنجاز هذه الوظائف بغض النظر عن الخصوصيات النصية والسياقية التي يتم إنتاجها وتداولها، وتكون متجذرة في السياق النصي والاجتماعي والأدائي للخطاب، مستعرضافي ذلك آراء البلاغيين والمفسرين وشراح الشعر.

4- وحاول الدكتور عماد عبد اللطيف دراسة النسق القاعدي الذي يفرضه الاستخدام السليم للغة من ناحية، والعدول الأسلوبي الذي تستدعيه جماليات القول والذي يمثل حصيلة الجدل بين النحو والبلاغة، وبين هذا الجدل وتأثره بعوامل متعددة تتجاوز قداسة النصوص العليا في التراث القديم.

5- تحدث الباحث كذلك عن طرق التأليف البلاغي، وتوصل إلىأربعة مجاميع تعكس طريقة هذا التأليف، ثم بين أهمالمراحل في نشأة المصطلح البلاغي وتطوره والعوامل المؤثرة فيه، وجعلها في عاملين أساسيين تتفرع عنهما عوامل ثانوية كثيرة، وهذان العاملان هما: الشروح، مركزية سؤال العلة، وثانيهما: النص التنظيري، مركزية التعريف والشاهد، وقد بين خلالهما أن الكتابات البلاغية والنصوص في التراث البلاغي تمثل نمطين أطلق عليهما: نمط معضود ونمط غير معضود.

---

[42] ينظر تحليل الخطاب البلاغي: 276.

قائمة المصادر والمراجع

1- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل ، دار الفكر العربي مصر، 2000.
2- الالتفات في حاشية الشهاب الخفاجي، هاشم محمد هاشم، مطبعة الأمانة، مصر ط1986،1.
3- البديع في نقد الشعر : عبد الله ابن المعتز ت 296، دار المسيرة ، بيروت ط3، 1982.
4- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي، جامعة بغداد ، العراق ، ط1، 1967.
5- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري ، نشر افريقيا الشرق، المغرب ،لبنان، ط1، 1999.
6- تأسيس الاصطلاحية النقدية العربية : توفيق الزيدي ، مجلة علامات ج8، مجلد 2، 1993.
7- تحليل الخطاب البلاغي، دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، د. عماد عبد اللطيف ، عمان دار كنوز المعرفة ، 2014.
8- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ت 816، ت د. عبد الرحمن عميرة ، نشر عالم الكتب مصر ط1. 1987.
9- التغيير الدلالي في المصطلح النقدي (مظاهره والعوامل المصاحبة له) : عبد الحكيم راضي ، نشر جامعة ام القرى ، السعودية .1986.
10- التلخيص في علوم البلاغة : ابو عبد الله جلال الدين بن سعد الدين بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت 739هـ)، نشر دار إحياء العلوم ، بيروت ط2، 1993.
11- شرح ديوان الحماسة : ابو علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي : ت احمد أمين وعبد السلام هارون ، نشر دار الجيل ، لبنان ط1، 1991.
12- كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب : ابو علي الفارسي(ت377هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجى القاهرة ، ط1 ، 1988 .
13- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة بن علي إبراهيم العلوي (ت 745هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، .1980.
14- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابو الفتح نصر ضياء الدين ابن الأثير (ت 636هـ)تحقيق، احمد الحوفي وبدوي طبانة ، نشر دار نهضة مصر ط2 . د.ت.

15- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جني ابو الفتح عثمان ت 392، ت علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ط1، 1999.
16- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت 626هـ)، نشر مكتبة البابي مصر ، ط2، 1990.
17- مقدمة في علم المصطلح، علي القاسمي ، نشر دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ، الموسوعة الصغيرة ،1985 .
18- مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي ، الهيئة المصرية للكتاب،1995.
19- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت 684هـ)، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، نشر دار الكتب الشرقية، تونس ،1966.
20- نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، الخانجي، القاهرة 1980.

من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية
في بعض كتابات عماد عبد اللطيف

د.محمد غازيوي

مقدمة

لاشك أن المتتبع للدراسات البلاغية التراثية سيلحظ تقلصا للبعد التداولي والوظيفي للخطاب البلاغي على حساب التوسع في البعد التنظيري المعياري، الأمر الذي ساهم في وجود هوة بين الخطاب البلاغي وواقعه، لكن الطفرة التي شهدتها الدراسات البلاغية تمثلت في ردم هاته الهوة، وفي توشيج العلاقة بين الخطاب ومجال إنتاجه. وكانت من العوامل المساعدة في تحقيق ذلك اغتناء علم البلاغة بالمنجزات المعرفية التي تحققت في علوم معرفية عدة، لعله من أهمها: (الأسلوبية ، واللسانيات، والسيميولوجيا، الفلسفة، الأدب، الحجاج....)، فضلا عن توافر مقومات منهجية وجهازمصطلحي قوي وفر للدارسين البلاغيين مقدرة معرفية لتحليل الظواهر اللغوية والاجتماعية والثقافية والسياسية المتنوعة التي تتناسل يوما بعد يوم.

وتأتي أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف في هذا السياق لتبعث الظواهر البلاغية التراثية من مرقدها، وتستهدف تجديد شبكة المفاهيم البلاغية وتحديث اصطلاحاتها، وربطها بواقعها المحسوس، منطلقة من فرضية أساس مفادها أنه يمكن التوصل إلى فهم أفضل لطبيعة الخطاب البلاغي العربي من خلال تحليل بعض ظواهره البلاغية، ومنها ظاهرة الالتفات التي نالت حظا وافرا من الدراسة في كتابه(تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف).

إن المتمعن في كتابات الدكتور عماد عبد اللطيف لا يجد عناء في الوقوف على التوظيف البلاغي الملفت للنظر، ويكفي أن نضرب مثلا من خلال كتاب(البلاغة والتواصل عبر الثقافات)حيث انفتحت البلاغة على دراسة أشكال الحوار وأنماط التواصل بين الثقافات العالمية المختلفة. وكتاب(بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة) الذي سعى إلى دراسة بلاغية لثلاثة خطابات(خطاب الميادين، خطاب الشاشات، خطاب الصناديق)، وفي الكتابين معا نجد أن الكتابة البلاغية قد خرجت من قوقعتها لتعانق وقائع اجتماعية وسياسية وثقافية، أي تعزيز الاتجاه البلاغي أو ما ينعت بـ (بلاغة الجمهور).

إن مثل هاته الجهود العربية المبذولة اليوم في التنظير والتوظيف للخطاب البلاغي لقمينة بالاهتمام والدرس، ومرد ذلك إلى قدرة هاته المنجزات البلاغية على فك شفرات الخطاب البلاغي القديم، والكشف عن مكوناته الحجاجية والاقناعية والتداولية والأسلوبية. وعلى هذا المرتكز ارتأينا أن نخصص هذه

المداخلة لمقاربة الوظائف البلاغية كما وردت في بعض كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف، وطرائق التجديد فيها عنده، وشفعناها بدراسة كيفيات استثمار تلك الوظائف البلاغية، والانتقال منها إلى البلاغة الوظيفية التي تجسد توظيفا للظواهر البلاغية بكل تلوناتها في دراسة أشكالمن الخطابات، كان من أبرزها الخطاب السياسي. وقبل أن نعرج على هاته المحاور يستحسن أن نستحضر طبيعة الخطاب العربي والتحديات التي واجهته، وكانت شرطا حافزا لتجديد هذا النوع من الخطاب.

1.طبيعة الخطاب العربي والتحديات التي تواجهه

إن طبيعة الخطاب العربي، ومجالات اشتغاله، والتحديات التي تواجهه كانت عاملا حاسما في تحفيز مجموعة من البلاغيين العرب ومنهم البلاغي عماد عبد اللطيف في تحليل أشكال من هذا الخطاب،وعلى تطوير اتجاه في الدرس البلاغي يطلق عليه(بلاغة الجمهور)، وفي هذا المضمار يمكن القول إن إضافته تكمن في توسيع البلاغة إلى الحدود البعيدة، وذلك عبر دمج الأساليب البلاغية في الإنسانيات عامة، والخطاب السياسي والتحاور اليومي، على اعتبار أن اللغة تتبدى من خلال حضورها في العالم المحيط بنا؛ فهي توجد في الخطاب الرسمي، والخطاب التعليمي، والخطاب اليومي، فلا يكاد خطاب يخلو منها.

ومن المسلم به أنه كان من نتائج التجديد البلاغي أن تحولت البلاغة إلى علم مستقبلي، حيث صارت تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع ، فهي لم تعد علما خاص بالخطاب، بل صارت علما لكل الخطاباتوانتقلت من الرغبة في استنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياتها، بعبارة أخرى فهي تخلت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع كما أشار إلى ذلك رولان بارت في كتابه(قراءة جديدة في البلاغة الغربية)[1].

لقد وسعت البلاغة الجديدة من موضوعها واستهدفت كل أنواع الخطابات، وعمل رائدها الأول شايم بيرلمان على الخروج عن الأجناس الخطابية التقليدية، لمقاربة خطابات أخرى، وهذا ما أكده البلاغي المغربي محمد الولي بقوله: "إن بلاغته تهتم بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين، سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية أو تعلق باجتماع المختصين أو بشخص واحد أو بالإنسانية".[2]

إن أحد أبرز تجليات التجديد البلاغي يكمن في اهتمام دارسي البلاغة،عرب وغربيين على حد سواء، بالتواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة، وهذا ما ساهم في بروز حقول معرفية جديدة تدرس من منحى بلاغي أشكالا متعددة من

---

[1]- أنظر : رضون الرقبي،"الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، مجلة عالم الفكر، المجلد40، 2011،صص6-7

[2]- محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان "، مجلة عالم الفكر، المجلد 40 السنة2011،ص33

التواصل والتحاور بين الثقافات، وبذلك ظهرت: (البلاغة التقابلية – البلاغة عبر الثقافات – البلاغة عبر الثقافات...)، وهي حقول تهتم بدراسة الأبعاد البلاغية للتواصل بالكتابة واللغات المختلفة بين الشعوب[3]. ومن هذا المنطلق نتساءل: ما درجة إسهام البلاغي عماد عبد اللطيف في التجديد البلاغي؟

2.1.مظاهر التجديد البلاغي في كتابات عماد عبد اللطيف

يغوص بنا الدكتور عماد عبد اللطيف في الدرس البلاغي التراثي ليستكنه أبحاثه ويستجلي خصائصه، ويتتبع دقائقه ومباحثه، وقد ركز في كتاب (تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف) على ظاهرة بلاغية أسلوبية ذات أهمية وهي (ظاهرة الالتفات)[4]، وجعل كل الظواهر البلاغية تصب في نفس المجرى، يقول: "ومن هذه الجهة يمثل التراث البلاغي حول الالتفات خطابا جزئيا يقع في إطار خطاب أكبر"[5].

من خلال المنجز البلاغي للناقد يكون قد انخرط في الشق الوظيفي للبلاغة وتجاوز الانشغال بالتراث البلاغي العربي والافتتان به والتقوقع داخله، فضلا عن تجاوز الدراسة الاكاديمية للبلاغة المنعزلة عن سياقات إنتاجها الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وإذا ما نحن استبعدنا متن كتاب (تحليل الخطاب البلاغي) الذي يصنف ضمن البلاغة الشارحة، لأن البلاغي عماد عبد اللطيف كرسه لنقد البنى الاصطلاحية للبلاغة العربية، وقسمه إلى خطاب التعريف (الفصل الأول)، وخطاب الوظائف (الفصل الثاني)، فإن كتابه (البلاغة والتواصل عبر الثقافات) طرح كيفية الإفادة من المعطيات النظرية والإجرائية للبلاغة والتواصل عبر الثقافات في فتح آفاق جديدة للدرس البلاغي العربي من جهة، وسبل توظيف هذه المعطيات في تفعيل أشكال التواصل الفردي والمؤسساتي بين العرب والغرب. أما كتابه (بلاغــة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة) فمثل انفلاتا من صرامة الدرس البلاغي إلى معانقة الواقع السياسي عبر البحث عن مكونات وظواهر البلاغة في الخطاب السياسي.

2.الوظائف البلاغية بين التراث البلاغي العربي والبلاغة المعاصرة

1.2. مفهوم الوظيفة البلاغية وطبيعتها

تشكل البلاغة علم تقاطع بين جملة من الحقول المعرفية، وإن كان كل واحد منها يختص بمادته ومنهجه وغايته (علم اللغة، والفلسفة، والمنطق، والفلسفة، وعلم

---

[3]- عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، ص32

[4]- حسب محمد رضا مبارك فإن الالتفات من الفنون البلاغية التي تعنى بتلوين الخطاب الأدبي لإثارة انتباه المتلقي وحصره في النص،("نظرية التلقي والأسلوبية منهاج التقابل الدلالي والصوتي"، مجلة عالم الفكر،المجلد33 السنة2004). وبهذا المعنى تكون ظاهرة الالتفات لا تقتصر على الخطاب الشعري وإنما تتعداه إلى خطابات أخرى، من بينها الخطاب الأدبي في شموليته.

[5]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب العربي، ص10

السياسة، الأدب...). لكن ما يمكننا تسجيله بخصوصها هو الاضطراب في البنى الاصطلاحية الناجمة عن تدخل هاته الحقول المعرفية العديدة، وهو ما أفرز تناولات مختلفة لنفس المصطلح، إن لم نقل اضطرابا اصطلاحيا داخل الحقل المعرفي الواحد.

وقد سعى البلاغي عماد عبد اللطيف بوصفه وجها من وجوه البلاغة المعاصرة إلى نقد البنى الاصطلاحية في البلاغة العربية-خاصة في الفصل الأول – من كتاب(تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف) بغية تقديم منظور جديد ووظائف تتسم بالجدة والضبط، وفي نفس المسعى اعتبر أن هناك أثرا لقداسة النص في نشأة البلاغة العربية[6] من زاويتين:

- الأولى: وجود دور للبلاغة في الانتصار لإعجاز النص بلاغيا.
- والثانية: وجود دور لمباحث النص القرآني في نشأة البلاغة العربية.

ومن جملة ما تتبعه البلاغي عماد عبد اللطيف بالدراسة والتحليل مفهوم الوظيفة البلاغية، التي أفرد لها فصلا بكامله، وهو الفصل الثاني، وقبل أن يؤرخ للمفهوم ويعدد أقسامه وعلاقاته، انطلق من تعريفه بالقول: "أقصد بالوظيفة البلاغية الآثار المترتبة على وجود ظاهرة بلاغية في مادة لغوية معينة كما قدمها البلاغيون العرب القدامى تنظيرا وتطبيقا"[7].

ومن خلال هذا التحديد الدقيق يتبين أن الدارس قد حصر مفهوم الوظيفة البلاغية في:

- الآثار المترتبة على الظواهر البلاغية في مادة لغوية كما قدمها العرب القدامى. وهنا استبعد مقاصد المتكلم فيما يخص التواصل الشفهي[8].
- الجمع بين التنظير والتطبيق في دراسة مفهوم الوظيفة البلاغية.
- الجمع في الآثار بين الوظائف الجمالية، والوظائف غير الجمالية.

ولهذا التحديد مبرراته، فالدارس له اعتقاد راسخ في كون أن:"التراث البلاغي مازال يمثل كنزا من الأدوات والمفاهيم والإجراءات البلاغية القابلة للاستخدام بتكييفات وتطويرات كبيرة في الوقت الراهن"[9].

ومن الخصائص التي حددها الناقد للوظائف البلاغية أنها لا تعرف الثبات، بل يحكمها التعدد والتنوع، وذلك لأنها تخضع لوعي البلاغي الذي يدرسها وقدرته

---

[6]- نفس التصور ذهب إليه كذلك الباحث المغربي إسماعيل شكري حين أكد على أن الخطاب البلاغي العربي يمثل بلاغة نص ذات مقصدية أيديولوجية مهيمنة، متشعبة العقول والميادين ومتعددة المفاهيم والمصطلحات الواصفة للصورة البلاغية الواحدة.(" في نقد الصور البلاغية: مقاربة تشييدية "،عالم الفكر، المجلد37، السنة2009، ص145).

[7]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب البلاغي، ص 91

[8]- نفهم من حصر مجال دراسة الوظيفة البلاغية عند الدكتور عماد عبد اللطيف أنه يهدف إلى تناول مفهوم الوظيفة البلاغية كما جاءت في الكتابات البلاغية التراثية، وإلا فكل كتاباته تشير إلى توسيع في مجال الوظيفة/الوظائف البلاغية، خاصة في دراسة الخطابات المتنوعة، ومنها الخطاب السياسي.

[9]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب البلاغي، ص87

على اكتشاف وظائف متنوعة ومتباينة للظاهرة الواحدة. وبحسب الناقد فإن إدراك الوظيفة البلاغية مرتهن بقدرة الباحث على إدراك حركة النص، وقد تطرق لذلك بالتفصيل من خلال تحليل أقوال للسكاكي وابن جني، بل وخصص محورا لذلك عنونه بـ(صعوبة إدراك الوظائف البلاغية)[10].
ويخلص عماد عبد اللطيف بعد عرض الوظائف البلاغية وتحليلها إلى كون أن نقاش البلاغيين حول وظائف الالتفات يعكس إدراكهم لشبكة العلاقات التي تربط بين وظيفة الظاهرة وماهيتها ومادتها. وهو ما يعكس استتباعا لذلك إدراكهم لتعقد الظاهرة البلاغية وتركيبها.

1.2.الوظائف البلاغية في الكتابات التراثية

يحدد الناقد عماد عبد اللطيف الوظائف البلاغية عند اللغويين القدماء وهي وظائف أسلوبية تتضح من خلال خطابهم حول ظاهرة الالتفات[11]، ويمكن حصر هذه الوظائف في:

- الوظائف الجمالية
- وظائف نقض الجمالية

ومن خلال قراءتنا المتمعنة للفصل الثاني من كتاب(تحليل الخطاب البلاغي) نجد أن الناقد عماد عبد اللطيف قد تتبع دراسة الوظائف في التراث البلاغي من خلال خمس خطوات:

- الخطوة الأولى تحدد البدايات الأولى لدراسة الوظائف وفيها يغيب مفهوم الوظيفة، حيث نجد فقط تعابير تشير للوظائف من قبيل:(العرب تفعل هذا)، ويتحقق ذلك في (مجاز القرآن لأبي عبيدة)، و(معاني القرآن للفراء)، و(معاني القرآن للأخفش)، و(الكامل للمبرد)، و(كتاب الشعر لأبي علي الفارسي).
- الخطوة الثانية تمت على يد ابن المعتز، وبها دخل الالتفات إلى دائرة الأدبية ليكون أول محاسن الكلام، والنظر إلى الشعر على أنه يحتمل الخطأ والقصور بخلاف النص القرآني الذي لا يحتمل ذلك.
- الخطوة الموالية كانت على يد ابن جني حيث ينظر إلى الالتفات بكونه اختيارا جماليا مقصودا لذاته.
- الخطوة الرابعة تتمثل في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، حيث اعتبر هذا الناقد أن الالتفات خصيصة أسلوبية له دور في إنتاج المعنى الشعري، وفصَلَ بين الوظائف العامة للالتفات والوظائف الخاصة بكل مثال، وذكر الوظيفة العامة التي أطلق عليها: (التنقل والافتتان في التصرف)، أو(افتتانهم في الكلام)، أو(تصاريف الكلام).

10- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب البلاغي،ص104

11- يُستخدم للإشارة إلى تحولات الضمائر مع ثبات المرجع، كما يستخدم للإشارة إلى أشكال العدول الأسلوبي

- أما الخطوة الخامسة والأخيرة فتكمن في التحليل المباشر للنص القرآني عند الزمخشري في تفسيره، حيث وضع أصولا نظرية متماسكة لوظيفة الالتفات والكشف عن مواطن الاعجاز فيه[12]. فهو اعتبر الالتفات فنا من فنون البلاغة وطريقا من طرقها، وحدد له وظيفتين: إحداهما تتحقق لمجرد حدوثه، والأخرى خاصة بالتفات في سياق محدد.

أنهى الناقد عماد عبد اللطيف التأريخ للوظيفة البلاغية بعرض تصور الناقد الزركشي، هذا البلاغي الأخير الذي أفرد للوظيفة مبحثا خاصا سماه(فائدته). واستتبع ذلك بخلاصة أكد فيها أن هناك ثراءً في التراث البلاغي تنظيرا وتطبيقا، وأن الإنجاز البلاغي حول ظاهرة الالتفات حكمه مبدأ التراكم المعرفي، حيث كان اللاحق يبني على ما انتهى إليه السابق.

3.2.تحليل الوظائف البلاغية لدى الدكتور عماد عبد اللطيف

تقدم كتابات الدكتور عماد عبد اللطيف عملا جبارا في جمع الكتابات التراثية المتناثرة، ومحاولة تحليليها وتصنيفها تبعا للوظائف العامة المتعددة بتعدد عناصر الخطاب، وقد وجد أنها تتوزع على ستة أنماط تتوزع بحسب عناصر الخطاب، وهي على الشكل التالي[13]:

- 1- **وظائف تخص لغة الخطاب:** وبحسبها يُوظف الالتفات للكشف عن إمكانات اللغة. وقد أطلق عليها البلاغيون الاتساع والتوسع والسعة.
- 2- **وظائف تخص منشئ الخطاب:** حيث يوظف الالتفات للكشف عن قدرات منشئ الخطاب، وأطلق عليها البلاغيون الافتتان والتفنن والتصرف والتصريف.
- 3- **وظائف تخص المخاطَب:** وبحسبها يوظف الالتفات للتأثير في المخاطب إما بتنشيطه للوصول إلى التلقي الأمثل للخطاب، أو بإحداث آثار نفسية إيجابية فيه مثل الترويح والتطريب.
- 4- **وظائف تخص بنية الخطاب:** وفيها يعمل الالتفات بوصفه بانيا للنص، إما باستخدامه مفصلا يربط الأغراض المختلفة للقصيدة، أو بوابة لعبور الصفات داخل الخطاب، أو مقوما لمشكلات الوزن أو القافية، أوأداة لتحقيق سهولة تجاوب الألفاظ وتلاؤم طرائق النظام.
- 5- **وظائف تخص السياق الاجتماعي للخطاب:** وهي وظائف اجتماعية يقوم الالتفات فيها بالحفاظ على التراتبية الاجتماعية بين المخاطِب والمخاطَب.

[12]- يعلق عماد عبد اللطيف على دراسة الزمخشري لوظائف الالتفات:" لقد شيد الزمخشري بناء نظريا شبه مكتمل لوظائف الالتفات ، على الأساس من تعددها وتمايز خصائصها وانسجامها مع وظائف الظواهر الأخرى المكونة للنص"، التحليل البلاغي،ص101

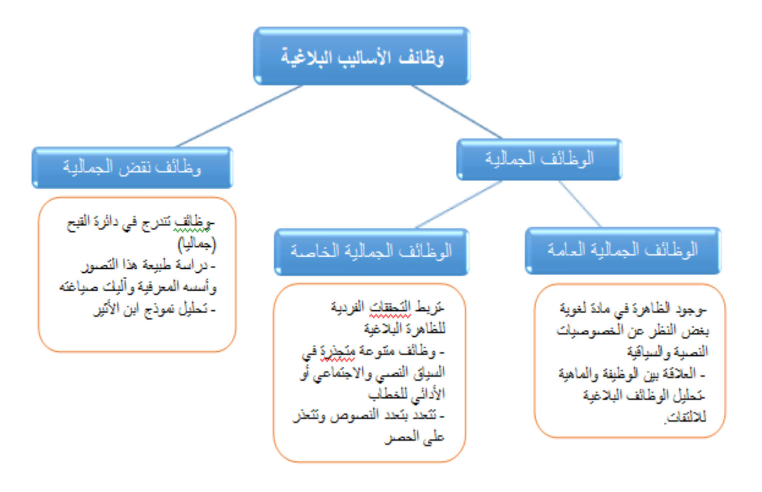
[13]-عماد عبد اللطيف، تحليلي الخطاب البلاغي، صص109-110

- 6- **الالتفات بوصفه علامة على أهمية الخطاب:** فوعي البلاغيين بالوظائف البلاغية أدى إلى تقديم تحليلات تبلغ من العمق والدقة ما تستحق التنظير لتحقيق الاستفادة منها.

أما بخصوص الوظائف الجمالية الخاصة فهي تتعدد بتعدد النصوص، وتتعذر على الحصر، لهذا السبب فضل البلاغي عماد أن نتوجه إلى دراسة أليات وطرائق إنتاجها بدل محاولة حصرها. وما يقوض من الدراسة العلمية للوظائف الجمالية الخاصة هو صعوبة إيجاد ضوابط وحدود لها، وإن كان ابن الأثيراقترح أحد طرق تحصيل المعرفة العلمية وهو آلية القياس ثم استدرك على ذلك بكون هذه الآلية قد تكون مضللة. وشفع عماد عبد اللطيف دراسته للوظائف الجمالية العامة والخاصة بدراسة أفردها للوظائف الخاصة بظاهرة الالتفات وكشفت عن الاهتمام الذي حظيت به خاصة من كتب الشروح. كما حاول الكشف عن علاقة ظاهرة الالتفات بالمعنى وبالتأويل وبالخطاب وبالنص.

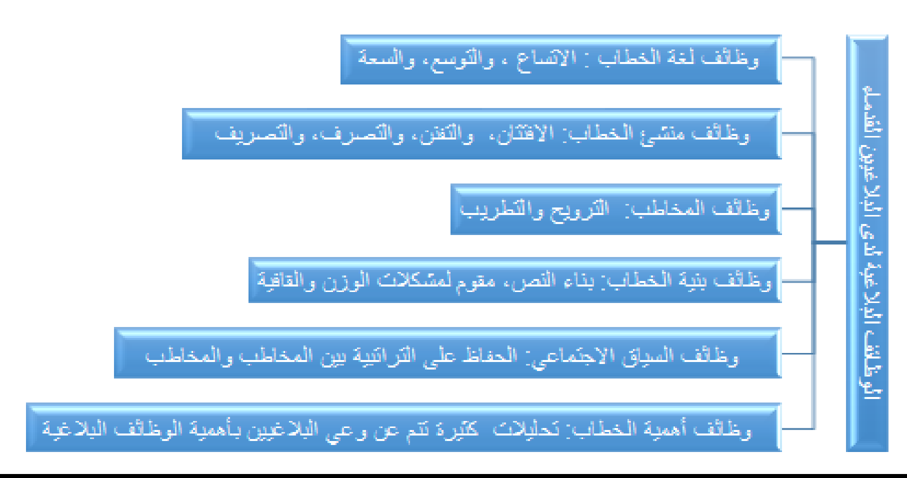
إلى جانب هذه الوظائف التي تمثل وظائف للالتفات بصفة خاصة ووظائف للظواهر البلاغية بصفة عامة تبلور مشروع مغاير لإلغاء هذه الوظائف تبناه ابن الأثير الذي بدأ بانتقاد البلاغيين ونقض الوظائف العامة متمثلة في الوظيفة التنشيطية والتطريبية كما قدمها الزمخشري.

ما يثبت عمق المقاربة البلاغية لمفهوم الوظائف عند عماد عبد اللطيف هو اختتام الفصل الثاني بتجميع للعديد من المصطلحات في أفق الحديث عن معجم للمصطلحات البلاغية في التراث البلاغي العربي، ومن هذه المصطلحات ما يتعلق بالوظائف العامة والخاصة لظاهرة الالتفات.[14] وفيما يلي خطاطة تجميعية لكل الوظائف التي أوردها الناقد في كتاب(تحليل الخطاب البلاغي):



14- لتتبع هذه المصطلحات بالتفصيل يُنظر المحور الثامن من الفصل الثاني، صص166-168

1.وظائف الأساليب البلاغية كما وردت لدى البلاغيين القدماء



2,توزيع الوظائف البلاغية لظاهرة الالتفات كما يراها البلاغي عماد عبد اللطيف

3.مكامن البلاغة الوظيفية في بعض كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف

لا يجد المتتبع لكتابات البلاغي عماد عبد اللطيف عناء في القبض على ما يمكن نعته بالبلاغة الوظيفية، أي مكامن التوظيف البلاغي في خطابات متنوعة من قبيل الحوار بين الثقافات أو حقل التواصل بشكل عام، أو في الخطاب السياسي بكل تلويناته، ولنضرب أمثلة على ذلك اقتصرت على تتبع نموذجين مختلفين:

- **النموذج الأول: كتاب البلاغة والتواصل عبر الثقافات(2012)**
- **النموذج الثاني: كتاب بلاغة الحرية:معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة (2013)**

يعكس النموذج الأول مظهرا من مظاهر التجديد البلاغي الذي شهدته السنوات الأخيرة، والأمر يتعلق باهتمام البلاغة بالتواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة. وقد استهل البلاغي عماد عبد اللطيف كتابه(البلاغة والتواصل عبر الثقافات) بتساؤل جوهري حول كينونة البلاغة،وماذا يمكن أن تكونه، وصاغه كالتالي: ما الذي يمكن أن تكونه البلاغة؟ هذا السؤال سيكون المنطلق للتأكيد على مجال دراسة البلاغة للثقافات وأدوارها في ترسيخ حوارات حقيقية فيما بينها، وفي ذلك يقول: **"يهتم دارسو البلاغة عبر الثقافات بدراسة التأثيرات التي يحدثها اختلاف اللغات والثقافات على أداء الأفراد في اللغات الأجنبية التي**

يتعلمونها. ومن هذه الزاوية فإن البلاغة عبر الثقافات ذات أهمية حاسمة في مشروع الحوار بين العرب والغرب"[15].

يقارب عماد عبد اللطيف في المبحث الثالث المعنون ب(البلاغة وحوار الثقافات) من كتاب(البلاغة والتواصل عبر الثقافات) التواصل مع الغرب من منظور بلاغي، ويعالج تأثير اختلاف الأنماط البلاغية للثقافتين العربية والغربية على التواصل الكتابي بينهما، كما يقترح بعض الإجراءات لتحييد الأثر السلبي لهذا الاختلاف أو تقليله من ناحية، وتدعيم الأثر الإيجابي من ناحية أخرى.

لقد وسع الدكتور عماد عبد اللطيف من مجال الدراسة لتحليل حدود ومجالات الإفادة من حقل البلاغة المعاصرة في تعزيز الحوار مع الغرب، وتعرض بالتفصيل لبعض الخصائص البلاغية للكتابة العربية مقارنة مع لغات غربية أخرى وعلى رأسها الإنجليزية.وللتمثيل حاول الكاتب تتبع الاختلاف بين اللغتين العربية والإنجليزية فدرس الخصائص التالية:

- مستوى الشفاهية والكتابية
- درجة مسؤولية القارئ أو الكاتب
- شيوع التكرار اللفظي والمعنوي
- طبيعة الحجاج

يأمل الناقد عماد عبد اللطيف في آخر الكتاب إلى أن تُشكل المراكز البحثية العربية فرقا بحثية تعنى بدراسة الأبعاد اللغوية والبلاغية للحوار بين العرب وغيرهم. ومن التوصيات التي انتهى إليها أن نجاح الحوار العربي الغربي يتوقف على نقل الحوار من الدوائر الدبلوماسية الرسمية أو الأكاديمية إلى ساحة الخطاب العام سواء العربي أو الغربي، وهو خطاب يمكن أن يتشكل عبر قنوات التلفزيون والصحف ومواقع الأنترنيت وغيرها. كما أن الحوار الحقيقي – حسب منظوره- هو رهين ليس فقط بالأبعاد المعرفية والأخلاقية، وإنما يحتاج إلى أبعاد تواصلية كفيلة بإنجاحه.

النموذج الثاني الذي يكشف عن التوظيف البلاغي في كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف يمكن تتبعه من خلال كتاب(بلاغة الحرية)، الذي يعد بحق تثويرا للبلاغة وتوسيعا في مجالات تمظهراتها، حيث تطرق إلى التجليات البلاغية للثورة المصرية من قبيل الأيقونات، والرموز، والهتافات، والأغنيات، والفكاهات، واللافتات، والتنظيم الجمالي للحشود والمسيرات. إنها تجليات تعكس إبداعات اللغة والصورة. يقول الكاتب: "لقد قامت المسيرات داخل الميدان بوظائف خطابية مهمة، منها خلق حالة نشاط وحركية داخل الميدان، واجتذاب

[15]- عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، ص106

الأفراد المنعزلين للمشاركة في طقوس جماعية، وتقوية الترابط الاجتماعي بين الأشخاص"[16].

يكشف الكاتب عن هدفه الأساس في مقدمة الكتاب بقوله: "تمثل الهدف الأساس للكتاب في الكشف عن كيفية تشكل الخطابات المحورية أثناء الثورات وعقبها، وماهية وظائفها الأساسية، وكيف أُنجزت هذه الوظائف، أو علل فشلها في إنجازها"[17]. وقد انحاز في تحليل النصوص والخطابات إلى دراسة كيفيات القول على حساب الانشغال بمحتواه لأن منطلقه كان لغويا أظهر اهتماما بعناصر الصياغة والشكل وفنيات القول وجماليته.

ينطلق الناقد عماد عبد اللطيف من فكرة مفادها أنه لا يمكن أن تقع ثورة سياسية دون أن ترافقها ثورة بلاغية، وفي هذا المضمار يقول: "الثورات سيول التغيير وحين ينهمر السيل فإنه لا يجرف أمامه شخوص العهد البائد وسياساته فحسب، بل بلاغاته أيضا. وبينما تشق الثورة لنفسها مجرى جديدا، تتشكل بلاغة جديدة، فالثورات تلد بلاغتَها"[18]. وكل تهميش على مستوى الخطاب يوازيه تهميش على مستوى الممارسة السياسية، لذلك كانت الثورة على العبث بالكلمات ثورة على بلاغة تضليلية مستبدة ومراوغة لصالح تأسيس بلاغة صادقة تحررية مباشرة.

لقد انتقلت البلاغة من خلال كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف من بلاغة السلطة إلى بلاغة الجمهور، فهذه الأخيرة حاولت تخليص علم البلاغة من جزء من تاريخه السلبي الطويل في خدمة السلطة على حساب المستمع أو الجمهور. إن "هذه البلاغة الجديدة تكون غايتها إمداد الإنسان العادي الذي يشكل اللبنة الأساسية للجمهور بمعرفة تمكنه في حال تعرضه لخطاب بلاغي ما من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب، ومبالغاته، ومغالطاته، ومفارقاته للواقع، وتناقضاته الداخلية..."[19]، لكن الغاية الأهم لهاته البلاغة هي تدريب الإنسان العادي على إنتاج استجابات بلاغية فعالة تجاه كل ما يتلقاه.

لقد امتلك الدكتورعماد الشجاعة الكافية لتحليل ثلاثة خطابات شكلت خريطة الخطاب السياسي، فتناول مكوناتها وخصائصها بإسهاب وبشكل موضوعي والأمر يتعلق: بخطاب المجلس العسكري– خطاب الإسلاميين -خطاب ميدان التحرير. ومن خلال تحليل هذه الخطابات البلاغية وجد أنها استثمرت كل الأنساق التواصلية، يقول: "لقد كانت الأيقونات صورا مصغرة للخطاب الثوري، وبالمثل كانت هتافات الثورة صوت الثورة المدوي، الذي هزالقلوب والعقول في

---

[16]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية،ص30

[17]- بلاغة الحرية،ص238

[18]- المصدر نفسه، ص 23

[19]- المصدر نفسه، ص61

الشوارع والميادين"[20]. وحين تناول سمات بلاغة الميادين حصرها في خصيصتين:
-**الإبداع الفردي**: حيث تركت لكل فرد مشارك حرية اختيارالشعار أو اللافتة أو الهتاف.
-**الطابع التفاعلي**: فالثورة اتسمت بطابع التفاعلية والحوار وليس طابع الإملاء والتكرار.

أما اللغة فتم تثويرها، لتتحول ثورة الشباب إلى ثورة لغة أزالت القناع عن اللغة، يقول الكاتب "لقد خلقت الميادين بلاغة جديدة لا تنافق ولا تراوغ، تسمي الأشياء بأسمائها، وتصف كل شخص بما يستحق، وتحطم إرث آلاف السنين من الصمت والمراوغة"[21].

إن كتاب(بلاغة الحرية) هو نموذج كرسه البلاغي عماد عبد اللطيف للخطاب السياسي، وذلك بالتحليل الدقيق لكل جزئياته والتي تتبدى لنا من خلال كثرة العناوين، وهذا المجال الذي طرقه هو مجال معرفي يهتم بدراسة التواصل السياسي في المجتمع بكل الأنساق التواصلية، وهو الأمر الذي دفعه إلى الاستعانة بالكثيرمن المفاهيم والمصطلحات التي تنتمي إلى شبكة واسعة من العلوم الإنسانية منها: علم البلاغة وإلى جانبه علوم اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلوم الإعلام، وعلم الاقتصاد. لهذا السبب لا نستغرب إذا وجدنا أن كتاب (بلاغة الحرية) يزخر بكم هائل من المصطلحات التي تعكس امتلاك الناقد عماد عبد اللطيف لعدة مفاهيمية، ولجهاز مصطلحي بلاغي قوي، يمكن التمثيل له بـ: الفضاء البلاغي[22]، البلاغة البائدة البلاغة الوليدة، التجاهل والاستبدال والإزاحة، رعب المجهول، فخ الخطابات النقية، الحروب البلاغية- بلاغة التسكين والتخويف- بلاغة المجابهة والصراع- الخطابات الناعمة والخطابات الخشنة- دبلوماسية الخطاب- الخطاب الثوري وهلم جرا.

لا يخفي الدكتور عماد عبد اللطيف في مختتم كتابه (بلاغة الحرية)الهواجس والأفكار التي رافقته وهو يعد الكتاب،وهي هواجس ثلاثة؛هاجس جدل الذات والموضوع وكيفية التخلص من ذاتيته لأن "المعاصرة حجاب" كما يقول، فهو كان معاصرا للأحداث/ الثورة،الأمر الذي يجعل من الصعب رؤيتَها بعمق وشمول، خاصة وأن السياسة – كما أسماها-هي (حقل المكيدة)، أو (مجال الأسرار)، فكثير من التلفظات والنصوص لا تقول بالفعل ما تنطقه. الهاجس الثاني ويتمثل في الخوف من السقوط والانحياز أو التعاطف مع بعض الخطابات التي تحمل قيما إيجابية مما يحول دون رؤيتَها بشكل أعمق.الهاجس الثالث الذي

20- المصدر نفسه ص34

21- المصدر نفسه، ص54

22 ويقصد به الحيز الذي يقوم بوظائف مهمة في إنجاز عمليتي إقناع الجمهور والتأثير فيها.

كان يلح على الكاتب يتعلق بالمستفيد من تحليل الخطاب السياسي، ففي الأصل الدراسة موجهة للمواطن العادي حتى يكشف سبل تضليله وانخداعه والتلاعب به، لكن ما يحدث هو أن منتجي الخطابات المضللة هم الأخرون يستفيدون من مثل هذه الدراسات لتدعيم سيطرتهم على الخطاب وتطوير آلياتهم.

خلاصات

كان وكدنا في هذه المداخلة تسليط الضوء على مقاربة الوظائف البلاغية كما وردت في بعض كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف، وكيف تحكمت هذه الوظائف في توظيفه للظواهر البلاغية في تناولاته لخطابات متنوعة، كان من أبرزها الخطاب السياسي.

لقد استوقفتني كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف بكل فصولها وأقسامها،وكنت أظن أنه يكفي أن أقف على البعض منها لاستنباط الوظائف البلاغية،أو لإبراز التوظيف البلاغي في مقاربة الخطاب السياسي، أو الحوار بين الثقافات، لكن لم أملك إلا تتبعها بكل تفاصيلها لأنها أسرتني بأسلوبها وطريقة مقاربتها للموضوعاتوتنوعها. وإن كان يحق لي أن أوجز مواصفات أسلوب الكتابة البلاغية لدى هذا البلاغي فإنني أقول إنها:

- تتسم بالموضوعية في تناول الموضوعات، ومن معالم ذلك أنه لا يقارب أية ظاهرة أو أسلوب بلاغي إلا بعد أن يورد آراء العديد من البلاغيين العرب حولها، ثم يقارن بين تلك الآراء، ثم ينتقل بعد ذلك للتعليق عليها، أو إصدار حكم بخصوصها.
- تحري الدقة، والقدرة على التركيب والتجميع، وسعة التحليل، والتفريع.
- الانضباط والاتساع والعمق، وهي تنم عن مقدرة نقدية وتحليلية وأسلوب خاص في الكتابة.

إن ما يُحمد للدكتور عماد عبد اللطيف هو افتتانه بالتراث البلاغي العربي وتثمينه، وما كان لذلك أن يحصل لولا اطلاعه الواسع على هذا التراث، وسبر أغواره واستكناه قضاياه.ولذلك عمل على سلسلة من الإجراءات لضبط الاصطلاح البلاغي، وهو يطمح من خلالها إلى عمل معجم بلاغي في سياق تاريخي، ويعتقد أننا في أمس الحاجة إليه. علاوة على أنه وضع على عاتقه جعل الدرس النقدي للخطاب السياسي قادرا على إرهاف الوعي النقدي لدى المواطنين العاديين، الأمر الذي يعني انفتاح البلاغة على الخطابات اليومية والاقتراب أكثر من كل المستويات الثقافية وفي المقابل التخفيف من الآثار المعيارية للبلاغة.

بقي أن نومئ في ختام مداخلتنا إلى أنه حسب الوصف القديم فالبلاغة هي(علم لا هو نضج ولا هو احترق)، لكن يقينا، من خلال اطلاعنا على كتابات البلاغي عماد عبد اللطيف إلى جانب دارسين آخرين في العالم العربي فإنه أصبح بمكنتنا التأكيد على أن هذا العلم قد نضج، وما يتوجب علينا سوى تعزيزالمنجزات

الحديثة، ولحم الوشائج بين البلاغة الجديدة وباقي التخصصات العلمية الأخرى من قبيل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التربية،وعلم الأحياء،وعلم الأعصاب، والمعلوميات وغيرها، وهي تخصصات لا تزال الدراسات البلاغية لم تطرقها بالشكل المطلوب، والاشتغال عليها بطرائق علمية– في نظرنا-ربما سيفتح آفاقا واعدة ونتائج مبهرةليس فقط في علم البلاغة، وإنما فيدراسة الخطاب الإنساني بكل أشكاله.

المصادر والمراجع

- عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، الطبعة الأولى(2012).
- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية : معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، لبنان، الطبعة الأولى 2013
- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب :دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، عمان: دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى2014
- محمد رضا مبارك، "نظرية التلقي والأسلوبية منهاج التقابل الدلالي والصوتي"، مجلة عالم الفكر، المجلد33 السنة2004.
- رضون الرقبي، "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله"، مجلة عالم الفكر، المجلد40، 2011
- محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان "، مجلة عالم الفكر، المجلد 40 السنة2011.
- إسماعيل شكري،" في نقد الصور البلاغية: مقاربة تشييدية"، مجلة عالم الفكر، المجلد37، 2009.

أطر النقد البلاغي العربي المعاصر
في مشروع عماد عبد اللطيف

محمد يطاوي
جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب.

مقدمة

تقدم هذه الورقة قراءة ناقدة **للمشروع البلاغي للدكتور عماد عبد اللطيف،** بوصفه إحدى المبادرات البحثية العربية الجادة، والمُسهمة في تطوير مسار المشروع العربي العام لتجديد الدرس البلاغي. وتركز بالأساس على الرؤية العامة لهذا المشروع، محاولة تبسيط الأطر النقدية التي قام عليها. إن الهدف الأساس لهذه المحاولة هو محاورة أعمال عماد عبد اللطيف في البلاغة وتحليل الخطاب، ومساءلتها بخصوص المصادر الرئيسة لمشروعه، وامتدادات الاختصاصات المتعددة فيه، وموقفه من البلاغات القديمة والجديدة، سواء أكانت عربية أم غربية.

ونسجل في مجمل أبحاث عماد عبد اللطيف انشغالَه الكبير بالبحث البلاغي على اختلاف شعبه وقضاياه، فالمطلع على مشروعه العلمي سيلاحظ لا محالة أن البلاغة تحتل مرتبة الصدارة بين اهتماماته المعرفية، سواء تعلق الأمر بكتاباته البلاغية الصرفة أو الأخرى المعنية بتحليل الخطاب، أو تلك التي توفِّق بين المجالين معا. وقد أسعفتنا القراءة الفاحصة للأعمال المذكورة في الوصول - قدر المستطاع- إلى المجالات والقضايا البلاغية التي عُني بها؛ إذ اتضح أنه لم يقتصر على مجال بلاغي معين، أو شعبة واحدة، كما أنه لم يُوطِّن نفسه في إطار زماني أو مكاني محدد، وإنما يعكس مشروعه أنه ذو نزعة موسوعية ونظرة شمولية دفعته إلى محاولة مقاربة ما أمكن من الشعب والقضايا البلاغية التي طرحت - وماتزال تطرح- إشكالات وتحديات في الساحة العلمية العربية، وخاصة في حقلي البلاغة وتحليل الخطاب.

إن أول ما يكتشفه المتتبع لأعمال عماد عبد اللطيف هو هاجسه النقدي في تحليله لأي نمط من الممارسات الإنسانية التواصلية، وخصوصا تلك التي تستهدف الهيمنة والقمع وتكرس القهر الاجتماعي للبشر من نافذة الممارسة الخطابية. لذلك، سنحاول في هذا البحث أن نراجع هذا المشروع لبيان أهم الأدوات والمناهج التي أسعفته في إرساء دعائمه البلاغية النقدية، واستنباط الخلفيات والنماذج النظرية، والأجهزة المفهومية التي انبنى عليها. كما ننشد بلوغ

أركانه الأساسية، واقتراحاته البلاغية غير المسبوقة، والوظائف الجديدة التي أضافها إلى قطاع البلاغة.

وتضم هذه الورقة بعد المقدمة، خمسة محاور: فهم جديد للبلاغة العربية القديمة، ونبذ القطيعة بين البلاغة العربية والبلاغة الغربية، وشعبة بلاغية نقدية معاصرة (بلاغة الجمهور)، ثم الوظائف الاجتماعية الحضارية للبحث البلاغي، فمركزية النظرية النقدية بوصفها خيطا ناظما للمشروع. وتأتي بعدها خاتمة ملخصة لأبرز النتائج، ولائحة للهوامش، وأخرى للمراجع. فما هي أطر النقد البلاغي المعاصر لمشروع عماد عبد اللطيف؟ وما هي أبرز اقتراحاته الجديدة في حقل البلاغة؟ وكيف ينظر إلى علاقة البلاغة العربية بالبلاغة الغربية؟ وما هي أبرز النظريات والنماذج التي تأثر بها؟

1. فهم جديد للبلاغة العربية القديمة

يعد المقال الموسوم بـ "أزمة المصطلح البلاغي العربي: مظاهر وأسباب ومقترحات"[1] آكدَ دليل على عناية عماد عبد اللطيف بالبحث في البلاغة العربية القديمة. إذ ناقش أزمة المصطلح البلاغي القديم والمعاصر، ونظر إليها من ثلاثة جوانب: تعدد التسميات للمصطلح الواحد، وتعدد المفاهيم التي يشير إليها المصطلح الواحد، ثم وجود مفاهيم بدون مصطلحات مضبوطة. وقد استخلص الباحث في معالجته لهذه القضية، أبرزَ أسباب هذه الأزمة، والتي تتلخص كما يرى في الحذر المفرط من المفسرين في تعاملهم مع مباحث معاني القرآن وألفاظه وإعجازه، والاحتكام في تحديد المفهوم إلى الدلالة اللغوية للمصطلح عند بعض العلماء، ثم تشعب الإسهام البلاغي العربي وانتمائه إلى مجالات معرفية وفترات زمنية ومناطق جغرافية شاسعة ومتباينة. وفي سياق مساءلته لهذه القضية، استدعى آراء أبرز علماء البلاغة العربية، كعبد القاهر الجرجاني والزمخشري وأبي عبيدة وابن المعتز.

وفي كتاب (تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف)، قدم عماد عبد اللطيف قراءة للتراث العربي من مدخل الكتابات البلاغية التراثية حول الالتفات، أو تحولات الضمائر مع ثبات المرجع كما يعرفه. شملت هذه القراءة أربعة مستويات: بناء المفاهيم وبنى المصطلحات، والوظائف العامة والخاصة للأساليب البلاغية، والصراع حول نفي الأساليب البلاغية وإثباتها، ومناهج تأليف الكتب البلاغية التراثية[2]. وقد عالج الفصل الأول مسألة البنى الاصطلاحية للأساليب البلاغية العربية بالتركيز على التأصيل المصطلحي وسياقاته، والتداخل الحاصل بين المفاهيم في المجالات المعرفية المتجاورة،

---

[1] عماد عبد اللطيف، أزمة المصطلح البلاغي العربي: مظاهر وأسباب ومقترحات، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد التاسع، بني ملال، المغرب، 2016.

[2] عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، كنوز المعرفة، عمان، الأردن،2014.

كالبلاغة والنحو والعلوم الشرعية وفقه اللغة. كما استحضر آراء خمسين عالما من علماء البلاغة العربية القديمة لمناقشة غزارة المفاهيم المحيطة بمصطلح الالتفات تحديدا، موضحا مظاهرها والعوامل المسؤولة عنها كاتصال البحث البلاغي بقداسة النص القرآني، وتعدد العلوم التي اهتمت بقضية الالتفات، ثم الإشكالات التي أفرزها تعدد القراءات والشروح لنصوص البلاغة القديمة، والعلاقة بين مصطلح الالتفات وقضية الترادف.

واستنتج الباحث في الفصل الثاني، صيغ إنتاج الوظائف البلاغية والجمالية والاجتماعية للأساليب من خلال الاشتغال على أسلوب الالتفات؛ مفرقا بين وظائفها العامة والأخرى المتعلقة بسياقات محددة. كما استقلت العلاقة بين النحو والبلاغة من زاوية تطور إدراك الأبعاد البلاغية لظواهر الخروج عن مقتضى الظاهر بفصل خاص، فنوقشت بالتطبيق على ظاهرة الالتفات التي تعد إحدى أبرز هذه الظواهر. وفي الفصل الأخير، قدم عماد عبد اللطيف منظورا غير مألوف في تحليل التراث القديم، ينطلق من مبدإ أن استيعاب التراث لا يتهيأ بتطور فهم مصطلحاته، أو علمائه، أو مصنفاته فقط، أو صلاته بالمعارف الأخرى فحسب، وإنما من الضروري الوعي بتطور مناهج تأليف المصنفات البلاغية. وقد اختص هذا الفصل الأخير بالكشف عن طرق بناء المؤلفات البلاغية العربية، موضحا الفرق بين طريقتين: الاستناد إلى طرق إيراد المفاهيم، وتعريف الشواهد مع تحليلها.

انشغل الباحث كذلك بأهمية قضية الاستعارة في النظرية المعرفية العربية القديمة، فاستخلص أنها تحتل موقعا مركزيا تتقاطع فيه مجموعة من المجالات العلمية. وبمقدور القارئ لهذا المشروع أن يتبين آراءه بصدد هذه المسألة في مواضع متفرقة، أولها هو تقديمه لكتاب(الاستعارة المرفوضة في الموروث البلاغي والنقدي)[3] للدكتور أحمد يوسف علي؛ إذ بين أن مبتدأ الإشكالات التي تفرزها قضية الاستعارة ارتبط بشكل وثيق بقدسية خطاب الوحي والنصوص الشارحة له في التفسير والبلاغة القرآنية. كما توصل إلى أن الاختلافات حول الاستعارة كانت عاملا محفزا أسهم في إثراء البحث البلاغي حول طاقات المجاز التي انفرد بها الخطاب القرآني، مما جعلها ميدانا للجدل المعرفي بين علماء البلاغة واللغة والنقد والأدب والعقيدة. كما أشار إلى الإسهام اللافت للانتباه الذي قدمه نقاد الشعر، وما تسببت فيه جدلية القديم والجديد خلال القرن الثالث للهجرة من صراعات معرفية وذوقية؛ إذ كانت الاستعارة بؤرة للجدالات والخصومات بين النقاد والرواة حول وظائفها وقيمها الجمالية، وقيمتها بين دعاة المحافظة وأنصار التجديد والابتداع[4].

---

[3] أحمد يوسف علي، الاستعارة المرفوضة في الموروث البلاغي والنقدي، كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2015.

[4] المرجع نفسه، ص6.

وحظي فن الخطابة باهتمام بالغ في مشروع عماد عبد اللطيف، بحيث استخلص من كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ إطارا نظريا لتحليلها وفق رؤية نقدية معاصرة. نجد ذلك في بحثه المعنون بـ (إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة)[5]، حيث حدد الأبعاد التي ينبغي مراعاتها عند القراءة التحليلية لنماذج الخطابة المروية والمرئية، وفق المقاييس البلاغية المستنبطة من كتاب الجاحظ: ملاحظة الأداء الصوتي ساعة الخطبة، وفحص سمات الأسلوب البلاغي(إيجاز، إطناب، التشديق، الهذر، المناسبة، قوة الحجج، تخير الألفاظ...)، ثم مراقبة تقنيات الأداء الكلامي؛ مثل لحظات الصمت ولحظات الكلام والحضور النفسي والهندام والحركة والتقاسيم، فبيان الموقف البلاغي في علاقته بالسياق الواقعي. والحق أن الباحث قد أفلح في التأصيل لإطار تحليلي للخطابة من متون التراث البلاغي العربي، متبنيا موقفا مفاده أن الخطابة العربية تشترط في تحليلها مراعاة السياق المعرفي الذي تمارس فيه، وتلك دعوة واعية منبثقة من التواصل المباشر مع التراث.

2. نبذ القطيعة بين البلاغة العربية والبلاغة الغربية

لم يقتصر البحث البلاغي عند عماد عبد اللطيف على الحدود الجغرافية للثقافة العربية، وطرق أبواب الحضارة اليونانية كذلك. وقد تطرق في هذا السياق إلى إحدى المشكلات الثقافية الأكثر حساسية، والتي اكتست طابعا نقديا سجاليا في العصر الراهن، نقصد فرضية تبعية البلاغة العربية للتراث الأرسطي. جاء ذلك في بحثه المعنون بـ(أفلاطون في البلاغة العربية، من التهميش إلى الاستعادة)[6]، بحيث يصرح في هذا الصدد بالموقف الآتي: **"في مقابل هذا الاحتفاء العربي بمؤلف أرسطو عن البلاغة يمكن أن نلحظ - بسهولة - ضعف اهتمام العرب القدماء بمؤلفات أخرى عن البلاغة حظيت في السياق الغربي باهتمام كبير، لعل أهمها محاورتا "جورجياس"، و"فيدروس"، لأفلاطون. فعلى الرغم من أن موضوع هاتين المحاورتين هو البلاغة، وأن بعض أعمال أفلاطون كانت معروفة للعرب، فإنه لم تصل إلينا أية معلومة عن وجود شرح، أو تلخيص، لأيهما في التراث العربي القديم، باستثناء بضع فقرات كتبها الفارابي،.."**[7].

يتضمن النص شهادة بخصوص المبالغة في الاعتراف بتأثير أرسطو في البلاغة العربية والسكوت عن آثار بلاغة أفلاطون. ويستند في ذلك إلى كون

---

[5] عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، العدد الرابع عشر، تيزي وزو، 2013.

[6] عماد عبد اللطيف، أفلاطون في البلاغة العربية، من التهميش إلى الاستعادة، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع وصيف 2015، مستغانم، الجزائر. وقد أعيد نشر البحث مع بحوث أخرى ضمن كتاب "ضد البلاغة: الخطابة والسلطة والتضليل عند أفلاطون"، تحرير عماد عبد اللطيف، دار العين، القاهرة، 2017.

[7] المرجع نفسه، ص 64.

محاورتي جورجياس وفيدروس لم تترجما، وإن كانت الثقافة العربية قد عرفت نقلا لعدد من مؤلفات أفلاطون في السياسة والأخلاق والفلسفة. لذلك، نبه الباحث إلى حضور بعض ملامح البلاغة الأفلاطونية في التراث العربي، وأبرزها ما ساقه الفارابي في فصله(أفلاطون في الإسلام) من النصوص المترجمة المنسوبة إلى الفكر البلاغي الأفلاطوني، وهي آراء أفلاطونية تتساءل عن ماهية البلاغة بين كونها علما أم تقنية، وضوابط الخطابة كالتقسيم والترتيب، ثم القول في الجدل بين المشافهة والمخاطبة.

تجد شهادة عماد عبد اللطيف ما يدعمها في قديم البلاغة العربية، فقد أكدها الشهرستاني في قول أورده جميل صليبا: **"إن المتأخرين من فلاسفة الإسلام قد سلكوا طريقة أرسطوطاليس في جميع ما ذهب إليه وانفرد به، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين"**[8]. كما دعم عماد عبد اللطيف هذه الشهادة باستشهاد آخر استقاه من كتاب (الحيوان) للجاحظ[9]، في معرض حديثه عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المترجم ودرجة التساوي بين معارفه ومعارف الكاتب الأصلي. ومن كتاب (المنهاج) لحازم القرطاجني[10]، يستقطر حجة أخرى على صدق طرحه، وخصوصا عند حديثه عن بناء الصورة في التخييل الشعري وعلاقة الصدق بالفن والأدب. فتتجلى أولى المهمات التي نهض لأجلها عماد عبد اللطيف في مسعى التنقيب في البلاغة القديمة، وهي تقويم القادم البلاغي من اليونان إلى الثقافة العربية، مع تسليط الضوء على المسكوت عنه وغير المعلن.

ومن الإشكالات البحثية الحرجة التي عُني بها عبد اللطيف في مقاربته للبلاغة القديمة، نستدعي موقفه من مسلمة فرضت نفسها بقوة في السياقات الأكاديمية العربية، نعني هنا اعتبار علم البلاغة سبقاً للاجتهاد اليوناني؛ والحق أنه يدحض هذا الطرح مؤكدا أن البلاغة: **"لم تكن اختراعا يونانيا، بل هي ثمرة من ثمرات كل تطور حضاري، حيث تتلازم البلاغة مع العمران"**[11]. ويعزز موقفه بحصيلة نتائج الاكتشافات العلمية الحديثة والمعاصرة للحضارات القديمة (مصر والعراق وفارس...) التي خلُصت إلى أنه حيثما وُجد تواصل سياسي أو قضائي أو عُرفي، فهناك خطابة وتخاطب؛ فباعتبار الحضارات القديمة كيانات قائمة على نظام إمبراطوري أو ملكي، فإن ذلك يعني أنها شيدت منظومات مؤسساتية وعلاقات مع غيرها من الأمم، وتلك سياقات تضطر أية حضارة إلى الإجادة في البلاغة والخطابة والجدل.

---

8 نقلاعن :جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا،1983، دارالأندلس،بيروت،ط3 ،ص19.

9 عماد عبد اللطيف، أفلاطون في البلاغة العربية، من التهميش إلى الاستعادة، مجلة الحوار الثقافي، ص66.

10 المرجع نفسه، ص67.

11 عماد عبد اللطيف، في مديح الصمت والبراعة: إطلالة على بلاغات منسية، مجلة العربي، العدد 669، 2014، ص138.

لعماد عبد اللطيف ثلاثة مقالات ركزت على البلاغة الجديدة: (البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي[12]، مناهج الدرس العربي المعاصر مقاربة نقدية[13]، مبادئ البلاغة: كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟[14]؛ وفيها يبني تصورا لثلاث محطات أساسية تلبي المتطلبات المعرفية للباحثين العرب، ووضع لها ثلاثة أسس:الأول هو التعاطي المباشر مع البلاغة الجديدة في سياقها الأصلي واكتشاف اتجاهاتها المختلفة، والثاني هو مساءلة تراكم مناهجها ومقارباتها لدى العرب وتطويره، والثالث هو بعث البلاغة القديمة اليونانية والعربية، وإعداده التُطبَّق على الخطابات والنصوص المعاصرة. ونعتبر الأساس الثالث اجتهادا جديدا في مشروع تجديد البلاغة العربية الذي استُهل منذ العقد الثالث من القرن العشرين، وإسهاما جادا لبناء جسر بينها وبين البلاغة الغربية المعاصرة.

توقف الباحث كثيرا عند مشكل التسمية، فقد ذكر أكثر أوصاف البلاغة الجديدة رواجا في الساحة الأكاديمية العربية وهي: البلاغة الحديثة، والبلاغة المعاصرة، ثم البلاغة الجديدة[15]. كما علل هذا التباين في الاصطلاح ببناء المصطلحات اعتمادا على معطى الترادف في الاستعمال من قبل الباحثين، وأضاف أن هذا التعدد أفرز مشكلتين: الأولى هي الالتباس في فهم البلاغة الجديدة، والثانية هي ارتباك الباحثين في تعاطيهم معها. ففي نظره، فما هو معاصر في الحاضر سيغدو حديثا مع مرور الزمن، وقد يصبح قديما بعد حقبة زمنية طويلة. ولتجاوز هذا الالتباس اقترح أن يُرفق مسمى البلاغة - الجديدة أو الحديثة أو المعاصرة- بمحدد زمني يوثق الفترة المتحدث فيها، أو المسألة المقارَبة، أو الموضوع المعالج.

بخصوص موضوع تخصص البلاغة الجديدة، فقد بين عماد عبد اللطيف أن البلاغة أصبحت المجال الذي يليق بالبحث الحجاجي منذ كتاب "الخطابة" لأرسطو[16]، وهو الأمر الذي أكده بما جاء عند بيرلمان(Perlman) وتيتيكا(Tyteca) في مؤلف " البلاغة الجديدة: مصنف في الحجاج". وقد قارن بين موضوعي هذين المؤلفين، فاستخلص صحة ادعائه، فهما معا يؤصلان للحجاج الخَطابي وأساليبه ووسائله وأنواعه وأركانه؛ فالمؤلف الثاني إحياء للأول من خلال بعث أطروحاته الجوهرية وتطويرها لتصير ملائمة للتطورات

---

[12] عماد عبد اللطيف، البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد10، بني ملال، 2017.

[13]عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر: مقاربة نقدية، ضمن كتاب "اللغة العربية وآدابها: نظرة معاصرة"، جامعة كيرالا، الهند، 2015، ص.ص 241-254.

[14]عماد عبد اللطيف، مبادئ البلاغة: كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟، ضمن كتاب "بلاغة الخطاب السياسي"، إعداد وتنسيق محمد مشبال، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2016.

[15]عماد عبد اللطيف، البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي، ص58.

[16]عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر: مقاربة نقدية، ص243.

التاريخية[17]. إن البلاغة الجديدة في التقاليد الغربية حسب عماد عبد اللطيف تتمحور حول مباحث الحجاج بشكل كبير، وخصوصا الحجاج الخَطابي.

لقد اجتهد عماد عبد اللطيف في حصر اتجاهات البلاغة الجديدة والتمييز بينها، فحددها في تسعة[18]: النقد البلاغي/ دراسات الحجاج/ البلاغة الإدراكية/ البلاغة المرئية/ البلاغة الرقمية والافتراضية/ البلاغة عبر الثقافات/ البلاغة النقدية/ القراءة الفاحصة/ البحث في البلاغة والأيديولوجيا. إن المثير للانتباه في هذا التصنيف لاتجاهات البلاغة الجديدة عند الغرب، هو أن الباحث قد انفرد باستنباط اتجاهات غير معلنة عند دارسين عرب آخرين. واستنادا إلى هذا الإعلان، نحن بحاجة إلى الإجابة عن سؤالين ملحين: ما البلاغة الجديدة؟ وما موضوعها؟

وجب التمييز بين مفهوم البلاغة الجديدة كما جاء عند بيرلمان وتيتيكا، وما يقصده عماد عبد اللطيف من إطلاق مصطلح (البلاغة الغربية المعاصرة)؛ فقد رام في مقاله(البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي): **"تقديم مشهد بانورامي لحالة علم البلاغة في العالم الغربي الناطق بالإنجليزية في الفترة من 1980 إلى 2015؛ بهدف تعريف القارئ العربي بالانشغالات الراهنة في حقل الدراسات البلاغية"**[19]. ويتضح أنه يبحث عن مستجدات البلاغة في العالم الغربي، فاستنادا إلى معطيين اثنين أساسيين (تسمية البلاغة المعاصرة بدل الجديدة والتركيز على الأبحاث البلاغية في محطة زمنية محدودة (2015/1980))، توخى رصد تطورات البلاغة الجديدة في المحطات التي جاءت بعد تأصيل مفهومها وإقرارها تخصصا مستقلا منذ المؤلَّف المؤسِّس: (البلاغة الجديدة: مصنف في الحجاج) إلى أواخر سبعينات القرن العشرين. وبذلك تكون البلاغة الغربية منذ العقد السادس من القرن العشرين إلى سنة 2015 قد عرفت مرحلتين: الجديدة(الحجاج) والمعاصرة(الاتجاهات التسعة).

قدم صاحب المشروع المدروس إسهامين آخرين لا يقلان أهمية عن الإسهامات المذكورة أعلاه، وميزتهما أنهما يجسران الهوة بين القديم والجديد، وبين العربي والغربي: يدعو الأول إلى تطويع البلاغات القديمة لتحليل الخطابات المعاصرة، ويدعو الثاني إلى الدمج بين آليات بلاغية جديدة ومناهج تحليلية نقدية معاصرة. الإسهامان في أصلهما مقترحان قُدما في بحثين اثنين، أولهما نظري(مبادئ البلاغة: كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة

---

[17]المرجع نفسه، ص245.

[18] عماد عبد اللطيف، البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد10، بني ملال، 2017، ص58.

[19]المرجع نفسه، ص57.

المعاصرة؟[20]) وثانيهما تطبيقي(إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة)[21].

نلفي في المقترحين مبادرة سبَّاقة إلى تكييف البلاغة التقليدية المعيارية، لتصبح قادرة على دراسة الخطابة المعاصرة ونقدها؛ وتستدعي هذه المبادرة نماذج بلاغية تحليلية معاصرة لتطبيقها على خطب تراثية. اقترح عماد عبد اللطيف في العمل الأول منهجا بلاغيا تحليليا يوفق بين ثلاثة أقطاب: تطوير تقنيات البلاغة القديمة(العربية والأرسطية[22]) لتلائم خطابات المرحلة الراهنة، واستثمار تقنيات البلاغة الجديدة والمناهج النقدية المعاصرة، ثم استدعاء دراسات الجمهور. واقترح في العمل الثاني نموذجا مطبقا على خُطب تراثية(حادثة السقيفة) بالجمع بين آليات التحليل البلاغي للخطابة القديمة استقاها من كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ و"الخطابة" لأرسطو، ومبادئ نظرية التحليل النقدي.

3.بلاغة الجمهور شعبة بلاغية معاصرة:

يُعد تخصص بلاغة الجمهور أهم اقتراحات صاحب المشروع واجتهاداته البلاغية؛ إذ افتتح مسلكا جديدا في البلاغة العربية المعاصرة بالتركيز على دراسة استجابات المخاطَب البلاغية(اللفظية وغير اللفظية). والحق أنه تجاوز بهذا المقترح حدود البحث في بلاغة المتكلم وقضاياها ومناهجها. وعلى الرغم من تعدد دراساته في هذه الشعبة البلاغية الجديدة، فإن هذه الورقة تركز على ثلاثة منها نجدها مركزية: 1) بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته[23]؛ 2) منهجيات دراسة الجمهور: دراسة مقارنة[24]؛ 3) من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي[25].

تقدم هذه الدراسات مشروعا متكاملا يلخص جهود الباحث في مجالات البلاغة القديمة والجديدة. وتعكس استفادته المعرفية والمنهجية من سعيه الحثيث لبناء جسر معرفي يزيل العقبات وسلطة الانتماءات، ويؤاخي بين القديم والجديد، وبين العربي والغربي. ونرى أن المقال المؤسس لشعبة بلاغة الجمهور (أو بلاغة

---

[20]عماد عبد اللطيف، مبادئ البلاغة: كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟، ضمن كتاب "بلاغة الخطاب السياسي"، إعداد وتنسيق محمد مشبال، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2016.

[21]عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، العدد الرابع عشر، تيزي وزو، 2013.

[22]المرجع نفسه، ص64.

[23]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ضمن كتاب "السلطة ودور المثقف"، جامعة القاهرة، 2005، ص.ص 07-36.

[24]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ضمن كتاب "بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات"، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صدقي، دار، شهريار، ط1، العراق، 2017.

[25]عماد عبد اللطيف، من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مجلة ثقافات، العدد 22، كلية الآداب، جامع البحرين، البحرين، 2009، ص.ص 68-81.

المخاطَب)[26] هو المعنون بـ" بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، فهو إعلان رسمي عن تأسيس هذا التوجه البلاغي؛ إذقدم تعريفا له ولموضوعه ومادته ومنهجه ووظائفه، كما استعرض أصوله النظرية والمناهج والنظريات التي يتقاطع معها ويتبنى منطقها.

يقوم مشروع عماد عبد اللطيف في بلاغة الجمهور على مبدإ أن الخطابات البلاغية تستهدف تحقيق أحد الهدفين: إما الإقناع أو التأثير؛ وهما غرضان يُقدران الخطيب على السيطرة على المخاطَب باستثمار ما تتيحه الاستعمالات اللغوية بمقاسات مخصوصة ومقصودة. أي إن مقصد التحكم في بناء المعتقدات والتوجهات والسلوكات يفرض اختيار الاستخدامات اللغوية المكرهة للجمهور، والتي تقتاده إلى فخ التلاعب والمواربة[27].

إن الهدف الأول لبلاغة الجمهور هو إقدار المتلقي على مقاومة بلاغة المتكلم والتقليل من خطورتها، معنى ذلك أن: **"وعي المخاطب بالكيفيات التي تستخدم بها الخطاباتُ الجماهيرية اللغةَ يمثل خطوة أولى وضرورية لمقاومة هذه الخطابات وهيمنتها"[28]**. ولا تقتصر بلاغة الجمهور على مجرد بناء معنى الخطاب المُلقى عبر آلية التأويل، وإنما بمقدوره أن يؤثر في مضامين ذاك الخطاب بفعل الاستجابات وردود الأفعال؛ فعماد عبد اللطيف يتبنى: **"مفهوما للاستجابة يقرنها بالأفعال اللفظية وغير اللفظية التي ينتجها المتلقي في سياق محدد، استجابة لخطاب آخر"[29]**. ومنه، يصبح وعي الجمهور بأساليب صناعة الخطابات المشبوهة وقاية له وعاملا مساعدا على فضح استراتيجيات الهيمنة والتحكم.

لم يفت عبد اللطيف أن يمهد لمقترحه بالأصول التاريخية المعرفية لشعبة بلاغة الجمهور، وإنما خصص لذلك عملا خاصا عنونه بـ" منهجيات دراسة الجمهور: دراسة مقارنة"؛ وفيه أحال إلى ثلاثة تخصصات عُنيت بالجمهور، وهي البلاغة الإغريقية والبلاغة العربية القديمة، ثم البلاغة الجديدة[30]. وقد فرق بين رأيين إغريقيين متعارضين بخصوص الجمهور: الجمهور هو الحشد المروَّض الذي يقوده الخطيب ويتحكم فيه بمجرد الكلام كما عند أفلاطون[31]، والجمهور ضروري في الخطابة بأنواعها الثلاث(القضائية والاستشارية والاحتفالية) حسب أرسطو[32]. ولقد استطاع الباحث من خلال استحضاره للتخصصات والمجالات المعنية بالجمهور قديما وحديثا، أن يبني شعبة بلاغة

[26]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ص07.
[27]المرجع نفسه، ص17.
[28]المرجع نفسه.
[29]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص147.
[30]المرجع نفسه، ص158.
[31]المرجع نفسه، ص.ص 159-160.
[32]المرجع نفسه، ص.ص 161-163.

الجمهور على أسس بلاغية تأخذ من الأصل اليوناني، وتستورد منه بعض مصطلحاته الضرورية وآراء روادها لأوائل.

ينفي صاحب المشروع انتساب بلاغة للمخاطَب إلى أي كتاب أو عالم في التراث البلاغي العربي. ومع ذلك أشار إلى أن العرب قدموا تلميحات وأفكارا وملاحظات تستحق بعض المراجعة كما يصرح: **"وعلى الرغم من أن البلاغيين العرب لم ينسبوا للمخاطَب بلاغة، ولم يفردوا لدراسته فصولا، أو يخصوه بمبحث مستقل، فإنهم قدموا في شأنه إشارات، وأفكارا، وملاحظات جديرة بالاهتمام"**[33]. ويظهر أن العناية بالجمهور عند علماء البلاغة العربية ارتبطت بعنايتهم بمقتضى الحال ومراعاة أحوال السامع؛ مثل وصايا الجاحظ على مراعاة المستويات النفسية، والاجتماعية، والثقافية، والعُرفية للمخاطَبين ساعة الجدال.

وبالنظر إلى علاقة مقترح بلاغة الجمهور بالبلاغة الجديدة، فيبرز من خلال استقراء الباحث لوجهة نظر بيرلمان وتيتيكا من المخاطَب؛ إذ عَدَّ دراستهما للحجاج[34] أحدَ أهم الإسهامات البلاغية في دراسات الجمهور خلال النصف الثاني من القرن العشرين[35]. وإن أبرز ما ارتكزت عليه نظرة عماد عبد اللطيف من موقف بيرلمان وتيتيكا في ما يتعلق بالمخاطَب، هو اعتبارهما الجمهور كلَّ من يضعه المتكلم في ذهنه لإقناعه ببناء الحجج، وهو جمهور مغرق في المثالية[36]. غير أنه ميز بين هذا التعريف المنسوب إلى تخصص البلاغة الجديدة، ومفهوم الجمهور في بلاغة الجمهور بوصفه فاعلا معينا يوجد في مكان محدد، وليس بمثالي ولا نموذجي؛ بل إنه معروف صفة وحضورا[37].

أسعفنا البحث عن الروافد التاريخية المعرفية لبلاغة الجمهور من وجهة نظر عماد عبد اللطيف في أن نعثر على أبرز أصولها النظرية، فإلى جانب قيام تصوره على دراسات البلاغة التقليدية(العربية واليونانية) والمعاصرة(بيرلمان وتيتيكا)، فإننا نقف مع أصلين آخرين هما: نظريات القراءة والتلقي ونقد استجابة القارئ، ثم دراسات التواصل الجماهيري.

تلتقي بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف مع نظرية القراءة والتلقي ونقد استجابات القارئ في نقطة مفصلية: تحليل استجابات المتلقي وردود أفعاله في الفعل التواصلي، سواء تعلق الأمر بالاستجابة الجماهيرية الملموسة، أو بتفسير ما يُتلقى من الأفكار والآثار الأدبية حسب دراسات القراءة والتلقي. وفي كلتا الحالتين، يبقى القاسم المشترك هو الاشتغال على ما يصدر عن الجمهور،

---

[33] المرجع نفسه، ص165.

[34] Perlman Ch. Olbrechts-Tyteca, La nouvelle Rhétorique: Traité de l'Argumentation, Presses Universitaires de France, 1958.

[35] عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص172.

[36] المرجع نفسه.

[37] المرج نفسه، ص173.

وتقويم التواصل(الإبداعي أو الخطابي: الإقناعي والتأثيري) بالتوفيق بين استجابات المتلقي وتشكل البنى النصية والتفاعلات الخِطابية[38]. غير أنه دقق النظر في الحدود الفاصلة بين التخصصين[39]، كالاختلاف في المادة موضوع التحليل؛ فإذا كانت بلاغة الجمهور تدرس الخطابات اليومية والاستجابات الجماعية اللفظية وغير اللفظية في الفضاءات العامة والمساقات الطبيعية، فإن دراسات التلقي تدرس الخطابات الأدبية والمعاني المجردة التي يبنيها المتلقي بالتأويل الخاص في سياقات مفتعلة وفضاء فردي. ويستمر عبد اللطيف في توضيح الفروق بين المجالينمن زاوية أسئلتهما البحثية، فدراسات التلقي تستكشف انخراط القارئ في بناء المعنى، والوظيفة الإدراكية التي تؤديها خلفيته المعرفية، ثم العوامل المجردة التي تُنتج تأويلات متباينة بين القراء. في حين أن بلاغة الجمهور تنتقد الاستجابات الملموسة في سياقها الفعلي، وصلاتها بتشكل الخطابات، والقدرة على التواصل المباشر والمتزامن مع الخطاب ونقده ومقاومته[40].

ويجد المتتبع لمشروع عماد عبد اللطيف امتدادا لأحد مجالات علوم التواصل، وهو مجال "دراسات الجمهورAudience Studies"،والذي تتنوع مقارباته حسب الإطار والموضوع. وعموما، فإن السمة المشتركة بين بحوثه هي تداخل الاختصاصات:علم اللغة، علم النفس، علم الاجتماع، التواصل الآلي، البث الإذاعي، الصحافة، الإعلان، العلاقات العامة، والدراسات الثقافية. وعلى الرغم من اختلاف طبيعة الاستجابة موضوع النقد والتقويم بالانتقال من مجال إلى آخر، فيبقى كونها استجابات مادية ملموسة قاسما مشتركا بينها كلها،إضافة إلى جاهزيتها للتحليل والنقد والتقويم.

لا علاقة لعملية إنتاج المعنى في بلاغة الجمهور بإنشاء المخاطِب وتأليف الخطابات، بل إن هدفها الأسمى هو طريقة تلقي مضمون الخطاب وآثاره. وهي عملية تقوم بها آليتا التفسير والتأويل كما يذكر صاحب المشروع[41] ؛وهذا لا يعني أن الجمهور طرف سلبي يقتصر على الاستهلاك فقط، بل إن عبد اللطيف يرى أنه فاعل حاسم في خرج العملية التواصلية بكشف نوايا الخطاب ومقاومته[42].فالجمهور: **"يستطيع أن يدخل تغيرات جوهرية على الرسالة ذاتها من خلال استجاباته لها؛ حيث إن الاستجابات الآنية للمخاطب.. تؤثر في الطريقة التي يبني بها المتكلم استراتيجيات خطابه"**[43].

---

[38]المرجع نفسه، ص142.

[39]المرجع نفسه، ص143.

[40]المرجع نفسه، ص.ص 143-147.

[41]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ص578.

[42]المرجع نفسه.

[43]المرجع نفسه.

وتتصل ثنائية الإنتاج والمقاومة بمصدرين معرفيين اثنين: البلاغة النقدية والتحليل النقدي للخطاب، وهما نظريتان تضطلعان بمهمة تحصين البشر ضد أصناف السلطة والتحكم بالتوظيف المشبوه للاستعمالات اللغوية الرامية إلى الهيمنة وتمرير الأيديولوجيا وتطويع المجتمعات. ولعل ذلك ما يسعى إليه التحليل النقدي للخطاب والبلاغة النقدية كما يرى فان دايك(Van Dijk) الذي يزعم أن النقد الخِطابي والبلاغي وسيلة لنقد كيفيات إنتاج السلطة ومقاومتها عبر النص والكلام[44]، وكما يذهب إلى ذلك ماكرو(Mckerrow)[45] الذي يرى أن وظيفة البلاغة تتمثل في مساءلة كيفيات إنتاج القهر الاجتماعي والسياسي عبر الخطابات، أي الوظيفة الحقيقية للبلاغة.

4. وظائف اجتماعية حضارية للبحث البلاغي:

يوفق مشروع عماد عبد اللطيف بين البحث الأكاديمي وحاجيات الاجتماع البشري، فجل منجزاته البحثية والأكاديمية تعتني بقضايا الحياة اليومية ومواضيعها، والمتصلة مباشرة بمصالح الناس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وأبرز مظهر لتلك العناية هو جعل الخطابات السياسية والدينية والاجتماعية في موقع الصدارة، وأنطق دليل على ذلك هو طبيعة المواضيع المطروقة، كخطابات الحرية، والقمع، والقهر الاجتماعيين، ووسائل الضبط الاجتماعي عبر الخطابة، وتسويق الأيديولوجيا عبر أنماط البلاغة المرئية، كالعالم الافتراضي، والإعلام والخطابة المصورة.

وتقوم أبحاث المشروع على قاعدة ثابتة، نقصد اتصال الدرس البلاغي بواقع البشر. ونجد في الإلحاح على استحضار الجماهير المقصودة بالخطابات في جل الدراسات، خير مثال على ذلك؛ فالمرمى العام لجميع الأبحاث وأساسها المشترك هو تمكين الجمهورمن المبادئ الأساسية للتلقي الحذِر والشجاعة على مجابهته.

تظهر الوظيفة الاجتماعية لمشروع عماد عبد اللطيف كذلك في تقويمه لواقع تدريس البلاغة العربية وراهنية دراستها، ودعوته إلى حتمية وصلها بمحيطها الاجتماعي المعرفي. فالباحث يقدم تصورا للبلاغة يبتعد بها عن المعيارية والصرامة التقنية والصبغة التعليمية، ويجعلها مقاربة نقدية اجتماعية. وسيلفي قارئ هذا المشروع هذا الفهم في دراسة صاحبه للأبعاد المعرفية والثقافية والاجتماعية لمصطلحات الاستعارة والالتفات مثلا، ومسائل الخروج عن مقتضى الظاهر، وارتباط النحو بالبلاغة، وإقحام مقاييس البلاغة والفصاحة القديمة في نقد

---

[44]Teun Van Dijk(2001): Critical Discourse Analysis in: the Handbook of Discourse Analysis, edited by: Deborah Schiffrin, Deborah Tannen, and Heidi E. Hamilton, Blackwell Publishers Ltd 2001, p352.

[45]Mckerrow R.E(1991) :Critical Rhetoric in a Postmodern World. Quarterly Journal of Speech 77, p450.

الخطابة المعاصرة. مما يعكس تكاملا معرفيا بين علوم العربية، واللسانيات الحديثة، والمناهج المعاصرة لتحليل الخطاب، وعلم الاجتماع.

5. النظرية النقدية خيطٌ ناظم لمشروع عماد عبد اللطيف

سبق أن أشرنا إلى أن المشروع البلاغي لعماد عبد اللطيف يتصف بالتكامل المنهجي والنظري استناد إلى ما يعرفه من امتدادات لمجالات معرفية عديدة.ونرى أن أبرز سمتين لهذا المشروع البلاغي هما صبغة التكامل بين حقول معرفية شتى بنظرة شمولية موفقة بين تحليل الإنتاج ونقد التفسير، ثم حمله هاجس الدفاع عن الفئات المستهدفة بأيديولوجية الخطابات. وقد أسعفتنا قراءة هذا المشروع في اكتشاف الإطار النظري والخلفية الفلسفية التي وسمته بهاتين السمتين، وهو الفكر النقدي الاجتماعي لمدرسة فرانكفورت التي **"تضطلع بمهمة رئيسية، تتمثل في ممارسة نمط من النقد الفلسفي ينصب أساسا على الوضع الاجتماعي قصد تغييره وتجاوزه"**[46]. فالحس النقدي الاجتماعي لعماد عبد اللطيف شبيه بتركيز فلاسفة فرانكفورت على نقد خطابات المجتمعات الرأسمالية التي تراهن على الممارسات السلطوية في المجتمع والاقتصاد والسياسة والثقافة.

وعلى الرغم من الاختلاف البين بين مفهوم الخطاب في البلاغة واللسانيات، ومفهومه في الفلسفة، خاصة لدى مدرسة فرانكفورت؛ فإن المهمة واحدة تتجلى في نقد الإنتاج السلطوي الطامع في السيطرة على النماذج الإدراكية البشرية، وتطويع الإرادات، والتحكم في الاختيار. وعموما، إن النقد اللساني والبلاغي يتقاطع مع الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت في وظيفة حماية متلقي الخطاب وتحصينهم ضد السلطة بشتى أنواعها.ولعل نقطة التقاطع تلك هي مركز المشروع البلاغي للدكتور عماد عبد اللطيف، إذ إنه يحرص على الفعل النقدي الاجتماعي عبر تنزيل الأطر النظرية والتحليلية البلاغية، وعدم عزله عن واقع الناس ومتطلبات الحياة الاجتماعية الآمنة، مع السهر على الإسهام في إحداث التغييرات الاجتماعية الملحة.

من أبرز تجليات الفكر النقدي في مشروع عبد اللطيف، استنادُه إلى علماء كبار في مجال **"البلاغة النقدية"**، وأهمهم الرائدان ريمي مكرو(McKerrowRaymie) ومايكل ماكجي(Michael Mcgee)؛ فقد تأثر بتصوريهما في البلاغة والنقد البلاغي؛ ثم استنباط أهم وظائف البلاغة النقدية، إذ يرى أن: **"مهمتها تكمن في الانخراط في نقد مستمر ثابت للخطاب"**[47]، خاصة خطابات الاستقطاب والاستحواذ. فتكون أُم وظائف البلاغة

---

[46]كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ط1، الرباط، دار الأمان، 2010، ص41.

[47]نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة: دراسة في مشروع البلاغة النقدية، مجلة نزوى، العدد 66، 2011، ص51.

النقدية حسب صاحب المشروع هي فضح مظاهر الهيمنة على البشر ونصرة المقهورين بفعل الخطابات القمعية.

ومن تجليات الفكر النقدي كذلك، نذكر استثمار الباحث لبعض مناهج نظرية التحليل النقدي للخطاب والتوليف بينها وبين بلاغة الجمهور، وخاصة المقاربة العلائقية الجدلية لنورمان فيركلف. فالمشترك بين بلاغة الجمهور والتحليل النقدي للخطاب هو الرؤية النقدية المستقدمة من فلسفة مدرسة فرانكفورت، وخير دليل على ذلك هو ما قاله أحد رواد التحليل النقدي للخطاب، توين فان دايك(Teun Van Dijk) الذي صرح بأن: **"مبادئ التحليل النقدي للخطاب موجودة بالفعل في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت.. وبدأت تلك المبادئ التركيز على اللغة والخطاب فضلا عن اندماجها مع اللسانيات النقدية"**[48]. ويؤكد مقترح بلاغة الجمهور عينه مركزية النظرية النقدية في مشروع عماد عبد اللطيف، فإذا ما استحضرنا مفهوم نقد استجابات المخاطَب الذي يترجم الحرص الشديد على تحصين الجماهير ضد الخطابات، وإكسابهم القدرة على مقاومة مخاطر الأيديولوجيات المجردة في ثنايا الاختيارات اللسانية.

إن انشغال المشروع بالنقد البلاغي والتحليل النقدي للخطاب، ليس من محض الصدفة؛ وإنما هو نتيجة منطقية للهاجس البحثي والرؤية الاجتماعية. وعليه، تنكشف أركان ثلاثة للمشروع، ونلخصها في البلاغة والتحليل النقدي للخطاب والنظرية النقدية(مدرسة فرانكفورت). غير أن الركن الثالث(النظرية النقدية) يلعب دور الوسيط بين الركنين الآخرين؛ بل هو جسر واصل بين البلاغة والتحليل النقدي للخطاب.

خاتمة

استعرضنا في هذه الورقة خمسة أطر للنقد البلاغي المعاصر في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف، وهي: تقديمه فهما جديدا للبلاغة العربية القديمة، ونبذ القطيعة بين البلاغة العربية والبلاغة الغربية، ووضعه شعبةً بلاغية نقدية معاصرة(بلاغة الجمهور)، ثم أداء البحث لوظائف اجتماعية حضارية للبحث البلاغي، فمركزية النظرية النقدية بوصفها خيطا ناظما للمشروع. وقد اقترنت هذه الأطر بانشغالات بلاغية متعددة الاختصاصات، ومن مراحل تاريخية مختلفة.

إن هذا المشروع يستحضر التراث العربي واليوناني، وينظر في التراكم المعرفي الذي تزخر به الحضارتان. كما ينهج تصورا قائما على الوصل بين البلاغتين، ويتأرجح بينهما وفقا للهواجس البحثية والدافعية والطموح المعرفيين. فبالنظر إلى ما ألفه عماد عبد اللطيف أو شارك في تأليفه من الأبحاث البلاغية

---

[48] توين فان دايك ، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة.، 2014، ص189.

ذات التوجه التقليدي، يكتشف القارئ معالجته لعدد من القضايا باستدعاء مواقف علماء قدامى، وأصدق الأمثلة على ذلك هو دراسته للخطابة بين العرب واليونان، ومصطلحات بلاغية كالاستعارة والالتفات عند العرب، وأثر أفلاطون في البلاغة العربية، وموقف أفلاطون من البلاغة بصفة عامة، وبلاغة الشرق والغرب، وبلاغة الصمت والكلام.

ثبت من خلال قراءتنا لهذا المشروع أن البحث اللغوي والبلاغي بات لا يطيق الإجراءات الوصفية، أو التفسيرات الداخلية للغة والخطاب في حدود البنية وتشكلها؛ بل انتقل إلى إيجاد تفسيرات اجتماعية لطرق البناء والتشكل والإنتاج والتفسير. والأكثر من ذلك، بات من الواجب أن يحمي الجمهورَ ويكتشف الأيديولجيات المتوارية خلف الاختيارات البلاغية والخِطابية. ولنا في بلاغة الجمهور ونقد استجاباته خير مثال على أن البحث في هذين المجالين يقتضي حمل هم النقد الاجتماعي، ومراعاة خطابات الحياة اليومية، وتحصين المخاطَب.

لائحة المصادر والمراجع

1. بومنير كمال، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ط1، الرباط، دار الأمان، 2010.

2. صليبا جميل، من أفلاطون إلى ابن سينا، دارالأندلس،بيروت،ط3، 1983.

3. عبد اللطيف عماد، بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ضمن كتاب "السلطة ودور المثقف"، جامعة القاهرة، 2005.

4. عبد اللطيف عماد، من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مجلة ثقافات، العدد 22، كلية الآداب، جامع البحرين، البحرين، 2009.

5. عبد اللطيف عماد، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، العدد 30، 2010.

6. عبد اللطيف عماد، نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة: دراسة في مشروع البلاغة النقدية، مجلة نزوى، العدد 66، 2011.

7. عبد اللطيف عماد، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، العدد 83-84، مصر، 2013.

8. عبد اللطيف عماد، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، العدد الرابع عشر، تيزي وزو، 2013.

9. عبد اللطيف عماد، تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2014.

10. عبد اللطيف عماد، في مديح الصمت والبراعة: إطلالة على بلاغات منسية، مجلة العربي، العدد 669، 2014.
11. عبد اللطيف عماد، أفلاطون في البلاغة العربية، من التهميش إلى الاستعادة، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع وصيف، مستغانم، الجزائر، 2015.
12. ع.ل. عماد، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر: مقاربة نقدية، ضمن كتاب "اللغة العربية وآدابها: نظرة معاصرة"، جامعة كيرالا، الهند، 2015.
13. ع. عماد، أزمة المصطلح البلاغي العربي: مظاهر وأسباب ومقترحات، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد التاسع، بني ملال، المغرب، 2016.
14. عبد اللطيف عماد، مبادئ البلاغة: كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة؟، ضمن كتاب "بلاغة الخطاب السياسي"، إعداد وتنسيق محمد مشبال، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2016.
15. عبد اللطيف عماد، البلاغة الغربية المعاصرة: مدخل موجَّه للباحث العربي، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد10، بني ملال، 2017.
16. عبد اللطيف عماد، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ضمن كتاب "بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات"، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صدقي، دار، شهريار، ط1، العراق، 2017.
17. عبد اللطيف عماد، "ضد البلاغة: الخطابة والسلطة والتضليل عند أفلاطون"، تحرير عماد عبد اللطيف، دار العين، القاهرة، 2017.
18. فان دايك توين، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة.، 2014.
19. يطاوي محمد، المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب(في الأصول ونقد المناهج)، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد الثالث، العدد الأول، أبريل 2018.
20. يوسف علي أحمد، الاستعارة المرفوضة في الموروث البلاغي والنقدي، كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2015.

21. Mckerrow R.E(1991) :Critical Rhetoric in a Postmodern World. Quarterly Journal of Speech 77.
22. Perlman Ch. Olbrechts-Tyteca, La nouvelle Rhétorique: Traité de l'Argumentation, Presses Universitaires de France, 1958.
23. Van Dijk, Teun (2001): Critical Discourse Analysis in: the Handbook of Discourse Analysis, edited by: Deborah Schiffrin, Deborah Tannen, and Heidi E. Hamilton, Blackwell Publishers Ltd 2001.

قراءة وصفية تحليلية لكتاب" البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف

د. مسعود غريب
جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

ملخص
تعد إنجازات الدكتور عماد عبد اللطيف في الأدبيات البلاغيةمن أهم الدّراسات والإسهامات العربية المعاصرة، في تجديد البلاغة وتحليل الخطاب الجديرة بالمراجعة والقراءة والتحليل، والتي كان لها موقف نقدي حاسم من كلا المنجزين الغربي والعربي على السواء، ساعية لطرح بدائل ورؤى جديدة؛ وذلك بغية إبراز القيمة الحقيقية لتراثنا البلاغي العربي، وإثبات ديمومته واستعادة شرعيته، ومن أجل الإسهام في إلقاء الضّوء على واحدة من تلك الإنجازات العربية الرائدة في هذا المجال، التي تأتي"على رأس الموضوعات التي تفرضها اللحظة الثقافية الحضارية الراهنة" جاءت مداخلتي الموسومة بـــ: **قراءة وصفية تحليلية لكتاب"البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف**، وذلك بغية توصيف وتحليل وفحص الإشكالات التي أولاها الدكتور عماد عبد اللطيف اهتماما بالغاوالتي تعكس بوضوح أهميةهذا الكتاب وهي كالآتي: ما الذي يمكن أن تكونه البلاغة؟ ما هي البلاغات الجديدة التي ينبغي تأسيسها لضمان نجاح حوار(بين ثقافي)؟ ما هي الإشكالات المعرفية والثقافية والتواصلية التي حاول الكاتب توصيفها؟ وما الفجوة المعرفية الموجودة بين الثقافات التي عمل الكاتب على تجسيرها؟ وما دور اللغة والبلاغة في تعزيز أو تقويض التواصل الثقافي والإعلامي مع الغرب؟ ماذا أضاف هذا الكتاب إلى علم البلاغة وتحليل الخطاب؟ وما المنهج المعتمد في معالجة قضاياه؟

الكلمات المفتاحية: البلاغة ، التواصل، الثقافات، الحوار، العرب، الغرب.

مصطلحات ومفاهيم:

إذا كان لا مفر من إجراء حوار(بين ثقافي)، لحل الكثير من المشكلات العالقة، وإزالة الكثير من المعوقات المثبطة، فإنه أمر حسب اعتقادي ليس بالهين ولا بالمستحيل، إلا أنه لن يتحقق ولو نسبيا إلا بالعمل على تجسير ما نلحظه من وجود فجوات معرفية بين الثقافات، والتي تخص أدوات التواصل، وذلك عن طريق دراسة مكانيزمات التواصل بين الثقافات باختلاف مشاربها من منظور بلاغي اتصالي.

لذا أبدى علماء اللغة اهتماما بالغا وعناية فائقة بالبلاغة، وأدوات التواصل، منذ أن كانت أسئلة تطرح إلى أصبحت علما له أصوله وقواعده، غير أنها اتصفت

بالجفاف والجمود، جراء مما لحقها من شوائب الفلسفة والمنطق؛ مما دفع بالكثير من علماء اللغة المحدثين إلى محاولة مراجعتها، والسعي إلى تجديد أهدافها والتركيز على دورها في تعزيز أو تقويض التواصل الثقافي والإعلامي، وبخاصة بعد ميلاد اللسانيات الحديثة، والتطور الكبير التي شهدته الدراسات الأسلوبية، فما مفهوم كل من البلاغة، التواصل، الثقافة، الحوار، الغرب، العرب؟

البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة لغة: جاء في لسان العرب: "بلغ الشيءُ يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى...وتبلغ بالشيء وصل إلى مراده...والبلاغ:ما يُتبلغ به ويُتوصل إلى الشيء المطلوب...ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ:حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه"[1].

البلاغة اصطلاحا:

يوصف الكلام والمتكلم بأنهما بليغان، ولا توصف الكلمة بأنها بليغة لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى تحقيق غرضه، فما حد البلاغة اصطلاحا؟

من القدماء الذين أبانوا عن حدّها الآمدي بقوله: "والبلاغة إنما إصابة المعنى، وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانا يقف دون الغاية"[2]. كما عرفها أبو هلال العسكري إذ قال:"البلاغة كل ما تُبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه من نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[3]. وهذا يعني أن من شروط الكلام البليغ أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا. وعرفها أيضا أبو يعقوب السكّاكيّ بأنّها" بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواصّ التّراكيب حقّها، وإيراد أنواع التّشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[4]. والملاحظ أن السكّاكيّ يعد كمال التركيب من شروط بلاغة الكلام إشارة منه إلى علم المعاني. كما يشترط توفّر الخصائص البيانيّة إشارة منه إلى علم البيان. أما القزويني فقد عرفها بقوله: «وأما بلاغة الكلام فهي:مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[5].

من خلال هذه التعريفات يلاحظ أن أغلبها تؤكد أن البلاغة هي إيصال المعنى إلى قلب السامع بأسلوب حسن، وهي تعاريف تتوافق والمعنى اللغوي الذي مفاده الوصول، أو الإيصال والانتهاء والإبلاغ، إلا أن الخطيب القزويني يرى أن البلاغة هي مطابقة الكلام للمقام الذي يقتضيه، إضافة إلى فصاحته؛ لأن بهذه المراعاة يتحقق المراد من الكلام، ويحدث التداول المرغوب فيه.

1- (ابن منظور،2003:مادة (بلغ))
2- (الآمدي، د.ت:424)
3- (العسكري،1952: 10)
4- (السكاكي، 1983: 415)
5-(القزويني،2002: 20)

ومن المحدثين الذين استلهموا حدّها من التراث العربي الأستاذان علي الجارم ومصطفى أمين إذ يقولان: "أما البلاغة فهي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون"[6].

كما عرفها أحمد الشايب بما عرفها الأستاذ جينغ Genung بقوله: "إن البلاغة فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع وللحالة على حاجة القارئ أو السامع"[7].وعرفها أيضا الشيخ أمين الخولي بقوله: "البلاغة هي البحث عن فنية القول، وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال، فالأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس"[8]. وهناك من المحدثين من يعرفها مستلهما مفهومها من تعريف الخطيب القزويني لها بقوله:"البلاغة هي مطابقة الكلام للاعتبار المناسب للمقام مع فصاحة ألفاظه"[9]، على أساس أن الاعتبار المناسب هو المقتضى.

وبالنظر إلى اهتمام البلاغة بالتواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة فقد "أدّى هذا إلى ظهور حقول معرفية جديدة تدرّس من منظور بلاغي أشكالا متعدّدة من التواصل والتحاور بين الثقافات وهكذا ظهر ما يعرف بالبلاغة التقابلية...والبلاغة عبر الثقافات...والبلاغة المقارنة"[10]

ومن خلال ما ذكرناه من تعريفات للمحدثين، نلاحظ أن البلاغة في تصورهم هو ذاك الكلام المناسب للموضوع والمقام، المؤثر في النفس مع فصاحة ألفاظه، وبهذا فهم يتفقون مع القدامى في أن البلاغة هي استخدام الكلام الجميل المؤثر في النفس المناسب للموضوع. إضافة إلى اهتمامها بالتوصل عبر الثقافات، والتحاور بينها.

وظيفتها:

للبلاغة العربية من التراكيب والأساليب المختلفة خبرا وإنشاء ما يمكن استغلاله بغية تحقيق التأثير الوجداني والإقناع العقلي إضافة إلى الإبداع والإمتاع، شريطة مراعاة حال المتلقي؛لأن الوظيفة الرئيسة للبلاغة "تتحدد في كونها أداة توصيل لرسالة أو فكرة معينة على نحو مقنع ومؤثر"[11]، حيث لا أحد ينكر ما للبلاغة من دور فاعل في عملية الاتصال، وبخاصة إذا التزم المتكلم بما يجب لكل مقام من المقال حسب مقتضى الحال.وبالتالي فهي التي تمكّن المتكلم من إنشاء خطاب تتحقق فيه شروط للنجاح.إضافة إلى الكثير من الوظائف والمهام

---

6 - (الجارم ومصطفى أمين 2010: 20)
7 - (الشايب، 1991: 19)
8 - (الخولي، 1961 :88- 89)
9 - (مطرجي، 1987: 22)
10-(عبد اللطيف،2012: 101)
11 -(شادي،2011: 06)

الأساس التي لا تضطلع بها إلا البلاغة، كتنمية الإحساس بالتذوق الجمالي واستشراف مواطن المتعة دون أن ننسى الصور البيانية "بما فيها من دقة وأصالة، وجمال، تساعد على لفت انتباه القارئ، أو السامع إلى مضمون الخطاب الأدبي أكثر، فهي تجعل الأفكار أكثر رونقا والعبارة أكثر تأثيرا"[12]

مفهوم التواصل لغة واصطلاحا:

التواصل لغة:جاء في القاموس المحيط للفيزوربادي: "وصل الشيء بالشيء وصلا ووصلة بالكسر والضم ووصل الشيء بالشيء إذابلغه وانتهى إليه، والوصلة بالضم الاتصال"[13]

مما يعني أن التواصل في اللغة هو الوصل بين شيئين وهو حالة من التفاعل والتجاوب بين كيانين أو نظامين أحدهما مرسل والآخر مستقبل.

التواصل اصطلاحا:التواصل في الاصطلاح هو:"الطريقة التي تنتقل بها المعرفة والأفكار بواسطتها من شخص(أو جهة) إلى شخص آخر(أو جهة أخرى)، بقصد التفاعل والتأثير المعرفي أو الوجداني في هذا الشخص أو إعلامه بشيء، أو تبادل الخبرات والأفكار معه، أو الارتقاء بمستواه الجمالي والقيمي، أو إقناعه بأمر ما، أو الترفيه عنه"[14].

أما **التواصل عبر الثقافات**: فهو: "عملية رمزية تأويلية تفاعلية سياقية يخلق فيها بشر متعددو الثقافات معانيهم المشتركة"[15]، ويتم إما مشافهة أو كتابة، أو عن طريق الرسم، أو الحركات والإيماءات وغيرها.

وظيفة التواصل:

إذا كان التواصل هو ميكانيزم العلاقات الإنسانية؛ فإن له وظيفتين أساسيتين هما:

- وظيفة معرفية: تتمثل في نقل الرموز الذهنية وتبليغها بوسائل لغوية وغير لغوية.
- وظيفة تأثيرية وجدانية : تقوم على العلاقات الإنسانية.

مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا:

الثقافة لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور:" ثقف الشيء، وثقف الرجل ثقافة، أي: صار حاذقا"[16]. وورد في مقاييس اللغة لابن فارس:"الثاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء، ويقال: ثقّفت القناة إذا

12- (بن ذريل، 2006: 96)

13- (الفيزور بادي، دت:1409)

14- (روحي الفيصلوجمل، 2004: 13)

15-(عبد اللطيف،2012.:123)

16- (ابن منظور،2003:مادة (ثقف))

أقمت عوجها...وثقفت هذا الكلام من فلان، ورجل ثقف لقف وذلك أن يصيب علمَ ما يسمعه على استواء، ويقال: ثقفت به إذا ظفرت به"[17].
وذكر الزمخشري: "ومن المعاني المجازية: تثقّف فلان على فلان: تأدب، ويقال تثقف على فلان، وفي مدرسة كذا"[18]. نستخلص من كل هذا أن الثقافة تعني تقويم الاعوجاج، والتهذيب والتأديب،والحذق والفهم...بل تشمل كل جوانب الحياة التي تخص الأفراد والجماعات.
الثقافة اصطلاحا: الثقافة في معناها الاصطلاحي هي: "العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها"[19]. ويعرفها مالك بن نبي بقوله: هي مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[20]. كما عرفها العالم الأنثربولوجي **تيلورTaylor** بأنها: "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة، والمعتقدات والفن، والأخلاق، والقانون، والعادات،أو أي قدرات أخرى، أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع"[21]، أي: أن الثقافة في تقديره تعكس الحياة الاجتماعية للإنسان، وأنها مكتسبة، وذات بعد اجتماعي.
كما يعرفها **كلايد كلوكهون** بأنها "مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين، أي:الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها،...وهي التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات"[22]، وقد تبنى عماد عبد اللطيف المفهوم الآتي للثقافة بأنها: "هي الطرق المتنوعة لإدراك العالم وتنظيمه التي يتم تبنيها على نحو شائع من قبل جماعة بشرية ما ويتم نقلها بين الأشخاص أو الأجيال"[23]وبهذا المفهوم فهي تختلف عن مفهوم **الحضارة** التي تشير إلى الفترات المزدهرة في المجتمعات.
وظائف الثقافة:
للثقافة العديد من الوظائف نذكر منها:[24]
- تعطي الثقافة للفرد القدرة على التصرف في أي موقف، كما تهيء له أسباب التفكير والشعور.
- تزود الثقافة الفرد بما يشبع به حاجياته البيولوجية.

17- (ابن فارس،1979: مادة (ثقف))
18- (الزمخشري ، 1998:مادة (ثقف))
19- (مجمع اللغة العربية ،2004 :مادة (ثقف))
20- (بن نبي ،1984 : 48)
21- (السويدي،1991 :50)
22-(محمدعارف، 1994م:20)
23-(عبد اللطيف، 2012: 64)
24- (السويدي، 1991 :90-92)

- لا تقتصر الثقافة على تزويد الأفراد بطرق إشباع حاجاتهم، بل تطور لهم حاجات جديدة.
- يجد أفراد الجماعة في ثقافاتهم تفسيرات عن أصل الإنسان والكون والظواهر التي يتعرضون لها
- تحدد الثقافة مختلف المواقف وتعرفها لأعضائها، كما تزودهم بمعاني الأشياء والأحداث؛ ولهذا يستمد أفراد الثقافة الواحدة من ثقافتهم عددا من المفهومات الأساسية.
- تكسب الثقافة أفراد الجماعة الضمير الذي ينبثق من الجماعة.
- تعطي الثقافة لأفراد الجماعة الواحدة شعورا بالانتماء؛ لأنها تربط أعضاءها في جماعة واحدة يشعرون بالاندماج فيها.
- تساعد الثقافة أفراد الجماعة الواحدة عل التكيف لمكانتهم في المجتمع فهي التي تقدم لهم الوسائل الضرورية للقيام بأدوارهم؛ ولذلك كانت الثقافة تربة خصبة لنمو وترعرع الشخصية وازدهارها.

مفهوم الحوار الحضاري أو الثقافي:

لقد استهل عماد عبد اللطيف فصله الأول من كتابه هذا بتحديد مفهوم مصطلح **الحوار الحضاري أو الثقافي** إذ يعرّف بأنه:"شكل من أشكال التفاعل بين القوى الاجتماعية، ووسيلة للتواصل، أو لتجنب الصراعات وتلطيف المجابهات"[25].

ثم رأى بعد أن تحدث عن الحوار مفهومه، وضرورته، وحيثياته أنه من الضروري تعريف المصطلحات التي سوف يستخدمها في هذا الكتاب حتى يتيسر الفهم وتسهل المتابعة، وخير ما فعل.فمن تلك المصطلحات المتخمة بالدلالات الشائعة الاستعمال: الغرب، والعرب.

مفهوم الغرب:

مفهوم الغرب: "قد يحمل معنى الدول التي توجد في جهة الغرب من منطلق جغرافي، والتي تضم أوروبا وأمريكا...وقد يعني بالغرب أوروبا"[26]. وقد يكون الغرب"خبرة تاريخية كالحروب الصليبية أو الاستعمار،أو نظرية معرفية كالماركسية أو اكتشافا علميا كالمطبعة والبخار أو غير ذلك"[27].

ويمكن القول إن: "الغرب من الناحية الديموـــ جغرافية هو البشر الذين يعيشون في قارة أوروبا من أقصاها إلى أقصاها وفي أمريكا الشمالية وكندا واستراليا"[28].ومنه فلغة الغرب ليست الأنجليزية، أوالفرنسية، أوالألمانية فحسب، بل هي أيضا الروسية، والبولندية، والتشيكية، والبرتغالية... وديانته ليست هي المسيحية فحسب، بل كذلك الإسلام، واليهودية، والبوذية، والسيخية...أو لادين،

25- (عبد اللطيف، 2012: 45)
26- (عبد اللطيف، 2012: 55)
27- (البيلاوي، 1999 : 10)
28-(عبد اللطيف، 2012: 57)

ولابد أن يكون هذا التنوع الجغرافي، واللغوي، والديني"حاضرا في الأذهان في سياق التخطيط لحوار ناجح مع الغرب. فالعرب يحتاجون إلى أكثر من سيناريو للحوار... والعرب يحتاجون إلى أكثر من لغة"[29].
ومفهوم الغرب من ناحية زمنية: هو"من يوجدون في الآن واللحظة. ليس الغرب هو الماضي والمستقبل.فالحوار فعل آني يتغير في كل لحظة؛ وتتغير استراتيجياته وأهدافه وأطرافه بل وإمكانياته"[30].
مفهوم العرب:العرب جغرافيا هم من يعيشون بين الخليج والمحيط ...وسياسيا يمكن القول إن الدول العربية هي التي لها عضوية في جامعة الدول العربية. رغم التنوع والتباين بين مكوناتها؛ مما يجعلنا نقر بعبارة الببلاوي"لا الغرب حقيقة واحدة ولا نحن كذلك"[31]. ولكن ما ينبغي أن يقال إن هذا التنوع والتعدد سواء بالنسبة للغرب أم للعرب لا يستبعد إمكانية التشارك والوحدة، وهو الأمر الذي حفّز عماد عبد اللطيف على الاستمرار في بحثه هذا، إذ يقول: "في إطار التواصل بين الحضارات يصبح الاحتواء والشمول أفضل وأهم من الإقصاء والاستبعاد. وانطلاقا من تلك القاعدة، فإن مفهوم الغرب أو العرب الذي سوف يكون عليه مدار حديثي سوف يتسم بالشمول والاستيعاب.وهو يتحدد وفقا لعنصرين:الأول ديمغرافي - جغرافي والثاني زمني"[32]. وبهذا التحديد يمكننا القول: "إن الوعى بماهية الذات وماهية الآخر المتحاور معه شرط مسبق لتحديد طبيعة الحوار الذي نستهدفه، وغاياته ووسائله. ومن ثم فإن الخطوة التالية لتحديد طرف الحوار هي تحديد طبيعة الحوار المستهدف بينهما"[33]. وقد أشار عماد عبد اللطيف إلى طبيعة الحوار العربي - الغربي وهو حوار: "قد يكون سياسيا أوثقافيا أو رياضيا..فرديا أو جماعيا، رسميا أو غيررسمي، منظما أو عفويا،متصلا أو متقطعا. وقد يقع في مدرجات الدرس،أو على قارعة رصيف قطار، في قاعات ملكية أو في مقاه شعبية، في مفتتحات الصحف أو بين طيات كتاب أو على شاشة تليفزيونية ملونة"[34]

وصف وتحليل البناء الظاهري للكتاب:

يندرج كتاب: **البلاغة والتواصل عبر الثقافات** لمؤلفه عماد عبد اللطيف الصادر سنة 2012م ضمن سلسلة كتابات نقدية تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة، وهي هيئة تعنى بنشر النقد التطبيقي والنظري، وتهتم بإبراز نتاج المدارس النقدية العربية والعالمية، إلا أن الآراء الواردة فيه تعبر عن رأي

29- (عبد اللطيف، 2012: 58)
30--(عبد اللطيف، 2012: 58)
31-(الببلاوي،1999 :10)
32-(عبد اللطيف، 2012: 57)
33-(عبد اللطيف، 2012: 59)
34- (عبد اللطيف، 2012 :59)

المؤلف وتوجهه في المقام الأول. وهو كتاب قائم على محاولة الإجابة عن الإشكالية الرئيسة الآتية: ما دور اللغة والبلاغة في تعزيز أو تقويض التواصل الثقافي والإعلامي؟ وكيف يمكن تطويعهما لتطوير سبل تواصل أكثر فعالية ونجاحا؟

يقع هذا الكتاب فى179 صفحة من التصدير إلى قائمة المصادر والمراجع، وقد قسمه المؤلف إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، هي كالآتي:-الحوار بين الثقافات مفاهيم ومساجلات.-اللغة والحوار بين الثقافات.- البلاغة وحوار الثقافات.- التواصل عبر الثقافات.

تناول في المقدمة ما الذي يجب أن تكونه البلاغة؟ مشيرا إلى ما تواجهه الدراسات البلاغية المعاصرة من تحديات، مؤكدا على ضرورة التحاور بين الثقافات، حيث أشار إلى أن: "البلاغة العجوز التي عمرت ما يقرب أربعة آلاف عام استطاعت تغيير جلدها ولغتها وصورتها وممارستها عشرات المرات. وقد شهدت العقود الأخيرة تناميا مذهلا للدراسات البلاغية من حيث الكم والنوع والتخصص"[35]؛ مما ساعد على ظهور عدد من البلاغات التي كانت إلى وقت غير بعيد ضربا من الخيال نحو: بلاغة صفحات الأنترنت، والبلاغة الجنائية، وبلاغة العوالم الخوائلية إضافة إلى قدرتها على إقامة تحالفات معرفية مع حقول جديدة مثل علم المعرفة، والاتصال وتحليل الخطاب، وقد أكّد الدكتور عماد عبد اللطيف قبل أن يشير إلى التحديات التي تواجهها البلاغة العربية - انشغالها بالتراث البلاغي، وبالخطابات البلاغية العليا مثل الشعر، والنثر الأدبي، وانفصالها عن مشكلات المجتمع، والإخفاق في الانفتاح على معارف مهمة مثل علوم الاتصال والسياسة، والاجتماع، وعلم النفس - وهي تحاول التجديد على أن أبرز تجليات التجديد البلاغي في الوقت الراهن هو الاهتمام بالتواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة. وذلك عن طريق الانفتاح على بعض المقاربات والمناهج البلاغية المعاصرة، مثل البلاغة والتواصل عبر الثقافات. وهو ما يسعى عماد عبد اللطيف في كتابه هذا إلى مناقشة كيفية الإفادة من تلك المعطيات النظرية والإجرائية لهذا النوع من البلاغة والتواصل.

وهذا ما جعله يرسم لبحثه هذا **هدفين اثنين** هما:

الأول: عملي ويتمثل في: "تشخيص المشكلات اللغوية والبلاغية التي تعوق التواصل العربي- الغربي أو تفشله، وتحديد جذور هذه المشكلات والأسباب المؤدية إليها، واقتراح بعض الحلول العملية للتغلب عليها أو تقليل تأثيرها السلبي"[36].

35- (عبد اللطيف،2012 : 31)

36-(عبد اللطيف،2012 : 33)

الثاني: نظري هو:"محاولة وضع تأسيس لبعض أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربية والثقافة العربية من ناحية، واللغات والثقافات الغربية- خاصة اللغة الانجليزية والثقافة الأنجلو- أمريكية من ناحية أخرى"[37]. وهكذا فالكاتب في بحثه هذا تعهد بتشخيص المشكلات اللغوية والبلاغية المؤدية إلى إعاقة التواصل العربي الغربي لأنه لا مفر من التحاور، واقتراح بعض الحلول العملية لها، وكذا العمل علىوضع تأسيس نظري لبعض أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربيةمن جهة والثقافة العربية واللغات والثقافات الغربية من جهة أخرى، وهذا ما لمسناه فعلا في هذا البحث القيم.

المنهج المعتمد:

إذا كان الكتاب معنيا بتقديم معرفة أكاديمية عميقة وشاملة بالأسباب التي قد تؤدي إلى سوء الفهم أو انهيار التواصل بوجه خاص، والعوامل التي قد تؤثر في التواصل بين الثقافات بوجه عام باعتباره قائما على فرضية مفادها:أن التواصل بين الثقافتين العربية والغربية شكل من أشكال التواصل الإنساني يتأثر بعوامل انهيار التواصل أو فشله؛ ولتحقيق ذلك كان المنهج المعتمد في هذه الدراسة حتما هو: "منهج وصفي مقارن يتتبع الخصائص اللغوية والبلاغية والتواصلية للثقافتين العربية والغربية، ويقارن بينهما ويستكشف الآثار الإيجابية أو السلبية التي قد يحدثها اختلاف هذه الخصائص في التواصل الحالي أو المستقبلي بين العرب والغرب، كما يتبنى الكتاب في بعض مواضعه منظورا معياريا يقترح من خلاله بعض الحلول والتوصيات التي تسهم في التقليل من آثار هذه الاختلافات أو تجاوزها"[38]، وقد أشار الدكتور عماد عبد اللطيف إلى أهم الدراسات السابقة لموضوع كتابه هذا مصنفا إياها وفق التوجهات الآتية:[39].

- توجه يُعنى بما يمكن تسميته بإرشادات الحوار، ويعد كتاب عبد القادر الشيخلي المعنون: بأخلاقيات الحوار أنموذجا لهذا النوع من الكتابات.
- توجه يُعنى بالبحث في خصائص نوع محدد من أنواع التواصل في سياق تاريخي أو سياسي محدد، وتعد دراسة حسن وجيه المعنونة: أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي أنموذجا لهذا النوع من الكتابات.
- توجه يُعنى بالبحث في ذخيرة الحوار، ويعد أنموذجا له: كتاب الحوار العربي الأوروبي واستراتيجية التعامل مع القوى الكبرى، لصاحبيه: الدجاني، وأحمد صدقي، وكتاب:الحوار العربي الأوروبي وجهة نظر عربية ووثائق الشركة المتحدة للتوزيع بيروت.

37-(عبد اللطيف،2012 : 34)

38- (عبد اللطيف،2012 : 35)

39- (عبد اللطيف،2012 : 38-40)

- توجه يعنى بشكل مباشر بمسألة التواصل بين الثقافات والحضارات والأديان المختلفة، الأمر الذي جعل ما ألف في إطاره من كتابات يفوق بكثير كما وكيفا ما ألف في إطار التوجهات الثلاثة السابقة، لكن المؤسف أن معظم تلك الكتابات انصرفت إلى مناقشة مسائل نظرية بحتة بعيدة عن تقديم الحلول، أي: اهتمت بالشروط دون الوسائل.

عرض فصول الكتاب وتحليلها:

الفصل الأول: **الحوار بين الثقافات مفاهيم ومساجلات**

ولأن الحوار لايكون مجديا إلا إذا كان مبنيا على قناعة كل طرف بأهمية الطرف الآخر نجد الكاتب عماد عبد اللطيف وطأ لمبحثه هذا بمقولة لروجيه جاروديه جاء فيها:"الحوار بين الحضارات يفترض أن يكون كل طرف مقتنعا بأن ثمة شيئا يمكن أن يتعلمه من الطرف الآخر"لأن الحوار يعني في جذره الحقيقي"التعلم"وهذا لعمري هو سر نجاح أي حوار.

أما من حيث السياق التاريخي للحوار بين الحضارات فإنه يمكن القول إن مصطلح الحوار حديث النشأة إلا أن مفهومه"بين الحضارات والثقافات كان مطروحا بقوة عبر فترات تاريخية طويلة قبل أن يتم نحت المصطلح"[40]، وقد عمل الجميع أفرادا ومنظمات وباستمرار على تهيئة الفضاء المناسب له بين الشعوب المختلفة؛ لأنه يعد أفضل السبل وأنجعها لتحقيق التعايش المشترك بين مختلف شعوب العالم، وما أحوج العرب إلى الحوار؛ لأنهم أكثر شعوب العالم تضررا من غيابه؛ ولأن بالحوار يتم تغيير الصور النمطية السلبية التي تروج عنهم؛ لذا كان"للمؤسسات الثقافية العربية والإسلامية دور بارز في إذكاء الحوار بين الحضارات وتدعيمه ومساندته بعد الدعوة إليه"[41]، سواء أكان الحوار ثقافيا أم سياسيا؛لأن كلا المشروعين الثقافي والسياسي "رغم اختلافهما يشتركان في كونهما رد فعل شبه مباشر على ممارسات أو مواقف غربية"[42]. ويؤكد عماد عبد اللطيف في هذا المقام أنه إذا كان الحوار العربي الغربي قد بدأت تباشيره الأولى منذ سنة 1973فإنه لم يؤت أكله فحسب، بل الوضع ازداد احتقانا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وغزو العراق، ومع ذلك فإن الظروف الحالية تشجع على الحوار أكثر من قبل، نتيجة للتغيرات الدولية والتي من أهمها تعدد القطبية؛ مما يستوجب استبدال طبول الحروب بنغمات التواصل. وحتى ينجح الحوار ينبغي أن يرتكز على المسلمات الآتية:[43]

- الإيمان بالتعددية وقبول الاختلاف بين المتحاورين وما يمثلونه من ثقافات.
- الإيمان بعدم إمكانية تطبيق معايير التفاضل والتراتب على الثقافات المختلفة.

40-(عبد اللطيف،2012 : 46)

41- (عبد اللطيف،2012 : 50)

42- (عبد اللطيف،2012 : 49)

43- (عبد اللطيف،2012 : 61-62)

- الإيمان بأن الحوار ممكن على الرغم من الاختلاف حتى لو كان جذريا.
- إيمان كل طرف أن الحوار هو اختيار استراتيجي حتى لو كان قادرا على القضاء على الطرف الآخر بالقوة.
كما أشار عماد عبد اللطيف إلى أن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) قد وضعت للحوار ثلاثة أسس تخص العلاقة بين المتحاورين وهي كالآتي:[44]- الاحترام المتبادل- العدل والمساواة- مواجهة التعصب والكراهية. كما ذكر أن للحوار الديمقراطي سمات وهي:[45]
- أن بابه مفتوح للجميع، وكل المشاركين فيه لديهم حقوق متساوية في الكلام وواجبات متساوية في الاستماع.
- أنه حساس للاختلافات،يفسح المجال أمام سماع أصوات المختلفين،ويوجب على الآخرين الاستماع إليهم.
- أنه يعطي مساحة لعدم الاتفاق، والاعتراض، والتعدد.
-أنه يسمح بنشأة موافق وهويات ومعارف وتحالفات جديدة.
- أنه كلام يؤدي إلى فعل.
ثم حاول بعد ذلك تفصيل ملامح الحوار مع الغرب من خلال تمييزه عن غيره من أشكال التواصل الأخرى فالحوار مع الغربهو حوار بين الثقافات، أو حوار بين الحضارات، وليس جدالا، ولا محاضرة يلقيها طرف على آخر، وأن الحوار عموما يهدف إلى نوعين من الأهداف أهداف عامة لا تخص حوارا بعينه، وأهداف خاصة، ومن الأهداف العامة وهي التي ركز عليها عماد عبد اللطيف في كتابه هذا:[46]
- الحوار بين الحضارات بديل للصراع بينها- الحوار بديل الهيمنة.
- الحوار مع الآخر واكتشاف الذات؛ لأن الحوار بين الثقافات لا يؤدي إلى تعريف الآخر بثقافة الذات فحسب بل تعريف الذات بثقافتها قبل كل شيء.
- تغيير الصورة الذهنية السلبية للعرب.
ثم بعد ذكره هذه الأهداف العامة النبيلة التي تجعلنا نقر بأنه لابديل عن الحوار حاول تفنيد بعض الآراء المعارضة للحوار مع الغرب، والتي يمكن الوقوف على توجهين أساسيين منها[47]:
- التوجه الأول(ديني) يستند إلى إيديولوجية دينية في رفض الحوار ترى أن الغرب شرلا يرتجى منها خير.
- التوجه الثاني(تاريخي) يرفض الحوار استنادا إلى التشكك في غرض هذه الدعوة في السياق التاريخي الحالي.

44- (عبد اللطيف،2012 : 62)
45-(عبد اللطيف،2012 : 62-63)
46-(عبد اللطيف،2012 : 68-72)
47-(عبد اللطيف،2012 : 74-78)

فكلا التوجهين يرى أن الحوار مع الغرب هو عملية تسليم.
في خاتمة هذا الفصل يمكنني القولإن الكاتب قد تمكن من تحديد مفاهيم المصطلحات الأساسية لبحثه هذا كما تمكن من معالجة القضايا النظرية المهمة المتعلقة بالحوار، وتفنيد مبررات رافضي الحوار مع الغرب على توجهاتهم.

الفصل الثاني:اللغة والحوار بين الثقافات.

إذا كان الحوار شكل من أشكال التواصل بين الثقافات، فإن الرسالة في إطاره غالبا ما تصاغ عن طريق اللغة،"ومن هنا فإن أية محاولة جادة لتطوير الحوار بين العرب والغرب ثقافيا وإعلاميا لايمكنها تجاهل العوائق التي تنشأ عن اختلاف اللغة بين طرفي الحوار"[48]، فالملاحظ أن الكاتب في هذا الفصل تناول وبدقة دور اللغة في التواصل مع الغرب، والذي ينبغي أن يتخذ منحى عمليا، من حيث هى الأداة الأساسية للحوار بين الأنا والآخر،ومن حيث هي الأداة المهمة والمركزية لتشكيل الثقافات، كما عالج الكاتب في هذا الفصل العَلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة وعلاقة ذلكبالحوار العربى- الغربى.
ففي ما يخص العلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة"توجد نظريتان تقفان على طرفي نقيض فيما يتعلق بتصورهما للعلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة، الأولى هي نظرية وورف سابير المعروفة بالنسبية اللغوية، والثانية نظرية الكونية الثقافية"[49]. ترتكز الأولى على القول بأن اللغة تحدد بدرجة كبيرة طريقة تفكيرنا،وأن التراكيب النحوية لها دورها في صياغة رؤية المرء للعالم، حيث تباينها يؤدي إلى اختلاف رؤى العالم بين الثقافات.
وترى النظرية الثانية"أن البشر جميعا توجد لديهم خصائص مشتركة، وأن التفكير جزء أصيل من لغة فطرية موجودة لدى كل البشر بغض النظر عن تنوع اللغات التي يستخدمونها أو الثقافات التي يعيشون داخلها"[50]. وما يفهم من النظرية الأولى أن اللغة هي التي تعيق الحوار بين الثقافات، في حين ترى النظرية الثانية أن اللغة لاتمثل أي مشكلة في الحوار مع الغرب،ويرى عماد عبد اللطيف أنه ينبغي تبني وجهة نظر وسطية بين النظريتين"يمكن صياغتها على النحو التالي: اختلاف اللغة والثقافة لا يحول دون إمكانية التحاور بين العرب والغرب لكنه يمثل تحديالابد من مواجهته،بهدف تقليل تأثيره إل أقصى حد ممكن"[51].
وبناء على وجهة النظر هذه التزم عماد عبد اللطيف بإبراز"أهم ملامح هذا الاختلاف والتحديات التي تنتج عنه، واقتراح سبل عملية لتقليل آثارها السلبية على الحوار بين العرب والغرب"[52].

48- (عبد اللطيف،2012 : 81-82)
49- (عبد اللطيف،2012 : 83)
50-(عبد اللطيف،2012 : 83)
51-(عبد اللطيف،2012 : 84)
52- (عبد اللطيف،2012 : 84-85)

وإذا كان جهل لغة الآخر بلا شك يحول دون إمكانية التواصل اللغوي معه، فإن الحل يكمن في تعلم لغة الآخر،ولا يمكن أن تكون الترجمة بديلا عن ذلك؛ لما قد يحدث فيها من سوء التأويل،وخير مثال على ذلك انتقاد وسائل الإعلام الإمريكية رئيس الوزراء الياباني الأسبق يوشيروموري؛"لأنه نقل عنه قوله: اليابان هي بلد الجبابرة وقد ذكّر هذا التعبير الغربيين بماضي اليابان الاستعماري المتعصب في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية..لكن العبارة في ترجمتها الحرفية هي بلد الآلهة، وليس بلد الجبابرة، وليس ثمة ما يلام عليه في عبارة اليابان بلد الآلهة"[53].كما أن في تخصيص لغة عالمية للحوار مخاطر كثيرة؛لأنه"ليس بوسع المترجم نقل جميع الخبرات، كما أن بعض الخبرات يمكن نقلها بواسطة لغة ما بطريقة أيسر من نقلها بواسطة لغة أخرى، وينتج عن ذلك شيئان:الأول أن إمكانية الترجمة بين اللغات تجعل الحوار بين الحضارات ممكنا،والثاني أن المتحاورين سوف يظلون يشعرون بالغربة حتى لو تكلموا نفس اللغة واستخدموا نفس المفاهيم"[54]وهكذا "تتصاعد الخشية من أن تؤدي اللغة المستخدمة في الحوار ما لم يحسن تدبرها وتهذيبها إلى إجهاضه وإفشاله"[55].

وحتى لا نقع نحن العرب في ما يسمى بحوار "الطرشان" وبخاصة في المواقف التي لا تستطيع الترجمة التعبير عنها، يؤكد عماد عبد اللطيف أنه"لكي يتحقق حوار ناجح مع الغرب لابدمن التعرف على الصورة التي لدى الغربيين عن اللغة العربية وذلك لتصحيح ما هو خاطئ وسلبي وتعزيز ما هو صحيح وإيجابي. وسوف نتوقف أمام صورة واسعة الانتشار للغة العربية، يتم تداولها بين الغربيين المعنيين بالحوار مع الثقافات غير الغربية"[56]، كما يشير إلى"أن بعض ملامح الصورة التي رسمها(جندت) للغة العربية صحيحة ـ مثل ارتباط العربية بالقرآن وافتنان العرب بالكلام، والخطابة وبلاغة المواجهة ـ فإن أكثر هذه الملامح* مشوهة نتيجة عدم الوعي بالتباين الكبير بين العربية القديمة والمعاصرة وعدم التمييز بين السياقات الرسمية وغير الرسمية في استخدامها والخلط بين الفصحى والعاميات"[57]، مما يستلزم مقاومة الجميع هذه الصورة المشوهة عن العربية وتفنيدها.

وذكر أيضا أن هناك مشكلات لغوية تحول دون نجاح الحوار تخص الترجمة من أسبابها:

53-(عبد اللطيف،2012 : 86-87)

54-(عبد اللطيف،2012 : 88)

55- (عبد اللطيف،2012 : 88)

56- (عبد اللطيف،2012 : 90)

* الاهتمام بالكلام على حساب الأفكار،وبالأفكار على حساب الأفعال،الميل إلى أساليب التكرار، والاستعارة، والتشبيه...استخدام العلامات الصوتية...

57- (عبد اللطيف،2012 : 91)

- نقص المفردات المكافئة.ـ التعبيرات الاصطلاحية غير المكافئة.- عدم التكافؤ في التركيبات النحوية.ـعمد التكافؤ التجريبي.-عدم التكافؤ المفاهيمي.
لهذا وذاكتساءلعماد عبد اللطيف هل اللغة العربية معوق أمام نجاح الحوار مع الغرب؟ محاولا تفنيد ما ذهب إليه بعض الباحثين الغربيين من أن سبب"انهيار التواصل بين العربوالغربيين من ذوي الثقافة الأنجليزية يرجع إلى بعض الخصائص البلاغية للغة العربية خاصة الشفهية والسمعية والعرض. لكنباسل حاتم برهن على أن هذه الخصائص تشترك فيها جميع اللغات بما فيها الأنجليزية. وأن انهيار التواصل بين الثقافتين العربية والأنجليزية قد يرجع إلى نمط النص الحجاجي في كلتا الثقافتين"[58].
ولكي ينجح هذا التواصل يرى عماد عبد اللطيف أنه لابد"أن يتأسس على معرفة ووعي عميق بالاختلافات التي توجد بين الثقافتين العربية والغربية وبين العربية وغيرها من اللغات الأوروبية"[59].
وخلاصة القولفيهذا الفصل إن الكاتب قد تناول موضوعات أساسية هامة تخص دور اللغة في الحوار العربي ـ الغربي، كما عالج طبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة، وأثرها على سيرورة الحوار الثقافي، وعمل على تفنيد الزعم القائل بأن العربية قد تكون مسؤولة على انهيار التواصل بين الثقافات الأخرى.
الفصل الثالث: البلاغة وحوار الثقافات:
تناول الكاتب في هذا الفصل موضوع التواصل مع الغرب من منظور بلاغي، حيث قام "بفحص الدراسات التي قارنت بلاغة الكتابة العربية ببلاغة الكتابة في غيرها من اللغات"[60].وخصوصا الأنجليزية بغية تحقيق هدف أساس يتجسد في"بلورة مدخل بلاغي للحوار بين العرب والغرب بواسطة اللغة المكتوبة مستفيدا من السمات البلاغية للكتابة العربية المعاصرة وتحليل المشكلات التي قد يتعرض لها الحوار مع الغرب نتيجة الاختلاف بين السمات البلاغية العربية والغربية، واقتراح حلول عملية لمواجهة هذه المشكلات"[61].
لقد ذهب روبرت كابلان في مقال له نشر1966إلى تقسيم الأنماط البلاغية في اللغات التي درسها:العربية الفرنسية، والصينية، والإسبانية، والروسية إلى خمسة خطابات مختلفة بحسب الثقافة التي يعبر عنها:"الثقافة الأولى: الأنجلو أمريكية ويتسم خطابها بأنه واضح منظم ويتتابع في خط مستقيم. الثقافة الثانية:هي الثقافة الشرقية ويتسم خطابها بأنه دائري يتناول موضوعه من منظورات مختلفة تجمع بينها الروابط المفتعلة لا المنطق الصارم الثقافة الثالثة:هي ثقافة الرومانس وتضم الثقافات: الفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها ويتسم خطابها بأنه يتأسس على

58-(عبد اللطيف،2012 : 94)
59- (عبد اللطيف،2012 : 95)
60-(عبد اللطيف،2012 : 102)
61- (عبد اللطيف،2012 : 102)

الاستطراد من موضوع مركزي، ويمكن أن يشبه بالطريق الملتوي،الثقافة الرابعة:هي الثقافة السامية وتشمل الثقافتين العربية والعبرية، وخطابها حافل بالتراكيب المتوازية التي تكرر ما قيل وتضيف المعلومات الجديدة بتقتير.الثقافة الخامسة والأخيرة هي الثقافة الروسية ويتسم خطابها بأنه يتشكل من استطرادات طويلة وتغيرات مفاجئة تفضي عليه سمة عدم التماسك"[62]، والملاحظ على هذا التقسيم أنه غير منطقي، وفيه الكثير من الأخطاء والتعالي.إلا أنه تقسيم محفز على المزيد من البحوث الأصيلة في هذا المجال،وفي الوقت نفسه تعد مؤشرا قويا لتأسيس ما أصبح يعرف بالبلاغة التقابلية التي تعنى أساسا بتعلم وتعليم اللغات، إضافة إلى اهتمامها إلى حد ما بالترجمة، والبلاغة عبر الثقافات.

وفي مبحث من مباحث هذا الفصل حاول الكاتب ضبط حدود ومجالات الإفادة من دراسات البلاغة عبر الثقافات في الحوار مع الغرب، حيث كانت العربية إحدى أهم اللغات الخاضعة للبحث في إطار البلاغة عبر الثقافات؛"لأن الوعي بفروق اللغة والثقافة ضروري لا غنى عنه لتجاوز مشكلات التواصل:لأن هذه المعرفة تتيح تعديل وتكييف استخدامنا للغة في الحوار مع أبناء اللغات والثقافات"[63].

وللبلاغة عبر الثقافات أهميتها في مشروع الحوار بين العرب والغرب،إلا أنه في حالة ما إذا كان أحد طرفي الحوار يستخدم لغة أخرى غير لغته الأم،فإن ثقافة اللغة الأم سيكون لها تأثير على اللغة الثانية المستخدمة في الحوار مما يتسبب فيحصول معوقات كثيرة للتحاور المنشود.

ولتوضيح هذه الظاهرة الخطيرة قام عماد عبد اللطيف بتتبع أوجه الاختلاف بين اللغتين العربية والأنجليزية على الخصوص بهدف البحث عن تأثير الاختلاف بينهما على الحوار بين العرب والغرب، وذلك في عدد من الخصائصهي كالآتي:[64]

-مستوى الشفاهية والكتابية.-درجة مسؤولية القارئ أو الكاتب.-شيوع التكرار اللفظي والمعنوي.- طبيعة الحجاج.

أ-مستوى الشفاهية والكتابية:

تختلف الثقافة العربية عن الثقافة الأنجلو أمريكية، من حيث الشفاهية والكتابية،إذ توصف بأنها ثقافة شبه شفاهية، بينماتوصف الثقافة الأنجلو أمريكية بأنها ثقافة شبه كتابية.حيث يعود شيوع الشفاهية في اللغة العربية إلى العوامل الآتية:

- التأثير الهائل الذي تمارسه بعض النصوص الشفاهية في الثقافة العربية(القرآن الكريم،الشعر،الخطابة). وهذه النصوص وبخاصة القرآن الكريم تحظى باهتمام

62-(عبد اللطيف،2012 : 103)

63- (عبد اللطيف،2012 : 105)

64- (عبد اللطيف،2012 : 106-120)

*عطف الجمل بدل من تداخلها،الأسلوب التجميعي في مقابل التحليلي، الإطناب ، التكرار...

كبير، بل تعد مثالا يحتذى، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تسرب العناصر الشفاهية* إلى الكتابة العربية.
- التأثير الذي تمارسه التقاليد الشفاهية للثقافة العربية كتناقل المعرفة والعلم من فم الشيخ إلى أذن المتعلم.
- ارتباط تعليم الكتابة بالمؤسسة الدينية في الثقافة العربية على خلاف الثقافة الأنجلو أمريكية التي كانت على قطيعة مع العهد القديم منذ زمن بعيد.ولاشك أن وجود الفرق بين مستوى العناصر الشفاهية في الثقافتين له تأثير على التواصل بين العرب والغرب،كما يمكن أن يكون مصدرا من مصادر سوء الفهم، وخير مثال على ذلك الظاهرة الشفاهية المتمثلة في احتفاء اللغة العربيةالشديد بالعناصر اللغوية الموسيقية خاصة السجع والجناس بخلاف اللغة الأنجليزية التي تخلت عن ذلك منذ عهود، والظاهرة الشفاهية الثانية هي اللجوء إلى عطفالجمل بدلا من تداخلها.

ب- درجة مسؤولية الكاتب أو القارئ:

إذا كانت بعض الثقافات مثل الأنجلوأمريكية تحمّل الكاتب مسؤولية فشل أو نجاح عملية التواصل،فإن ثقافات أخرى مثل العربية تميل إلى تحميل القارئ المسؤولية،وهو ما يعني أن النصوص التي تحمل القارئ مسؤولية أكبر في عملية التواصل تكون أكثر تسامحا مع الغموض وعدم دقة العبارات،مقارنة بالنصوص التي تنتج في ثقافة تحمل الكاتب المسؤولية الأكبر في تسيير عملية التواصل.

ج-شيوع التكرار اللفظي والمعنوي: إذا كانت ظاهرة التكرار لا تخلو منها لغة من اللغات، فإنهاتعد خاصية مميزة للغةالعربية،ومنه طرح عماد عبد اللطيف مجموعة من الأسئلة الوجيهة حول تأثير هذه الظاهرة على عملية التواصل، وكيفية تأويلها من لدن الغربيين، وإمكانية السيطرة على النزوع لها في سياق التواصل مع الآخرين، وكيفية تحييد تأثيرها أو إلغائه في سياق الحوار مع الغرب؛لأن هذا الاختلافقد يكون سببا من أسباب سوء الفهم أو معوقا من معوقات التواصل.وقد اجتهد الكاتب في اقتراح حلّين لهذا الإشكال هما كالآتي:
- تبني طريقة الطرف المتحاور في استخدام التكرار- إبراز الاختلاف وإعلانه.

د- طبيعة الحجاج: لاشك أن"الحجاج هو ممارسة اجتماعية اتصالية لذلك تختلف طرق الحجاج وتقنياته وأدواته من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى"[65]، وإذا كان الأمر كذلك، فقد تعهد الكاتب بتقديم بعض التوصيات لعلاج المشكلات الناجمة عن هذا الاختلاف، ومحاولة تلافي آثارها على عملية التواصل، وبخاصة إذا كنا ندرك أن الحجاج في الثقافة العربية يختلف كليا عن الحجاج في الثقافة الغربية فالأول مساير والثاني مضاد؛ لذا ينبغي أن يعي كل المنخرطين في الحوار بين الثقافتين العربية والغربية "فبدون هذا الوعي سوف تزيد فرص سوء

65-(عبد اللطيف،2012 : 116)

الفهم الناتجة عن التقييم السلبي لطريقة الثقافة الأخرى في الحجاج.فالعربي قد يفسر استخدام الغربي لتقنية الحجاج المضاد أثناء الحوار بأنه تجرأ أو افتقاد للكياسة أو تعمد للمهانة، في حين قد يفسر الغربي استخدام العربي للحجاج المسايرة بأنه إخفاء للنوايا الحقيقية أو افتقاد لمهارة النقد أو مجرد إغفال لآراء السابقين وهي تفسيرات غير دقيقة من ناحية وذات تأثير سلبي على نتائج الحوار من ناحية أخرى"[66]. إضافة إلى الاختلاف في طبيعة الحجج وترتيبها.
ويمكن القول في خاتمة هذا الفصل إن الكاتب قد وفق إلى حد بعيد في معالجة حدود ومجالات الإفادة من حقل البلاغة المعاصرة في تعزيز الحوار مع الغرب،كما درس وبكل تفصيل الخصائص البلاغية للكتابة العربية مقارنا إياها بالكتابة بلغات غربية أخرى، مع الوقوف على مدى تأثير اختلاف تلك الخصائص على الحوار بينهما، وتقديم بعض التوصيات المفيدة.

الفصل الرابع: التواصل عبر الثقافات

لقد حدد الكاتب خطوات الاتصال الناجح بين الثقافتين العربية والغربية مستلهما إياهامما ذهبت إليه ماري مونتر وهي سبع خطوات:- تحديد أهداف الحوار- اختيار أسلوب الحوار- تقييم المصداقية وتعزيزها- اختيار الطرف الذي تحاوره وتحفيزه على الحوار- وضع إستراتيجية للرسالة -التغلب على مصاعب اللغة- استخدام سلوكيات غير لفظية فعالة. فهذه الخطوات السبع تغطي ما يتعلق بإجراءات الحوار وعملياته والمشاركين وأهدافه، وتقييم الحوار بعد الانتهاء منه.وفي المبحث الثاني من هذا الفصل تناول الكاتب الأبعاد الثقافية للاتصال غير اللفظي بين العرب والغربيين وهي كالآتي:**-المباشرية**: وفق هذا البعد تنقسم الثقافات إلى مجموعتين:"ثقافات عالية التواصل يتسم أفرادها بأنهم يتحدثون وهم قريبون من بعضهم البعض، ويتلامسون بدرجة أكبر، ويفضلون مثيرات حسية بدرجة أكبرمن الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات منخفضة التواصل، وغالبا ما تتأثر ممارسات التواصل اليومية بهذا البعد على نحو كبير"[67]. وهكذا فاختلاف الثقافات وفق هذا البعد يؤدي إلى حالات خطيرة من سوء الفهم.
-الفردية والجماعية: تنقسم الثقافات وفق هذا البعد إلى مجموعتين: "ثقافات جماعية تؤكد على المجتمعية والتكافل والمصالح المشتركة...وثقافات فردية تؤكد على الحقوق الفردية والمسؤولية والخصوصية"[68]. ولاشك أن هذا البعد يؤثر على"التواصل غير اللفظي بين أبناء الثقافات المختلفة فعلى سبيل المثال أظهرت بعض الدراسات أن الافراد في المجتمعات الفردية أكثر ابتساما وتعبيرا عن مشاعرهم أثناء الحوار من الأفراد في المجتمعات الجماعية"[69].

66 -(عبد اللطيف،2012 : 118)
67- (عبد اللطيف،2012 : 127-129)
68- (عبد اللطيف،2012 : 129-131)
69- (عبد اللطيف،2012 : 130)

- **النوع**: تنقسم المجتمعات وفق هذا البعد إلى مجموعتين: مجتمعات يغلب عليها الطابع الذكوري، وأخرى يغلب عليها الطابع الأنثوي، حيث تتسم الأولى بقيم ذكورية نحو الصلابة، الجزم،والطموح، وتتسم الثانية بقيم أنثوية مثل العاطفية، والمودة،.ولهذا تأثيره الكبير على التواصل مما ينبغي وضعه في الحسبان.
- **تفاوت السلطة**: تنقسم المجتمعات وفق هذا البعد،إلى مجتمعات لاتتوزع فيها السلطة والثروة والمكانة توزيعا عادلا،حيث أفراد هذه المجتمات ينظرون إلى السلطة على أنها أمر مبرم في المجتمع، بينما نرى المجتمع التي توزع فيها السلطة توزيعا عادلا ينظر أفراده إلى أن السلطة يجب أن تكون مشروعة وأن تستخدم بشكل مشروع.

ويبدو أن تفاوت السلطة يؤثر بشكل مباشر على التواصل وبخاصة في المجتمعات التي تتفاوت فيها السلطة.ولا شك أن عدم الوعي بهذا التفاوت قد تتولد عنه عدة معوقات في وجه الحوار بين العرب والغرب.
- **تجنب اللايقين:** ويتمثل هذا البعد في القيمة التي تعطيها ثقافة ما للمخاطرة والغموض"وهذا البعد بدوره يؤثر على التواصل بيت الثقافات فالأفراد الذين ينتمون لثقافات تقبل المخاطرة والغموض يميلون إلى إظهار مشاعرهم الحقيقية، كما أنهم أقل توترا وقلقا بدرجة أكبر من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات لاتقبل المخاطرة والغموض الذين يحرصون على إخفاء مشاعرهم الحقيقية خاصة إذا كان إظهارها سيعرضهم إلى بعض المشكلات"[70].
- **الاعتماد العالي أو المنخفض على السياق:** تنقسم المجتمعات وفق هذا البعد إلى ثقافات يعتمد التواصل فيها على السياق المادي والسياق الاجتماعي، وثقافات أخرى يعتمد فيهما على الرسالة.والملاحظ أن الوطن العربي يعتمد بدرجة كبيرة على السياق خلاف المجتمعات الغربية التي لا تعتمد كثيرا على السياق، بقدر ما تعتمد على وضوح الرسالة، وما دام الأمر كذلك، فإن المنخرط في الحوار بين العرب والغرب معنيّ بالإرشادات الآتية:
- تذكّر أن المعلومات السياقية ذات أهمية محدودة.-توقّع الاعتماد على اتصال لفظي مباشر وواضح.
- تقبّل واقع أن المهمة التواصلية(الحوار) منفصلة عن العلاقات الشخصية.
- توقع وجود مبادرات فردية واتخاذ قرارات- دعّم موقفك بحقائق وأدلة إحصائية.
- استخدم حجاجا خطيا- توقّع أن تكون الاتفاقيات صارمة.

ويشير عماد عبد اللطيف ـ وحسن ما فعل ـ في نهاية الحديث عن هذا البعد على أن" نجاحنا في إقامة حوار ناجح مع الآخر يتوقّف على نجاحنا في تأسيس معرفة عميقة وشاملة بكيفية تحاورنا مع أنفسنا"[71].

70-(عبد اللطيف،2012 : 133)

71-(عبد اللطيف،2012 : 136)

- **سلوكيات التواصل غير اللفظي كعائق أمام نجاح الحوار مع الغرب:**
وفي هذا المبحث يؤكد الكاتب على الاختلاف الكبير بين الثقافات المختلفة في ما يخص استخدام سلوكيات التواصل غير اللفظية، وفي دلالات هذه السلوكيات وتأويلاتها؛ ممايؤدي إلى وقوع أشكال من سوء التفاهم وربما يؤدي إلى انهيار التواصل في حد ذاته، ثم قام بعرض المشكلات الناجمة عن عدم المعرفة بطريقة كل ثقافة في استخدام هذه السلوكات أو في دلالاتها أو تأويلها وهي كالآتي[72]:
- **سلوكيات تخص الحيز الشخصي:**إذا كان العربي في مواقف الحوار يميل إلى التقارب الجسدي، فإن الغربي بشكل عام يميل إلى الاحتفاظ بمسافة مكانية بينه وبين من يتحاور معه.والمشكلة هي إمكانية أن يساء فهم سلوك الطرف الآخرفي حال غياب الوعي بهذا السلوك.
- **السلوكيات الجسدية:**وتشمل حركة الجسد وتعبيرات الوجه، والتواصل البصري، وعلى أهمية هذه السلوكيات الجسدية في عملية التواصل إلا أنها في الوقت ذاته تشكل مصدرا من مصادر سوء التفاهم، وعاملا من عوامل انهيار الحوار، وكيف لا؟ والتباين بين دلالات سلوكيات الأنا والآخر كبير جدا، فحركة اليد والرأس، والابتسامة خير مثال على ذلك؛ مما يستوجب أن يكون المتحاور على دراية بذلك.
- **السلوكيات التي تخص استخدام الوقت:**تقتضي هذه السلوكيات معرفة الأوقات المناسبة للتحاور سواء في اليوم او على مدار السنة، كما تتضمن قضية تقدير الوقت واحترام المواعيد.
- **العلامات الصوتية غير اللغوية:**العلامات الصوتية غير اللغوية مثل النبر والتنغيم وحدة الصوت ودرجة ارتفاعه أو خفوته، حيث يلاحظ أن المقبول في ثقافة ماقد يكون مستهجنا في ثقافة أخرى.
- **الصمت:**تختلف دلالات الصمت من ثقافة إلى أخرى، ففي حين يرى الأمريكيون أن الصمت يعني عدم الاهتمام، يرى الصينيون أنه يعني الموافقة على ما قيل.
- **سلوكيات الملامسة:**الملامسةمن السلوكيات المهمة بالنظر إلى التباين الشديد بين الثقافات في تفسيرها، والنتائج الوخيمة التي قد تترتب على استخدامها، فعلى سبيل المثال يندر في العالم العربي أن يقبّل رجل زوجة صديقه، في حين يعد هذا أمرا عاديا عند الغربيين.
- **الملابس والمظهر الفيزيقي:**يلاحظ أن بعض الملابس والألوان تعد غير ملائمة في سياق ما،في حين تعد ملائمة في سياق آخر.إضافة إلى هذه السلوكيات على المحاور مع الغرب أن يعي عاداته وتقاليده الشخصية في أخذ الدور في الكلام.
ونخلص في خاتمة هذا الفصل إلى أن الكاتب قد عالج وبشكل مفصل خطوات التواصل اللفظي بين العرب والغرب، كما تناول الأبعاد الثقافية لهذا النوع من

72-(عبد اللطيف،2012 : 136-144)

الاتصال، وكيف يؤثر اختلاف العرب والغرب في هذه الأبعاد على الحوار بينهما.

الخاتمة:

لقد توصل الكاتب عماد عبد اللطيف إلى جملة من النتائج كما عمل على تقديم بعض التوصيات المرتبطة بهذه النتائج نحاول رصد ذلك كله في النقاط الآتية:

- مشروع الحوار مع الغرب هو مشروع معرفي بقدر ما هو سياسي واجتماعي،على أن تكون معرفة تفصيلية شاملة وعميقة بالسمات الاجتماعية والثقافية والسياسية والعقائدية والاقتصادية والديموجرافية للآخر المتحاور معه، معرفة لا تقل أهمية عن معرفة الذات.
- العمل على تطوير قدرات المحاور العربي على استخدام اللغة والبلاغة وتقنيات التواصل لتحقيق أفضل النتائج من الحوار.
- قام الكاتب وهو مشكور برصد بعض عوائق التواصل بين العرب والغرب نتيجة تباينهما لغة وثقافة.وهي في حقيقتهاذات جذر معرفي، لايمكن تجاوزها إلا بالعلم والمعرفة.
- دعوة المراكز البحثية العربية المعنية بحوار الحضارات إلى تشكيل مجموعات بحثية تعنى بدراسة الأبعاد اللغوية والبلاغية للحوار بين العرب وغيرهم من الثقافات.
- تحديد مقومات المحاور الناجح المعرفية، والأخلاقية، إضافة إلى مقومات تخص المهارات التواصلية.
- لابد أن يقوم الحوار على معرفة العرب للغرب والعكس صحيح.
- يجب أن يتقوى الحوار بتوثيق الصلات مع ملايين العرب الذين يعيشون في الغرب.
- إن الحوار المؤسس معرفيا يمكن أن يكون مرآة مصقولة نرى من خلالها أنفسنا، ونتيح للآخرين رؤيتنا.وبه الرؤية يكون حوارنا مع الغرب جسرا لبناء عالم جديد يسوده التفهم والعدل.
-إذا كان جهل لغة الآخر بلا شك يحول دون إمكانية التواصل اللغوي معه، فإن الحل يكمن في تعلم لغة الآخر، ولا يمكن أن تكون الترجمة بديلا عن ذلك؛ لما قد يحدث فيها من سوء التأويل.
- نجاحنا في إقامة حوار ناجح مع الآخر يتوقّف على نجاحنا في تأسيس معرفة عميقة وشاملة بكيفية تحاورنا مع أنفسنا.
- دور اللغة في التواصل مع الغرب، ينبغي أن يتخذ منحى عمليا، من حيث هى الأداة الأساسية للحوار بين الأنا والآخر.

قائمة المصادر والمراجع:

1-الآمدي، د.ت، "الموازنة" تح السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف، مصر
2- الببلاوي حازم ،1999، "نحن والغرب"، ط1، دار الشروق القاهرة.
3- الجارم علي ومصطفى أمين،2010، "البلاغة الواضحة"، ط1، مكتبة البشرى، باكستان .
4- الخولي أمين،1961، "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب" دار المعرفة، القاهرة.
5- ابن ذريل عدنان، 2006،"اللغة والأسلوب"، ط2، دمشق.
6- روحي سمر،2004، "مهارات الاتصال في اللغة العربية" ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية.
7- الزمخشري ،1998 "أساس البلاغة"، تح محمد باسل سود العيون، ط1، دار الكتب العلمية، القاهرة.
8- السكاكي، 1983، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت
9- شادي محمد،2011،"البلاغة الوظيفية"، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر.
10- الشايب أحمد،1991،"الأسلوب"، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
11- عبد اللطيف عماد ،2012، "البلاغة والتواصل عبر الثقافات"، ط1،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة
12- العسكري أبو هلال،1952، "كتاب الصناعتين"، تح محمد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
13- ابن فارس،1979،"مقاييس اللغة"، تح.ع السلام هارون، دار الفكر، دمشق.
14- الفيزور آبادي، 2005، "القاموس المحيط" تح العرقسوسي، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان.
15- القزويني،2002، "الإيضاح في علوم البلاغة"، تح إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
16- مجمع اللغة العربية،2004،"المعجم الوسيط"،ط4 ، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة.
17- محمد السويدي، 1991،"مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته"، ط1،المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر.
18- محمد عارف نصر، 1994م،"الحضارة، الثقافة، المدنية"، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي عمان.
19- ابن منظور،2003م، "لسان العرب"، تح عامر أحمد حيدر،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
20- ابن نبي مالك، 1984، "مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق.

أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة
دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب"البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
للدكتور عماد عبد اللطيف

الدكتورة عبير خالد يحيي
جامعة دمشق سوريا

مقدّمة

في بداية مداخلتي أود التعريف بالمنهج الذرائعي الذي سأقدم في ضوئه دراستي حول مشروع الدكتور الباحث عماد عبداللطيف:

ماهي الأسس النظرية للمنهج الذرائعي؟ المنهج الذرائعي الذي تساءل حوله الكثيرمن المفكرين النقاد والباحثين العرب، منهم من اتجه به نحو فكر النفعية البراغماتية الذي نشأ في العام 1878والذي أسس للاستعمار والاستغلال السياسيين، والوضع المتأزم الذي ما نزال نعيشه إلى الآن، هذا التيار تسيّده (جون ديوي) و(ويليم جيمس) وآخرين، وذرائعيتنا بعيدة كل البعد عنه، ومنهم من اتجه به نحو البراغماتية اللغوية اللسانية، التي أرسى دعائمها الفيلسوف الأمريكي **"ريتشارد رورتي"**، وذلك في الربع الأخير من القرن العشرين...

وما أود قوله هو توضيح للذريعة العربية النقدية وليس اللسانية التي لا تنتمي لتيار غير التيار العربي، ولو ترجمت إلى الإنكليزية كمفردة تقع ترجمتها في كلمتين تشير إلى عمومية وجودها في جميع اللغات كمفردة وليس كمصطلح نقدي، وهما (**pretextpragmatic**) وهي موجودة في البلاغة كمجاز المعنى في كل لغة، ولها مفردة معينة تقابل تلك الكلمتين، أما لو أخذناها كمصطلح فتقع في حقلين:

- **الحقل الأول**: الذرائعية اللسانية

وهي ما تدرس المعنى في كينونة السياق، وهذا لنا فيه جزء تحليلي مهم وهو المعنى.

- **الحقل الثاني**: الذرائعية النقدية

وهي حقلنا العربي الذي نعمل فيه مع كل الذرائعيين الآخرين، وهو حقل علمي يستند إلى نظرة الناقد في تحليله النقدي، بنظرة علمية تثبت بذرائع وحقائق علمية تسند الخيال، وتحوّله من حالة اللاواقع إلى حالة الواقع المسنود بذرائع وأسباب واقعية ومنطقية مقرونة بحقائق علمية، وليس إنشاء فوضويًّا كفيفًا يسوقه مزاج وثقافة الناقد...

لذلك تعرف الذرائعية العربية لدينا على أنها المنهج الذي يقوم بتحليل النصوص ومخبوءاتها، بإعطاء ذريعة علمية لكل جانب أو زاوية تقال في النص الخاضع

للتحليل، وتتأتى تلك الذرائع من الانطلاق من جنس النص وتكويناته الفنية والجمالية المسنودة بالأخلاق أي بالرسالة الإنسانية والمجتمعية، أما علاقتها بالذرائعية اللسانية، فتأتي من منطلق المنفعة الإيجابية وليس من النفعية السلبية، وهناك فرق شاسع بين المنفعة والنفعية.

وتأخذ المنفعة أشكالًا في التحليل النقدي الذرائعي:

1- المنفعة الأخلاقية التي تسند المجتمع، والتي يطلقها الكاتب في نصّه.
2- المنفعة الجمالية التي تسند المجتمع والتي أيضًا يطلقها الكاتب في نصّه.
3- المنفعة السيكولوجية التي أيضًا تسند المجتمع ويطلقها الكاتب في نصّه.
4- المنافعالأخرى، العقائدية، السياسية، الاقتصادية،... التي تسند المجتمع والتي يطلقها الكاتب في نصّه، والحديث يطول في هذا الموضوع.

غير أن السؤال الكبير هو كيف يكون النقد علمًا...؟ وجوابه، يكون النقد علمًا بحتًا يسند الأدب حينما يتكئ على منهج علمي نقدي، والأدب له علاقة تبادلية مع جميع العلوم التي فوق الأرض، فهي جميعها تكتب بمكوناته اللغوية، وهي – أي العلوم- تنضوي تحت جناح النقد لتساعده في دراسة الأدب. وهذا التبادل بين العلوم والأدب جعل النقد أهم علم يعتني بعرابة الأدب، لذلك يعتمد النقد على المنهج النقدي، وهو الذي يتضمن العلاقة بين العلوم في دراسة النص الأدبي، أي أن المنهج مجموعة من العلوم المتكاملة التي يتناول كل علم منها زاوية لغوية معينة ويقوم بتثبيت حقائقها بمنطقية بحتية لا تقبل التأويل، أذكر جزءًا بسيطًا منها:

- علم النفس، يثبت الحقائق السيكولوجية في السلوك الأدبي.
- علم البيان والبديع، يثبت الحقائق الجمالية والبلاغية في النص.
- علم الجمال يثبت الحقائق الإيجابية في النص والتي تقترن بالطبيعة وجماليات الخلق والكون.
- علم الفونولوجي، وهو العلم الذي يثبت عملية التفويه الفمي للأصوات، وتوزيعها في الفم وعلى اللسان.
- علم المورفولوجي، وهو العلم الذي يثبت الكلمة المتكونة من مجموعة من الفونيمات الناتجة عن التفويه الفمي.
- علم الكلمة، وهو العلم المرتبط بعلم المورفولوجي بعد اكتمال المورفيم من التكوين وانتقاله نحو المعنى أي يصبح كلمة ذات معنى.
- علم المعنى، وهو الذي يهتم بإعطاء المعنى في حيز الإدراك العقلي.
- علم النظم، وهو الذي يهتم بالتعبير السحري الذي يفهمه الدماغ في إعطاء المفهوم المنتظر في عملية التواصل.
- علم الإشارة، وهو العلم الذي تؤخذ فيه الدلالات على شكل إشارات أو مصطلحات تعطي عمومية في التحليل.

- علم الدلالة، وهو العلم الذي يثبت الإشارة باتجاه الصورة العقلية التي تتكون في قناة التواصل بين المتكلم والمخاطب.
- علم التشريح، وهو العلم الذي يهتم بحركة الصوت وانتقاله من الرئتين كنفخة هوائية ثم يصل إلى الدماغ ليكون عبارة عن شيفرات ونبضات كهربائية يفسرها المخ.
- علم البيولوجيا، وهو العلم الذي يهتم بمناطق الاستيراد اللغوي والتصدير اللغوي في مناطق اللغة (منطقة بروكا ومنطقة فيرنيك) لانتاج اللغة الصادرة والواردة.
- علم السوسيولوجيا، وهو العلم الذي يهتم بالتأثير الاجتماعي في اللغة.
- علم الفيسيولوجي وهو العلم الذي يهتم بالوظائف العصبية التي تنقل الشيفرات والنبضات الكهرومغناطيسية من مصادر انتاج الأصوات إلى مركز اللغة في المخ.
- علم الكرافولوجي، وهو العلم الذي يهتم بالصورة المرئية للغة
- علم السياق، وهو العلم الذي يثبت المعنى طبقًا للسياقات اللغوية التي يتخللها الإرجاء والأثر في المعنى والاختلاف.
- علم الإدراك، وهو العلم الذي يفصل بين المعنى المنطقي السيمانتيكي والمعنى الخيالي أو الرمزي الذرائعي في الفسحة الإيحائية.
- علم التأويل، وهو العلم الذي يحدد التدرج الحركي والديناميكي للمعنى في مراوغة مستمرة بين الدلالة ومدلولاتها.
- علم الأنثروبولوجي، أو علم الأنسنة وهو العلم الذي يدرس الإنسان وعلاقته باللغة والعلوم الحيوية الأخرى.

وهناك علوم أخرى أكثر بكثير مما ذكرت يحتويها المنهج الذرائعي الذي سأنتهجه في دراستي العلمية هذه.

1 البؤرة الثابتةStatic Core:

يحاول الدكتور عماد عبد اللطيف في هذا العمل أن يطرح مجموعة من القضايا التي تتمحور حول الواقع العربي وعلاقته مع الواقع العالمي، في زمننا المعاصر الذي يموج بالصراعات على مختلف المستويات، ويطرح قضية التواصل بين الشعوب والثقافات كقضية محورية ثابتة، وضرورة حتمية يمكن أن تكون الحل السلمي الوحيد الذي قد يخفف من شدة الصراعات بين العالم العربي والعالم الغربي،أوأن يقلل من حدوثها ما أمكن، وقد تطرّق بالحديث عن كل الوسائل التواصلية المتاحة، واضعًا الحوار في مقدمة تلك الوسائل المطروحة من قبل الكثير من الدعوات الثقافية إلى التعايش السلمي بين الشعوب،والتي تعتبر الحوار الإنساني أيسر الوسائل وأنجعها وأكثرها مباشرة للوصول إلى الهدف السلمي.

لكن هذا التواصل بكل وسائله ليس سهلًا أبدًا، بل هناك جملة من المعوقات التي تعترض طريقه، وأهمها الجهل المعرفي بالأدبيات السياسية والثقافية والبلاغية والدلالية والتواصلية المعاصرة، ما يجعل الحديث دائمًا مقصورًا على الجانب النظري أو التنظيري فيها بعيدًا عن الجانب العملي التطبيقي والعلمي التجريبي، حيث تعتبر عملية التواصل من أخطر الفعاليات البشرية، والتي إن أُسيء تطبيقها انقلبت إلى صراعات أكبر،وقد تنتج حروبًا. فنجد الدكتور عماد مخلصًا في أدائه البحثي من حيث بحثه عن جميع الإمكانيات التي تفيد الإنسان العربي من النواحي العلمية والتي تمكنه من مجاراة العالم الغربي في السباق المعرفي والثقافي القائم في كوكبنا الأرضي، فقد امتاز هذا الرجل بالبحث عن أدق علامات التواصل التي لا تقع علىبال الإنسان العادي، وسايرها بمسيرة علمية ثقافية تجلب الانتباه، كالتصفيق مثلًا، مما حدا بنا كعرب والتفكير في أدق التفاصيل الحياتية التي تربط العربي بالعالم الكبير، وكأنه يرفع سؤالًا ثقافيًّا علميًّا كبيرًا، لم نحن متخلفون عن العالم الغربي مع أننا أساس ثقافاتهم؟؟

وسنعرض فيما يلي وعبرمناقشة ديناميكية الطروحات في هذا العمل لأهم تلك المعوقات التي استعرضها الدكتور عماد عبد اللطيف، والدراسات السابقة التي قُدّمت بصددها، وجدوى المقترحات التي اقترحها المؤلف.

- ب المستوى الديناميكي Dynamic Level:

ويبحث هذا المستوى بجميع الأمور التي تتعلق بالذرائعية، ويكون خارجًا عن دراسة النص الأدبي، وهذا لا يعني أن الذرائعية لا تهتم بدراسة العناصر المعرفية الأخرى غير الأدب، فها نحن نهتم ذرائعيًّا بدراسة علمية في أحد العلوم المحيطة بالأدب، والبلاغة تقودنا بشكل مباشر نحو الأدب، فالعالم المعرفي العام محكوم باتجاهين معرفيين لا ثالث لهما وهما :

1- **العلم**: وهو المعرفة الإنسانية التي تعتمد على جميع الحقائق والمحركات التي تحرّك الكون والحياة والديمومة، وأي توقف أو عطل في زاوية من زوايا هذا الجانب يتداعى لها جميع الجوانب الأخرى، كما شاهدنا في ثقب الأوزون، فالتقدم في الجانب العلمي هو المحرك العام في الحضارة الإنسانية، فلا حضارة بدون علم، ورقي الشعوب وحضارته تقاس بالعيار العلمي، والحديث طويل ومتشعب.

المساهمة المعرفية التي خاضها الدكتور عماد عبد اللطيف في مؤلفه هذا وضعنا أمام جدلية كبرى، تربط بين العلم والأدب، وكل جانبين لا يرتبطان إلا بجسر، فوضع البلاغة كجسر لربط الضفتين المعرفيتين، ليجمع بين العلم والأدب بجسر البلاغة،فالبلاغة تحمل الجمال، والحياة بلا جمال لا قيمة لها، تصبح حياة بيضاء كصحراء ثلجية يتزحلق عليها

المرء، ويعجب بجمال بياضها، لكنه لا يجد ألوانًا أخرى، لأن تلك الألوان قد غطاها الثلج ببرودته وبياضه، حتى يأتي الربيع فنرى الجمال يبزغ من تحت البياض، وهكذا البلاغة في العلم كصحراء ثلجية، لكنها لا تعطي الألوان إلا بربيع الأدب، وهذه هي الأهمية التي يعيشها الإنسان بين العلم والإنسانية،كما يقول المؤلف:" **ما الذي يمكن أن تكونه البلاغة؟ ربما هذا السؤال المحوري الكامن وراء الدرس البلاغي عبر تاريخه، فالبلاغة العجوز التي عمرت ما يقرب من أربعة آلاف عام استطاعت تغيير جلدها ولغتها وصورتها وممارستها عشرات المرات. وقد شهدت العقود الأخيرة تناميًا مذهلًا للدراسات البلاغية من حيث الكم والنوع والتخصص".** ويرى المؤلف أن:"**الدراسات البلاغية ارتادت آفاقًا لم يكن يحلم دارسوها يومًا أن يلجوها، مثل بلاغة صفحات الانترنت، والبلاغة الجنائية وبلاغة العوالم الخوائلية ..** إلخ".

- **ج على سبيل الإغناء:**

و يقول ابن خلدون في تعريفه لهذا العلم (البلاغة): "وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني"[1] ثم ينتقل بعدئذ إلى الحديث عن ركن مهم في النظرية البلاغية، وهو ما يعرف بمراعاة الكلام لمقتضى الأحوال، فيقول: "ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه. وإذا لم يشتمل عليها شيء منها فليس من جنس كلام العرب ؛ فإن كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة"[2].

وتلك الأنواع وما يضاف لها من علوم لغوية أخرى كالفونولوجي، والمورفولوجي، وعلم السياق، وعلم النظم، والبرغماتيك، والسيمانتيك (علم المعنى)، تلك العلوم تهتم -مع علم الجمال- بالجمال اللغوي الذي يسمى بالعمق الأدبي، وهنا يفتح د.عماد عبد اللطيف البوابة على مصراعيها لعنصر الأدب، العنصر الثاني بالديمومة.

2- **الأدب**: ويشكل الأدب الضفة الأخرى في المنظومة المعرفية في الكوكب الأرضي، فهو يتعلق بالإحساس الإنساني وخياله وكفاحه اليومي، فلا يستطيع العلم أن يدير الإحساس والجمال والكفاح اليومي، فيترك هذا الجانب الإنساني في ضفة الأدب، ويسهم العلم فيه مساهمة ثانوية تحيط به من كل الجوانب، وتغطي جميع الثغرات التي يمكن أن تتشكل أو

---

[1]ابن خلدون, المقدمة: 458, دار العودة بيروت

[2]المصدر نفسه: 458

تحدث فيه، عن طريق علم البلاغة، وعلم اللغة، وعلمالنقد، بشكل نظريات ومناهج علمية، على سبيل المثال: علم الجمال الكوني الكوزمولوجي، فهو علم الكون الذي يتقاسم فيه العلم مع الأدب بمشترك واحد هو الجمال، والبلاغة علم يحوي البيان والبديع، يتقاسم فيه العلم والأدب بالجمال اللغوي، وعلم النظم وهو العلم الذي يهتم باللغة كأنظمة، يتقاسم فيه العلم مع الأدب في النظام اللغوي، وهكذا.... مع بقية العلوم الأخرى، إذ نجد أن هنالك علاقة تبادلية بين العلم والأدب، حيث يشكل الأدب الكينونة اللغوية لجميع العلوم، حين تكتب به هذه العلوم، وتقوم العلوم ضمن تلك العلاقة التبادلية بالإحاطة بالأدب لسد ثغراته، ونستنتج من ذلك الحقائق التالية:

- لا يمكن للأدب أن يكون علم؛ لأن كينونته الداخلية هي الخيال واللا واقع والرمز.
- لا يمكن أن يكون العلم أدبًا؛ لأن كينونته الداخلية حتمًا هي حقائق واقعية بحتية لا تقبل التأويل. فلا يفرض أحدهما نفسه على الآخر، بل هناك احترام مشترك بين العملاقين اللذين يحكمان الديمومة، وعلاقتهما علاقة تبادلية.

و كما يقول الدكتور **عماد عبد اللطيف:"وأما أهم الإنجازات التي تُحسب للبلاغة فهي أنها استطاعت أن تقيم تحالفات معرفية مع حقول جديدة مثل علم المعرفة والاتصال (التواصل) والإناسة وتحليل الخطاب.**

نرى أن أهم تجليات التجديد البلاغي في العشر سنوات الأخيرة فهو اهتمام علماء البلاغة ب (التواصل عبر الثقافات واللغات المختلفة) ما أدى إلى ظهور حقول معرفية جديدة، منها:

- البلاغة التقابلية Contrastive Rhetoric
- البلاغة بين الثقافات Intercultural Rhetoric
- البلاغة عبر الثقافات Cross-cultural Rhetoric

وهي حقول تهتم بدراسة الأبعاد البلاغية للتواصل (الكتابي) بين الثقافات واللغات المختلفة.

- البلاغة المقارنة Comparative Rhetoric

وهي تهتم بمقارنة المعايير والمبادئ البلاغية في الثقافات المختلفة.

ثم يستعرض المؤلف التحديات التي تواجه الدراسات البلاغية العربية المعاصرة، والتي حصرها في أربعة أمور هي:

- انشغالها بالتراث البلاغي العربي، وإهمالها للمنجزات النظرية والتطبيقية المعاصرة

- انشغالها بالخطابات العليا مثل الشعر والنثر الأدبي، وإهمالها خطابات الحياة اليومية.
- انفصالها عن مشكلات المجتمع وتحولها إلى ممارسة أكاديمية شبه منعزلة عن سياقات إنتاجها الاجتماعية والسياسية
- تجاهل الطبيعة غير النوعية لعلم البلاغة، والإخفاق في الانفتاح على معارف وثيقة الصلة مثل علوم الاتصال والسياسة والاجتماع وعلم النفس. ويقصد هنا أن الجسر الرابط بين الثقافات هو الجسر المعرفي، سواء كان علمًا أم أدبًا،بحيث يشير المؤلف إلى التنوع المعرفي الذي مرّ به العرب، وهي النقلة من العلم نحو الأدب، فقد اشتهر العرب قديمًا بالتفوق على الغرب بالجانب العلمي، كالطب (ابن سينا)،والفلسفة (الفارابي)، والفلك (جابربن حيان)... وغيرها من العلوم التي كانت -ولا تزال- قواعد للتقدم العلمي في أوروبا، لكن العرب في العصر الحاضر أحجموا عن التقدم العلمي، وانهالوا أدبًا على الساحة المعرفية، مقارنة بالوضع الغربي المعكوس، فكانت نقلة الغرب من التخلف نحو العلم على سلالم العرب، التي هجرها العرب أنفسهم، وهاجروا نحو الأدب،وفي هذا السياق يريد المؤلف أن يؤكد أننا- العرب- لسنا متخلفين، وإنما لكل مرحلة خصوصياتها، وهو دفاع مشروع عن أبناء جلدته بغض النظر عن الوضع المزري الذي يخوضه العرب مع التخلف والموت.

في ضوء كل هذه المقدمات ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى تحديد:

3- أهداف الكتاب موضوع الدراسة:

يرى الدكتور عماد عبد اللطيف أنه كان هناك هدفًا عامًّا وهو: توظيف الذخيرة المعرفية لإنجاح التواصل بين الثقافات فيما يخص الأبعاد اللغوية والبلاغية للحوار بين العرب والغرب.

لهذا نجد المؤلف يحدد هدفين رئيسيين:

الأول: عملي : وهو تشخيص المشكلات اللغوية والبلاغية التي تعيق التواصل العربي – الغربي، أو تفشله، مع اقتراح بعض الحلول العملية، عبر محاولة رسم خريطة للمعارف الضرورية التي يحتاجها مخططوا التواصل مع الغرب.

الثاني: نظري: هو محاولة وضع تأسيس نظري لأوجه الشبه والاختلاف بين اللغة والثقافة العربية وبين اللغات والثقافات الغربية، هذا التأسيس يجمع بين عناصر بلاغية وتداولية واتصالية.

الهدف العام هدف معرفي نبيل، بذريعة الاعتماد على العنصر المعرفي لبلوغ غاية نبيلة " التواصل" لم يقدم لنا المؤلف تعريفًا محددًا عن التواصل، وكثيرًا ما ذكر (الاتصال) بدلًا من التواصل، لذلك أحتاج إلى إغناء في هذا الجانب:

إغناء وإضاءة:

أ- **التواصل**: يعرّف التوصل لغة بأنه الاجتماع والاتفاق، وهو ضد الانقطاع، وقد يأتي بمعنى التتابع[3]. أما في الاصطلاح فهو عملية إرسال المعلومات واستقبالها، وهو يعبّر عن عملية تبادل الآراء، والأفكار، والمشاعر، والمعلومات عبر الوسائط المتعددة، سواء كان ذلك التبادل بين الجماعات، أو بين الأفراد[4].

ب- مفهوم الاتصال:

الاتصال في اللغة هو عكس الانقطاع، ويثعرّف بأنه الاجتماع والالتقاء[5]، نقل المعلومات أو الرسائل من شخص إلى آخر، بهدف التأثير على سلوكه، ويتم ذلك عن طريق استخدام اللغة، أو المعاني، أو الإشارات، أو المفاهيم[6]

الفرق بين التواصل والاتصال:

نسير هنا إلى أن العلماء اختلفوا حول مفهومي الاتصال والتواصل، وانقسموا في آرائهم إلى قسمين رئيسيين هما:[7]

- يقتصر مفهوم الاتصال على وجود طرف واحد فعال في عملية الاتصال، مثل مشاهدة التلفاز والبرامج المختلفة وهي عملية ليست تشاركية.
  أما التواصل فهو عملية اتصال مشتركة ذهابًا وإيابًا، كالتواصل بين المعلم والطالب في الغرفة الصفية.
- اعتبر بعض الباحثين أن مفهومي الاتصال والتواصل مرادفان لبعضهما، فعرّفوا عملية الاتصال والتواصل بأنها عملية اجتماعية متبادلة بين أطراف العملية التفاعلية، وهما المرسل، والمستقبل، ويتم من خلال هذه العملية التعبير عن الذات، والمشاعر، والأفكار، ونقل الانطباعات، والمعلومات، والخبرات، والتي تؤدي إلى إشاعة الفهم والتعاطف بين الأفراد، وتساعد على تحقيق الأهداف، وتطوير العلاقات.

نلاحظ أن الدكتور **عماد عبد اللطيف** يتبنى الرأي الثاني، لذلك استخدم المصطلحين (التواصل والاتصال) لأداء نفس المعنى.

4- منهج الكتاب وتقسيم فصوله:

انتهج المؤلف المنهج الوصفي المقارن: حيث يتتبع ويقارن بين الخصائص اللغوية والبلاغية التواصلية للثقافتين العربية والغربية، بالإضافة لاعتماده على منظور

---

[3]تعريف ومعنى تواصل في معجم المعاني الجامع

[4]عبد الصمد زهور " فلسفة التواصل"

[5]تعريف ومعنى اتصال في معجم المعاني الجامع

[6]د. محمد بن علي شيبان العامري. " مفهوم وأهمية الاتصال"

[7]سناء محمد سليمان .سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته" صفحة 23

معياري يقترح من خلاله بعض الحلول والتوجيهات التي تسهم في تقليل الاختلافات أو تجاوزها.

أ- أقسام الكتاب:

مقدمة – أربع مبــاحث- خاتـــمة

المبحث الأول: الحوار بين الثقافات: مفاهـــــيم ومساجـــلات

المبحث الثاني: دور اللغة بشكل عام في التواصل مع الغرب، من حيث أنه أداة للحوار وأداة لتشكيل الثقافات المتحاورة مع مناقشة ومعالجة بعض جوانب العلاقة بين اللغة والفكر والمجتمع التي تخص الحوار العربي- الغربي.

المبحث الثالث: التواصل مع الغرب من منظور بلاغي، ويعالج تأثير اختلاف الأنماط البلاغية للثقافتين العربية والغربية على التواصل الكتابي بينهما.

المبحث الرابع: خطوات التواصل الشفهي بين العرب والغرب،ودراسة تأثير اختلاف الثقافتين العربية والغربية على دلالة العناصر غير اللغوية مثل الإشارات والأصوات والحركات.

الخاتمـــة: تضمنت النتائج العامة للبحث، مع لائحة ببعض التوصيات. وهذا ترتيب تتابعي جيد ومنظم.

ب- موقف التواصل المعرفي طـبقا لمنظور عماد عبد اللطيف:

هنالك عدة طرق قد يسلكها الباحث للوصول لسبيل مشترك للتخاطب المعرفي بين الشرق والغرب، وتصادم الحضارات بين الجانبين اللذين يحكمان كوكبنا الأرضي، استطاع د.عماد عبد اللطيف أن يضع مسلكه بأربعة طرق وهي :

المبحث الأول: الحوار بين الثقافات مفاهيم ومساجلات

استهل الدكتور عماد عبد اللطيف الفصل بنص**"روجيه جاروديه"** والذي كان لدراساته قسط كبير،كمصادر للعمل. **" الحوار بين الحضارات يفترِض أن يكون كل طرف مقتنعًا بأن ثمة شيئًا يمكن أن يتعلمه من الطرف الاخر".**

وهكذا وفي ضوء ذلك قسم الفصل إلى فقرات تسلسلية بدأها ب:

1- **السياق التاريخي للحوار بين الحضارات:** حيث عرّف الحوار الحضاري أو الثقافي بأنه" **شكل من التفاعل بين القوى الاجتماعية، ووسيلة للتواصل أو لتجنب الصراعات وتلطيف المجابهات".**

واستعرض نشأة مفهوم الحوار بين الثقافات عبر الفترات التاريخية الطويلة قبل أن يتبلور نهائيًّا بشكله وتعريفه أعلاه، وعرّج على طرح روجيه جارودي في أواخر السبعينات دعوته للحوار بين الحضارة الغربية من ناحية وبقية حضارات العالم،وذلك في كتابه **" في سبيل الحوار بين الحضارات"**، وكان الحوار من هذه الزاوية تعني تبادل الخبرات والمعارف على أساس وحدة المعرفة البشرية مع تنوعها وتكاملها، كان الحوار في جذره الحقيقي " **التعلّــم".**

من خلال وجهة نظرتنا الذرائعية عن هذا المــبحث،نلاحظ أن الدكتور**عماد عبد اللطيف** لم يضف لنا شيئًا عن صراع الحضارات سوى صراع الحضارت نفسها، وهذا الصراع معروف لجميع المثقفين والباحثين والمختصين في الحضارات، فهو صراع بين نظريتين ذكرهما في سياق السرد التاريخي، أختصره كما يلي:

في أوائل التسعينات أعيد طرح الدعوة للحوار بين الحضارات في سياق تفنيد ومواجهة نظرية **صمويل هنتنجون** حول صراع الحضارات، في مقاله في العام 1993 بعنوان **" صدام الحضارات"** الذي رأى فيه أن الحضارة الإسلامية أولًا والحضارة الصينية الكونفوشية ثانيًا سوف تكونان جبهات المعارك مع الغرب في المستقبل كما وفي العام **1998** وفي خطاب الرئيس الإيراني السابق **محمد خاتمي** في الأمم المتحدة، طرح فيه مشروعًا سياسيًا كرد فعل مباشر على أسطورة **صمويل هنتنجون** الذي قال أن العالم ستحكمه صراعات حضارية بين جبهة الغرب من جهة، والكونفوشية والإسلام من جهة أخرى. وبذلك كان العالم أمام مشروعين متمايزين للحوار بين الثقافات الأول ثقافي **"روجيه جارودي"** والثاني سياسي" محمد خاتمي" .

لقد اشار الدكتور **عماد عبداللطيف،** إشارة سريعة من خلال كلمة (التعلّم)، بكونه وسيلة فعّالة للتلاقح بين الشرق والغرب، لكنه لم يشر إلى بقية الموجات المعرفية التي صدّرها الغرب باتجاه الشرق بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تسمى ب"الحداثة" وكانت تشمل تيارات لا تزال غصونها ممتدة إلى يومنا هذا، كالصراع الرأسمالي والاشتراكي، والتيار الأحادي في الفلسفة،والتيار الوجودي،والتيار المادي... إلخ، وكان قد تسيّد تلك التيارات التيار الكبير وهو الحركة الاستعمارية التي لا تزال آثارها مستمرة لحد الآن، والذي ركب موجة التطور العلمي والسياسي المكشوف،بحيث كانت آخر موجاته الحرب بالنيابة، أي إيقاد الصراع العقائدي والمذهبي بين الشعوب العربية، لنهب ثرواتهم بطرق مكشوفة، حتى وصل الحال بها حد الابتزاز،لكن تلك التيارات بمجملها كانت سلبية بنظر العرب، لأنها تخالف الأخلاق العربية، إلّا التعليم، لذلك ركز عليه د.عماد عبد اللطيف، لأنه تيار حضاري، استفاد منه الشرق والغرب على حد سواء وظهر ذلك فعلًا في نهاية السبعينات من القرن المنصرم، وقد قصد الدكتورعماد باعتماد التواصل (communication)،آلية للتلاقح منحيث إن التواصل هو طريق تعليمي انتهجته الجامعات والكليات والمدارس الأخرى بكل مراحلها في التدريس، ويعني توصيل المعلومة بشكل حر، وبطرق ووسائل مختلفة، ومنها وسائل التواصل الاجتماعي واستخدام النت، واستخدام التواصل بالتربية والتعليم مكّن المعمورة من تسريع عملية الانتشار المعرفي في جميع أنحاء العالم. كما جاء

في كتاب (أهمية التواصل في عملية تعلم اللغة الإنكليزية) لمؤلفه المنظر العراقي عبد الرزاق عوده الغالبي.
وفي ذات السياق التاريخي تحدّث الدكتور عماد عبداللطيف عن:
دور العرب والمسلمين في طرح مبادرة الحوار بين الحضارات وتعزيزها: أيضًا كان سردًا تحليليًّا لماهية المشروعين السياسي والثقافي السابقين، كما كان سردًا تاريخيا للمجريات والمحدثات التي انبثقت عن طروحات هذين المشروعين....

2- الحوار العربي- الغربي: تاريخـــه ، طبيعتـــه، وغاياتـــه:

تاريخه: ندرك ذلك من خلال الأسئلة البديهية التالية : من هم العرب؟ من هو الغرب؟ وأي حوار يمكن أن ينشأ بينهما؟
نجد أن المؤلف يقدّم تعريفات مفترضة وموضوعية لمصطلحي (العرب- الغرب)، وقام بتفنيدها بسهولة لينتهي إلى النتيجة التالية: إن الوعي بماهية الذات وماهية الآخر المتحاور معه شرط مسبق لتحديد طبيعة الحوار الذي نستهدفه، وغاياته ووسائله،ثم تأتي الخطوة التالية لتحديد طرفي الحوار هي تحديد طبيعة الحوار المستهدف بينهما.
طبيعته: الحوار بين العرب والغرب هو حوار بين بشر بالأساس، يكون سياسيًّا، أو ثقافيًّا أو رياضيًّا..... ، فرديًّا أو جماعيًّا... رسميًّا أو غير رسميًّا ....منتظمًا أو عفوي....
يرى المؤلف ضرورة الاهتمام بالحوارات الشاملة، وضرورة نقل الحوار من دائرة النخبة إلى دائرة الجماهير، لذلك يجب الاهتمام بدراسة لغة الحوار لتوفير معارف دقيقة لكل من يرغب في الانخراط فيه، كما يعوّل الكاتب على الحوار الفردي بين العرب والغربيين كوسيلة لإزالة سوء التفاهم والصور النمطية المشوهة لنا كعرب، وهي وسيلة فاعلة بالمقارنة مع حوارات القاعات المكيفة والاستقبالات الرسمية .
لكنه لم يذكر وبشكل واضح الطرق والوسائل التي يتم فيها هذا الحوار الشامل بين العرب والغرب،سابقًا كان الحوار يتم عن طريق السفر والترجمة والتجارة والتبادل الرسمي، أما الآن فقد اتسعت الدائرة وتدخلت التكنولوجية الحاسوبية لربط الجهات الأربعة بمحور واحد، عندها يكون الحوار ممكنًا، وأصبحت المعرفة مكشوفة في كل زاوية من زوايا كوكبنا الأرضي.

3- أسس الحوار الأمثل وسماته:

يتبنى المؤلف المفهوم الآتي للثقافة: الثقافة هي الطرق المتنوعة لإدراك العالم وتنظيمه التي يتم تبنيها على نحو شائع من قِبَل جماعة بشرية ما، ويتم نقلها بين الأشخاص أو الأجيال". وبناء عليه يكون مصطلح الثقافة أكثر خصوصية من مصطلح الحضارة، فالحضارة الواحدة قد تنطوي على عديدة متنوعة.

ويشير المؤلف إلى أنه على الرغم من الاختلاف المفاهيمي بين مصطلحي الحضارة والثقافة إلا أنه يستخدمهما في إطار هذا الكتاب على سبيل التبادل،ويعلل ذلك بأن الحوار ممكن وقابل للتحقق في المستويات المادية والمعنوية، وعلى المستويات العامة التي تمثلها الحضارة، والمستويات الخاصة التي تمثلها الثقافة. فيكون استخدام تعبيري (الحوار بين الثقافات) و(الحوار بين الحضارات) على سبيل الترادف.
للإشارة فقد احترمت وجهة نظر الباحث هذه بشدة، لأنه قدّم لما يمكن أن يؤخذ عليه كخطأ اصطلاحي، لأن البلاغة العربية تتيح له استخدام هذا الترادف.

4- الحوار مع الغرب حوار أم جدال ؟

سؤال يمكن أن ندخله في المدخل السلوكي الذرائعي، لنبحث عن إجابته عبر طرح المؤلف، المؤلف يميز الفرق بين الحوار والجدال، فالجدال –كما يتبناه- : شكل من أشكال التواصل بين طرفين، يدفع فيه المجادل الحجة بالحجة بهدف البرهنة على صدق رأيه وصحته وتفنيد الرأي الآخر والبرهنة على نقصه وخطئه، وهو يختلف عن الحوار من خلال استعارتي "الرقص والحرب" في الثقافة الغربية الجدال يتم التعبير عنه بواسطة استعارة أساسية هي الجدال حرب، وعلى النقيض من ذلك فإن الحوار يمكن تصويره بواسطة استعارة " الرقص". لذلك فإن نجاح الحوار بين الثقافات مرهون بتبني استعارة الرقص لا الحرب. وأنا أوافقه الرأي على هذا الاتجاه، وهذه الاستعارة.

5- الحوار مع الآخر" الغربي" واكتشاف الذات " العربية":

حسب رأي عماد عبد اللطيف - فإن: الآخر مرآة الذات، والحوار مع آخر مختلف هو بوابة سحرية لمعرفة ذات لاتنكشف بسهولة لنفسها، فالحوار بين الثقافات لا يؤدي إلى تعريف الآخر بثقافة الذات فحسب، بل تعريف الذات بثقافتها قبل كل شيء، ومن الثابت أن بعض المعارف والخبرات لا تُدرك بشكل عميق إلا من خلال توصيها للآخرين، ومن هذه الزاوية فإن الحوار بين الثقافات يتيح الفرصة أمام استبطان الثقافة العربية لذاتها.
وهذا مدخل ذرائعي يدخل ضمن المستوى النفسي نطلق عليه عنوان المدخل الاستنباطي التقمصي،

6- رفض الحوار مع الغرب:

يقول الباحث: ظهرت آراء معارضة للحوار بين العرب – المسلمين- والغرب مشككة بجدواه:
الأول : يستند إلى أيديولوجية دينية ترى في الغرب شرا أصيلا لا يرجى منه خير، حجتهم التاريخ الطويل من إساءات الغرب للعرب والمسلمين، وأن

العداوة بين العرب والغرب أبدية لا تنتهي إلا بالقضاء التام على أحد الطرفين. ولا مجال للتعايش السلمي .
الثاني: يرفض الحوار بين العرب والغرب استنادًا للتشكيك في غرض هذه الدعوة في السياق التاريخي الحالي، بمعنى أنها تخدم المصالح الغربية.
يتبع المؤلف مبدأ دحض الذريعة بذريعة أقوى، فيدحض ذريعة الاتجاه الأول بأن الغرب ليس هو السياسة أو الاستعمار والآراء العنصرية فحسب، بل هو أيضًا ملايين البشر الذين يرغبون في العيش بسلام وتفاهم مع جميع البشر....
ويدحض الاتجاه الثاني: بأنها ذريعة على أهمية الحوار وليس ذريعة على نبذه، فالمصالح لا تلغي ضرورة الحوار.

الفصل الثاني

اللغة والحوار بين الثقافات

الحوار بين الثقافـــات وعقبة اللـــــغة

يحلل الدكتور عماد عبد اللطيف هذه الحيثية من خلال كون جهل لغة الآخر يحول دون إمكانية التواصل اللغوي معه، هناك بعد آخر من أبعاد المشكلات الناتجة عن اللغة في موضوع الحوار بين الثقافات، وهو ظاهرة صعود الانكليزية في العقود الأخيرة إلى مرتبة اللغة العالمية : لتصبح اللغة الأولى للسياسة والثقافة والتعليم في العالم، وتزامن ذلك مع اعتمادها لغة للحوار بين الحضارات، وهذا يقودنا إلى موضوع ترجمة النصوص، بمعنى أن المشاركين في أي مؤتمر يقدمون أوراقهم مترجمة. أي أنهم قاموا بالترجمة من لغة أخرى _ هي لغتهم الأم- إلى الإنكليزية ، وهكذا فجميعهم يلتقون بلغة ليست لغتهم الأم، ولكن للترجمة حدود وينتج عنها شيئان، الأول: إمكانية الترجمة بين اللغات ما يجعل الحوار بين الحضارات ممكنًا.
الثاني: المتحاورون سوف يظلون يشعرون بالغربة لو تكلموا نفس اللغة واستخدموا نفس المفاهيم. فإذن استخدام الانكليزية كلغة يجعل الحوار ممكنًا، لكنه يجعل المشاركين فيه يعيشون داخل غربة اللغة، والحوار الذي يسعى لتأسيس الحميمية بين المتحاورين عليه أن يبحث عن سبل للخروج من غربة اللغة الواحدة إلى رحابة التعدد اللغوي.
من وجهة نظري حول هذا الرأي هو: موافقتي معه بشكل جزئي مع التعديل لفكرته في الدعوة لفكرة اللغة الواحدة في العالم، والسبب منطقي، حين نجد التطور الحاسوبي كالإنترنت قد غزا العالم، وجعل الكوكب الأرض قرية صغيرة، فهذه القرية تحتاج للغة واحدة في التفاهم، والقرية مكونة من عدة بيوت، ومن الصعب بمكان أن نتفاهم مع كل بيت بلغته (نتعلم لغته)، معنى ذلك أن المعلومة لا تأخذ مجرى سريعًا في التواصل، بل تأخذ مسالك متعرجة ضمن زمن طويل تضيع فيه أهمية المعلومة في عملية التواصل، فالتقدم التكنولوجي في انتشار

المعلومة في الميديا بشكل لحظوي تشير بإصبع غليظ إلى تبني لغة واحدة عالمية، وتلك ذريعة في التواصل الثقافي والحضاري للعالم أجمع، حيث أصبح ممكّنا لقدرة التواصل الحاسوبي اللحظوي On Line.

وقد لفت نظري قوله في موضوع الترجمة، وهي الوسيلة الثانية المهمة في التواصل الثقافي والمعرفي والحضاري بين شعوب المعمورة، حيث يجمل مشاكل الترجمة وأسبابها:

1- **نقص المفردات المكافئة**: بسبب تباين البيئات الثقافية والطبيعية وانشغال كل ثقافة بالمكونات المهيمنة على بيئته، مثل أسماء الثلج في الدول الاسكندنافية، وأسماء الرمل والبلح في الدول العربية ، وعدم وجود مفردات مكافئة للمفردات الموجودة في الثقافة الأخرى.

2- **التعبيرات الاصطلاحية** : مثل "إن شاء الله، الحوار أخد وعطا... "عدم وجود مكافئات لها في الثقافات الأخرى يقود إلى انهيار التواصل .

3- **عدم التكافؤ التركيبات اللغوية :**

الجملة في اللغة العربية ذات بنية حرة، يمكن أن تبدأ بمبتدأ أو فعل أو حرف جر.... بينما في الجملة الإنكليزية مقيدة، تستلزم البدء بالفاعل، وتفرض أبنية ثابتة لتركيبتها.

4- **عدم التكافؤ التجريبي:** غياب الخبرة بشيء ما يجعل من الصعب ترجمته، يتجلى ذلك في خبرات الموروث الشعبي.

5- **عدم التكافؤ المفاهيمي**: مفهوم واجب الضيافة عند العرب لا يمكن وجوده في المجتمعات الغربية، هنا الترجمة الحرفية وحدها لا تكفي ولا بد من وجود هوامش تشرح الاختلاف العادات الثقافية في المجتمع المترجم عنه.

وموقفي من ذلك هو أن الترجمة هي العامل المهم والوحيد باستناد التجارة والسفر للتواصل قديمًا، وقد أخذت حيزًا منفردًا في توصيل المعلومة العربية إلى الشعوب الأخرى، ومع تطور الترجمة التكويني،بظهور الترجمة الفورية، والترجمة الإجمالية، وترجمة المعنى للمعنى، وترجمة الجملة للجملة، وترجمة الفكرة للفكرة، والترجمة الأدبية، لكن تبقى الترجمة مستنقعًا تغوص فيه اللغة، حين تخرج منه تفقد أشياء من مكوناتها، فالترجمة تبقى عمودًا شامخًا في نقل المعنى فقط، والمحتوى فقط، والسبب في ذلك أن النص الأدبي أو المقدّس حين يدخل بالترجمة يفقد شكله، ويحافظ على المضمون، وكما نعلم أن النص الأدبي والمقدس له شكل ومضمون، وهذا الذي يؤخذ على الترجمة، لكن هذا لا يمنع أن تكون الترجمة هي أهم العوامل التي تقوم بنقل المعرفة من لغة إلى أخرى، وذلك باستعارة الشكل من اللغة المترجمة إليها لتكون الترجمة بتصرف، وخصوصًا بالنصوص الأدبية، بغض النظر من أن

الترجمة بتصرّف هي خيانة ترجمية، لكون محتوى النص يعود للغة المترجمة منها، والشكل يخصّ اللغة المترجمة إليها، أما قوله بعدم وجود المكافئات الترجمية في اللغتين، فهذا قد حلّ بالوقت الحاضر بظهور معاجم وقواميس عربية تحتوي على تأويلات لكل مفردة جديدة دخلت على العالم بولادة تكنولوجية أو صناعية أو أدبية، وساعد على ذلك عملية التعريب باللغة العربية، أي كتابة الكلمة دون ترجمتها ولكن بحروف عربية مع صوتها الأصلي باللغة، وهذه الحالة استخدمت في جميع اللغات للكلمات المستعارة.

المبحـــــــث الثالــــث

البلاغـــة وحوار الثقافـــــــات

في هذا المبحث قام الكاتب بفحص الدراسات التي قارنت بلاغة الكتابة العربية ببلاغة الكتابة بغيرها من اللغات، هذه الدراسات اهتمت بمقارنة السمات البلاغية للكتابة العربية بالسمات البلاغية للكتابة باللغات الأخرى، والهدف الرئيسي من هذا الفحص هو بلورة مدخل بلاغي للحوار بين العرب والغرب بواسطة لغة مكتوبة .

ترجع نشأة دراسات البلاغة عبر الثقافات إلى المقال الذي نشره **روبرتكابلان** في العام 1966 بعنوان **"**أنماط التفكير الثقافي في التعليم عبر الثقافات**"**، وذهب كابلان في هذا المقال إلى أن الأنماط البلاغية في اللغات التي درسها- العربية والفرنسية والصينية والاسبانية والروسية- يمكن أن تقسم إلى خمس خطابات مختلفة بحسب الثقافة التي يعبر عنها:

الثقافة الأولى: الثقافة الأنجلو _ أمريكية : خطابها واضح ومنتظم ومتتابع بخط مستقيم ، **الثقافةالثانية:** هي الثقافة الشرقية: يتسم خطابها بانه دائري يتناول موضوعه عن منظورات مختلفة تجمع بينها الروابط المفتعلة لا المنطق الصارم.

الثقافةالثالثة: هي ثقافة الرومانس وتضم الثقافات الفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها، ويتسم خطابها بأنه يتأسس على الاستطراد من موضوع مركزيو ويمكن أن يشبه بالطريق الملتوي.

الثقافةالرابعة: هي الثقافة السامية- وتشمل الثقافتين العربية والعبرية - وخطابها حافل بالتراكيب المتوازية التي تكرر ما قيل وتضيف المعلومات الجديدة بتقتير.

الثقافةالخامسة: والأخيرة هي الروسية: ويتسم خطابها بأنه يتشكل من استطرادات طويلة وتغيرات مفاجئة تضفي عليه سمة عدم التماسك.

في اعتقادي أرى أن البلاغة في جميع اللغات هي واحدة، لكن ما أخّر توحيدها هو البعد التواصلي بين تلك اللغات، والدليل على ذلك حين نتفحص

أي نص شعري أو نثري أدبي فإننا نتلمس الجمال اللغوي فيه، والجمال اللغوي نوعان:

- علم الجمال وهو جمال الكون والطبيعة فهي موجودة في كل لغات العالم
- أما الجمال اللغوي ونقصد به عناصر البديع والبيان وما تسمى عالميًّا بالمجاز، فلا لغة تخلو من المجاز، وإن لم تكتشف فعند تطور علم الأنثلوج أي دراسة المقارنة بين جميع اللغات عالميا وتحديد اللغات الميتة واللغات الناشئة، والمقارنة بينها، توحّدت تقريبًا المصطلحات المجازية في كل لغات العالم، وقد بدأ النشاط في هذا التطور عند اكتشاف البراغماتيكية اللغوية في الربع الأخير من القرن المنصرم، وظهور علماء لغويين ولسانيين في هذا المضمار، وبدأ التحدّث عن الخيال واللاواقع والمعاني التأويلية والمعاني المؤجلة في علم المعنى، حيث تطور علم المعنى تطورًا ملحوظًا، ودخلت مصطلحات جديدة كانت مستخدمة في لغات دون لغات أخرى.والدليل على ذلك مراجعة معجم المصطلحات البلاغية في اللغة الانكليزية، لكون اللغة الانكليزية هي القاسم المشترك بين لغات العالم، سنجد مئات المصطلحات قد دخلت تلك اللغة حديثًا، وبدخولها الانكليزية أخذت طريقها باتجاه اللغات الأخرى.

المبحث الرابـــــع

التواصـــــــل عبر الثقافـــــــــات

يعرف المؤلف التواصل عبر الثقافات بأنها: عملية تأويلية تفاعلية سياقية، يخلق فيها بشر متعددو الثقافات معانيهم المشتركة، وقد يتم التواصل عبر الثقافات بواسطة اللغة المكتوبة، أو المنطوقة، او السلوكيات غير اللغوية، مالإشارات والحركات والألوان والرموز ، أو بهما معًا.

وعند دراسته للأبعاد الثقافية للاتصال غير اللفظي بين العرب والغربيين حيث يعتبر أن: سلوكيات التواصل غير اللفظية تمثّل ما يقارب 85% من كل سلوكيات التواصل، ومعظم المشكلات التقنية التي تواجه الحوار مع الغرب ترجع إلى تباين العرب والغرب في هذه السلوكيات.

في رأيي: تشكل اللغة بالتواصل 25%، و75 % يتم عن طرق تواصلية مختلفة غير لغوية أو غير لفظية، ومادامت المعمورة تحكمها ممالك ثلاث، وهي المملكة الحيوانية، والمملكة النباتية والمملكة البشرية، فقط المملكة البشرية تأخذ تواصلًا لغويًا، بينما تكون باقي أشكال التواصل غير اللغوي في الممالك الثلاث، كما يلي:

1- **التواصل الحركي:** وهو التواصل بحركات الجسد والوجه، والحركات الأخرى التي تحوي في داخلها انفعالات متفق عليها أو مدروسة مسبقًا، وهذه تحدث في الأداء المسرحي، أو بين الصم والبكم،أوبين النباتات،

حركة الأغصان، انتقال البذور للتلقيح، وحركة التزاوج بين ألنثى والذكر.

2- **التواصل الصوتي**: فهو تواصل شامل يشمل الممالك الثلاث، اللغة للمملكة البشرية، وأصوات الحيوانات في المملكة الحيوانية.

3- **الفيزيائي:** وهو التواصل بين مخلوق وآخر عن طريق التقليد، وهو التواصل الذي تم فيه تدجين وتدريب الحيوانات، وتحويل الحيونات المفترسة إلى أليفة، عن طريق النظرية السلوكية بإعطاء الأسد أو النمر ما يسد جوعه، بعد أن يقفز من خلال القوس الناري،فالمدرب يخلق محفز لدى الأسد وهي الطعام مستغلًا جوعه،ليعطيه الأسد استجابة باجتيار القوس النار للحصول على العطية (الطعام)، وتكرار هذا الفعل يكوّن تواصلًا وثيق الصلة بين الإنسان والحيوان المفترس باستغلال المبدأ الفيزيائي (محفز- استجابة)...

4- **التواصل الحسي**: وهو التواصل الاستشعاري الذي يحدث عند الحيوانات عند حدوث زلازل، حيث تشعر الحيوانات به قبل حدوثه، وهناك تواصل حسي بين البشر أنفسهم بالحاسة السادسة ونظام الغرائز.

- **استنتـــاج ذرائـــعي:**

كناقدة ذرائعية، راقني هذا البحث الذي موضوعه التواصل بين الثقافات، ما شجعني على إبداء رأيي فيه مُدعّمًا بما جاء فيه من حقائق واستنتاجات، وسأعرض رأيي بكل موضوعية:

كثرة المصادر- برأيي- تحدّ من توسّع الباحث في فرد أفكاره وآرائه وأبحاثه، وتوجهه باتجاه دحض أو تأييد الآراء الواردة بالمصادر، ما يجعل عمله تكرارًا لمصادر قليلة قد كُرّرت آلاف المرات، وهي صفة سلبية في الثقافة العربية، وفي الأبحاث العربية الأكاديمية تحديدًا للأسف.

ما أردت قوله- كاستنتاج- لهذا البحث حول التواصل بين الثقافات والحضارات، بين العوالم العربية والغربية،هو كون هذا التواصل لن يكون جدّيًّا ومثمرًا إذا كان بشكل شفوي بين العالَمين،في ضوء ما جاء في إحدى طروحات هذا البحث، فلن يكون هذا التواصل مجديًا كما ينبغي إذا كان بين الأفراد في الشوارع أو القاعات الأدبية أو العلمية أو الثقافية بشكل عام،لكن حتمًا سيكون مجديًا عندما يكون تواصلًا بالبحوث، لأن البحث هو سيّد المعلومة الجديدة، وسيّد الاكتشاف، فما عرفنا شيئًا علميًّا جديدًا إلا عن طريق البحث المطبوع أو المنشور، المرئي أو المسموع، ولا أدل على ذلك من أننا الآن نناقش بحثًا علميًّا اطلعنا من خلاله على الكثير من الخبرات والأبحاث السابقة، ولا ننكر أن هذا الموضوع" كثرة وتكرار المصادر" متعب وثقيل جدًّا على الباحث والمتلقي على حد سواء،حيث قام الباحث بمراجعة هوامش ومصادر وقعت في حوالي 40 صفحة،نلاحظ أيضا أن للبحث

تصدير أكثر من رائع للأستاذ الدكتور **أيمن تعيلب،** لكنه أخذ أكثر من عشرين صفحة من صفحات الكتاب، والكتاب بالمجمل المكوّن من 194صفحة، وتتخللها أيضًا صفحات بيضاء لضرورة التنسيق المطبعي! فما كتبه الباحث كمتن للبحث حوالي 120 صفحة فقط ، وفيها الكثير من الشواهد من الهوامش والمصادر، وهذا برأيي كناقدة صفة سلبية، ليس عند الدكتور عماد عبد اللطيف فحسب، بل كصفة عامة في البحوث العربية، وخصوصًا البحوث الأكاديمية (الماجستير والدكتوراة)، حيث يطلب من صاحب البحث أن يأتي بمصدر واحد أو أكثر في كل صفحة! وهذا تقويض للعلوم الجديدة التي لم يتح لها الوقت ليكون فيها مصادر.....وما دام التواصل بين الثقافات يتأتّى عن طريق البحث، فكثرة الاعتماد على المصادر يكون سلاحًا ذو حدَّين، كما سأبيّن:

1- **المصادر** تساعد الباحث على ملأ فراغات بحثه بآراء وفِكَر كثيرة من جهة، ومن حهة أخرى تجعل الباحث ناسخًا لمصادر قد تكررت عند غيره من الباحثين آلاف المرات، والبحث لم يأتِ بشيء جديد، إلا ما ندر.
2- **المصادر** تجعل الباحث اعتماديًّا على النسخ والتكرار الممجوج لفكر أكل عليه الدهر وشرب، والحل في ذلك يكون معكوسًا عندي. وهو أن يكون التركيز من قبل الباحث على أفكاره الجديدة وجدلياته مع كل فكرة طُرقت في كل مصدر، وإعطاء ذريعة بالاتفاق مع صاحب المصدر أو الاختلاف معه.
3- على الباحث أن يكون بحثه عن الجديد، أو الإضافات التي تسند الجديد والقديم، وبذلك تكون البحوث العربية غير متكررة وغير روتينية، وتلك نقطة مهمة جدًّا، لأننا لو بثنا في خزانات الجامعات ورفوفها في كل أنحاء العالم لوجدنا ملايين البحوث المهملة بذريعة أنها روتينية التكوين، وهذا رأي نقدي خاص أيضًا، قد أكون مخطئة أو مصيبة فيه.

على سبيل الختم

لا شك أن الدكتور عماد عبد اللطيف وضع في بحثه هذا وبكل اهتمام وعناية عصارة جهده وعلمه، إدراكًا منه لعمق هذا الموضوع وأهميته في عصرنا الحالي، عصر العولمة الذي أحال الكرة الأرضية بكاملها إلى قرية صغيرة محكومة بحتمية التواصل، عبر كل الوسائط المتاحة، سواء أكانت لغوية أم سلوكية، وإلا فإن الصراع والتصادم بين سكان هذه القرية الصغيرة سيكون بديلًا منطقيًّا في بيت ينعدم فيه الحوار،ويكتظ بغربة أهله، وهذا الإدراك العميق لخطورة الوضع، والحرص الشديد على الإحاطة به من جميع جوانبه، عن طريق طرح المشكلات والعقبات اللغوية والبلاغية والتواصلية التي تعترض إمكانية انعقاد هذا الحوار، وتلوّح بإفشاله، وبالتالي تساهم في تقويض وهدم الرسالة الأساسية التي أناطها الله تعالى بمملكة البشر، وهي التعارف (يا أيها الناس إنا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) 13 سورة الحجرات

والتعارف يكون سبيلًا للتعاضد وإعمار الأرض، ولعلي – ومن خلال هذا الحرص الشديد- أستطيع أن أبرر- ولا أؤيد- استخدام الكاتب لهذا الكم الهائل من الكتابات الأكاديمية المعنية بدراسة هذه الأبعاد اللغوية والبلاغية والتواصلية، وهي دراسات غربية بمجملها، ويعلل المؤلف اعتماده عليها بذريعة نقص الدراسات البحثية العربية، وهذه نقطة جدلية قد يختلف معه عليها بعض الباحثين الذين كان موضوع التواصل شغلهم الشاغل، لكن هيمنة البحوث العلمية الغربية حالت دون انتشار أبحاثهم تلك، لفتتني أيديولوجية المؤلف وإيمانه الراسخ أن الحوار مع الغرب هو مشروع معرفي، من منطق الأمر الإلهي (لتعارفوا)، بقدر ما هو مشروع سياسي أو اجتماعي، كما تُحسَب له دعوته إلى التزود بالعدة المعرفية والمنهجية من باب إعداد العدة لخوض غمار أي أمر جلل، وكذلك دعوته للتواصل من خلال البحث الأكاديمي المتعمق، من قبل باحثين متخصصين، لسد الفجوة الكبيرة في الكتابات العربية المعاصرة المتعلقة بالحوار، هي دعوة باحث عربي غيور على الثقافة والحضارة العربية نأمل أن يُحشد لها جيوشًا من المؤيدين، بل والمنفذين الفاعلين. أخيرًا، هذا ما وفقني الله إليه، وأعترف أن التقصير من نفسي، والفضل من الله.

تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي

ذ أحمد الوظيفي

مقدمة

راهنت البلاغة السياسية منذ تأسيسها لدى اليونان، ولاسيما تصورات أرسطو، على خلق مناخ للحوار قائم على الأخذ والعطاء، فضاء يجد فيه الكل فرصة للعرض والاعتراض، بهدف بناء فعل سياسي متوافق حوله، يقوم على قيم الفضيلة والمساواة والعدل، ويتأسس على المصلحة العامة، تنتفي فيه كل أساليب الهيمنة والتطويع واللامساواة، في أفق ضمان سياسة رشيدة للمدينة. لكن فلاسفة اليونان لم يكونوا كلهم متصالحين مع البلاغة، حيث رفضها أفلاطون من خلال محاورة جورجياس؛ إذ سعى إلى نقضها خوفا من الاستعمال السيء لها إذا وقعت بين من يسيئون توظيفها من السياسيين، لأنهم يمكن أن يحولوها إلى أداة للتلاعب بالجماهير وتطويعهم، وخصوصا إذا استحضرنا السياقات التي جاءت في ظلها هذه المحاورة، وما كانت تشهده أثينا من استثمار مغرض للخطابة تعليما وتوظيفا من طرف السفسطائيين.

لكن تكتسي البلاغة أهمية كبرى بالنظر إلى ما تحققه من تواصل بين الناس، ولاسيما الجماهير، قصد بناء وعي مشترك متوافق حوله، بحيث يسهم في بنائه الكل، وهو ما يدفع إلى ضرورة أن لا تبقى البلاغة في يد قلة يتحكمون فيها ويستثمرونها آلية للتحكم في الجماهير وتطويعها لتحقيق مصالحهم الخاصة. وقد كان من نتائج ذلك بروز تصورات بلاغية تقاوم بلاغة الأقوى سياسيا،وتقوض أسسها وتنبه الجماهير إلى ما تنطلي عليها من مغالطات، ومن ذلك بلاغة الجمهور التي بنى أسسها الباحث الدكتور **عماد عبد اللطيف**، وهو تصور بلاغي يدرس استجابات الجماهير البليغة في أفق توعيتها بأدوارها، مما أسهم إلى حد كبير في تحرير البلاغة من جهة ومن جهة أخرى في بناء وعي سياسي لدى الجماهير.

فما هي أشكال حرية البلاغة وتمظهراتها؟

1-تاريخ البلاغة تاريخ رسمي

تركز اهتمام البلاغة منذ القدم على الخطاب الرسمي، وهمشت عن قصد أو عن غيره خطابات أخرى اعتبرتها هامشية أو على حافة مقولة البلاغة، فلم تحفل بها حفظا في الذاكرة أودراسة؛ وإلا فما الذي يفسر عدم اهتمام التلقي العربي القديم بشعر الصعاليك وعدم اعتماده ضمن المعلقات، رغم أنه قد بلغ مرتبة عالية من الإبداعية بشهادة النقاد العرب قدامى ومحدثين. كما يسجل تاريخ البلاغة العربية تبئيرا للخطاب المقدس وللشعر في بناء نسقها والتأسيس لقواعدها،بينما أهملت خطابات أخرى لها من الحجية اللغوية ما يجعلها تضاهي الخطابات المحتفى بها

دراسة ونقدا واستشهادا. وقد كان اختيار البلاغات العالمية هو الآخر انتقائيا تحكمت فيه مقولة المركز والهامش، حيث توجه الاهتمام إلى البلاغة اليونانية إنتاجا وقراءة وتنظيرا، وكأنها التمظهر البلاغي الوحيد، وتم إهمال بلاغات أخرى اعتبرت هامشية في حافة المقولة، كالبلاغة الصينية والبلاغة الهندية والبلاغة المصرية القديمة والبلاغة الأمازيغية...

ويصدق الأمر نفسه على البلاغة الحديثة في الغرب إذ تحكمت فيها أيضا الثنائية: مركز/هامش أيضا، حيث عد الغرب نفسه مركزا واستحضر من التصورات البلاغية ما يتساوق مع هذا التصور، فاعتبر البلاغات الأخرى هامشا بما في ذلك البلاغة العربية، وهو ما يفسر عدم استحضارها في بناء النسق البلاغي الغربي المعاصر، وهذا انتقاد وجهه د. محمد العمري إلى هذه البلاغة الغربية وعاب عليها عدم استنادها في بناء مشروعها إلى البلاغة العربية ذات التصورات البلاغية الوجيهة[1]. فضلا عن الاهتمام بأرسطو وتفكيره البلاغي وإهمال أفكار أفلاطون وتصوراته البلاغية.

وفي الدراسات العربية الحديثة على مستوى البحوث البلاغية التحليلية تركز الاهتمام على الخطابات الرسمية الحديثة والتراثية، وتم إهمال البحث في خطابات الهامش، بل تم تجريدها من النصية، فاعتبرت لا نصا، ونظر إليها نظرة قدحية فكان حظها من الدراسات الأكاديمية قليلا، وإن كنّا نشهد في الآونة الأخيرة عودة كبيرة إلى هذه الخطابات، التي أضحت تفرض نفسها بفضل اجتهادات باحثين شباب، ومن التمظهرات الواضحة لذلك، مشروع بلاغة الجماهير. بل إنه يمكن وسم بلاغة القرن الواحد والعشرين ببلاغة المهمش بامتياز[2].

يتحصل من هذا المسار التأملي لتاريخ البلاغة أنها اهتمت بالخطاب الرسمي الذي ارتضته السلطة القائمة، فتم حفظه وتخليده والاحتفاء به، سواء تعلق الأمر بالبلاغة بوصفها علما واصفا أو البلاغة بوصفها إنتاجا خطابيا، وتم إهمال خطابات وبلاغات أخرى اعتبرت هامشية،فتم إدراجها خارج مقولة البلاغة أو في هامشها في أحسن الأحوال، وربما فقدت البلاغة الكثير من إمكانياتها التحليلية والوصفية بسبب هذا التحيز وهذه النظرة"النخبوية". ألم يؤدي ظهور كتاب"الاستعارات التي نحيا بها" لكل من ليكوف Lakoff وجونسون Johnson في الغرب إلى شعور الباحثين بالاندهاش، إذ تمت البرهنة على أنه لا فرق بين الخطاب "النخبوي" والخطاب "المتداول"، إن كان هنالك فعلا مبرر علمي وجيه لاعتماد هذا التمييز. ذلك أن هذه الاستعارات التي كنّا نعدها حكرا على الإبداع توجد بشكل مطرد في كلامنا العادي؛ إننا نحيا بها، إن ذلك الكلام

---

[1]- ينظر مثلا: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، ط2، 2012

[2]-يمكن في السنوات العشر الأخيرة رصد جملة من البحوث التي أخذت خطابات الهامش متنا لها: خطابات جماهير كرة القدم، خطاب الكدية ...

الذي كنّا نعده هامشيا ولا قيمة له لا يقل بلاغة عن الشعر والأدب بعامة، إنه لاكتشاف عظيم!

2- حرية البلاغة:

هل يمكن الحديث عن بلاغة حرة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما حدود الحرية التي تتمتع بها البلاغة؟

إذا كانت الحرية حسب **عماد عبد اللطيف** في كتاب "بلاغة الحرية" قد أفرزت بلاغتها الخاصة من خلال إنتاج خطابات جديدة واعتماد قنوات بديلة مستفيدة من الإمكانات التكنولوجية والتواصلية التي سمح بها عصرنا الحديث، ومن فرص البروز التي أتاحتها الثورات العربية، فإن هذه البلاغة قد أضحت تتمتع بحرية أكبر مقارنة بمرحلة ما قبل الثورة[3]؛ حيث كان الخطاب الثوري يعيش التهميش والحصار، فلا يسمع صوته، في تكريس صار خلصوت السلطة الذي يعلو ولا يعلى عليه، والذي بنى نمطا تواصليا سياسيا أحادي الجانب، وهل يمكن الحديث عن تواصل في ظل عدم التكافؤ؟ فخطاب الأضعف لا يمارس عليه حظر الرواج والتداول فقط، بل إنه كان لا يتخذ متنا للدراسات البلاغية الوصفية والتحليلية، إما للنظرة الدونية التي تكرست لدى الباحثين عنه في اللاوعي الجمعي بوصفه خطابا ثوريا نشازا يغرد خارج السرب، أو للحصار المفروض عليه من طرف البلاغة البائدة[4]،مما ترتب عنه إعراض الدارسين عن اتخاذه موضوعا للبحث، إما لرفض مجموعات البحث الخوض فيه، أو لتفاديأي مشكل قد يعوق سير الدراسات، لأنه في الأنظمة الاستبدادية لا يتم التمييز بين العلم والبحث الأكاديمي والإيديولوجيا في معناها السلبي.

للبلاغة معنيان كما يقول الدكتور محمد العمري، البلاغة بوصفها إنتاجا وإنشاء، حيث نقول بلاغة المتكلم أو متكلما بليغا وبلاغة الكلام أو كلاما بليغا، كما تعني العلم الذي يهتم بوصف هذا الكلام؛ حيث يتم مقاربتها بوصفها جملة من الآليات التي تهتم بتحليل الكلام ووصفه. لكن البلاغة وإن كانت مفهوما تاريخيا، تتحول تعريفاته ومعانيه وتتغير حسب التطور التاريخي، سواء على مستوى الإنتاج أو الإنجاز أو الوصف والتحليل، فإنها ظلت تحتفي بخطاب السلطة الرسمي، وتستهجن المهمش سواء أكان كلاما أم متكلما، ولما كان هذا الرسمي مرتبطا بالمؤسسات التي تمنحه رسميته، وتعطيه الشرعية اللازمة للتداول والرواج، كان خطابا مقاميا بامتياز، بل إنه هو من يخلق هذه المقامات ويفرضها؛ أي أنه لا يمنح الحظوة إلا لأشخاص بعينهم، ولا ينتج من الخطابات إلا ما كان منسجما مع المؤسسات التي يمثلها. ويكرس فان دايك الربط الوثيق بين الخطاب السياسي

---

[3]- تنطلق هذه الدراسة من فرضية أن الحرية كانت لها دائما بلاغتها الخاصة، لكنها كانت بلاغة مقيدة، حيث الثورات العربية قد شكلت حاجزا بين قيد هذه البلاغة وحريتها.

[4]- أطلق هذه التسمية عماد عبد اللطيف على البلاغة التي أنتجتها السلطة القائمة إبان التورات العربية. ينظر: عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية،معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013.

والمقام، حين أكد أنه لا يمكن تعريفه"**على أساس الموضوع أو الأسلوب في المقام الأول، بل تبعا للمتحدث والمتلقي، ولمن يتحدث، وعن أي شيء يتحدث؛ وبمعنى آخر: يعد الخطاب السياسي سياسيا، لأن وظائفه تصب في العملية السياسية"[5].**

لكن من يصنع المقامات ويبني السياقات ويفرضها؟ وبالتالي يفرض الخطاب الذي يخدم أجندته ويحافظ على وجوده المعنوي والمادي؟

إنه بدون شك الأقوى سياسيا، أي ذلك المتحكم في المؤسسات، لكونه يملك أدوات النفاذ إلى الخطاب وآلياته وسائل ترويجه وتداوله، وهو ما يجعله "**يحتل الحيّز الأكبر على خشبة التواصل السياسي بتلفزيونه الحكومي، والقنوات الخاصة التابعة له وإذاعاته وصحفه القومية، وجيش كبير من الخبراء والمتابعين"[6].**

وإذا كانت بلاغة الرسمي تضع للكلام الأضعف سياسيا حدودا وتسيج خطابه وتضيق حريته الوجودية كإنسان فضلا حريته الخطابية، فإنها تصنع إلى حد كبير قيودها الخطابية من خلال كبح إمكانات الحوار والتداول والعيش المشترك والأخذ والعطاء، بواسطة ممارسةالبطش اللغوي، حيث **"تتشبع اللغة بالاستبداد، ولا تعرف غير الأوامر والنواهي، تنتظر الوعيد وتنجز العدوان، ولا تتيح فضاء للحوار، أو أفقا للتنوع والتعدد"[7].** فضلا عن كبح إمكانياتها البلاغية من خلال أفعال كلامية محددة، وإمكانات تصويرية بعينها. إننا حين نصنع المقامات في هذا السياق، فإننا نخرج من دائرة الحوار وننزلق إلى دائرة العنف الرمزي، من خلال فرض مواضيع الحوار والنقاش، وما يجب تداوله وما لا يمكن الحديث عنه، ومتى وبأية طريقة، باستثمار ترسانة مفهومية تنتمي إلى حقل الأخلاق (عيب، لا خلقي..) أو القانون (قانوني – شرعي...)أو الدين (حرام – فتنة – مروق...).

2-2-نقض الخطاب الرسمي أو كسر مقولة الخطاب السياسي

إن حديثنا عن مفهوم الخطاب السياسي بمفهومه الرسمي يقودنا إلى طرح السؤال الآتي: من يعطي للمفاهيم معانيها ويزودها بحمولتها الدلالية؟ من يملك الحق في التسمية؟ من يصنع المقولات ويشرعن ترويجها؟

إنه بدون شك الأقوى سياسيا، ولذلك فإن المفهوم الرائج للخطاب السياسي، على الأقل في التلقي العام، قد تم قده قدا في دوائر القرار السياسي بشكل صريح أو مضمر من لدن الأقوى سياسيا، لأن "المنتصر هو وحده الذي يملك فرض التسمية"[8]، والترويج لها واعتمادها في التداول العام، بهدف الحفاظ على الوضع الراهن، فضلا عن عرضه لذاته بشكل إيجابي في مقابل التقديم السلبي للآخر.

---

[5]-فان دايك، الخطاب والسلطة، تَر غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص 366

[6]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية،معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013 ، ص 11

[7]- م ن، ص 24

[8]- بلاغة الحرية، ص 44

حين نتحدث عن الخطاب بوصفه ممارسة في التداول السياسي العربي، فإننا نحيل إلى مقولة تشكلت عبر الزمن في الوعي الجمعي للناس في السياق العربي، فبغض النظر عن التعريفات العديدة التي شكلتله في المجالات المعرفية التي يوظف فيها، فإن التصور الذي لنا عن هذاالخطاب قد تبلور انطلاقا من صورته الرسمية[9]، ومن استقراء تمظهراته الفعلية، بحيث يمكن تجميع خصائصه في الآتي:

❖ خطاب ينتجه الساسة في مناسبات وأعياد وطنية ودولية.
❖ له مواصفات شكلية وإنجازية بدأ بالنوع (خطبة شفوية) وصولا إلى طريقة إخراج الخطاب في القنوات التي تضطلع بمهمة الترويج له؛
❖ يعتمد في تصريفه والترويج له القنوات الرسمية التقليدية؛
❖ يعتمد في إخراجه طقوسا وبروتوكولات محددة، تكاد تكون موحدة بين البلدان العربية؛
❖ الخطيب له إيتوس نموذجي تشكل من خلال اللباس ونبرة الصوت وطريقة الجلوس والوقوف والنظرة....

إلا أنه مع تحرر البلاغة في سياق ما يسمى بالربيع العربيتكسرت مقولة الخطاب السياسي بالتصورالتقليدي،وطفت إلى السطح عناصر جديدة بخصائص مغايرة، إن لم نقل مناقضة، قطعت في كثير من تجلياتها مع التصور التقليدي؛ سواء على مستوى المتكلّمين أو بناء الخطاب أو قنوات تمريره ... مستفيدة من انفتاح المقامات التي أتاحت مساحة واسعة لممارسة الخطاب عرضا واعتراضا. ولذلك تم الاعتقاد في البداية أن إنتاج الخطاب من لدن الجماهير لا يعدو كونه لهوا لن يؤثر في موازين القوى[10]، لكنه سرعان ما فرض نفسه خطابا منافسا للخطاب الرسمي، بل ومقوضا لأسسه وادعاءاته.

وهكذا، ففي هذا السياق أعيد النظر في مفهوم الخطاب السياسي، نظرا لتغير موازين القوى بين أطراف التواصل السياسي، وأضحى الهامش منافسا للمركز، بل إن هذا الهامش قد زحزح المركز من عرشه، واستوى عليه حين فرض تصوراته وأنفذ قراراته، وفرض الاعتراف به كخطاب فاعل في الخارطة السياسية العربية. وهكذا توسعت مقولة الخطاب السياسي لتتضمن خصائص

9-ارتبط الخطابالسياسي في السياق المغربي بخطاب الملك في المناسبات والأعياد الوطنية، وتم تلقيه في التداول العامي بهذا التصور. بحيث كلما ذكر لفظ الخطاب أحال مباشرة إلى ذلك، وتشكلت في المخيال الجمعي للناس صورة ثابتة عنه.

10- يمكن أن نستحضر في هذا المقام التقرير الذي رفعه وزير الداخلية حبيب العادلي إلى الرئيس مبارك والذي يقلل من قيمة المظاهرات وقدرتها على التغيير وأن المتظاهرين "شوية عيال يمكن احتواؤهم والموقف تحت السيطرة ولن توجد ثمة مشكلة"، ينظر: www. Oujdacity.net
فضلا عن اتهام القذافي المتظاهرين بالخرف وباستهلاك المخدرات وأنهم ليسوا في كامل قواهم العقلية. (لي يعملوا العمل ذَا عطينهم حبوب مَش بإرادتهم)

خطابية جديدة، تتمايز عن الخطاب الرسمي وتختلف عنه سيميائيا، من خلال تكثيف العلامة وتنويع الآليات الموظفة، فضلا عن بساطة منتجها...

3-2-البلاغة من الإكراه إلى الحرية

تشكل حلقة ما سمي بالربيع العربي حدا فاصلا بين بلاغة حرة وبلاغة مقيدة، وهكذا فالبلاغة الحرة بالتصور الذي نتبناه هنا، تعني تحلل الخطاب، ولاسيما خطاب الأضعف سياسيا، من القيود الخطابية والرقابية والمنع والتهميش المفروضة عليه، بحيث تتجاوز هذه الحرية إنتاج خطابات بديلة للخطاب الرسمي إلى إنتاج خطابات مضادة له، تفضح مغالطاته وأساليب التحكم التي يعتمدها وآليات الهيمنة التي يخفيها. ولا تصبح البلاغة حرة إلا عندما تقوض الخطاب الرسمي وتكسر هيمنته، إنه نوع منكسر القضبان المسيجة لها زمنا طويلا. أو لنقل إن الخطاب يصبح حرا حينما يكسر أسس الخطاب الرسمي، يقول مشيل فوكو، راسما وظائف الخطاب الرسمي: "أفترض أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع، هو في نفس الوقت إنتاج مراقب، ومنتقى، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره والتحكم في حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته الثقيلة"[11]. وتتحرر البلاغة عندما تلغي هذه الإجراءات الرقابية وتتجاوزها، ذلك أن "الثورة التي تمزق ستار الخوف المادي تمزق أيضا ستار الخوف اللغوي، فيصبح الأشخاص أميل إلى استخدام لغة غير مجازية مباشرة وواضحة وقاطعة"[12]. وهكذا، فقد "خلقت الميادين بلاغة جديدة لا تنافق ولا تراوغ، تسمي الأشياء بأسمائها، وتصف كل شخص بما يستحق، وتحطم إرث آلاف السنين من الصمت والمراوغة"[13]

تمتلك البلاغة الرسمية وسائل النفاذ إلى الخطاب، وموارد هامة للإنتاج من خبراء وسياسيين وخبرة تدبيرية طويلة تؤهلها لرسم الاستراتيجيات ووضع الخطط وتنفيذها، وهذا الإجراء ليس حكرا على الدول غير الديموقراطية، بل تعيشه الدول الديموقراطية أيضا، وهو ما يفسر ظهور مجال بحثي نذر نفسه لفضح آليات التحكم والهيمنة واللامساواة التي يعتمدها الخطاب لدى الغرب يتعلق الأمر بالتحليل النقدي للخطاب في أوروبا والبلاغة النقدية في الولايات المتحدة الأمريكية... لكن الأمر لدى الدول غير الديموقراطية أشد وطءا؛ إذ لا يتعلق الأمر بالهيمنة بالخطاب، بل بمنع خطاب الآخر وشجبه، وحرمانه من حق الوجود. تتحرر بلاغة الأضعف عندما يختل التوازن السياسي، وتختل موازن القوى، وننتقل إلى تعدد الأصوات. فما هي مظاهر تحرر البلاغة؟ وما تجليات نقض الخطاب الرسمي؟

11- مشيل فوكو، نظام الخطاب، تَر محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 4
12- بلاغة الحرية، ص 54
13- م ن، ص ن

4-2-نقض هيمنة الأقوى سياسيا

تمكنت الجماهير الثائرة من فرض خطابها، ومن الدفع بالآخر إلى القبول به، وهو ما أفضى إلى حصول تحولتحول بموجبه الهامش مركزا، فنتج عن ذلك تغير في تصور خطاب الهامش، وفي هذا السياقأصبح ينظر إلى ما تنتجه الجماهير من خطابات ندا للخطاب الرسمي في بدايات الثورات، ثم ما فتئ هذا الخطاب أن احتل الصدارة على خشبة التواصل السياسي، بل إنه تحول إلى فعل كلامي كبير macro acte يدعو الجماهير الثائرة إلى الصمود ومواصلة النضال، ويحث السلطة على التنازل من عليائها لفائدة الجماهير الثائرة حين فرضتمطالبها وأنقذت شروطها السياسية[14]. وقد سمح ذلك بنقض خطاب الأقوى سياسيا، وكان من نتائج ذلك حصول انفجار خطابي أسفر عن إنتاج كم هائل من الخطابات في لحظة وجيزة، فضلا عن تنوع هذه الخطابات من حيث طبيعتها، بين الخطاب اللغوي والإيقوني والمسرحي ... وكأن الخطاب كان يعيش نوعا من الانحباس والاختناق، لكنه ما فتئ أن انطلق فجأة جارفا كل ما يجده أمامه.

وكان من نتائج هذا التحول أن "تبلورت قواعد جديدة لإنتاج الخطاب وتوزيعه واستهلاكه"[15]، فرضتها الجماهير الثائرة،فأحدثت زلزالا خطابيا هاما، قلب موازين القوى؛ فالخطابلا يصنعه الساسة فقط، بل تسهم في صناعته الجماهير أيضا، من خلال الاستناد إلى بلاغة راهنت على "تثوير الخطاب بموازاة مع تثوير المجتمع. وقد حققت ذلك عبر عمليات تفنيد ونقد مكثفة لخطاب السلطة القائمة"[16].

4-2-نقض أنواع الخطاب الرسمية

شهدت الثورات العربية إنتاج خطابات جديدة بديلة عن الخطابات الرسمية التي فرضت وجودها لمدة طويلة جدا من الزمن في الساحة السياسية العربية، إنها تلك الخطابات المنسجمة الوقورة، ممثلة أساسا في الخطبة السياسية المنظمة زمنيا المبنية وفق أجندة محسوبة واستراتيجية معلومة، تتضافر جهات متعددة في بنائها والتأسيس لها، والمشدودة إلى ذخيرة خطابية معلومة، والحاملة لإيديولوجية محددة هي إيديولوجية الدولة. وغالبا ما يكون الإنتاج فيها والإنجاز مختلفين من حيث المصدر. لكن الخطاب البديل أو ما يسميه عماد عبد اللطيف بالبلاغة الوليدة[17]، التي "تتضمن مجموعة من القيم والمبادئ التي يؤمن بها الثوار والأفكار والآراء التي يتبنونها ويدافعون عنها، والمصالح والأغراض التي

14- إن تبادل الأدوار بين المركز والهامش لم يعمر مدة طويلة، إذ ما فتئت موازن القوى أن ترجحت لفائدة الأقوى سياسيا عندما لملم صفوفه واستعاد قوته، بل إنه أصبح أقوى مما كان عليه من قبل.

15- بلاغة الحرية، ص 13

16- م ن، ص 26

17- هي ليست بلاغة وليدة في الواقع إنها بلاغة محاصرة ومخنوقة كانت تنتظر فرصة الانبثاق والانفجار، فلما سنحت الفرصة بذلك انفجرت.

يستهدفون تحقيقها، وشبكة التحالفات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يحاولون أن يؤسسوها، وصور الماضي الذي يثورون عليه، وملامح المستقبل الذي يبشرون به"[18]، فقد فرضت نفسها بقوة في سياق الربيع العربي، حيث جاءتاستجابة مؤجلة لزمن طويل من التسلط والعنف والهيمنة والتحكم،وبهذا يكون الخطاب الرسمي موضوعا للثورة وهدفا للتجاوز.

وفي هذا السياق فالبلاغة البديلة قد قطعت مع خطاب الماضي وقوضته، وأنتجت بدائل له من عدة نواح، منها:

- لم يحفل خطاب الثورة بالأنواع الخطابية الكلاسيكية، إلا قليلا؛
- شكلت مضامين خطاب الثورة فضحا للخطاب الرسمي، ورصدت ما يعتريه من تناقضات، وما ينطلي عليه من كذب (بلاغة الجمهور)؛
- تنوع الأشكال التي اتخذها خطاب الثورة، حيث تضمن أنماطا خطابية متنوعة ك"الكرافيتي، اللافتات واللقاءات التلفزيونية، والبرومو، والمناظرات الانتخابية، وتعليقات اليوتوب وغيرها"[19].
- اعتماد الخطاب الرسمي آليات فنية متعددة كالسخرية للتندر من القرارات السياسية الرسمية، فضلا عن المسرح والغناء...؛
- فاعلية الجماهير وبلاغتها من خلال إنتاجات استجابات خطابية مضادة للخطاب الرسمي،
- اعتماد وسائط يسهل الولوج إليها، فضلا عن كونها مجانية لا تتطلب دعما ماديا مهما كما هو الأمر بالنسبة إلى القنوات الرسمية كالتلفاز والجريدة...

2-5-نقض قنوات التصريف الرسمية للخطاب

إذا كانت البلاغة البائدة قد اتخذت القنوات التقليدية كالتلفاز والجريدة والمنشور...آلياتأساسية لتصريف خطاباتها وترويجها، فإنه في ظل حرية البلاغةقد طفت إلى السطح قنوات جديدة أضحت متاحة بفضل ظهور شبكة الأنترنيت والربط، سمحت "بتنوع الوسائط المستعملة في إنتاج خطاباته (الربيع العربي)، وتداولها وتوزيعها. فبالإضافة إلى الوسائط التقليدية [...] يشهد الربيع العربي تدشين الفضاءات الافتراضية بوصفها فضاءات تواصل سياسي تنتج فيها الاحتجاجات السياسية والأفعال السياسية أيضا"[20].

وهكذا فإن تحرر البلاغة قد سمح بالاستعاضة عن القنوات الرسمية بقنوات بديلة اعتبرت إلى وقت قريب هامشية؛ من خلال اعتماد منصات التواصل الاجتماعي لتأسيس الرأي المشترك وصنع القرارات وحشد الآراء وشحذ الهمم، فضلا عن اعتماد اللافتات ذات الخطاب المكثف والمباشر والواضح

---

[18]- البلاغة والحريّة، ص 26

[19]- بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب، ص 231

[20]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، مجلة كيرالا، المجلد 1، العدد 2، 2017، ص 230

الخط، زيادة علىتوجيه الخطاب للجماهير من خلال المنصات التي كانت تنصب في الميادين. إلا أن الفرق بين الخطابة الرسمية والخطابة البديلة من هذا الجانب الأخير، يتمثل في كون التفاعل في الثانية مباشر من خلال حضور الجمهور للميدان ومتابعته للخطابات، والتفاعل معها وإنتاج استجابات لحظية حقيقية، بينما المتلقي في الخطاب الرسمي كان مستحضرا في جل الخطابات من طرف الخطيب يتصور له هيئة ويقد له خصائص محددة، حتى في حالة الخطاب المباشر فالجمهور كان ينتقى بدقة كي ينتج استجابات تم التخطيط لها مسبقا. كما اعتمدت البلاغة الوليدة القوة الجماعية المستندة إلى الجماهير من خلال اعتماد الترداد الجماعي للخطاب، وهو إجراء دال بلاغيا، وفاعل تداوليا لأنه يعبر عن الرأي الجماعي، والفرد ضد المجموعة والرفض بالصوت العالي.

إن تحرر البلاغة وانتقالها من الخفاء إلى التجلي ومن استراتيجيات الإضمار والتلميح والمجاز والرمز إلى الوضوح والتصريح والإفصاح، قد حصل نتيجة استثمار الجماهير الثائرة للعوالم الخفية غير المرئية، في مقابل العوالم المرئية التي استندت إليها البلاغة الرسمية، وقد "وصل تأثير هذه الفضاءات إلى درجة اختزال الربيع العربي فيها، كما يتجلى في تعبيرات مثل (ثورات الفيسبوك)، و(الربيع الافتراضي)"[21].

ومن الخصائص الهامة لهذه الوسائط أنها مكنت من إنتاج استجابات واسعة النطاق اتسمت بالآنية وضعف الخضوع للرقابة وتعدد أنواع الاستجابات وقابلية تجهيل المصدر وقابليتها للحصر والقياس[22].

وفي هذا السياق، أجبرت بلاغة السلطة إلى التوسل بالوسائط التي وظفتها الثورة بالتجائها إلى ما يسميه عماد عبد اللطيف بترويض الوسيط، حينما اكتشفت أن قنواتها التقليدية قد فشلت في مجاراة خطاب الثورة.

6-2- بلاغة الشباب ونقض بلاغة الكبار

يخلص عماد عبد اللطيفبناء على استقراء تاريخ الثورات العربية إلى أنه "لم يشهد العالم العربي طوال تاريخه الحديث (والقديم أيضا) حركات احتجاج سياسية شعبية مماثلة في انتشارها وكثافتها واستمراريتها ومطالبها الجذرية لتلك الحركات التي أصبحت تعرف بالربيع العربي"[23]. وهذا ما أنتج صراعا مريرابين بلاغتين:بلاغة الكبار؛ والكبر هنا بمفهومه البيولوجي والسياسي وبلاغة الشباب الجديدة، بلاغة مشدودة إلى الماضي بخلفياته الإيديولوجية وحمولته الثقافية وإرثه السياسي، وبلاغة بديلة مشدودة إلى المستقبلبطموحه

[21] - بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي، ص 230

[22]- بلاغة الحرية، ص ص 59- 60

[23]-بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي، ص 229

الجامحوحلمه ومثاليته، بلاغة تحررت للتو من إيسار بلاغة قاهرة متسلطة مهيمنة فرضت نفسها لفترة زمنية طويلة، بلاغة تسعى إلى الحفاظ على الوضع القائم بكل ما تملكه من إمكانات مادية ومعنوية وخطابية، وبلاغة تستشرف مستقبلا واعدا، أو لنقل بلاغة الجمود وبلاغة التغيير. والعلاقة بين البلاغتين يحكمهاالتدافعبمنطق خطاطة القوة. إنه نوع من الصراع بين "من لا يملكون إلا سلطة الخطاب والتشكيل الرمزي للحشود من جهة، ومن يملكون الصلاحيات السلطوية كاملة"[24]. والصراع في التصورات الاستبدادية محكوم بمنطق يقوم على كون "الحق في الكلام يعطى لمن يملكون صلاحيات الكلام، وحين يتكلم من لا بملك هذه الصلاحيات، فإن كلامه يصبح بلا قيمة"[25]، فيكون مصيره التهميش وسيل من التهم التي تخونه وتتهمه بزرع الفتن...

تنظر بلاغة الشباب إلى بلاغة الكبار العابسة والوقورة والجادة من منظورها الخاص، وتؤول مضامينها بطريقتها الخاصة، تجذب ثيابها وتنتف لحيتها وتسخر منها، إنه النفور من الأنظمة الاجتماعية الرسمية والشخصيات المنسجمة، والعالم المنظم ظاهريا، تصور لنا بلاغة الشباب العالم في صورته الحقيقية، من خلال كشف عوراته، وفضح عيوبه، فيظهر لنا من خلالها المثلث مربعا والمستطيل معينا، حتى ليصاب المرء بالدهشة، فيقول " العجاب ولا حاجة مكادة"[26]. تشكل بلاغة الشباب بلاغة من لا بلاغة له وبيت من لا بيت له، فهي صوت المقهورين والمهمشين والمنبوذين والمستعبدين... تسعى إلى خلق "خلق اتصال حر لا تشوبه أشكال عدم التكافؤ الاجتماعي أو القمع الخارجي أو القهر الداخلي وتعزز من قدرة الجمهور على إنتاج خطابات مقاومة وتحررية"[27].

6-2-نقض هيمنة الذكور، ثورات بنكهة حواء (المرأة أيقونة الثورة):

تصنع كل ثورة أيقونتها على مستوى الأشخاص، من خلال انبثاق ذلك الرمز الملهم للجماهير الثائرة الذي يمنحها الدافعية للاحتجاج والاستمرار في ذلك.و"للأيقونات وظائف جمة في تفعيل خطاب الثورة. فالأيقونة علامة محملة بطبقات كثيفة من الدلالات والإيحاءات والانفعالات، ويؤدي تداولها إلى استدعاء هذه الدلالات والإيحاءات والانفعالات لدى من يتلقونها وتوجيهها نحو أفعال ومواقف وخبرات جديدة"[28]. ولذلك، يعد صنعها أمرا هاما في الثورات ضمانا للانسجام بين الثوار ودفعا لكل أشكال الفتور التي قد تصيبهم؛

---

[24]- م ن، ص 236

[25]- م ن، ص 236

[26]- أقمنا تناظرا بين القصة القصيرة من منظور بوزفور في علاقتها بالأجناس الأخرى بالبلاغة الحرة في علاقتها بالبلاغة الرسمية.

[27]- بلاغة الحرية، ص 62

[28]- م ن، ص 34

لأن الثورات تتطلب نفسا طويلا وتضحيات جسام على المستويين المادي والمعنوي.
لقد كسرت الثورات العربية هيمنة الذكور في مسارح الاحتجاج، إذ شهدت مشاركة وازنة للمرأة، التي وقفت إلى جانب الرجل في الميادين من أجل المطالبة بتحقيق عيش أفضل، وضمان عدالة اجتماعية ينعم في ظلها الكل. إن خروج المرأة للاحتجاج لم يكن حكرا على ثورة بعينها، أو بلد بعينه، بل نجد لها حضورا فاعلا في كل الثورات التي عرفها العالم العربي، ولا عجب في ذلك، ما دامت هذه الثورة تعبر عن مطالب الفئات المهمشة، والمرأة في العالم العربي جزء هام جدامن هذه الفئات.
تشهد على هذا الحضور القوي الثورة اليمنية من خلال مشاركة حشود النساء اللائي تجمعن في الشوارع والساحات من أجل المطالبة بتغيير الوضع الراهن، ونشدان عيش أفضل، في تحد واضح لقوى الأمن، ومقاومة الأنظمة المتسلطة، وهو ما شكل مفاجأة للكل، حيث كان الاعتقاد السائد أن الثورة يقودها الرجال، وأن المرأة ستكون مشاركتها باهتة، مما نقض تلك الصورة النمطية عن النساء المتمثّلة في لزومهن الصمت ومكوثهن في بيوتهن.ومن النساء اللائي شكلن أيقونات في الثورة اليمنية نذكر الحقوقية "توكل كرمان" التي لقبت ب"أم الثورة"، والحائزة على جائزة نوبل للسلام، إذ كانت محركا أساسا للثورة اليمنية وملهما للنساء والرجال على حد سواء. وهكذا، شهدت كل الثورات نماذج نسائية قادت الثورات، وشكلت لسان الثوار، ومن ذلك،المدونة التونسية "لينا مهنا"، وأسماء محفوظ في مصر وغيرهن كثير، كلهن أسهمن في "صياغة وعي جمعي شامل"[29]، عمل على حفظ لحمة الثوار، وزاد من حماسهم في التشبث بالمطالب المشروعة للجماهير الثائرة.
ولعل أبرز الرموز التي صنعتها الثورات الأخيرة نذكر الشابة"آلاء صالح"، التي ألهبت حماس الجماهير الثائرة في السودان، حيث وصفت من طرف السودانيين بمجموعة من الألقاب منها، "تمثال الحرية" من خلال صورة أخذت لها وهي تعتلي سيارة في ثوبها الأبيض، مما جعلها رمزا للحرية والدفاع عن حقوق السودانيين التي أقبرها النظام، فضلا التشابه الحاصل بين الصورة الملتقطة وتمثال الحرية من خلال يدها الممتدة إلى أعلى.كما لقبت ب"كنداكة" وهي ملكة سودانية قديمة، في إشارة إلى تجدر دور المرأة الفاعل في المجتمع السوداني، إضافة إلى كون تشكل رمزا للقوة والكفاح.
لقد كان من مظاهر تحرر البلاغة صعود المرأة إلى خشبة التواصل السياسي من خلال مشاركتها الفاعلة في صنع الثورات العربية، بل إنها تحولت إلى أيقونة ألهمت الجماهير الثائرة وألهبت حماسها، لكون الأيقونة "تحظى بدرجة كبيرة من

[29]- بلاغة الحرية، ص 34

القبول الجماعي واسع الانتشار، وتشكل أرضية مشتركة بين شرائح واسعة من الجمهور"[30]. وهو ما كسر العقلية الرسمية المؤسسة على هيمنة صوت الرجل، والنظر إلى دور المرأة نظرة سلبية. لقد أصبحت البلاغة لسان الكل، حينما استدعت صوت المهمشين والمنبوذين والمغضوب عليهم، حيث استرد الكل الحق في الكلام.

7-2-تحرر البلاغة: من المواربة إلى التصريح

يلتجئ الأضعف سياسيا،نتيجة للحصار المضروب عليه ككيان وبالتالي على خطابه، إلى التوسل بمجموعة من الآليات الخطابية غير المباشرة، تسمح له بتمرير أفكاره ومواجهة سلطة الأقوى سياسيا دون أن يثير كلامه ذلك أية مشاكل قد يؤدي حريته أو حياته ثمنا لها. وفي هذا السياق اعتمد خطاب ما قبل الثورات جملة من الحيل اللغوية والتقنيات البلاغية تقوم على الاستعارة والكناية والرمز وتلطيف الخطاب... في مخاطبة السلطة وفي حديثه عنها وفي معرض مطالبته بحقوقه "نتيجة الخوف المزمن من القهر والبطش"[31]، وذلك فيمقابل خطاب السلطة الذي يقوم على التسلط بالخطاب وعنف اللغة وبطشها "وادعاء امتلاك اليقين التام والحقيقة المطلقة"[32]، فضلا عن اعتماد لغة تحقيرية تستهين بقدرات الجماهير الإدراكية من خلال استثمار جملة من آليات الإخفاء والهيمنة والكذب الخطابي.

إلا أن نسائم الثورات العربية قد غيرت الإنسان سيكولوجيا وعاطفيا قبل أن تغير سياقاته السياسية والاقتصادية، إذ مزقت ستار الخوف المادي، لتمزق معه ستار الخوف الخطابي، فأصبح "الأشخاص أميل إلى استخدام لغة غير مجازية مباشرة وواضحة وقاطعة"[33]، لغة لا توارب ولا تراوغ تسمي الأشياء بمسمياتها وتصف الواقع كما هو دون مواربة أو نفاق، محطمة أصنام الخوف وآلاف السنين من الصمت والمراوغة[34]، واللعب اللغوي.

لقد عملت الجماهير الثائرة على تعديل خطاباتها مرتقية في سلم المطالَب مع مرور الأيام، حيث انتقلت من المطالبة بتحقيق بعض المطالَب ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي (المساواة – الحرية- العدالة الاجتماعية...)، إلى المطالبة برحيل النظام وزبانيته والإلحاح في ذلك (ارحل- ارحل...)، وهي مطالب لم يكن، ربما، أكثر المتفائلين يتوقعها قبل الثورة، ورأينا بالمقابل تحولا عكسيا في خطاب الأقوى سياسيا منتقلا من القوة والتهديد والاتهام والأمر والنهي إلى عرض الذات إيجابيا من خلال استحضار الإيتوس الاجتماعي والتاريخي

---

[30]- م ن، ص 34

[31]- م ن، ص 53

[32]- بلاغة الحرية، ص 24

[33]- م ن، ص 54

[34]- م ن، ص ن

لاستمالة عواطف الجماهير والدفع بها إلى العدول عن مطالبتها برحيل النظام في حالة مبارك، وإلى قبولها بالخطأ والاعتراف بغفلتها عن مطالب الشعب وحاجياته في حالة بنعلي (فهمتكم).

لقد استطاعت البلاغة البديلة فرض ذاتها من خلال إحداث تغير واضح على مستوى آلياتها الخطابية ولغتها، وطرق تصريفها للخطاب، وقد سمح بذلك الحرية التي أضحت تتمتع بها في سياق ما سمي بالربيع العربي. ولعل هذه الحرية هي التي أسهمت في التغيير الاجتماعي والسياسي الذي حصل إثر الثورة. لقد خلقت الثورة بلاغتها الخاصة حينما تحررت من إيسار البلاغة التقليدية التي تشكلت وسادت مدة طويلة جدا، فتمكنت من صنع حريتها الخاصة، وَلمَّا تأتَّى لها ذلك صنعت بلاغتها، بل إنها صنعت حريتها بواسطة بلاغتها.

تركيب

لقد صنعت الثورات العربية حريتها، من خلال تحرير البلاغة على عدة مستويات:

- على مستوى المتكلم:
  - تم الانتقال من بلاغة الكبار إلى بلاغة الشباب؛ إذ أصبح للشباب كلمته المسموعة من خلال ما ينتجه من خطابات في سياق الثورات العربية؛
  - الانتقال من هيمنة الذكورة إلى بروز دور المرأة التي شكلت في كثير من الثورات العربية أيقونة التفت حولها الجماهير الثائرة؛
- على مستوى الخطاب:
  - تم الاحتفاء بالخطاب المهمشين والمقهورين على حساب الخطاب الرسمي؛
  - تنويع أشكال الخطاب بالمقارنة بالأنواع الخطابية المنتجة قبل الثورات؛
  - اعتماد آليات خطابية صريحة ومباشرة وواضحة الدلالة مقابل المواربة والمراوغة والتورية التي سادت من قبل.
- على مستوى قنوات تصريف الخطاب:
  - الاستناد إلى قنوات بديلة لتمرير الرسالة تتميز بسرعة الولوج وإمكانية إنتاج استجابات لحظية سريعة مقابل القنوات الرسمية السائدة المعتمدة من لدن البلاغة البائدة.

لائحة المصادر والمراجع

-محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، ط 2، 2012،

- فان دايك، الخطاب والسلطة، تَر غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014،

- عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، بيروت- القاهرة، 2013

- مشيل فوكو، نظام الخطاب، تَر محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص231

- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، مجلة كيرالا، المجلد 1، العدد 2، 2017

رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات
من خلال كتابه: البلاغة والتواصل عبر الثقافات

د. خالد التوزاني[1]

قدّم الدكتور عماد عبد اللطيف مقاربة مغايرة للتواصل عبر الثقافات، فإذا كان التواصل في بعده المتداول يقوم على التفاهم والقبول والتعايش بين مختلف الفئات التي نجحت في خلق جسور التواصل بينها، فإنه بالنسبة عماد عبد اللطيف يندرج ضمن مشروع معرفة الذات العربية قبل كل شيء، ومحاولة رسم خريطة للمعارف الضرورية التي يحتاجها العرب اليوم في تواصلهم مع الثقافات الأخرى، وسنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على جوانب من هذه الرؤية الحضارية للتواصل، والتي نقلت هذا المفهوم من بعده التداولي البسيط، إلى رؤية أعمق ومقاربة أشمل، ترى في التواصل أحد الرهانات الكبرى لولوج النهضة، وتجاوز أزمة الخطابات التقليدية، وذلك من خلال قراءة في كتابه: البلاغة والتواصل عبر الثقافات، ومحاولة مقارنة رؤيته التأصيلية بما هو موجود في التراث العرفاني، باعتبار هذا التراث ثورة روحية مجدّدة، تتقاطع مع رؤية الدكتور عماد في بعض الجوانب، كما يُبدع في إضافات أخرى تجعل رؤيته للتواصل رؤية عالمية تستحق البحث والدراسة.

عتبات البلاغة والتواصل عبر الثقافات

على الرغم من صغر حجم كتاب البلاغة والتواصل بين الثقافات، الذي لا يتجاوز 130 صفحة، إلا أنه يضم مادة ثريّة ومركّزة، تؤصّل للحِوار الحضاري والتواصُل الثقافي، وتقدّم رؤية علمية دقيقة ومقاربة ثقافية شمولية جديرة بالبحث والدراسة، وبالمناقشة والتوظيف والتداول، ويظهر ذلك جليّاً في فصول الكتاب الأربعة، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، ثم قائمة بمصادر ومراجع توجّه أنظار الدارسين والباحثين إلى أهم الكتابات في مجال التواصل والبلاغة وحوار الثقافات.

صدر كتاب البلاغة والتواصل عبر الثقافات في طبعته الثانية، المزيدة والمنقّحة، عام 2018، عن دار النشر: شهريار، بالعراق، وتوزيع دار الرافدين ببيروت.

افتُتِحَت مُقدِّمةُ هذا الكتاب، بمقولةٍ للسَّيدة آنا إلينور روزفلت زوجة الرئيس الأمريكي فرانكلي نروزفلت، والتي كان لها حضورٌ قويٌّ في السياسة الأمريكية في الفترة من 1933م إلى 1945م، تقول: "ينبغي أن نواجهَ حقيقةَ أنّنا إمّا أن نحيا معاً،أو نموتَ معاً، وإذا كُنّا سنحيا معاً، فلابدّ أن نتحاور". ويبدو أنَّ هذه

[1] أكاديمي مغربي- رئيس المركز المغربي للاستثمار الثقافي –مساق- touzani79@hotmail.com

المقولة تشكّلُ عتبةً أساساً لولوج موضوع الكتاب؛ من حيث التأكيد على ضرورة الحوار وحتميته، وأيضاً أهميته وخطورته في الآن ذاته، ويتأكّدُ ذلك من خلال الاطلاع على باقي العتبات الأخرى في الكتاب، وخاصة المقولات الممهّدة للفصول وعناوينها، والتي تتضمن جميعها كلمة "الثقافات" كما تحضر عبارة "حوار الثقافات" ابتداءً من عتبة الفصل الأول وانتهاءً بالخاتمة، الشيء الذي يجعل من البلاغة والتواصل عبر الثقافات مشروعاً علميّاً أكثر منه كتاباً ثقافياً أو مجرّد دراسة علمية، وهذا يعني أيضاً أنَّ الكتاب بمثابة مدخل أو مقدّمة لتأصيل قضايا البلاغة والتواصل عبر الثقافات، محاولاً مدّ جسور الالتقاء بينهما، من أجل تصحيح مسار الحوار العربي مع الآخر، وخاصة الغرب، فالحوار بين جماعتين ثقافيتين مختلفتين، يحتاج إلى عُدّة منهجية متوازنة وعتادٍ معرفيٍّ متكامل، لكي يحقّق الأهداف المرجوّة منه، وهذا الكتاب، بتعبير الدكتور عماد عبد اللطيف،"يضعُ لبنة أولى في مشروع معرفيّ يُعنى بدراسة تأثير لغة العرب وبلاغتهم، وطرقهم في التواصل، وتأثير ذلك في علاقاتهم مع الثقافات والحضارات الأخرى، والحوار أحد أشكال هذه العلاقات، وذلك بغية مراجعة ثقافة العرب في التواصل وتطويرها"[2]، وأيضا تجاوز معوّقات التواصل ومشكلاته بين الثقافات، من خلال استثمار معطيات بعض العلوم ومنها البلاغة التقابلية والبلاغة المقارنة ودراسات التواصل عبر الثقافات والتداولية، وتوظيفها في تحسين التواصل وتجاوز معوّقاته.

تضمَّنت المقدمة أهداف الكتاب وعلى رأسها تغيير نظرتنا للتواصل،ففي نظر الدكتور عماد عبد اللطيف:لتفعيل التواصل بين الثقافات لابد أن يفيد من الحقول المعرفية المعاصرة، مثل علوم التواصل والبلاغة والتداولية، وتوظيف الذخيرة المعرفية والمنهجية التي قدّمتها تلك العلوم في استكشاف عوامل الضعف التي تعتور التواصل بين الثقافات، ومكامن المشكلات التي تعترضه، والتحديات التي تواجهه، وقد حَمل الكتاب على عاتقه القيام بجزء من هذه المهمّة، فيما يخصّ الأبعاد اللغوية والبلاغية والتواصلية للحوار بين العرب والغرب وذلك من خلال تتبع الدراسات الأكاديمية المتخصّصة التي عالجت الحوار بين الثقافات، أو ما له صلة باللغة والتفكير والثقافة، واستخلاص النتائج التي قدّمتها هذه الدراسات، وإعادة استثمارها في سياق تأصيل الحوار بين الثقافتين العربية والغربية والارتقاء به.

يُصرِّح الدكتور عماد عبد اللطيف في مقدمة كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات بأهدافِهذا المشروع الطموح، والتي أجملها في هدفين: الأوّلُ عمليٌّ؛ هو تشخيص المشكلات اللغوية والبلاغية التي تعوقُ التواصلَ العربي- الغربي، أو

---

[2]عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافي، دار النشر: شهريار، بالعراق، وتوزيع دار الرافدين ببيروت، ط:2، 2018،ص: 110

تُفشِلُه، وتحديدُ جذور هذه المشكلات والأسباب المؤدية إليها، واقتراحُ بعض الحلول العملية للتغلّب عليها، أو تقليل تأثيرها السلبي، وذلك إسهاماً في رسم خريطة للمعارف الضرورية التي يحتاج إليها مخطّطو التواصل مع الغرب، ومقيّموه، والمشاركون فيه.

أما الهدف الثاني، فهو نظريّ؛ يتمثّل في محاولة وضع تأسيس نظري لبعض أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربية والثقافة العربية من ناحية، واللغات والثقافات الغربية من ناحية أخرى، ولا تكمن أهمية هذا التأسيس في تحسين التواصل مع الآخر الغربي أو الشرقي فحسب، وإنما تندرج أيضاً ضمن مشروع معرفة الذات العربية قبل كل شيء.

وفيما يخص منهج الكتاب، فقد اعتمد المنهج الوصفي المقارن، حيث يتتبع الخصائص اللغوية والبلاغية والتواصلية للثقافتين العربية والغربية، ويقارن بينها، ويبحث الآثار الإيجابية أو السلبية التي قد يُحدثها اختلاف هذه الخصائص في التواصل الحالي أو المستقبلي بين العرب والغرب، كما يتبنى الكتاب في بعض مواضعه، وبخاصة في الخاتمة، منظوراً معيارياً؛ إذ يقترح حزمة من المعايير، والتوصيات، التي يمكن أن تُسهِم في التقليل من آثار هذه الاختلافات أو تجاوزها.

وعلى مستوى الأسلوب المعتمد في الكتابة؛ فقد اختار الأسلوب الحجاجي، حيث يعتمد على المنطق والسّببية واستحضار الأدلة العقلية والاستشهادات التي ينطلق منها لبناء الأفكار والتدرّج في عرضها من العام إلى الخاص، مع نقد الكثير من المواقف والآراء وتكييفها لتتناسب مع خصوصيات اللغة العربية، وطبيعة الذهنية العربية، إسهاماً في تجديد التواصل وتفعيل الحوار، وجعل البلاغة مؤثرة في الخطابات المعاصرة وسياقات التواصل الجديدة.

من أهمية الحوار إلى معوّقاته

استعرضَ الدكتور عماد عبد اللطيف في مقدمة كتابه: البلاغة والتواصل عبر الثقافات، مجمل الدراسات السابقة في موضوعه، والتي صنّفها ضمن ثلاثة اتجاهات:

الأول؛ توجّه معنيٌّ بما أسماه "إرشادات الحوار"، ويتضمن كتاباتٍ تُقدِّمُ بعضَ التعاليم والنصائح والإرشادات للمشاركين في حوارات، أو مناظرات بهدف إنجاحها، ومن الأمثلة كتاب أخلاقيات الحوار لمؤلفه عبد القادر الشيخلي.

الثاني؛ توجّه يُعنى بالبحث في خصائص نوع محدّد من أنواع التواصل، في سياق تاريخي أو سياسي محدّد، ومن الأمثلة كتاب أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي، لمؤلفه حسن وجيه.

الثالث؛ توجّهٌ يُعنى بالبحث في ذخيرة الحوار التي أُنتِجت في فترة تاريخية بعينها، ومن الأمثلة كتاب المضمون السياسي للحوار العربي الأوربّي، لربيع حامد.

وقد أكّد الدكتور عماد عبد اللطيف، أنّ هذه التوجّهات الثلاثة لم تكن مرتبطة بالتواصل بين العرب والغرب، أو بمشروع الحوار بين الحضارات، وإنما التواصلُ الذي تدرسُهُ هو تواصلٌ داخل الثقافة الواحدة، وليس عابراً للثقافات، وما يُميّز بين المتحاورين في مثل هذه الدراسات هو الخلاف في المعتقَد، أو الانتماء السياسي، وليس الاختلاف في اللغة أو الثقافة، مشيراً أيضاً إلى توجّهٍ حديثٍ نسبيّاً، يُعنى بشكلٍ مباشرٍ بمسألة التواصل بين الثقافات والحضارات والأديان المختلفة، ويُمثِّلُ محور أنشطة مراكز بحثية وأكاديمية في كثير من دول العالم العربي، الشيء الذي يدلّ على تنامي الوعي بأهمية الحوار والتواصل، غيرَ أنَّ معظم الكتابات في هذا المجال، انصرف اهتمامها إلى مناقشة مسائل نظرية عامة، تركّز على الماهية وليس الكيفية، وعلى الشروط لا الوسائل، ومن ثمَّ فقد كُتِبَ الكثير عن أهمية الحوار وشروطه، والترحيب بالحوار وضرورته، في حين لم تحظَ مُعوّقات الحوار باهتمامٍ كبير، فقد كان التركيز على النتائج دون الانشغال بالأدوات والعمليات، هو السِّمةُ الغالبةُ على معظم الدراسات السابقة في التواصل وحوار الثقافات، ومن ثمَّ يأتي كتاب الدكتور عماد عبد اللطيف، لتقييم المسار وتصحيحه ضمن مشروع رائد، يطمح نحو تجاوز ثغرات الدراسات السابقة، من خلال دراسة التواصل عبر الثقافات من منظور علوم اللغة والتواصل، وفي الآن ذاته محاولاً تصحيح الكثير من المفاهيم وتدقيق بعض المصطلحات الشائعة، وعلى رأسها مفاهيم العرب والغرب والثقافة والتواصل والحوار.

حمَل الفصل الأول عنوان: الحوار بين الثقافات؛ مفاهيمُ وسجالاتٌ، افتتحه المؤلف بمقولة للدكتور روجي جارودیه، يقول: يفترض الحوار بين الحضارات أنَّ كلّ طرفٍ مقتنعٌ بأنَّ ثمّة ما يُمكن أن يتعلّمه من الطرف الآخر.

استعرض الدكتور عماد عبد اللطيف في الفصل الأول السياق التاريخي للحوار بين الحضارات، مبرزاً أنَّ مصطلح الحوار حديث عهد في التداول العربي، ويعود ظهوره للواجهة بسبب الخطر الذي يتهدّد البشرية، جراء استمرار الصراع والمواجهة التي تهدّد البشرية بالفناء، فكان الحوار شعاراً لتقليص الفجوة بين الشعوب والثقافات، حيث حاول الكثير من المفكرين والفلاسفة ودعاة السلام تأصيل هذا الحوار، من خلال أعمال عرفت انتشاراً واسعاً، ويتعلق الأمر بما قام به روجي جارودیه، وصمويل هنتنتجون، وأيضا تبني عدد من رؤساء الدول مبدأ الحوار مع المخالفين، بوصفه بديلا حتميا للصراع.

تناول أيضاً دور العرب والمسلمين في طرح مبادرةِ الحوار بين الحضارات وتعزيزها، مؤكداً جهود المؤسسات الثقافية العربية والإسلامية ودور المدن والأقطار في إثراء الحوار بين الحضارات وتدعيمه ومساندته بعد الدعوة إليه، مستحضراً بعض جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، وخاصةً إصدارها لما بات يُعرفُ بالكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات،

والذي يضُمّ تصوّر هذه المنظمة للحوار، فضلا عن مجموعة من الوثائق تشمل القرارات والتوصيات والإعلانات والبرامج التنفيذية المصمّمة لهذا الغرض، إضافة إلى مشروع الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات، ومشروع منظمة المؤتمر الإسلامي حول الحوار، ولذلك يَعْتَبِرُ الدكتور عماد عبد اللطيف الكتاب الأبيض سِجلّا توثيقيّاً للحوار بين الحضارات، أسهم به العالمُ الإسلاميُّ في تخليد عام الحوار الدولي بين الحضارات، كما أكدّ أيضاً أنَّ العربَ من أكثر الشعوب اهتماماً بمشروع الحوار بين الحضارات، معتبراً سبب ذلك تضرّرهم المباشر من غياب الحوار، حيث أصبح العرب في السنوات الأخيرة مرمى سهام نظرية الصراع بين الحضارات، وتطبيقاتها المتمثلة في سياسة الغزو الاستعماري الجديدة التي تتجلى بوضوح في احتلال العراق.

يُخصِّصُ الفصل الأول أيضاً، حيّزاً لبحث جذور الحوار العربي ـــ الأوربّي، والتي تعود إلى حرب أكتوبر 1973، بعد أن ظهرَ العربُ بوصفهم قوةً اقتصاديةً و سياسيةً كبيرةً على السَّاحة الدولية، وتَمَّ تغيير استراتيجيات التواصل مع الغرب الأوروبّي بتعزيز الحوار وتوثيق العلاقات، لكن مع ذلك بقيت النتائج محدودة جداً، بل إنَّ الصورةَ ازدادت سوءاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وغزو العراق، فكلاهما دعّمَ تصوّرات سلبية عن الطرف الآخر، وقد تذرّع بعضهم بأحداث سبتمبر لإلصاق تهمة الإرهاب بالعرب خاصةً، والمسلمين عامَّةً، في حين كان الغربُ حسب تعبير الدكتور عماد عبد اللطيف تجلّياً بَشِعاً لأحد وجوه الغرب القبيحة؛ ويقصد وجه الغرب الاستعماري الاستغلالي الوحشي[3].

ومع التحولات العميقة التي يشهدها العالمُ اليوم، وخاصة بداية تشكّل عالم متعدّد الأقطاب، حيث لم تعد تهيمن قوّة واحدة، تملكُ السِّلاح العسكري لفرض سُلطتها، بل أصبحت الآن قوى مختلفة متقاربة في قوتها، ومختلفة في فلسفاتها، فقد شَهِدَ العِقد الأخير بزوغ الصِّين قوةً عملاقةً، واسترداد روسيا لمكانتها، وأصبحت اقتصاديات دولٍ لها حضاراتها الخاصّة كالهند والبرازيل وجنوب إفريقيا وتركيا أقوى من اقتصاديات دول كفرنسا وإيطاليا، وهو ما يعني أنَّ الحوار بين هذه القوى المتباينة سوف يكون أداة المستقبل للتعايش فيما بينها، إذ لا طاقة للعالم اليوم في تحمّل تبعات حرب كونية، قد تهدم جهود سنوات طويلة من البناء.

ويرى الدكتور عماد عبد اللطيف، أنه لا يكفي أن تكون الظروف العالمية الراهنة، مواتية لترسيخ الحوار وتوثيقه، بل لا بد من توافر معارف أساسية لَدَى أطراف هذا الحوار، من أهمها معرفة أنفسهم، ومعرفة مَنْ يتحاورون معه، وتحديدُ أيّ حوار يرغبون في تحقيقه، وأيّ أهداف يبتغونها منه، ولذلك حاول تقديم تعريف للعرب وللغرب، وأيُّ حوار يمكنُ أن ينشأ بينهما، مركّزاً على القواسم المشتركة، وعلى التنوع الذي ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان عند أي

[3] عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الحضارات، مرجع سابق، ص: 25.

تخطيط لحوارٍ ناجعٍ، فالعربُ يحتاجون إلى أكثر من سيناريو للحوار مع الغرب، يستحضر خصوصيات الثقافات المحلية في الغرب.

كما يحاول كتاب البلاغة والتواصل عبر الثقافات، تحديد مفهوم "الغرب"؛ من الناحية الزمنية، الغربُ يوجد في الآن واللحظة، وليس الماضي أو المستقبل، فالحوارُ فعلٌ آنيٌّ، تتغيّرُ في كل لحظة استراتيجياتُه، وأهدافُه، وأطرافُه، وإمكاناتُه، وإذا كان من غير الممكن أن نُقيم حواراً مع مَنْ قضَوا نحبَهم، فإنّنا أيضاً غيرُ قادِرين على أن نُقيمَ حواراً مع مَنْ لم يُولدوا بعدُ، إنَّ الغربَ اليوم هم البشر الذين يعيشون في مكانٍ مُحدّد هو قارّاتُ أوربّا وأمريكا الشمالية وأستراليا، ومعرفة هوية الطرف الآخر، تفيد في الحوار معه، وحسب غايات هذا الحوار تكون الوسائل والأدوات؛ فقد يكون الحوار ثقافيًّا أو سياسيًّا أو رياضيًّا.. فرديّاً أو جماعيّاً، رسميّاً أو غير رسميّ، منظّماً أو عفويّاً، متّصلاً أو متقطّعاً، كما أنَّ فضاءات التواصل متعدّدة ومختلفة، لا يمكن حصرها داخل نطاق معين ومعزول.

ويقترح الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات، تصنيفاً لأنواع الحوار، حسب الخلفية المعرفية للأفراد المشاركين، وانتماءاتهم الجغرافية أو العرقية أو الدينية، حيث يذكرُ على سبيل المثال، الحوارات الأكاديمية المتخصِّصَة التي يشارك فيها العلماء، والحوارات الدبلوماسية التي يشارك فيها رجال السياسة والحُكم، ثم حواراتٌ عامَّةٌ يشارك فيها أفرادٌ من الشَّعبِ، وهناك ما يُعرف بالحوار الإسلامي ـــ المسيحي، والحوار العربيّ ـــ الأوروبي، والحوار بين الشمال والجنوب، والحوار الأورـــ متوسطي، وغير ذلك من أنواع الحوار، التي لها أهميتها، إذ لا ينبغي أن يفضُلَ بعضُها بعضاً، ويخلُصُ الدكتور عماد عبد اللطيف إلى فكرةٍ دقيقةٍ مفادها: إنَّ أحد التحديات الأساسية التي تواجهُ الحوار بين العرب والغرب هو نقل هذا الحوار من دائرة النخبة إلى دائرة الجماهير، يقول الدكتور عماد عبد اللطيف: "أعوّل على الحوار الفردي بين العرب والغربيين بوصفه وسيلة لإزالة سوء التفاهم، والصور النمطية المشوّهة لنا كعرب، بأكثر مما أعوّل على حوارات القاعات المكيّفة، والاستقبالات الرّسمية"[4].

يبدو موقف الدكتور عماد عبد اللطيف من الحوار بين الشعوب، وجيهاً وقابلا للتعميم، حيث يُشكِّلُ الحوار بين عامة الناس في مواقف مختلفة، مقدّمة للتعايش وترسيخ السّلم الاجتماعي، فالتعايش لا يرتبط بالعلاقات بين الدول ذات العقائد المختلفة والمصالح الاقتصادية المشتركة فحسب[5]، ولكن له صلة بالشعوب أيضا، وهذا هو الأهم، لأنَّ الصراع العقدي في الغالب يصعب التحكّم فيه من قبل الدول بقرارات سياسية وسيادية سريعة، عبر الخطب والقوانين، ولكن يقتضي فرض

---

[4]عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافي، مرجع سابق، ص: 33.

[5] ينظر: موريس كرنستون، المصطلحات السياسية، دار النهار للنشر- بيروت، ط: 2، 1970.

التعايش عقوداً من التربية والتواصل والتحسيس، لتنشئة جيل يقبل الآخر المختلف معه، ولذلك فإنَّ من أهم أوليات العمل في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، من أجل تجنيب أجيال المستقبل المعاناة الناجمة عن النزاعات المسلحة ووضع الصيغ المناسبة التي تحد من استخدام الأسلحة ضد المبادئ الإنسانية[6]، فالتعايش الحقيقي هو الذي ينبغي أن يسود بين الشعوب والأفراد والمجتمعات، لأنه يعكس مدى جدية التعايش وكونه منهجاً وليس مجرّد شعار يُرفع ويُخفي وراءه غايات سياسية أو اقتصادية، سرعان ما تنكشف ليحلّ الصراع والمواجهة محلَّ الحوار والسلم، وهذا يعني أنَّ"محرك السلم كمحرك الحرب تمامًا، ليس علاقة دولة بدولة، وإنما بصورة أعمق علاقة الشعوب بعضها ببعض"[7]، ومن ثمَّ، يصحّ القول بأنَّ التعايش والحوار الثقافي يتجلى، أساساً، في "مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والأديان منسجمين مع بعضهم البعض"[8]، ودون أي حساسية أو خوف أو ازدراء أو شعور بالتعالي عند طرف معين.

ولا شكّ أنَّ سوء التفاهم والأفكار المُسْبَقَة الخاطِئة حول الطَّرف الآخر، غالباً ما تجعلُ الحوارَ مُشوّهاً وغير سليم، وبالطبع لن تكونَ لمُحَصِّلته أيُّ نتائج ملموسة، ولذلك يستعرض الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه التواصل والبلاغة بعض معوقات الحوار بين العرب والمسلمين والغرب، ويُجملها في توجّهين أساسين للرفض: الأول يستند إلى إيديولوجية دينية؛ ترى في الغرب شرّاً محضاً، فلا سبيل للتعايش معه، وهذا يعني الرفض المطلق للحوار. والتوجّه الثاني يستند إلى وقائع تاريخية،فيرفضُ الحوار بين العرب والغرب لأنه يُشكِّك في نوايا الطّرف الآخر، ويَعتبر الدعوة الغربية للحوار مع العرب تخدم المصالح الغربية التي هي مُحرِّك كل شيء. ولا يخفى ما في الموقفين من تطرّف وحذر وتوجّس، يعيق كل تواصل جادّ وهادف، وأيضاً يُعبّر عن استسلامٍ وضعفٍ، وممارسة دور الضحِيّة، فالحوار الحقيقي ليس هو التسليم للأقوى أو الخضوع للمتفوّق، أو الذوبان في الآخر، بقدر ما هو تبادل للمعرفة والخبرة وإغناء للذات، ويبدو أنَّ هذا الموقف ينسجم إلى حد كبير مع مفهوم الحوار من منظور العرفانيات الإسلامية.

يؤسِّس الحوار من منظور العرفان،لنمط فريد من التواصل والتَّعارف الكوني، يَحُثُّ على قبول الآخر، مهما كان مختلفاً، ويدعو إلى إشاعة الأمن بوصفه شرطاً للحوار الحقيقي، قال تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

---

[6]عدنان نصراوين، اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر، مطبعة الدستور التجارية، عمان، ط:1، 1997، ص: 5-6.

[7]فرنسوا شاتليه، إيديولوجيات الحرب والسلم، ترجمة: جوزيف عبدالله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط:1، 1981، ص: 5.

[8]انطوينا نسايز ومارثا ميناو، تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني، ترجمة: فؤاد السروجي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط:1، 2006، ص: 29.

كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"[9]، فالحوار من هذا المنظور متاح أمام كل البشر بغض النظر عن اختياراتهم العقدية والفكرية، ويجعل الإنصات وقبول الاختلاف والإحساس بالأمان شروطاً لإنجاح حوار مثالي.

الأسس العامة للحوار

يقترح الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه: البلاغة والتواصل عبر الثقافات، أسُساً للتواصل يعتبرها بمثابة مُسَلّمات، وهي:

- الإيمان بالتعددية وقبول الاختلاف بين المتحاورين، وما يمثلونه من ثقافات.
- الإيمان بعدم إمكانية تطبيق معايير التفاضل والتراتُب على الثقافات، فليس من حقّ أيّ ثقافة أن تُقلّل من شأن الثقافات الأخرى.
- الإيمان بأنَّ الحوار خيار استراتيجي ممكن على الرغم من الاختلاف.

كما تحدّثَ أيضاً عن الأسس العامة للحوار والتي حدّدتها الإيسيسكو في ثلاثة أسس، وهي الاحترام المتبادل، والعدل والمساواة، ومواجهة التعصّب والكراهية، مُضيفاً إلى ذلك أسساً أخرى تخُصّ العلاقة بين المتحاورين، اقترحها عالم اللغويات الإنجليزي نورمان فاير كلوف، وتتمثلُ في الحوار الديمقراطي الذي يعطي لطرفي الحوار هامشاً واسعاً من الحرية والاختيار والفعل، وبذلك اعتبر الدكتور عماد عبد اللطيف هذه الأسس مجتمعة مثالاً للحوار النموذجي بين العرب والغربيين.

ساعدت هذه الأسس على التمييز بين الحوار بين الثقافات والحوار بين الحضارات، حيث أكّد الدكتور عماد عبد اللطيف أنَّ مصطلح الثقافة أكثر خصوصية من مصطلح الحضارة، "فالحضارة الواحدة قد تنطوي على ثقافات عدة متنوّعة؛ فالحضارة الغربية الحديثة تتعايش داخلها ثقافة فرنسية، وأخرى ألمانية، وثالثة إنجليزية، ورابعة أمريكية.."[10]. وإنَّ نجاح الحوار بين الثقافات مرهون بمدى التعاون بين الأطراف المتحاورة وليس المتحاربة، أي ترك الجدل، والاهتمام أكثر بالقواسم المشتركة، ومساعدة الآخر المُخالف على التعبير عن مواقفه، فليس الحوار وسيلة لإظهار التفوّق على الآخر بقدر ما هو محاولة للفهم والتفهّم، والإفادة منه والتعايش معه، كما أنه ليس محاضرة تستهدف تعليم الآخر وتوجيهه لقبول أفكار بعينها أو مواقف معينة، إنَّ "الحوار بين العرب والغرب هو حوارٌ بين حضارتين كلتاهما عميق الجذور، موغل في القِدم، ولا ينقصُهُ أسباب الفخر والاعتزاز، لكن الحوار الحضاري يجب أن يقوم على الشعور بنقص ما، فمن يظنّ أنه كامل في ذاته أبعد ما يكون عن التواصل مع الآخرين"[11]، كما أنَّ الحوار بديلٌ للصّراع وللهيمنة، ويُمكِّنُ من اكتشاف الذات

---

[9] سورة التوبة، الآية: 6.

[10] عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، مرجع سابق، ص: 37.

[11] الدكتور عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، مرجع سابق، ص: 41.

العربية قبل كلّ شيء، فمن الثابت أنَّ بعض المعارف والخبرات الإنسانية، لا تُدركُ بشكلٍ عميق إلا من خلال محاولة توصيلها للآخرين، وتبعاً لذلك فإنَّ إدراك المرء لشيء ما يتغيّر حين يكتب عنه؛ أي حين يحاول نقلهُ للآخرين، وهذا يعني أنَّ الحوار يصبح مُثرياً لطرفيه اللذين يتأمّل كل منهما ذاته في مرآة الآخر، فتتعمّق معرفته بذاته، بقدر تعمّق معرفته بالآخر، مما يساعد على تصحيح صورة كل طرف عن الثاني، واستبدالها بصور أخرى تُبرز الجوانب الأكثر إيجابية من الثقافات والمجتمعات المختلفة.

والملاحظ في سياق تأصيل حوار فاعل وبلاغي مؤثّر، استحضار الدكتور عماد عبد اللطيف بعض مواقف روجيه جارودي، الذي تأثر بالإسلام الرُّوحي، فكانت مواقفه دقيقة وتلمَسُ جوانب من الروحانيات الإسلامية المتمثلة في مقام الإحسان، الذي يسمى التصوف[12] أو العرفان، حيث يبدو واضحاً أنَّ الأسس والخصائص التي تطبع الحوار وفق رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف، تنسجم إلى حدّ كبير مع المنظور العرفاني للتواصل والحوار ورؤية اللغة ومنطق الكلام المؤثر في الآخر.

من البلاغة إلى العِرفان

تملك بلاغة العرفان قدرة فائقة على تأليف القلوب وتزكية النفوس، وتنقية أجواء الحوار، وخلق فرص اندماج وتفاهم أكبر،عبر بعث رُوح المحبّة بين المتخاصِمين، بل تُصبح المحبة للجميع شعار أهل العِرفان، ولغة خطاب القوم، فهذا الشيخ الأكبر ابن عربي، يقول في أبياته المشهورة:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة	مرعــى لغـزلان ودير رهبان
وبيتٍ لأوثان وكعبة طائــف	وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحبّ أنّى توجّهت	ركـائـبهُ، فالحبُّ ديـنـي وإيـمَاني[13]

يمثل العِرفان ذاكرة للمحبة، منتجة لبلاغة تواصل القلوب، والتي تستمد قوتها من روحانيات الأديان، التي ترى الإنسان بُنيان الله، لا يجوز انتهاك حرمته، أو الإساءة إليه، ولذلك شكّلت المحبَّة جسراًآمناً نحو العبور إلى منطقة التعايش التي أثارت إعجاب العالَمِ برمّته؛ فقد شكّلت العرفانيات ذلك الخيط الرفيع الذي جمع الشتات، وألّفَ القلوب لتدخل الدائرة؛ دائرة المحبة[14]، فيفتح المرء ذراعيه للجميع، وفي هذا المعنى يقول جلال الدين الرومي: "انضم للدائرة، كمْ تستغرقْ

---

[12] حول مفهوم التصوف، ينظر كتابنا: التصوف الإسلامي؛ نحو رؤية وسطية، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1، 2017.

[13] محي الدين بن عربي، ترجمان الأشواق، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط:1، 2005، ص:62.

[14] خالد التوزاني، دائرة المحبين وتعايش الأديان، مجلة الفيصل، العددان: 507- 508، يناير، فبراير 2019، ص: 109.

من الوقت كي تدور حولها؟"[15]، ويؤكد أنَّ نِيَّة المحبّة تجلب المحبَّة، فيقول: "افتحْ ذراعيك طالما تشتاق إلى مَنْ يحضنك"[16]، فتتجسّد المحبة في جسد المتصوف، المُقبِل على الحياة فاتحاً ذراعيه للآخر، في طوافٍ لا متناهي حول القلب، جوهر الإنسان، في رحلةٍ دائمةٍ بحثاً عن الأفضل والأحسن في التواصل وفي التفكير والفعل الإنساني الخلاق، وتُعبِّرُ حركات أهل التزكية الصُّوفيّة في طريقة جلال الدين الرُّوميّ المُسمَّاة المولوية عن هذا الشُّعور، حيث "يبدأ الدَّراويش رقصتهم ضامِّين أيديهم الى صدورهم، لامسين أكتافهم براحتيهم آخذين بالدَّوران البطيء، ثم يفتحون أيديهم كماالأجنحة: اليُمنى مرفوعة الى السَّماء كما لقطف ثمار النعمة، واليُسرى ممدودة نحو الأرض لينثروا عليها النِّعمة التي دخلت قلوبهم وهاهي تتفجر وتتدفق لتدفئ العالم بحرارة الحبّ الإلهيّ"[17]، ومَنْ كانَ هذا حالُهُ لا يمكن إلا أن يكون متواصلاً، باللغة غير المنطوقة، قبل اللغة المكتوبة أو الملفوظة، الشيء الذي يمكن أن يُحقّقَ فعالية التواصل، ويزيح الكثير من الحواجز.

وهذه الأهمية التي يحظى بها التواصل غير اللفظي، تتقاطع مع بعض ما أكّده الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات، ففي الفصل الرابع من اللغة المكتوبة إلى اللغة المنطوقة، ومن فضاء الحروف المطبوعة على الصفحات إلى الأفق الواسع للاتصال غير اللفظي عبر الإشارة والحركة واللون والرمز ونبرة الصوت، وما يصاحبها من سلوكيات غير لغوية، يتمُّ تحليلها للوقوف على أثرها في التواصل بين الثقافات، وذلك في أفق استكشاف الفروق بين العرب والغرب في استعمال اللغة المنطوقة، والعلامات غير اللغوية، في الحوار بينهما.

وحول خطوات التواصل الناجح عبر الثقافات، يذكر الدكتور عماد عبد اللطيف سبع خطوات، وضعتها **ماريمونتر**، وعمِلَ على تطويعها وتكييفها لتناسب طبيعة الحوار بين العرب والغرب، وتغطي كافة إجراءات الحوار وعملياته المتمثّلة في تحديد أهداف الحوار، واختيار الأسلوب الأفضل، وتقييم المصداقية وتعزيزها، واختيار الطرف الذي تُحاوره وتحفيزه على التحاور، ثم وضع استراتيجية للرسالة، والتغلّب على مصاعب اللغة، وتوظيف سلوكيات غير لفظية فعالة، ثم تقييم الحوار بعد الانتهاء منه.

إنَّ اختلاف الثقافات وخاصة في سلوكيات التواصل غير اللفظية يمكن أن يؤدّي إلى سوء التفاهم، وأحياناً إلى انهيار التواصل، ومثلُ هذه السلوكيات؛ المسافة

---

[15] إدريس شاه، الصوفيون، ترجمة: بيومي قنديل، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 2، 2015، ص: 237.

[16] المرجع والصفحة نفسهما.

[17] يوحنا عقيقي، الرمزية التجاوزية في مفهوم الرقص عند مولانا جلال الدين الرومي، مجلة الدراسات الأدبية، العددان: 7-8، السنة: 2، 2003م، ص: 123.

بين المتحاورين وإيماءات الجسد وتعبيرات الوجه وحركات الرأس واليد والتواصل البصري، ويمكن أن نتصوّر خطورة الموضوع عندما يستخدم شخص ما، إشارة يد أو أصبع، دون أن يدري أنَّ هذه الإشارة مهينة أو مستفزّة في ثقافة مَن يتحاور معه، ولذلك من الأهمية بمكان أن يكون المتحاور على دراية تامة بدلالات الإشارات اللغوية وغير اللفظية قبل أن ينخرط في حوار عبر ثقافي، حتى لا يصدر عنه ما قد يكون مُعكّراً للاتصال، أو مؤدّياً لإساءة الفهم.

ولقد نجح العرفان في تسويق رؤيته عبر عولمةِ إشاراته ورموز، وتحويلها إلى شعار للتسامح والحوار والتواصل، يتم تداولها على نطاق واسع عبر العالم،ومنها على سبيل المثال ما يُعرَف برقصة المولوية، التي أصبحت شعاراً للمحبة الإنسانية في أسمى تجلياتها المرتبطة بالعشق الإلهي والرحمة الربانية التي ينبغي أن تسود بين الناس، بديلا للقسوة والعنف، حتى تحوّلت هذه الرّقصة إلى لغة قائمة بذاتها لها بلاغتها الخاصة بها، ضمن التواصل غير اللفظي.

إنَّالإنسان، حسب المنظور العِرفاني، لا يملك شيئا، بل هو مملوك لخالقه، وتمام الحرّية تكمن في تمام العبوديَّة لله، والتزام الإنسان بسلامة علاقته مع الخالق، وتحقيق تصالح مع ذاته، في وعي تامّ بحق الآخر في امتلاك علاقة مماثلة، لا تقل أهمية عن علاقته بربِّه، وهذا التَّقاطع في الصّلة بالله، هي التي تُسمّى ديناً، وعلى ضوئها يتم فهم الكثير من الأعراف والعادات والتقاليد داخل مجتمع ما، حيث يحضر الدّين بوصفه مكوّناً أساساً من مكونات الثقافة الإنسانية عموماً، وليس مرتبطاً بالثقافة العربية فقط، لينقل الأحداث والمواقف من طابع الفطرة والتلقائية إلى نمط التعبد المُفَكّر فيه والمنسجم مع ضوابط النصوص المقدّسة، التي تمثل القوانين الإلهية،والتي ينبغي أن تكون المرجع الأسمى لباقي القوانين الوضعية، فالدّين يمنح المعنى للكثير من التصرفات الإنسانية، ومنها قضية التنوّع أو الاختلاف، باعتباره حقيقة وجودية لا بدّ منها في عالَم الحياة على الأرض، ولأنَّ التنوّع موجود، فلا بدَّ من التّعامل معه بوصفه واقعاً، ومقتضى الإقرار بوجوده ربما قبوله على ما هو عليه، وتسويغ التَّحاور معه دينياً، وهذا يؤدّي إلى مجتمع متنوّع، فيه هويات ثقافية متباينة، ولكنها متصالحة ومتعايشة فيما بينها، فيكون ذلك سبيلاً لتماسك اجتماعيّ وأمن نفسيّ وروحيّ، "تنمو في ثناياه قيم الحرية والكرامة والابتكار والتقدم والسّعي لاكتشاف سُبل سعادة الإنسان"[18].

في مؤتمر ثقافة الحوار بين الأديان، والذي أقيم في بيروت، يومي 12 و13 أيلول/سبتمبر 2017، تحدّث الدكتور أحمد عبد الحليم عطية عن وعي المشترك

[18] عبد الأمير زاهد، مؤتمر دولي : نحو ثقافة الحوار بين الأديان، ضمن مجلة: الكلمة، العدد: 97، السنة: 24، خريف 2017/ 1439هـ، ص : 189.

الديني الأخلاقي والإنساني والقيمي، واصفاً هذا الوعي بكونه هو التَّحقيق لثقافة الحوار، وأطلق عليه مصطلح "قانون الروح"، أو "دستور المثال الأعلى الكوني"، وهو ما أسماه الإمام القشيري "نحو القلوب"، والذي يمكن أن يؤسّس أخلاق المستقبل ويكون تحقيقاً لوعي المشترك وتجسيداً للحياة في عالم واحد[19]، وهنا نجد أنفسنا أمام الفكر العِرفانيّ الصُّوفي وقدرته على تحقيق نوع من التعايش بين الأديان على نحو عميق وجذّاب.

ويذكر الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات، أنَّ الدين يعدّ مكوناً أساساً من مكونات الثقافة العربية، ويحضر في اللغة والتواصل والحوار بشكل مكثّف ودالّ، خلافاً للثقافة الغربية التي تميل إلى المنطق والسببية والعقل، وأنّهُ ينبغي مراعاة هذا الاختلاف بين الثقافتين العربية والغربية عند كل حوار، وهذه النتيجة التي توصّل إليها الدكتور عماد عبد اللطيف، تؤكدها التحولات الجديدة التي تعرفها السياسات الخارجية لبعض الدول الغربية، حيث إنَّ الدِّين اليوم لم يعد بعيداً عن التفكير الغربي، فهناك اهتمام متزايد بالثقافة الدينية، والرغبة القوية في تسخيرها لخدمة التواصل والحوار والتأثير في مواقف الدول والشعوب، فقد تم توظيف رجال الدّين في مفاوضات غير رسمية يطلقون عليها: الدّبلوماسية الرُّوحية[20]، تنطلق من المشترك الديني وخاصة سِجلُّ القيم والأخلاق، ولا ننسى نصيحة مادلين أولبريت للدّبلوماسيين الأمريكيين: "على الدّبلوماسيين الأمريكان أن يفكِّروا بشكل أكثر رحابة حول دور الدّين في السياسة الخارجية، وأن يعيدوا توجيه مؤسسات السِّياسة الخارجية ليأخذوا تماماً في الاعتبار القوة الهائلة للدّين في التَّأثير على كيفية تفكير الشعوب وطريقة شعورهم وسلوكهم، فعلى صُنَّاع القرار في الولايات المتحدة أن يتعلَّموا جيداً أكبر قدر ممكن عن الدِّين، بل ويُضَمِّنُوا هذه المعرفة في إطار استراتيجيتهم"، فالدبلوماسية الروحية بوصفها وجهاً جديداً للتواصل عبر الثقافات، توظّف الثقافة الدينية لتحقيق ما يسمى "بالسَّلام الدّينيّ العالميّ لحلّ الصِّراعات"، كما يؤكد ذلك كتاب: "الدّبلوماسية الروحية إشكاليات وسياسات مقترحة لصانع القرار"، للباحثة المصرية هبة جمال الدين[21]، تتحدث فيه عن الدبلوماسية الروحية، وتصفها بالمخطط الغربي الخطير لتغيير شكل المنطقة وتصفية الصراع العربي الإسرائيلي من جذوره، وهو المخطط الذي يرفع شعارات براقة لا تثير الشكوك، إذ تركز على جهود ومحاولات من جانب منظمات دولية ومدنية على مكافحة الفقر وتحقيق التنمية في المناطق التي تمزقها الصراعات، ومنه االصراع العربي الإسرائيلي، ولتحقيق هذا الهدف

---

[19] أحمد عبد الحليم عطية، مؤتمر دولي : نحو ثقافة الحوار بين الأديان، مجلة الكلمة، مرجع سابق، ص: 191.

[20] سيد جبيل، الدبلوماسية الروحية.. بوابة تصفية الصراع مع إسرائيل، جريدة الوطن، العدد: 2144، بتاريخ 13 مارس 2018.

[21] صدر عام 2018 عن دار نور نشر بألمانيا.

التنموي لابد، وفقاً لأصحاب المخطط، من علاج الصراعات من جذورها، باستخدام الدين، ومحاولة توحيد الأديان بدين واحد عام، يطلقون عليه اسم الدين الإبراهيمي الذي يوحّد الديانات الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية، حيث يدخل رجال الدّين في مفاوضات غير رسمية مع أفراد من المجتمعات المستهدفة، وهذا في الواقع قد يأتي بنتائج أكبر في الميدان.
ولعل ما يؤكد الحضور الديني في الحوار الغربي مع العرب، ما نعثر عليه في الأوراق البحثية لمشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي[22]، التابع لمعهد بروكنجز[23]، والتي صدرت عام 2013، نجد من ضمن توصياته: تشجيع الديانات الإبراهيمية أو ما يُعرف بالديانات السماوية لدعم مفاوضات السَّلام الجديدة في الشّرق الأوسط نحو حلّ الدّولتين، إلى جانب تأكيد دور الدّين في السياسة، الشيء الذي يؤكد خطورة التواصل عبر الثقافات، وكون كتاب الدكتور عماد عبد اللطيف يعالج قضية مركزية في عالم اليوم، جديرة بالبحث والدراسة والمناقشة.

قضايا اللغة والتفكير والثقافة

يتناول الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه البلاغة والتواصل وخاصة في الفصل الثاني بالدراسة والتحليل العلاقة بين اللغة والتفكير والثقافة، من خلال استدعاء النظريات التي تفسر هذه العلاقة، وتبنِّي موقفاً وسطاً؛ يرى إمكانية الحوار بين العرب والغرب على الرغم من اختلاف اللغة والثقافة، ومع ذلك يطرح الاختلاف اللغوي تحدّياً كبيراً، حيث إنَّ تعلُّم لغة الآخر يوسّعُ من أفقِ المرء، ومِن قدرته على الاندماج في الحوار مع الآخر، فالجهلُ باللغة قد يحدّ من فعالية الحوار بين الثقافات، كما أنَّ الفهم قد ينزلق بسهولة إلى سوء فهم، وهذا يعني أنّنا يجب أن نكون في غاية الحذر حين نشرع في فهم الثقافات الأخرى.
وإذا كانتِ اللغة الإنجليزية اليوم تُمثِّلُ لغة السياسة والحوار والثقافة والتعليم، الأولى في العالم، فإنّ المتحاورين يلتقون في لغةٍ ليست لغتهم الأم، وليس بوسع الترجمة نقل جميع الخبرات والمشاعر والقيم التي تلتصق بالمفردات، ولذلك فإنَّ التفاهم الذي يتطلّبه الحوار يحتاج إلى الألفة الشخصية بلُغة الطرف الآخر، وهكذا، لكي يكون الحوار مع الغرب ناجحاً وناجعاً،يقترح الدكتور عماد عبد اللطيف ضرورة"التعرف على الصورة التي لدى الغربيين عن اللغة العربية،

---

[22] ألن كيسويتر والأسقف جون شاين، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والانخراط في عالم من الاضطرابات والتغيرات الدينامية، الأوراق البحثية لمشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي، 2013، متاحة للقراءة عبر الرابط:
https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/Religion-and-Diplomacy_Arabic_Web.pdf

[23]الموقع الرسمي لمعهد بروكنجز https://www.brookings.edu

وذلك لتصحيح ما هو خاطئ وسلبي، وتعزيز ما هو صحيح وإيجابي"[24]، مستحضراًعدداً من الأمثلة التي تؤكد وجود صورة مشوّهة عن العرب لدى الغربيين، إلى جانب صعوبات الترجمة بسبب تباين المفردات واختلاف الاصطلاحات والتراكيب التي يصعب إيجادما يلائمها من المفردات في لغة الآخر، إلى جانب اختلاف الخبرات الثقافية التي تمثل جزءاً من الموروث الشعبي،ولذلك فإنَّ الترجمة الحرفية وحدها لا تكفي "ولا بد من وجود هوامش تشرح اختلاف العادات الثقافية في المجتمع المُترجَم عنه"[25]، وإلا سوف نقع في فخ سوء التأويل، ومن ثَمَّ سوء التفاهم، وانهيار التواصل.

وهكذا، يخلص الدكتور عماد عبد اللطيف في كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات، إلى أنَّ الحوار الناجح بين العرب والغرب، لابد أن يتأسّس على معرفة دقيقة ووعي عميق بالاختلافات التي توجد بين الثقافتين العربية والغربية، وبين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأوربّية، فهذه المعرفة هي التي ستُمكّن من تجنّب احتمالات سوء الفهم ونقص التفاهم.

ولا يخفى أن رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف، تلتقي مع بلاغة العِرفان، في النّظر إلى أهمية اللغة وكونها حاسمة في الكثير من المواقف، ويتعلق الأمر بلغة أهل المحبة، الذين يختارون ألفاظهم بعناية كبيرة، وتوجيهها لتأليف القلوب.

إذا كان الدّين قبل كل شيء يؤسّس للتّواصل مع الله، عبر الصلاة التي هي صِلة العبد بربه، فيكف يمكن أن يتعلم المرء هذا التواصل ويُنَمِّيه، إذا فَقَدَ القدرة على التواصل مع الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالحوار والكلمة الطيبة، والرحمة والإحسان، والعفو والصَّفح والبرّ؟ وهو معنى قول الله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْ هُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"[26]، ولذلك كانت أخلاق الأنبياء نموذجاً رائعاً في التواصل، وطريقاً معبّدةً في التعامل مع الآخر، وهذا التواصل جزء من رسالة الأديان، وهو التّعارف وإعمار الأرض، لا الصّراع والمواجهة أو سفك دماء الأبرياء، ولذلك كانت تأسيس الدّين على الرحمة، ودعوة العِباد إلى التّحلّي بهذا الخُلق القويم، فالأخلاق الفاضلة ينتقل أثرها إلى الآخرين، في إشاعة جوّ من التعايش والمحبة والأمن.

حدّدت النُّصوص الدّينية منظومة تشريعية وحقوقية في التَّعامل مع المُخالِف، يؤطّرها العدل والرَّحمة واحترام إنسانية البشر، فمن أقوال الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، في نهج البلاغة: "فإنَّهم – أي الناس- صنفانِ: إمّا أخٌ لك

---

[24] عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل، ص: 61.

[25] عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل، ص: 65.

[26] سورة آل عمران، الآية: 159.

في الدّين، وإمّا نظيرٌ لك في الخَلْقِ"، وقد كان هذا الإمام "يتحلّى بنظرة إنسانية، تُساوي بين المؤمن المسلم، والمعاهد، والذمي، ممّن يعيشون في ظل الحكم الإسلامي ولا يدينون بدين الإسلام، "دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا"[27]، وهكذا تحفل الثقافة العرفانية برصيد زاخر من القيم والمواقف والنماذج المُشرِقة،والتي يمكن أن تمدّ التواصل عبر الثقافات في عالمنا المعاصر بالكثير من الأدوات والآليات التي تُحسِّنُ جودة الحوار وتجعله يرتقي من حوار المصالح إلى مصلحة الحوار بوصفه سبيلا للإصلاح وترميم الصورة المشوّهة للعرب في عيون الغرب على وجه الخصوص.

في الفصل الثالث المعنون بالبلاغة وحوار الثقافات، تناول الدكتور عماد عبد اللطيف سمات الكتابة العربية البلاغية المعاصرة، بالإفادة من الدراسات الحديثة في هذا المجال، لاقتراح حلول لبعض معوقات الحوار بين العرب الغرب نتيجة الاختلاف بين السمات البلاغية العربية والغربية.

إنَّ دراسات البلاغة عبر الثقافات تُسهِمُ في تدعيم معرفتنا بلغتنا وثقافتنا العربية، وتُمكِّنُ من تطوير طريقة تحاورنا مع الغرب، لأن هذا النمط من البلاغة يعمل على التقليل من تأثير ثقافة اللغة الأم في اللغة الثانية المستخدَمة في الحوار، وهكذا يستعرض الدكتور عماد عبد اللطيف في هذا الفصل مُجمل خصائص الكتابة العربية البلاغية مقارنة بالكتابة بلغات غربية أخرى، على رأسها الإنجليزية، فهناك اختلافات بين هاتين اللغتين في عدد من الخصائص الجوهرية للّغات، المتمثلة في مستوى الشفاهية والكتابية، ودرجة مسؤولية القارئ أو الكاتب، وشيوع التكرار اللفظي والمعنوي، وطبيعة الحِجاج، وتبعاً لذلك يقترح الدكتور عماد عبد اللطيف جملة من المقترحات التي تعين على تحييد هذا الاختلاف، أو تقليله إلى حدّه الأدنى، ومن ذلك على سبيل المثال، القيمة التي يوليها العرب للدِّين، تجعلهم يوظّفونه في الحجاج والبرهنة على صحة مواقفهم، لكن هذه القيمة ليست نفسها في الثقافة الغربية، ولذلك فإنَّ الأدلة والحجج العقلية والمنطقية، المحدّدة بدقّة، والمؤيّدة بشواهد، ومعاينات، وأدلّة إحصائية ومعطيات رقمية، تبدو الأكثر نجاعة في التعامل مع الغربيين في سياق الحوار الثقافي معهم.

ولا شك أنَّ مراعاة هذا الاختلاف بين الثقافتين العربية والغربية، في رؤية الدين، والحجج الدينية، يمكن أن يخدم التواصل ويقويه، علماً أنَّ الدين لا يتناقض مع العقل والمنطق، فالكثير من الآيات القرآنية تدعو لاستعمال العقل والبرهنة والتدبر والتفكّر في خلق الله، من أجل الوصول إلى الحقائق الكونية، والإيقان بالحقائق الإيمانية.

---

[27] جميل قاسم، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، منشورات مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتجاهاته، ط:2، بيروت، 2015، ص: 104.

يحفل التراث العرفاني بالكثير من القيم والأفكار والمعتقدات التي تؤسّس لتواصل فاعل ومثمر بين بني البشر، والتي يمكن استثمارها لترسيخ ثقافة الاحترام وإشاعة روح المحبَّة، منذ سيدنا آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث تحفل الكتب السماوية بتعاليم تدعو لاحترام قداسة الإنسان وتمنع انتهاك حرمته وتهديد حياته، فالدين هو منظومة عقيدة وقيم وسلوك، يقترح تصوّراً خاصاً للوجود والحياة، ومِنْ ثَمَّ فهو نظام محكم من التعاليم التي يفترض تطبيقها من لدن فئة المتدينين أو الأتباع الذين اختاروا عن طواعية الانضمام لهذه المنظومة المتكاملة، فكان لا بد من احترام هذا الاختيار، وهذا أقلّ القليل في التعامل مع أهل الديانات المغايرة، بدل اتخاذ موقف معادي أو إقصائي لا يعترف بالآخرين، وإنما يزعم لنفسه سلطة امتلاك الحقيقة وحده، وهذا وهمٌ مقيت وسلوك غير حضاري وغير منسجم مع أيّ دِين أو مِلّة[28]، وإنما هو نابع من سلطة النفس الراغبة في الهيمنة على الناس وفرض سيطرتها وجبروتها عليهم، وهو بدون شك نوعٌ من التعالي والكِبر الذي ترفضه الأديان جملةً وتفصيلاً، فقد أقرَّ الإسلام جملة من القواعد الذهبية في المعاملة الإنسانية، منها قوله تعالى: **"لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"**[29]، وقوله تعالى:**"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"**[30]، كما أقرّت السنة النبوية وجوب برّ الكافر أباً أو أمّاً، واحترام حقّه كجار، والوفاء بعهده، وضرورة أداء الأمانة له، وحماية الكافر المستجير..، وغيرها من الحقوق التي تؤكّد تسامح الإسلام وحرصه على تعايش الأديان والحوار الثقافي بين أهل الديانات، ولا يبقى إلا تطبيق هذه التعاليم لتكون الأمة الإسلامية راعيةً للسّلام، ومُنتجة للحوار، ونموذجاً رائعاً في التواصل والتسامح.

خاتمة

حرص الدكتور عماد عبد اللطيف في خاتمة كتابه البلاغة والتواصل عبر الثقافات، على استثمار المعطيات البلاغية واللسانية في الحوار بين الثقافات، حيث اقترح بعض التوصيات التي تهدف إلى تطوير قدرة المُحاور العربي على استخدام اللغة والبلاغة وتقنيات التواصل، ومنها تشكيل المراكز البحثية العربية المعنية بحوار الحضارات، مجموعات بحثية تُعنى بدراسة الأبعاد اللغوية والبلاغية للحوار بين العرب وغيرهم من الثقافات.

---

[28]خالد التوزاني، التسامح بين الأديان من منظور الدبلوماسية الروحية، جائزة الشيخ سيدي المختار الكنتي للثقافة، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية بالعيون، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش،ط: 1، 2019، ص: 42.

[29] سورة الممتحنة، الآية: 8.

[30] سورة المائدة، الآية: 8.

أثار عماد عبد اللطيف في كتابه جملة من القضايا الشائكة المرتبطة بالهوية العربية، والمصير العربي، خاصة مسألة التفاوت الثقافي داخل المجتمعات العربية، والتعايش بين مكونات هذا المجتمع، كما استعرض جملة من التحديات الكبرى التي يواجهها العرب وعلى رأسها تلك الصورة السّلبية التي شكّلها الغرب حول العرب، وجعلت من التواصل الثقافي جَسَداً مُشَوّهاً، لا تتجاوز حدوده القاعات المكيّفة التي تُجرى فيها الحوارات الدبلوماسية بين الزعماء، ولذلك فإنَّ نجاحَ الحوار العربي الغربي يتوقف على قدرة العرب على نقل الحوار من الدوائر الدبلوماسية الرسمية أو الأكاديمية إلى ساحة الخطاب العام، سواء العربي أم الغربي، بتوظيف وسائط التواصل الجماهيري، فذلك كفيل بتصحيح الصورة السلبية التي يحملها الغرب عن العرب، وخاصة إذا استثمر العرب طلابه وكفاءاته التي تعمل في البلاد الغربية، من أجل تعزيز هذا الحوار وتجذيره، بإيجاد برامج تدريب على الحوار الثقافي، تستهدف شريحة واسعة من العرب،وتقدم المعارف الضرورية لإنجاح الحوار وتدرّبهم على توظيفها، حيث على المُحاور أن يجمع بين المؤهلات المعرفية وإتقان مهارات التواصل فضلا عن التعمق في معرفة الفروقات الثقافية للمجتمع الآخر، حتى لا يؤدي التواصل إلى سوء التفاهم، علماً أنَّ المشكلة لا تكمن، في مقدار معرفتنا بالغرب، بل العكس؛ معرفة الغرب بالعرب، وفي مقدار معرفة العرب بأنفسهم.
وهكذا، يختم الكاتب مؤلفه التواصل والبلاغة عبر الثقافات، بحقائق فلسفية وبلاغية تضع الإنسان العربي وجهاً لوجه أمام خيارين أساسيين: الاندماج في حضارة العصر، أو الانكماش في عزلة التخلّف واليأس، إنَّ "الحوار المؤسّس معرفيّاً يمكن أن يكون مرآة مصقولة صافية نرى من خلالها أنفسنا ونتيح للآخرين رؤيتنا، فربّما تمكّننا مرآة الحوار مع الآخر من إدراك ما نحن عليه بالفعل كأفراد وشعوب ودول، وربما يحفّزنا ذلك على أن نُحسِّن من أنفسنا حتى تتحسَّن صورتنا، فليست عيوب المرآة هي المسؤولة وحدها عن تشوّهات الصور، وليست عيون الآخرين هي دوماً الجحيم؛ فالمرآة قد تكون في بعض الأحيان مشجباً تُعلّق عليه تبريرات الفشل في إخفاء مواطن القبح الموجودة في الأصل، وعيون الآخرين قد تكون هي التفهّم والتعاطف بعينهما[31].

الحوار الثقافي مع الغرب عبر بوابة العرفان الروحي

على الرّغم من "الموقف العدائي الذي يتبنَّاه الغرب ضدَّ الإسلام والمسلمين، ويشنّه عليهم، وتنشره وسائل الإعلام دون ملل أو كلل"[32]، إلا أنَّ هذا الموقف لا يمكن تعميمه بالمطلق، نظراً لوجود نخبة ثقافية غربية آمنت بالوجود الحضاري

[31]عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل بين الثقافات، مرجع سابق، ص: 122.
[32]فارح مسرحي، الإسلام والغرب في زمن العولمة، مجلة: عالم التربية، ملف العدد: العولمة وحوار الحضارات والثقافات، العدد: 17، 2007، ص: 209.

والثقافيّ للأمّـة الإسلامية، فانخرطت في الحوار الإيجابي مع المسلمين، ولم تحكم على الإسلام من خلال سلوكيات بعض المسلمين، وإنما احتكمت للنُّصوص المؤسِّسَة للإسلام مِنْ قرآنٍ وسنةٍ وسيرة نبويَّة وحياة رجال حول الرَّسُول صلى الله عليه وسلَّم، متجاوزةً بذلك أخطاء المستشرقين الذين ركّزوا في دراساتهم للإسلام على الهفوات والثَّغرات من أجل هدم الإسلام بإبراز التناقض في تعاليمه، ولا شكَّ أنَّ الاحتكام للنّصوص يمكن أن يخدم الحقيقة الدينية، ويجعل الباحث عن الحقّ، قريبا من الصَّواب، ولكنْ إذا تضافرَ السُّلوك الإنسانيّ مع مقتضيات النَّصّ الدّينيّ كان الإقناعُ أكبر والخطاب أقوى، وهو ما وصفه الدكتور عماد عبد اللطيف بالتواصل غير اللفظي مؤكداً خطورته، ويبدو أنَّ التّزكية العرفانية باعتبارها عِلماً للسُّلوك، ومجالاً تطبيقياً مباشراً ومحسوساً، وبما تملكُ من أدوات التَّخلية والتَّحلية ومسارات التَّزكية والتَّرقية، قد جمعت بين الامتثال للنَّصّ والالتزام في السُّلوك، الشيء الذي خَدم حِواره مع الحضارة الغربية وجعل منه مُفاوِضاً مُقْنِعاً ومُدافِعاً حقيقياً عن قِيَم المحبَّة والتَّسامح والتآلف والتَّعايش.

ولعلَّ من الباحثين الغربيين الذين أولوا للجانب الرّوحيّ في الإسلام أهمية كبيرة، نستحضر الباحث الفرنسي إيريك جوفروا، الذي اعتنق الإسلام وعمره سبعة وعشرون عاماً بعد رحلة بحث في الديانات، سَلَكَ طريق التصوف وأصبحَ متخصّصاً فيه، وكَتَبَ بعض المؤلفات منها: "مبادئ في التَّصوّف"، و"حكمة الشّيوخ الصّوفية"، و"المستقبل للإسلام الرُّوحانيّ"، "يرى أنَّ مستقبل الإسلام يكمن دون أدنى شك في توجّه صُوفيّ مُتَجَدِّد"[33]، وذلك بالعودة للرِّسالة الأصلية للإسلام التي كانت تحملُ خطاباً روحياً مميّزاً، في منابعها الصَّافية وهي القرآن الكريم والسُّنَّة النبويّة، قبل أن يقع قلب القِيم الإسلامية، عندما وقع الجُمود الفكريّ والتحجّر والدُّخول في عصر الانحطاط والتّكرار والاجترار، تلك العملية التي ابتدأت في القرن الثالث عشر الميلادي/السّابع الهجري، واكتملت بشكل نهائي في القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري، وقد كانت من نتائجها أن أدّت إلى تحجّر العقليات وتخلّفها، ثم أدّت في نهاية المطاف إلى قلبِ القيم الأصليّة النَّبيلة للإسلام من قبيل الحرّية والتّعددية واحترام المرأة والتّكافل وحبّ الآخر والتَّسامح وغيرها[34]، وللخروج من هذا المأزق الذي ظل مستمرّاً إلى وقتنا الحاضر، يدعو إيريك جوفروا المسلمين إلى القيام بثورة في المعنى، لأنَّ النموذج الأعلى الجديد للمعرفة اليوم يجمع بين العقل والنَّشوة، أو بين العقل والقلب، ومن ثَمَّ فهو البديلُ الوحيدُ للتكلّس العلموي الوضعي السَّائد في الغرب من جهة، وللتحجّر الدّينيّ السَّائد في العالَم الإسلاميّ من جهة أخرى، فلا ينبغي

[33]سعيد عبيدي، إريك جوفروا ومستقبل الإسلام الروحاني، مجلة أفكار، العدد: 26، يونيو 2018، ص : 25.

[34] سعيد عبيدي، إريك جوفروا ومستقبل الإسلام الروحاني، مرجع سابق، ص : 21.

إذاً على الثقافة الإسلامية أن تركب القطار بشكل متأخِّر مرة أخرى، بل عليها أن تتبنى نظريات تجمع ما بين الروحانيات والمادّيات، "فالغرب يراجع نفسه الآن ويتراجع عن تطرّفه الوضعي الاختزالي المادّي الذي قضى على شطحات الخيال ورطوبة الشعر وعبق الرُّوحانيات، فلماذا يريد المثقفون العرب أو المسلمون تقليده في خطئِه وتطرّفه في الوقت الذي يتراجع هو عن هذا الخطأ والتَّطرّف"[35].

إنَّ آراء كثير من الباحثين في الغرب حول الإسلام الرُّوحيّ، تؤكد بجلاء مدى تأثّر هؤلاء بتجربة التّزكية العرفانية، وانجذابهم لروحانيات الدّين الإسلامي، وإنَّ استثمار هذه التحولات الفكرية في التواصل مع الغرب يمكن أن يُحَسِّن من جودة العلاقات بين أهل الديانات، وبذلك يبقى التواصل الروحي المبني على قواسم إنسانية عُليا مشتركة جانباً مهمّاً من جوانب التأثير في التواصل عبر الثقافات، وهو ما نطلق عليه بلاغة العرفان، فالتواصل الذي ينفتح على هذه المكونات العميقة، يحقّق درجات عالية من التأثير والفعالية، وهذا يقتضي على الأقل أن يُفسَحَ المجال لأهل التَّزكية العرفانية للقيام بدور الوساطة والتكوين والتدريب على الحوار، فضلا عن أهمية أهل البلاغة واللغة والتواصل كما أكد ذلك كتاب البلاغة والتواصل عبر الثقافات.

[35] إيريك جوفروا، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة: هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط:1، 2016، ص: 113. وقد استعرض الباحث سعيد عبيدي محتوى هذا الكتاب في مقاله المنشور بمجلة أفكار، مرجع سابق، من الصفحة 20 إلى 25.

المصادرُ والمراجع

- القرآن الكريم
- انطوينا نسايز ومارثا ميناو، (2006)، تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني، ترجمة: فؤاد السروجي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط:1.
- ألن كيسويتر وجون شاين، (2013)، الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة والانخراط في عالم من الاضطرابات والتغيرات الدينامية، الأوراق البحثية لمشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي.
- إيريك جوفروا، (2016)، المستقبل للإسلام الروحاني، ترجمة: هاشم صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط:1.
- ابن عربي، محي الدين، ترجمان الأشواق، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط:1.(2005)
- التوزاني، خالد، دائرة المحبين وتعايش الأديان، مجلة الفيصل، العددان: 507- 508. (2019)
- التوزاني، خالد، التسامح بين الأديان من منظور الدبلوماسية الروحية، جائزة الشيخ سيدي المختار الكنتي للثقافة، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية بالعيون، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط: 1.(2019)
- التوزاني، خالد، التصوف الإسلامي؛ نحو رؤية وسطية، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:1.(2017)
- جبيل، سيد، الدبلوماسية الروحية.. بوابة تصفية الصراع مع إسرائيل، جريدة الوطن، العدد: 2144، (2018).
- زاهد، عبد الأمير، مؤتمر دولي : نحو ثقافة الحوار بين الأديان، ضمن مجلة: الكلمة، العدد: 97، السنة: 24.(2017)
- شاتليه، فرنسوا، (1981)، إيديولوجيات الحرب والسلم، ترجمة: جوزيف عبدالله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت
- شاه، إدريس، الصوفيون، ترجمة: بيومي قنديل، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط: 2.2015
- عبد اللطيف، عماد، البلاغة والتواصل عبر الثقافي، دار النشر: شهريار، بالعراق، وتوزيع دار الرافدين ببيروت، ط:2، 2018.
- عقيقي يوحنا، الرمزية التجاوزية في مفهوم الرقص عند جلال الدين الرومي، مجلة الدراسات الأدبية، العددان: 7-8، السنة: 2.(2003)

- عبيدي، سعيد، ، إريك جوفروا ومستقبل الإسلام الروحاني، مجلة أفكار، العدد: 26.(2018)
- قاسم، جميل، علي شريعتي: الهجرة إلى الذات، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي واتجاهاته، ط:2،(2015) بيروت.
- كرنستون موريس، المصطلحات السياسية، دار النهار، بيروت، (1970).
- مسرحي، فارح، الإسلام والغرب في زمن العولمة، مجلة: عالم التربية، ملف العدد: العولمة وحوار الحضارات والثقافات، العدد: 17.(2007)،
- نصراوين، عدنان ، اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر، مطبعة الدستور التجارية، عمان، ط:1.(1997)
- هبة جمال الدين، ، الدّبلوماسية الروحية إشكاليات وسياسات مقترحة لصانع القرار، دار نور نشر بألمانيا.(2018)

مواقع إلكترونية:

- https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/06/Religion-and-Diplomacy_Arabic_Web.pdf
- **الموقع الرسمي لمعهد بروكنجز https://www.brookings.edu**

مفهوم بلاغة الجمهور وتطبيقاته

البلاغة و الخطابة السياسية المعاصرة
قراءة في كتاب "الخطابة السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف

عبد الوهاب صديقي*

تمهيد:
ظلت البلاغة Rhétorique منذ أرسطو مرتبطة بهموم الناس، باعتبارها القدرة على الكشف عن وسائل الاقناع والتأثير في المستمع Auditoire، بذلك ارتبط الخطاب بالحجاج والتأثير، فالخطيب يعمد إلى تسخير استراتيجيات خطابية Stratégies discursives على حد تعبير باتريك شارودو Patrick Charaudeau، التي تجعله "أهلا للثقة" عند الجمهور، بالتالي يستحق استحسانه أو استهجانه بحسب نوع الحجج التي توسل إليها الخطيب، في اطار ما سماه الباحث عماد عبد اللطيف "بلاغة الجمهور".
اتكاء الخطيب السياسي على أساليب الجمالية من التشابيه والمجازات والكنايات والاستعارات والسجع والترصيع، وتنميق القول، التي تستهدف حجب الواقع، ودغدغة العواطف، أفقد البلاغة المكانة التي تبوأتها، مع أرسطو، والجاحظ (ت255هـ)، والجرجاني (ت471هـ) وحازم القرطاجني (ت684هـ). إلا أن ظهور كتاب "جمهورية البلاغة": "L'empire Rhétorique"، لشاييم بيرلمان Chaïm Perlman ومصنفه بالاشتراك وألبريخت تتكا Olbrechts Tyteca، "Traité de l'argumentation La nouvelle rhétorique"، حديثا سيستعيد الدرس البلاغي مكانته ورونقه، ويرتبط بخطاب الانسان وسلطته، ويتحرر من قهر المنطق وحتميته، إلى سعة بلاغة الخطاب ونسبيته واحتماله.
لم تشذ الثقافة العربية عن القاعدة، وإن كانت البلاغة/ الخطابة – قديما- من ضرورة الحكم والمُلك، فقديما كان الشاعر يُنشد الشعر سليقة، والخطيب يَخطب بداهة، محمسا مثيرا للعزائم، واعظا ناصحا مؤدبا ومؤنبا، داعيا لمكارم الأخلاق...الخ، وبذلك ارتبط القول بمقتضى المقام، وارتبط المقال بالمقام. فإن البلاغة ستعرف "موتا سريريا" حين ارتبطت بالتمارين المكرورة في المقررات الدراسية الثانوية والجامعية، فقد ظلت الجامعة العربية، تربط البلاغة بالأساليب؛ من تشبيه وحقيقة ومجاز، وكناية تصريحية، واستعارة، وظل " ألا ترى في قولهم: خد كالورد"، يتكرر جيلا عن جيل، في اطار ما سماه الباحث محمد العُمري ب" تحنيط البلاغة"[1] ، وكان من نتائج هذا التحنيط، بُعد البلاغة عن

* **باحث في اللسانيات والحجاج، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر أكادير**
[1]-محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، منشورات أفريقيا الشرق، ط1، 2005، ص: 58

الخطاب بمختلف أنماطه، بالتالي البُعد عن هموم الإنسان العربي، مما حول البلاغة إلى دروس رثة.

يعتبر المشروع البلاغي للباحث المصري عماد عبد اللطيف مهما في دراسة وتحليل الخطابة السياسية العربية المعاصرة، من خلال مقاومة أثرها البلاغي في سعيها لإنتاج بلاغة السلطة، من أجل التأسيس لبلاغة تحررية إنها بلاغة الجمهور، في عصر استجابات الجماهير المحتشدة في الميادين والساحات، مستثمرة الثورة الرقمية من فضاءات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، والتغريدات (تويتر) لتعبئة الجماهير التواقة للحرية والعدالة الاجتماعية .

1- الخطاب السياسي في مشروع عماد عبد اللطيف:

تعتبر دراسات الباحث عماد عبد اللطيف، من الدراسات التي ربطت البلاغة العربية بهموم الانسان، أي بالسياسة، باعتبار الانسان كائنا بلاغيا سياسيا، في ساحة بلاغية مدنية وقودها الكلام لغاية النفاذ للسلطة.

تأسيسا على هذا الطرح فإن الخطاب السياسي صراع بلاغات؛ بلاغة بائدة خطابها الاستعباد وتسمياتها: التخويف والفتنة، وبلاغة وليدة خطابها الحرية والعدالة الاجتماعية.

في خضم هذا الصراع البلاغي؛ تتولد بلاغة الجمهور، موازاة مع بلاغة الخطابة السياسية والخطاب السياسي، فتنوعت بلاغات الخطاب السياسي: بلاغة التصفيق، وبلاغة الميادين، وبلاغة الحرية...الخ، ومنه فإننا نعتبر اسهامات عماد عبد اللطيف أساسية في تحليل الخطاب[2]، فقد شق طريقا وعرة في تشريح أمراض الخطاب السياسي، فهي طريق مليئة بألغام الاستبداد والاتهام، وجعل من البلاغة ملاذا لتحليل خطاب السلطة وانتاجها، وربط الدرس البلاغي والتحليل النقدي للخطاب تأليفا وترجمة بهموم الانسان العربي، أي ببلاغة الجمهور وبلاغة التصفيق وبلاغة الحرية في فضاء خطابي قائم على صراع بلاغات، نحتاج معه إلى اصلاح الخطاب، يقول الباحث نفسه نحن:" بحاجة ماسة إلى إصلاح الخطاب، لعل تغيير اللغة التي نتكلم بها عن خلافتنا وصراعتنا السياسية يكون خطوة مهمة في تغيير منظورنا وتقييمنا لهذه الخلافات والصراعات نفسها"[3]

تأسيسا على هذا الطرح فإننا بحاجة اليوم إلى اعادة قراءة الدرس البلاغي بدء من ارسطو، مرورا بالبلاغة العربية ومساءلة مدى وجاهة أدواتها في تفسير الظواهر الخطابية العربية المعاصرة السياسية والاعلامية والاشهارية وغيرها،

---

[2]- يمكن النظر في المؤلفات الآتية :

لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، منشورات دار العين، ط1، 2009

استراتيجيات الاقناع والتأثير في الخطاب السياسي خطب السادات نموذجا2012

بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، منشورات دار التنوير، القاهرة بيروت، ط1، 2012

بالإضافة إلى مؤلفات مترجمة ك" الخطاب والسلطة" و" الاستعارة في الخطاب" ...الخ

[3] - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحريةمعارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، منشورات دار التنوير، القاهرة بيروت، ط1، 2012، ص ، ص: 244

وعلاقتها بإنتاج خطاب السلطة وحيازته، وصولا إلى بيرلمان وجمهورية البلاغة الجديدة.
ويعرف الباحث عماد عبد اللطيف في دراساته بالبلاغة ومناهج التحليل النقدي للخطاب، من خلال اعتبار الخطاب السياسي صراع بلاغات؛ بلاغات بائدة، وبلاغات وليدة لعل أهمها بلاغة الجمهور التواق للحرية والعدالة الاجتماعية، ولهذا فإن من أهداف تحليل الخطاب السياسي" تحليل بنائه اللغوي والسيميوطيقي، وأدائه، وتوزيعه، وتلقيه، وتأثيره، والاستجابة له"[4]
إذا ينصب دور محلل الخطاب اللغوية في تحليل بنية الخطاب السياسي، من حيث اللغة والأسلوب والبنية الاستدلالية التي تحدث التأثير والاقناع، علاوة على تحليل الأداء الصوتي إن كان الأمر يتعلق بالخطابة السياسية والايقونات الرمزية كحركة اليد والوجه، والفضاء الذي تلقى فيه الخطبة، وتجاوب الجمهور مع مضمونها، ومفعولها فيه.

2- قراءة في كتاب :"الخطابة السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف:

يعتبر هذا الكتاب امتدادا لمشروع بلاغي أسسه الباحث عماد عبد اللطيف، التي لحقتها من الصحيفة إلى اليوتيوب. من خلال التأريخ للخطابة السياسية، و ومختلف التغيرات التي ويروم منه مقاومة الأثر البلاغي للخطابة السياسية، من خلال تحليل بنيتها البلاغية والحجاجية، ودراسة التغيرات لحقتها ابان عصر الملكي والعصر الجمهوري، كما وقف المؤلِّف عند جدلية الخطيب (الرئيس) وكاتب الخطبة، مقارنا بين خطب الرؤساء المصريين: جمال عبد الناصر، وأنور السادات، وحسني مبارك، وإن اتخذ المؤلف مصر نموذجا فإن ذلك يسري على الخطابة في البلدان العربية.
ايمانا منا بتعريف المؤلف للخطابة السياسية ك" نشاط سياسي يتأثر بشدة بالحياة السياسية للمجتمع، فحين تكون الحياة السياسة فوارة وعفية وثرية تكون الخطابة السياسة فوارة وعفية وثرية. أما حين يسود الركود السياسي فإن الخطابة السياسية تدخل بدورها طور الركود، وتعاني من ضعف القيمة وتراجع التأثير، خاصة حين يقترن الركود السياسي بداء الديكتاتورية"[5]
خلاصة القول؛ أن الخطابة السياسة مرتبطة بالسياق السياسي وبالجو التداولي، فكلما كان جوا يعترف بأصول الديمقراطية، والتعددية الحزبية، والتداول السلمي للسلطة، نشطت الخطابة والسياسة وبلاغتها، وكلما كان الجو لا يعترف إلا بالصوت الواحد، والحزب الواحد، والزعيم، انزوت الخطابة في جو التصنع،

4- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 6، 2015،ص: 111
5 -عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، منشورات دار العين، ط1، 2015 ، ص: 27 -28

والتلاعب بالألفاظ، وتقديم الأحلام الوردية للشعوب، ولغة التسويف، والأوامر والنواهي، فقدت الخطابة السياسة قيمتها ودورها التنويري، وارتبطت بالزيف وتجاوز الواقع، فنسمع اذ ذاك "كفى خطابة[6]".

فما خصوصيات الخطابة السياسية في عصر استجابات الجماهير؟

2-1 الخطابة السياسية في عصر استجابات الجماهير:

إذا كان جمهور الخطابة في عصر الصحيفة محدودة نظرا لقلة الوسائل، وتحكم السلطة فيها وتوجيهها بما يخدم بلاغاتها الرامية إلى تمجيد السلطة وتكريس الديكتاتورية، فإن الخطابة السياسية في عصر استجابات الجماهير الغفيرة نشيطة، وفوارة بسبب الثورة الرقمية وما تخوله للجمهور من امكانات التعليق والتعبير عن الرأي بالنقد او المساندة دون أن تستطيع السلطة التحكم فيه، إنها بلاغة الحرية[7]. وقد اتخذ الكاتب خطبة أوباما بالقاهرة نموذجا، فقد تفاعل معها الجمهور العربي بمختلف خلفياته وأعماره ولهجاته، جمهورا مشاركا، أو غير مشارك (مشارك عبر وسيط رقمي).

في خضم هذا التطور الرقمي ولدت من رحمه بلاغة الجمهور كما يسميها الباحث عماد عبد اللطيف، بلاغة تحاول تخليص البلاغة من جانبها السلبي في خدمة السلطة على حساب الجمهور، وبالتالي لا مكان للتلاعب بالجمهور وتخديره بخطب كلامية، لا علاقة لها بالواقع الذي يتخبط فيه الجمهور (الشعب)، ولهذه الأهداف السلبية للخطابة كما وقف عند الباحث عماد عبد اللطيف في مؤلف (استراتيجيات التأثير في الخطاب السياسي) وهي:

- خلق الأفعال السياسية
- الإخبار عن الأفعال السياسية
- تبرير الأفعال السياسية
- إخفاء الواقع السياسي[8]

الخطابة السياسية، فرصة للحاكم أو الرئيس لخلق أفعال سياسية بتأكيد المنجزات السابقة وتثمينها، وتبشير الجمهور (الشعب) بأفعال سياسية لمواصلة مشوار التنمية والتقدم والازدهار، ولهذا عادة ما تكون صيغة هذه الأفعال تحمل "قوة انجازية[9]"، نحو وقد أصدرنا أوامرنا ب... وعيننا خادمنا الوفي..."

أما مقتضى كون الخطابة السياسية تخبر عن الأفعال السياسية، فهي عادة تخبر بسياسة الرئيس أو الحاكم أي ما سينجزه مستقبلا من قرارات التي تهم مجموعة

6- أخذنا العبارة من الباحث محمد العمري، بلاغة الخطابة الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول الهجري، منشورات أفريقيا الشرق، ط2 ، 2002، ص: 13

7 - عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، مرجع سابق.

8-عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الاقناع والتأثير في الخطاب المرجع نفسه، ص:84

9- نستعمل هذا المفهوم كما تستعمله اللسانيات الوظيفية التداولية، ينظر عبد الوهاب صديقي، اللسانيات الوظيفية وتدريس الخطاب الحجاجي نحو الطبقات القلبي نموذجا، ورقة ندوة " مختبر اللسانيات والترجمة" جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك الدار البيضاء، أيام 16- 17 أبريل 2015 .

من القطاعات الحيوية التي تهم المواطن كالصحة والتعليم والاقتصاد والقضايا الكبرى عادة ما ترتبط بخطابات ملكية أو رئاسية أو حكومية فهي أطر مرجعية.
أما مقتضى الوظيفتين الأخيرتين التي هي تبرير الأفعال السياسية وإخفاء الواقع السياسي، فهما من أخطر وظائف الخطابة السياسية، لأنها تربط القرارات بهوى الحاكم والرئيس، وقد تكون المبررات غير معتمدة على منوال "بلاغة الإيتوس" Rhétorique de ethos أي صورة الخطيب الذي يكون أهلا للثقة، والمحب لمصلحة الجمهور، فعادة ما تنزوي بلاغة هذه الخطابات في استعارات اللغة، وبلاغة الباطوس Rhétorique de pathos بغية تبرير أفعال سياسية، بالتالي اخفاء حقيقة واقع الجمهور الذي لا تظهر بلاغة الخطابة السياسية، فكل شيء بخير وفي أمان واطمئنان وأمان بفضل السياسة الرشيدة للحاكم الخطيب.
ولهذه الخطورة لوظائف الخطابة السياسة فقد أقر الباحث عماد عبد اللطيف أثناء اشتغاله على بلاغة خطب حسني مبارك أنه أوشكت احدى خطبه الرئاسية أن تعصف بأحلام الكثير من المصريين الثائرين عليه، من خلال قدرته البليغة في التلاعب بالألفاظ، واعتماده على استعارة أبوية تجعل حسني مبارك أبا للمصريين، لا ينبغي الخروج عليه، أو شق عصا طاعته، لأن أخلاق الثقافة العربية والاسلامية والمصرية تقر بضرورة الإحسان للوالدين وشكرهما، والاعتراف بجميلهما، فقد نشط حسني مبارك الذاكرة الخطابية للمصريين، يقول الباحث "وفي الواقع فإن إحدى خطب الرئيس المصري السابق، خطبته الثانية على وجه التحديد، كانت على وشك إجهاض الثورة المصرية؛ فقد استطاعت دفع شريحة ضخمة من المصريين للتعاطف مع مبارك. وقد استخدمت لتحقيق ذلك تقنيات بالغة الكفاءة في التلاعب النفسي والعقلي بالجماهير؛ من أهمها بلاغة أبوية"[10]
ولغاية تحرير الجمهور من أسر بلاغة خطابة النظام دعا الكاتب بين ثنايا الدراسة إلى التأسيس لبلاغة جديدة "تعمل على تخليص البشر من كل ما يعمل على تشويه الفهم والاتصال، وهو ما قد يؤدي إلى خلق اتصال حر، لا تشوهه أشكال عدم التكافؤ الاجتماعي، أو القمع الخارجي، أو القهر الداخلي، وتعزز الجمهور على إنتاج خطابات مقاومة وتحررية، لتجعل من العصر الذي نعيشه بالفعل عصر استجابات الجمهور الرشيدة"[11]
تلك هي غاية مشروع الباحث البلاغي، مواجهة الأثر البلاغي للخطابة السياسية، والتأسيس لاستجابات بلاغية جماهيرية تؤمن بالحرية والعدالة الاجتماعية، علاوة على تقديم آليات بلاغية وآليات التحليل النقدي للخطاب للباحث العربي في دراسة الخطاب السياسي.

10- عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، ص: 32
11- نفسه، ص: 69

يُناقش الباحث في الفصل الأخير من مؤلفه" معضلة الكاتب الخفي"، أي كتاب خطب الرؤساء ودوره، وقد ركز على كتاب خطب رؤساء مصر من جمال عبد الناصر وانور السادات وصولا لمبارك، وقد وقف الباحث عند جدلية فكر الكاتب وفكر الرئيس، فقد لا يقتنع كاتب الخطبة بفكر الرئيس، وقد وقف عند تجارب من كتاب رفضوا كتابة بعض العبارات التي يريد الرئيس كتابتها حرفيا في الخُطبة.[12]

خاتمة:

إن مؤلَّف "الخطابة السياسية في العصر الحديث" اضافة نوعية في ميدان تحليل الخطاب السياسي، واستمرار للمشروع البلاغي الذي أسسه الباحث المصري عماد عبد اللطيف، قاصدا منه ربط البلاغة Rhétorique بهموم المثقف العربي وببلاغة الجمهور تحديدا، وذلك لمواجهة الأثر البلاغي لبلاغة السلطة، بتسمياتها وأيقوناتها. وهذا المؤلّف تأريخ وتحليل للخطابة السياسية العربية، من عصر الصحيفة إلى عصر استجابات الجماهير، من مدخل مضامينها، وتفاعل المتلقي مشاركا فعليا، او مشاركا بوسيط معها، ومن مدخل كاتبها الذي يتماهى مع فكر الرئيس، وقد يخالفه.

لقد كان من أهداف المشروع البلاغي لعماد عبد اللطيف التأسيس لبلاغة جماهيرية، تقاوم أثر بلاغة السلطة، بخلق استجابات بلاغية مضادة، تجعل المستمع العربي يستهدف زعزعة هيمنة سلطة الخطاب وخطاب السلطة بحيث يصبح الجمهور ممتلكا فعليا لحرية الإرادة والفعل[13]، وبداية امتلاك الجمهور لحرية الإرادة والفعل، يكون في نظرنا بالوعي باستراتيجيات الخطاب عموما، والخطاب السياسي خصوصا باعتباره قطب الرحى، من معرفة بآليات المحاججة، والمغالطة، وببلاغة الاستعارة التي جعلت الخطابة السياسية العربية، ولردح من الزمن، تضلل الشعوب، وتخدر وعيها بأحلام العروبة والتحرر، في كلمات الخطابة السياسية، دون أن يكون لها أثرا بلاغيا على واقع الجمهور العربي.

مما سوغ حاجة الجمهور البلاغي، إلى بلاغة الجمهور؛ بلاغة واضحة شفافة لا كاتمة، بلاغة لا تراوغ ولا تناور ولا تغالط، ولهذه الغاية يقترح الباحث عماد عبد اللطيف، **امكانية الدمج بين التحليل النقدي للخطاب وبلاغة الجمهور**، على اعتبار أن كلاهما يبحثان في الخطاب السلطوي وسُبل مقاومته، وبالتالي فإن تحقيق ذلك لا يكون "بالكشف عن العلاقة بين الخطاب واستجابة الجمهور فقط، بل كذلك من خلال إجهاض قدرته على التحكم في استجابات مستهلكيه، وتعرية الاستجابات المتواطئة معه[14]"، تلك غاية المشروع البلاغي للباحث عماد عبد اللطيف، الانحياز لبلاغة الجمهور، ووأد بلاغة السلطة.

12- عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الاقناع والتأثير في الخطاب المرجع نفسه، ص:46

13 -عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، ص: 69

14 - نفسه، ص: 55

المصادر والمراجع

عبد الوهاب صديقي، اللسانيات الوظيفية وتدريس الخطاب الحجاجي نحو الطبقات القلبي نموذجا، ورقة ندوة " مختبر اللسانيات والترجمة" جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الانسانية بنمسيك الدار البيضاء، أيام 16- 17 أبريل 2015 .

عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، منشورات دار العين، ط1، 2015 .

عماد عبداللطيف، استراتيجيات الاقناع والتأثير في الخطاب السياسي خطب السادات نموذجا2012

عماد عبداللطيف، بلاغة الحريةمعارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، منشورات دار التنوير، القاهرة بيروت، ط1، 2012

عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 6.

عماد عبداللطيف ، لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، منشورات دار العين، ط1، 2009.

محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، منشورات أفريقيا الشرق، ط1، 2005.

محمد العمري، بلاغة الخطابة الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول الهجري، منشورات أفريقيا الشرق، ط2 ، 2002.

ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب
قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف

د.نزهة خلفاوي
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير
اللغة العربية- وحدة البحث تلمسان/ الجزائر

تهدف هذه الورقة البحثية إلى قراءة بعض الملامح التجديدية في بلاغة الجمهور، باعتبارها حقلا معرفيا جديدا يجمع بين البلاغة وتحليل الخطاب، ويعاد من خلاله تشكيل وعينا بوظيفة البلاغة في الممارسة الإنسانية التواصلية، والمؤسّسة على اللغة –لفظية وغير لفظية-وما يرتبط بها من فعل تواصلي.

كما نهدف – من خلال مقاربتنا لهذا الحقل المعرفي- إلى معالجة الأبعاد الإبستيمولوجية لمشروع بلاغة الجمهور، وهو يؤسس تصوراته ومفاهيمه وأنساقه وآلياته الكفيلة بنقله من أعلى نسق الهرم المجتمعي بوصفه علما، إلى مساحات واسعة داخل النسيج النسقي المجتمعي، عبر محاور أفقية تلتقي فيها الحقول المعرفية ذات الصلة في إطار الدراسات البينية، لتنفتح على محاور عمودية تسائل شرائح واسعة من الجماهير، وتعمل على توعيتها وتدريبها على التلقي البليغ والاستجابات البليغة.

ولا ندعي هنا أننا نحيط بكل الملامح التجديدية التي تحملها بلاغة الجمهور، غير أننا نحاول الوقوف عند نقاط نراها مهمة في بناء تصوراتنا حول هذا الحقل المعرفي الجديد والخصب، وهي السؤال المعرفي للمشروع، والتأسيس النظري له بما يحمل من بعد نسقي، والمفاهيم الرئيسة للمشروع.

1- السؤال المعرفي للمشروع:

يعود تأسيس عماد عبد اللطيف لمشروع بلاغة الجمهور إلى سنة 2005 حين كتب مقاله: بلاغة المخاطب –البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته-، وقد حمل هذا المقال بذور فكرة طلائعية تجديدية، تحاول أن تشقّ طريقها نحو حقل جديد في الدراسات البلاغية العربية.

فبعيدا عن البلاغة القرآنية، والبلاغة الأدبية–بحسب تصنيف عماد عبد اللطيف-، ودون الانفصال عن المادة المعرفية التي أفرزها اشتغال العرب في هذين الحقلين، اختار عماد عبد اللطيف لمشروعه مجالا آخر،ارتأى أن يسميه بالبلاغة الإنشائية؛ وهي البلاغة التي تتخذ من الخطابات اليومية النابضة بالحياة موضوعا لها. ومن هنا يتأسّس مشروعه على العمل ضمن حقلين معرفيين هما البلاغة وتحليل الخطاب، باعتبار الخطاب قاسمامشتركا بينهما كونه يمثل "كل

تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ولدى الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[1]، فوجود هدف التأثير أثناء إنشاء الخطاب يستدعي تدخل البلاغة، بوصفها العلم المؤهل لدراسة آليات تشكّل الإقناع واستراتيجياته، فقد قدمت البلاغة منذ العصور الأولى لنشأتها ما يدعم قدرات المتكلم على تحقيق أهدافه التأثيرية والإقناعية على المستمع، ومنحه المزيد من القدرات على التلاعب باللغة وتطويعها لما يخدم مصلحة منشئها، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الدور الخطير الذي تلعبه البلاغة قائلا: "البلاغة هي تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق"[2]، موردا مثالا واضحا عن ذلك على لسان مالك بن دينار حين قال: "ربما سمعت الحجّاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلّصه بالحجاج"[3]. ولعل ما جاء في البيان والتبيين من إشارة لخطورة استعمال البلاغة في التلاعب والتضليل، لا يعدو أن يكون غيضا من فيض إشارات وتصريحات تستوقفنا ونحن نقرأ أرسطو وأفلاطون والجرجاني وغيرهما. ويبدو أنّ عماد عبد اللّطيف لم يكتف بتأمّل تلك الإشارات والتّعليق عليها، بل قرّر في مرحلة ما من مراحل مساره البحثي أن يضع قطار الدرس البلاغي على سكة ثانية تسير في الاتجاه المعاكس لما أنتجته البلاغة القديمة عربية كانت أم غير عربية، في ما يتعلق بالمخاطب أو المستمع، فمن بلاغة المتكلّم ينتقل بنا إلى بلاغة المخاطب محاولا التأسيس لمعرفة علمية تمكّن المخاطبين من الوعي بالفخاخ المنصوبة لهم في الخطابات الموجهة لهم قصد استهلاكها.

وقد عرّف"بلاغة المخاطب بأنها توجه معرفي في البلاغة العربية؛ مادّته الخطابات البلاغية الجماهيرية، وموضوعه دراسة الكيفيات التي تستخدم بها هذه الخطابات اللّغة لتحقيق الإقناع والتأثير وأثر ذلك في تشكيل استجابة المخاطب، ووظيفته تقديم معارف وأدوات للمخاطب تمكّنه من مقاومة الخطابات البلاغية السلطوية"[4]. ويبدو جليا من خلال توصيف عبد اللطيف لبلاغة المخاطب، أنّه كان على وعي تام بضرورة تحديد شروط نشأة هذا الحقل المعرفي الجديد في البلاغة العربية، فنجده يقف عند ثلاث ركائز محورية هي: مادة العلم، وموضوعه/ سؤاله المعرفي، ووظيفته/ مخرجاته. وهنا تبرز ملامح التجديد في الرؤية البلاغية، فمن النص المقدّس والنصوص الأدبية المصنوعة " مادة البلاغة القديمة؛ القرآنية والأدبية على حد تعبيره"، إلى الخطابات اليومية التي يجد المواطن نفسه أمام

---

[1]EmilleBenveniste , Problèmes de linguistique générale, Edition Gallimard, Tome 1, 1966, P129-130.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ج1، ص113.

[3] الجاحظ البيان والتبيين ج1، ص103.

[4]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ضمن كتاب السلطة ودور المثقف، جامعة القاهرة، 2005، نسخة إلكترونية.

محاولاتها المستمرة في التأثير عليه بشكل أو بآخر؛ونقصد تلك الخطابات في شاشات التلفاز أو على أثير الإذاعات أو في مواقع التواصل الاجتماعي، أو في اللافتات الإشهارية، أو في أماكن العبادة أو في التجمعات ذات الأغراض المختلفة، وما تتركه من آثار على متلقيها من المخاطبين.

وربما منحت دراسة عماد عبد اللطيف للبلاغة القديمة خلال سنوات دراسته العليا للماجستير، والبلاغة الجديدة خلال تحضيره الدكتوراه صاحبها الرؤية الشمولية للفكر البلاغي، لتتحول عنده إلى "مستوى الهم والانشغال الموجه– على حد تعبير محمد العمري- الذي يفسح المجال للتحليل والتأريخ لسد الفجوات "[5]، فإعادة قراءة التراث البلاغي مع هاجس بعثه بما يخدم قضايانا المعاصرة، جعل الباحث يضع يده على قضية جوهرية ليس من شأنها أن تعيد للبلاغة العربية حيويتها وإنتاجيتها فحسب، بل تجعلها قادرة على حمل تحدّي التغيير والانخراط في مشروع فكري هدفه إعادة تشكيل وعي المواطن العربي بقضاياه، من خلال منحه الأدوات الكفيلة بتمكينه من فك شفرات التلاعب والتضليل المسلطة عليه من خلال مختلف أنواع الخطابات التي تستهدفه.

وينقل نبل المسعى في هذا التوجه البلاغي مركز الاهتمام من دعم المتكلمين/ المتلاعبين، إلى دعم المخاطبين/ المستهدفين.وكأنّنا أمام محاولة لمنح البلاغة المزيد من المصداقية بالبحث في وظيفة أخلاقية لها، حيث تصبح أداة لتحرّر العقول المستضعفة/ غير الممتلكةللمعرفة والأدوات الإجرائية، من هيمنة العقول المتلاعبة/ والتي تمتلك أدوات الهيمنة والتلاعب.

وهنا؛ لن يقتصر دور البلاغة على قدرتها على تحديد وسائل الإقناع والتأثير، بل ستتعدى ذلك إلى اقتراح استراتيجيات اكتشاف شفرات الخطاب السلطوي، وآليات فك تلك الشفرات وإضعاف مقولات أصحابها، لينتقل سؤال البلاغة من:

ما الذي يجعل المتكلم بليغا؟ أو كيف نجعل المتكلم بليغا؟ أي قادرا على الإقناع والتأثير

إلى:

ما الذي يجعل المخاطب بليغا؟ أو كيف نجعل استجابات المخاطب بليغة؟ أي واعيا بما يستهدفه وقادرا على مقاومة كل أشكال الخطاب السلطوي.

ومن هذا المنطلق؛يظهر أثر بلاغة الجمهور في إعادة تشكيل وعينا بوظيفة البلاغة، وبخاصة في بعدها التواصلي الجماهيري، حيث تتحول من ممارسة تسعى إلى بناء خطاب سلطوي مع التأكّد من نجاعته/ قدرته على الإقناع والتأثير، إلى ممارسة بديلة تسعى إلى تفكيك الخطاب السلطوي وإضعافه، بمنح

[5] محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، المغرب، ط1، 1999، ص10.

المستهدفين من المخاطبين كل الأدوات والآليات الكفيلة بدعمهم وتوعيتهم، مع التأكد من نجاعة هذه الممارسة/ تسجيل استجابات بليغة.

2- بلاغة الجمهور/ التأسيس النظري:

جاء تطوير **عماد عبد اللطيف** للإطار النظري لبلاغة الجمهور تدريجياً وعلى مراحل. ففي سنة 2005 نشر اللبنات الأولى لمفهوم بلاغة المخاطب في دراسته المعنونة:بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، والتي تطورت بصورة واضحة في مقالاته العلمية المنشورة في مختلف المجلات العلمية على مدار أكثر من عقد من الزمن، وبصورة أكثر وضوحاً في كتابيه: لماذا يصفق المصريون–بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن-، الصادر سنة 2009 ، وبلاغة الحرية الصادر عام 2013، والذي يجسدمن خلالهما**عبد اللطيف** النزول بالعمل الأكاديمي إلى واقع الحياة الاجتماعية المعقدة والمركّبة، لا من أجل تفحصها واستلهام المادة منها فحسب، بل من أجل الانخراط في إعادة صياغتها وتعديل مساراتها التي ترهق المواطن وتنزلق به نحو اتجاهات لا تخدم مصالحه.

وقد قدّم عماد عبد اللطيف في دراسته العلمية: منهجيات دراسة الجمهور-دراسة مقارنة-، ثلاث روافد كبرى اهتمت بالجمهور في معالجتها للخطاب الذي يستهدفه، وهي البلاغة اليونانية والبلاغة العربية القديمة، والبلاغة الجديدة[6]، إذ نجده يؤسس لبلاغة الجمهور بالعودة المستمرة لما قدمه أفلاطون وأرسطو حول الخطابة، موضحا في عدة محطات موقف كل منهما، فأرسطو الذي يعتبر الجمهور ضروريا في الخطابة، يشرح كيف تتحكم طبيعة هذا الجمهور في بنائها واختيار حججها المناسبة[7]، أما أفلاطون فيؤكد على الدور الخطير الذي تؤديه البلاغة/ الخطابة في السيطرة على الجماهير، وتسخيرها لخدمة المتكلّمين الذين بإمكانهم بسهولة سلب تلك الجماهير ما تملك[8]، ومن هنا تظهر الحاجة إلى إكساب المخاطبين آليات دفاعية والعمل على تدريبهم، وهذا ما تحاول بلاغة الجمهور القيام به.

كما انتبه عماد عبد اللطيف إلى الإشارات الواردة في التراث العربي بخصوص المخاطب، خاصة ما تعلق منها بمراعاة مقتضى الحال، وحدّد المستويات التي ينبغي اعتمادها في تحليل الخطابة بناء على تأصيل الجاحظ لذلك في البيان والتبيين[9]، والذي اعتبره محطة مهمة في تعامل البلاغة العربية مع

---

[6] عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور –دراسة مقارنة-، ضمن كتاب بلاغة الجمهور –مفاهيم وتطبيقات-، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي وعبد الوهاب صدقي، دار شهريار، العراق، ط1، 2017، ص159-160.

[7] عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ضمن كتاب "بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات".

[8] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

[9] عماد عبد اللطيف، إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، مجلة الخطاب، العدد الرابع عشر، تيزي وزو، 2013.

المخاطب. وقد خلصإلى ملاحظة دقيقة مفادها أنّالمخاطب في الوعي البلاغي العربي حاضر ولا يمكن الاستغناء عنه، باعتباره الهدف من الممارسة البلاغية،وإن بدا موقعه في الظاهر هامشيا أمام مركزية المتكلم الذي تسعى جلّ الممارسات البلاغية إلى دعم قدراته، فإنّه في الواقع يمثل مركز المركز باعتبار الاهتمام بدراسة نزعاته وأهوائه وأحواله وحالاته النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بغية استثمار تلك المعطيات في صياغة الحجج، وبناء الخطاب القادر على استمالته وإقناعه والتأثير في أفكاره وسلوكاته. وقد أشار عماد عبد اللطيف في هذا الصّدد إلى العديدمن الدراسات العربية التي انتبهت لإقصاء المتكلم من الانشغال البلاغي، ليقتصر دوره في الاستفادة من الترسانة الإقناعية التي تمده بها البلاغة، والبلاغة هنا بلاغة تعليمية في المقام الأوّل.

ورغم إحاطة عماد عبد اللطيف بالكثير من الأعمال التي قدمها الفكر الغربي حول المخاطب والجماهير، فإنه يعتبر كتاب بيرلمانوتتيكا من أهمها، بل يعدّه إحياء لكتاب الخطابة لأرسطو[10]، من خلال بعثه لأطروحاته الجوهرية وتطويرها بما يتناسب والتطورات التاريخية.

وقد أسّس بيرلمانوتيتيكا فيكتابهما: "المصنف في الحجاج –البلاغة الجديدة"، لحجاج جديد يبني اهتمامه على المخاطب والاقتناع، بدل ما كان سائدا من اهتمام بالمتكلم والإقناع.وتقع بلاغة الاقتناع التي يهدف إليها الحجاج البيرلماني، ما بين الإقناع العقلي والاستدلال المنطقي الصارم[11]، ومن هذا المنطلق؛ تتوجه بلاغة الإقناع إلى جمهور خاص يضم الخطباء ومحرري الخطاب والقائمين على الدعاية والإعلان والتسويق ...وغيرها، بينما تتوجه بلاغة الاقتناع إلى الجمهور الكوني العام على حد تعبير بيرلمان.

وينحاز هذا الأخير إلى العمل على بلاغة الاقتناع، معتبرا الحجاج غير ملزم وغير اعتباطي ومن شأنه أن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة الاختيار العاقل[12]، وهذا ما لا تتيحه بلاغة المتكلم في البلاغات القديمة. وهنا يتموقع أيضا توجه عماد عبد اللطيف في بلاغة الجمهور .

ولا شك أن الروافد الثلاث السابق ذكرها كانت ملهمة لمشروع بلاغة الجمهور، سواء من خلال الإشارات الخفية التي التقطها عماد عبد اللطيف أثناء إعادة قراءته للتراث اليوناني والعربي وأثناء قراءته المنجز البلاغي الغربي المعاصر –على حد تعبيره-، أو من خلال الثغرات التي انتبه إليها. إذ لم يتوقف

---

[10]عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر: مقاربة نقدية، ضمن كتاب "اللغة العربية وآدابها: نظرة معاصرة"، جامعة كيرال، الهند، 2015.

[11]جميل حمداوي، شاييم بيرلمان رائد البلاغة الجديدة، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني الناظور-تطوان/المملكة المغربية، ط1، 2019.

[12] Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, La nouvelle Rhétorique: Traité de l'Argumentation, Presses Universitaires de France, 1958 p :54. 25

الباحث عند حدود القراءة التاريخية لموقع المخاطب في كل تلك البلاغات، ووصف تعاملها معه، بل اتخذ موقفا عكسيا فتح له ولنا آفاق البحث في حقل خصب وجديد بالنسبة للدرس البلاغي العربي.

ومن الواضح أن حقل بلاغة الجمهور حقل عبر تخصصي، يقوم على الدراسات البينية، وقد أشار عماد عبد اللطيف في مقاله التأسيسي إلى "ترسيم جديد لحدود علاقة البلاغة العربية مع علوم الاتصال والاجتماع والأنتروبولوجيا والعلوم السياسية وعلم النفس وتحليل الخطاب"[13]، ونقف هنا أمام علم اللغة وعلوم التواصل، باعتبارهما دعامتين رئيستين للتأسيس النظري لبلاغة المخاطب، التي تطورت لاحقا وأصبحت بلاغة الجمهور[14]، لتتموضع بكل ثبات في حقل العلوم النقدية التحررية.

ومن جهة أخرى؛ عمد عماد عبد اللطيف إلى تأسيس مشروعه البلاغي في شقه العلمي/الأكاديمي،منتبها إلى ضرورة العمل بالموازاة على تطوير شقه التقني/التدريبي والتعليمي والتوعوي، فالدارس لأهم أعمال عبد اللطيف في هذا المجال يستطيع تصنيفها بحسب الإطارين السابقين، إلى دراسات علمية موجهة للمتخصصين، ومؤلفات موجهة للمتخصصين وللعامة على وجه سواء.ونذكر في مجال الدراسات المتخصصة مقالاته الثلاث:

1.بلاغة المخاطب: من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته (2005)

2.من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي (2009).

3.منهجيات دراسة الجمهور – دراسة مقارنة-، ضمن كتاب بلاغة الجمهور – مفاهيم وتطبيقات- (2017)

وقد حرص عماد عبد اللطيف على تحديد الأسس النظرية والمنهجية لبلاغة الجمهور من خلال هذه الإسهامات الثلاث، وبادر في المقابل إلى العمل على البعد التربوي والتوعوي لبلاغة الجمهور، من خلال مؤلفيه:

1.لماذا يصفق المصريون: بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن

2.**بلاغة الحرية**

حيث سعى من خلالهما إلى تقليص الهوة بين المؤسسات الأكاديمية وما يصدر عنها من مخرجات البحث العلمي وبين الجمهور الذي يستهدفه هذا الحقل الجديد في البلاغة وتحليل الخطاب، والذي يشكل المواطن العادي نواته الأولى؛ وهذا ما جنح بالمؤلف إلى الابتعاد عن التعقيد المصطلحي، وتأكيده على البعد التربوي والبيداغوجي للكتابين.

---

[13]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

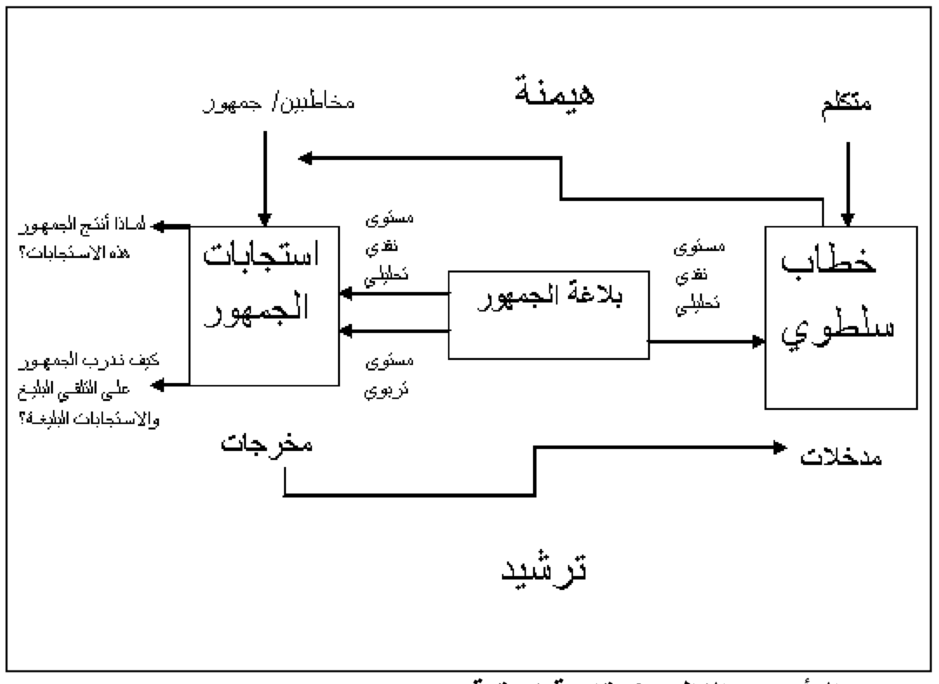
[14]بحسب جوستاف لوبون، يؤدي انصهار الذات الواعية للأفراد المنخرطين مع الجماهير إلى توجيه مشاعرهم وأفكارهم باتجاه تشكيل وحدة ذهنية يختلف التعامل إزاءها مع الفرد، عن وضعه في حالته الفردية الواعية.

ولعلّ عماد عبد اللطيف من خلال هذين المؤلفين، يقدم إجابة مسبقة عن تساؤلات قد تواجه مشروعه، من قبيل كيف السبيل إلى تدريب الجمهور على فك شفرات الخطاب السلطوي، وإنتاج الاستجابات البليغة التي تخدم مصلحته؟ أو بطرح أكثر وضوحا: كيف السبيل إلى تمكين الجمهور من هذه الممارسة البلاغية الجديدة؟ ولعل أكبر تحد هنا هو جهل هذا الجمهور بالأمر وعدم وعيه بما يتعرض له من تضليل وخداع عبر خطاباتتسعى للهيمنة عليه، وبالتالي جهله بالإجراءات القادرة على تخليصه من الوقوع في فخاخ صنّاع تلك الخطابات.

وفي هذا الإطار؛ قد يكون التأليف الموجه للعامة إجراء ذا فائدة، بالنظر للدور التوعوي والتثقيفي الذي يؤديه، لكننا نعتقد أن هذا غير كاف، وقد اقترح عماد عبد اللطيف أن تتحول بلاغة الجمهور إلى نشاط يشترك فيه أشخاص متعددو الاهتمامات والاختصاصات، ذكر منهم الأكاديميين والسياسيين والإعلاميين والناشطين الاجتماعيين[15]، ونضيف هاهنا القائمين على السياسات التربوية وواضعي المناهج التعليمية، فالمدرسة تظل نواة رئيسة لتنشئة المواطن، ولعل الاهتمام بتشكيل وعيه الناقد، ومده بآليات مواجهة الخطابات، منذ مراحل تعليميه الأولى سيكون له أثر واضح في تعاطيه مع واقعه المعيش مستقبلا.

وتُمثِّلفكرة بلاغة الجمهورباعتبارها إطارا تحليليا، يتضمن علاقات ومفاهيم نظرية لها دلالات تطبيقية، نقطة بداية حقيقية في تطوير الدراسات البلاغية العربية. هذا الإطار التحليلي الجديد في الدرس البلاغي، والقائم في أبسط صوره على نقل الاهتمام من بلاغة المتكلم إلى بلاغة المخاطب، لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات بين الحقول المعرفية الموجهة بصفة أساسيَّة نحو العناية باستجابات الجمهور، ومحاولة تحقيق الحرية والمساواة بين طرفي الفعل التواصلي: المتكلم/ المخاطب.وتبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات؛ والتي تفترض بلاغة الجمهور بأنها تمثل الخطاب السلطوي، وتنتهي بالمخرجات؛ والتي تمثل استجابات الجمهور سواء كانت بليغة أم غير بليغة. وتقوم الممارسة البلاغية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية، أي بين المدخلات والمخرجات من خلال نقل أسئلتها المعرفية من تحديد علل بلاغة المدخلات (استراتيجيات التأثير والإقناع)، إلى تحديد العلاقات بين هذه العلل واستجابات الجمهور لها، ومن ثمّ تقديم تغذية راجعة للجمهور تتمثل في مده بأدوات مقاومة وإضعاف المدخلات،وإنتاج استجابات بليغة كما يوضحه الشكل التالي:

[15] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.



3- التأسيس النظري/مقاربة نسقية:

يرتبط مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث بالبحوث التي قدمتها دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة، وما انتهت إليه من تصورات تكشف عن تغير أشكال المعرفة وعلاقاتها عبر العصورالمختلفة. وتأسيس هذا المفهوم في بحث الظواهر البلاغية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرض على الباحث المعاصر اتخاذ موقف منهجي صحيح في التعامل مع المادة التي يتقدم لدرسها، ومعرفة علاقاتها ببقية وحدات المنظومة التي تستمد منها مقولاتها[16].

وفي هذا الإطار؛ تضع بلاغة الجمهور نفسها في حقل العلوم النقدية التحررية[17]، حيث يأخذ مفهوم التواصل إلى جانب النقد أبعادا مهمة داخل الإطار النظري لمدرسة فرانكفورت، وخصوصا عند هبرماس الذي يسعى إلى تقديم مشروع أو أنموذج فكري يقوم على التحرر، ومفتاح هذا التحرر موجود بحسب وجهة نظره في التواصل والنقاش التداولي بين مواطنين متساوين[18]، ومن هذا المنطلق تسعى نظرية أخلاق التواصل التي يقدمها هابرماس إلى الكشف عن التشويه القائم في التفاعل والتواصل، وإصلاحه وكذلك التحرّر من سلطة الأصنام والأوهام.وهنا؛ تتقاطع بلاغة الجمهور مع هذا الطرح المؤمن بالتصحيح التطوري المستمر والتدريجي للمجتمعات، من خلال الاشتغال على بلاغة

---

[16]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، نسخة إلكترونية صادرة عن عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص9.

[17]عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته.

[18]يورغنهابرماس، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة ابراهيم الحيدري، منشورات الجمل، 2001.

المخاطبين والعمل على تزويدهم بالمعرفة والمهارات الكفيلة بمساعدتهم على مواجهة خطاب الهيمنة. وهنا تجد بلاغة الجمهور نفسها أمام تحد التأسيس لتفكير شمولي، الذي قد يجعلها مضطرة لبناء نظرية نسقية خاصة بها،قد تستوحى من نظريات الأنساق الفيزيائية أو البيولوجية[19]، على غرارتطوير علوم الإعلام والاتصال للبراديغمالسينبرطيقي، الذي يدرس عمليات الضبط والتوجه في العملية الاتصالية وسبل التحكم فيها[20]. ولعل بلاغة الجمهور في مراحل لاحقة ستكون بحاجة إلى دراسات تهدف إلى بناء نماذج التحليل النسقي لمختلف المواضيع التي تطرحها، بدل الاعتماد المطلق على "النظريات ذات الطابع الفلسفي والتي قد تحيد بنا عن الدقة العلمية"[21]، مستمدة توهجها وديناميكيتها من العلاقات الأساسية بين الحقول المعرفية ، فإن كانت تتموقع ضمن حقل العلوم النقدية التحررية، فإن حقل علوم اللغة وحقل علوم الاتصال بما ينضوي تحتهما من تخصصات علمية دقيقة ومتشابكة مع مختلف العلوم الإنسانية والتأويلية، يعدّان الدعامتين الرئيستين للأساس الابستيمولوجي الذي تقوم عليه . ولعل اللغة تمثل ذروة النسق المعرفي –على حد تعبير صلاح فضل- المتصل ببلاغة الجمهور، وتظل اللغة هنا مفتوحة على ما هو لفظي وغير لفظي من أدوات التواصل.

4- المفاهيم

للمفاهيم أهمية كبرى في التأسيسلنظرية عامة وشاملة لبلاغة الجمهور –في اعتقادنا-، فالمتتبع لما قدمه عماد عبد اللطيف في هذا الحقل يستطيع الوقوف على مجموعة من المفاهيم المترابطة منطقياً في إطار متكامل، وعلى درجة عالية من التجريد تُمَكِّن من القيام بالتحليل وتوجيه الاهتمام نحو المحددات الرئيسية لبلاغة الجمهور، وذلك باعتبار هذه المفاهيم تشير إلى متغيرات هذه الممارسة البلاغية من وجهة نظر صاحبها.وسنقف في هذه الورقة البحثية عند ثلاث مفاهيم رئيسة هي: الخطاب السلطوي، والوعي النقدي للمواطن،والاستجابات البليغة، ولعل اختيارنا لهذه المفاهيم يتأسس على النموذج المقترح سابقا والمستوحى من الأطر النظرية لبلاغة الجمهور.

يمثل الخطاب السلطوي من وجهة نظر عماد عبد اللطيف وحدة تحليل رئيسة في مقاربة بلاغة الجمهور، ويُعَّرَفْ بأنه الخطاب الذي ينجز ويدعم

---

[19] بول ريكور، من النص إلى الفعل –أبحاث التأويل-، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، نسخة إلكترونية، ص254.

[20] يعد البراديغم بمثابة المنظور الإرشادي الخاص بنوعية معينة من البحوث دون غيرها والتي تسهل على الباحثين عملية البحث العلمي في إطار هذا البراديغم كونها تقدم لهم الآليات التي بموجبها يتم توجيه البحث والتحكم العلمي به لضبط نتائجه، وتخضع هذه البراديغمات على أساس الفكر الابستيمولوجي إلى مدرستين كبيرتين؛ إحداهما كمية والثانية كيفية، كما يحتوي على مجموعة من النماذج لعل من أشهرها النموذج الرياضي لشانون

[21]بول ريكور، من النص إلى الفعل –أبحاث التأويل، ص255..

سيطرة حائز الخطاب على المستهلكين له[22]، ويقوم التحليل الذي يتمّ داخل الخطاب السلطوي على مقاربات مختلفة باختلاف الحقول المعرفية المستندة إليها، وقد أوضح عماد عبد اللطيف الفروق بين أربع مقاربات معاصرة تهتم بتحليل الخطاب السلطوي وهي: التحليل الناقد للخطاب، والبلاغة الناقدة، والكلام المضاد وبلاغة الجمهور.ولعل ملمح التجديد في المقاربة الأخيرة يكمن في ما تطرحه من أسئلة مغايرة تسعى إلى بناء معرفة بالكيفيات التي يمارس بها الخطاب سلطته، حيث إن هذه المعرفة ليست غاية في حد ذاتها كما في مقاربات أخرى، بل إنها تمثّل الأساس الذي يتم بموجبه اقتراح ممارسات لتطوير استجابات الجمهور وتعديلها بما يمكنه من مقاومة الخطاب السلطوي، وتعيد بلاغة الجمهور بناء بعض المفاهيم ذات الصلة انطلاقا من أسسها الإبستمولوجية. فالخطاب البليغ من هذا المنطلق؛ هو كل خطاب غير سلطوي. والمتكلم البليغ هو المتكلم القادر على إنتاج خطاب غير سلطوي والمخاطب البليغ هو المخاطب الواعي بحقيقة الخطاب السلطوي والقادر على مقاومته عن طريق تقديم استجابات بليغة. وكأننا هنا أمام محاولة لإحداث نوع من التوازن بين أطراف العملية التواصلية، تتولد من خلاله ديمقراطية تداولية ترتقي بالممارسة الإنسانية التواصلية كلما زاد اشتغالها على تعميق الوعي النقدي للأفراد العاديين.

ويعد مفهوم الوعي النقدي للمواطن، مجالا ديناميكيا لنشاط بلاغة الجمهور التي تتوجه بأدواتها وإجراءاتها نحو الأفراد العاديين، بهدف تحريرهم من "سلطة اللغة السحرية والقوة الكلامية المسيطرة"[23] التي تستهدفهم، وهي تتشكّل خطابات متعددة تملأ تفاصيل حياتهم محاولة التأثير على آرائهم ومعتقداتهم، بجعلها تتخذ اتجاها معينا قد لا يخدم مصلحتهم[24]، وهنا تظهر قيمة وظيفة العقل الفاعل النقدية، والمتمثلة في الكشف عن آليات الالتواء التي تغدو بها وضعيات الرابطة المشروعة بين الجماهير استلابا لا يطاق[25]. إنّتموقع بلاغة الجمهور ضمن العلوم النقدية التحررية يمنحها الدافع للعمل -زيادة على فك شفرات كل خطاب سلطوي بغية إضعافه- على إعادة تشكيل وعي المخاطب/الجمهور وتحريره من شتى أنواع الهيمنة التي تمارسها عليه الخطابات السلطوية من منطلق أن لا حرية بلا وعي.

---

[22] عماد عبد اللطيف، من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مجلة ثقافات، العدد 22 ،كلية الآداب، جامعة البحرين، 2009.

[23] التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي -الحركة السفسطائية نموذجا-، كلود يونان، دار النهضة العربية، نسخة إلكترونية.

[24] سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هشام صالح، دار الساقي بيروت، ط1، 1991.

[25]بول ريكور، من النص إلى الفعل، ص20.

أما إنتاج الاستجابات المضادة للخطاب السلطوي بوصفها استجابات بليغة، فتصل بحقل بلاغة الخطاب إلى ذروة طموحه، فمن خلال تحقيقها يتجسد نجاح البعد التربوي والتوعوي لهذه الممارسة البلاغية. وتمثل فظاءات تداول خطابات الجمهور مساحة خصبة تبرز فيها قوة الجماهير وقوة بلاغتها، وهنا يركز عماد عبد اللطيف اهتمامه على هذه الفضاءات منتبها لنقاط دقيقة تحمل في طياتها ملامح التجديد والتطوير، نورد بعضها في ما يلي:

- يشكل المواطن العادي المكون الأساسي للجمهور؛
- الجمهور متباين بتباين توجهاته وخلفياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية؛
- رغم تباين الجمهور فإن الخطاب السلطوي الذي يستهدفه ينشئ بطريقة ما علاقة تربط بين مختلف الأفراد، تقوم على الهدف الذي يتوخاه خطاب الهيمنة ،والاستجابة المتوقعة/ المشتركة من مجموعة الأفراد؛
- رغم أن فضاءات تداول خطابات الجمهور تمثل أحد أوجه قوته وقوة بلاغته التي تتمكن في كثير من الأحيان من قلب المعادلة، والتأثير على الخطاب السلطوي بل ودفع منشئه إلى تعديله، تظل ذات تأثير محدود ما لم يستفد هذا الجمهور من ممارسات تعليمية وتثقيفية وتوعوية تؤهله لإنتاج استجابات بليغة؛
- الاستجابات البليغة ليست منتهى طموح بلاغة الجمهور في تعاطيها مع المخاطبين، فتجنيب هذا الجمهور إعادة إنتاج خطاب القهر والهيمنة، تعد من أولويات هذه الممارسة التي تسعى إلى مقاومة تشكّل الخطاب التسلطي لدى مختلف الأطراف.

ولعل مناقشة مفاهيم الخطاب السلطوي، والوعي النقدي للمواطن، والاستجابات البليغة يقودنا إلى التأكيد على ما تطرحه الفضاءات الافتراضية من تحديات على مشروع بلاغة الجمهور الذي يجد نفسه مطالبا باستمرار بتطوير مناهجه وأدواته بل وروافده المعرفية.

ولعل هذا الحقل سيجد نفسه مضطرا مستقبلا إلى التعامل مع حقول معرفية جديدة وأدوات بحثية متجددة من قبيل الذكاء الاصطناعي، والتعلم الذاتي، والإحصاء اللساني، وتحليل المحتوى،من أجل ضمان تحقيق بعده التربوي والتثقيفي، بالنظر إلى ما ينشده من نتائج، ولعل انخراط البلاغيين مع الباحثين من التخصصات السابق ذكرها وتخصصات أخرى في مشاريع بحثية مشتركة، سيكون السبيل الأنجع لتطوير بلاغة الجمهور وتأهيله لمواكبة التغيرات المعرفية وثورة المعلومات والرقمنة، والتي لم تغفل عنها بلاغة الإقناع المستثمرة بذكاء وفاعلية من قبل مؤسسات المعلومات والتسويق والدعاية وغيرها.

ولا بد من الإشارة في ختام هذه الورقة إلى احتفاظ بلاغة الجمهور بنبل المسعى، و الذي يجسده طموحها في أن لا تظل الممارسة البلاغية حكرا على فئة معينة أو فعلا نخبويا، بل أن تتحول إلى ممارسة مجتمعية تنزل بالبلاغة بوصفها علما، من أعلى هرم النسق المجتمعي، وتحكم الإحاطة بالعناصر التي تتشكل بموجبها وتتحرك داخلها، إلى محاور أفقية وعمودية تفاعلية، تتأسس داخل أنساقها التصورات والنماذج والآليات على محور الباحثين المتخصصين، والمنفتح على مختلف الاتجاهات المعرفية التي تمنحه مصداقية تأطير المجموعات الواسعة من الجمهور على المحور العمودي، في تغلغل منظم داخل الأنساق المجتمعية، حيث المأمول من هذه الحركة هو خلق وعي مؤسس لدى العامة، تبرز قيمته بمدى انحسار الخطابات السلطوية وخطابات المقت والعنصرية، وشيوع نماذج تواطلية ديمقراطية.

بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي
تكامل أم تمايز معرفي؟

حسين البعطاوي*

"من علامات تحضّر الأمة أن يكون لديها أدب تتجدد روحه مع تجدد نسمات الصباح، فكما أن النسمة التي تهب اليوم ليست هي النسمة التي هبت بالأمس، كذلك يجب أن تكون القصيدة التي نسمعها اليوم هي ما كنا قد سمعنا البارحة، وذلك كي نثبت أن عقول الأمة ما زالت معطاءة، وأن معين إبداعها لم ينضب ولم يشح مكنونه..." الموقف من الحداثة ص19

مقدمة:

شكّل تجديد الدرس البلاغي العربي، أحد أهم الركائز الأساسية التي باتت تشغل عددا من النقاد والباحثين بالعالم العربي، لإخراج البلاغة العربية من إطارها الشكلي، الصوري، الاختزالي[1]، الذي عمّر لقرون عدة بفعل اعتمادها على أمثلة وشواهد مسكوكة تحكم على النص/الخطاب قبل إخراجه. وإذا كانت البلاغة الغربية قد أعيد تشكيل مسارها بعد أن ضلت الطريق خلال القرن 16م، بانحسارها في التعليم وجعلها محكومة بسياقات مخصوصة، وذلك بإعادة قراءة الموروث الإنساني والدعوة إلى إعادة إحيائها[2]. فإن تجديد البلاغة العربية لا زال لم يعرف بعد طريقه نحو المطلوب.

ومن أجل هذا الغرض، أتت أبحاث الأستاذ عماد عبد اللطيف حاملة همَّ التجديد، واضعة نفسها أمام مِحكّ تجديد الدرس البلاغي العربي، مقترحة بذلك، وصفا جديدا ثائرا على التاريخ الإنشائي للبلاغة. وقد صبّت جميع أبحاثه أولا في تسمية "بلاغة المخاطَب"، قبل أن تستقر بعدها على "بلاغة الجمهور"، آخذة على عاتقها تحليل الخطابات الجماهيرية، وما تتيحه من استجابات بلاغية في الفضاءات العمومية و/أو الافتراضية، كاشفة بذلك زيف الخطابات السلطوية، وراسمة بمقابلها بلاغات وليدة، متضمنة التصفيق، والأغاني، والشعارات، واللافتات، وصافرات الاستهجان...

ولأن تجديد المعرفة الإنسانية، شرط من شروط إحياء العقل البشري، إذ به تصحو روح الأمم من غفوتها. فإن دعوة التجديد للبلاغة العربية هذه، أخذت من

---

* **باحث في البلاغة وتحليل الخطاب/جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال.**

[1] مثلت أبحاث كل من: حمادي صمود ومحمد العمري، ومحمد الولي، ومحمد مشبال، وعماد عبد اللطيف، أحد الأقطاب البارزة في مراجعة تاريخ البلاغة العربية.

[2]من ثمار هذه الدعوة بروز أعمال تدعو إلى الانفتاح على أعمال إنسانية ولسانية، والتي استجدت بها ظروف الحياة، ومن أبرز هذه الأعمال، نذكر تمثيلا لا حصرا: أعمال رولان بارت، كبدي فاركا، هنريش بليت، أوليفي روبول، شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتيكا...

التاريخ وما هيمن عليه من صيغ تعبيرية مسكوكة، تحكم على النص/الخطاب قبل إخراجه للوجود، منطلقا علميا لإعادة البناء، أو لتجسير فجوات أصابته. مستفيدا في نفس الوقت من المعرفة الكلية التي تمثل ثقافة العصر بكل مرجعياته الفلسفية، والعلمية، والابستمولوجية، وما تطرحه هذه المعارف من تعدد وتشعب لأنماط التواصل الإنساني.

تأتي إذن الدعوة للتجديد، غير راسمة لحدود معرفية بينها وبين المناهج الأخرى. فبلاغة الجمهور تتبنى حسب الدكتور عماد عبد اللطيف تصورا تكامليا، فهي ليست منهجا خاصا –الوقت الراهن- في تحليل الخطاب، لكنها تتقاسم هذا الهمّ مع حقول معرفية عدة، منها: النقد الادبي، علم الاجتماع، علم النفس، اللسانيات، التحليل النقدي للخطاب، نظريات التواصل، السميائيات، ونظرية التلقي...

ومما تتبناه بلاغة الجمهور كوحدة تكاملية في تحليل الخطاب؛ نظرية التلقي (مع أيزر وياوس)، عبر تقابلات ثنائية ارتضتها لأجل هذا الغرض، حاول صياغتها كل من الأستاذين عماد عبد اللطيف وصلاح حسن حاوي: المتلقي/القارئ في مقابل الجمهور، والنص مقابل الخطاب، التلقي مقابل الاستجابة، خطابات الحياة اليومية مقابل الأدب، الفضاءات العمومية مقابل الفضاء الخاص، الاستجابات الجماعية مقابل التأويل الفردي... وكلها عناصر أدركتها بلاغة الجمهور كمكون يجمع بينها وبين نظرية التلقي. غير أن هذا التلاقي سرعان ما سينصهر على مستوى الأسئلة المعرفية الخاصة، باختلاف كل من الجمهور والقارئ، كذوات مختلفة. كما أنهما يتمايزان على مستوى المفاهيم المؤسسة؛ كمفهوم القارئ ومفهوم الجمهور ووظيفتهما، وكيفية تلقيهما للخطابات.

تأتي هذه الدراسة محاولة الكشف عن أوجه التكامل والتمايز بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي، وذلك بغية تسليط الضوء علىالحدود المعرفية بين الجمهور والقارئ، منطلقة من مساءلة المستوى المعرفي عندهما، ووظيفتهما. كما تسعى إلى إبراز مكامن التمايز بين التأويل عند القارئ الذي يتأسس على منهج فلسفي وفكري، وبين الاستجابة عند الجمهور التي تخضع لمقومات جمالية أحيانا.

وهكذا يمكن أن نفكر في هذه العلاقة في ضوء الأسئلة الآتية:

- ما حدود التأويل بين الجمهور والقارئ؟
- وما أوجه التكامل والتمايز المعرفي بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي؟
- وهل ثمة تكامل أم تمايز معرفي ؟
- وهل هو تكامل نصي مسائل للنظرية بجذورها الفلسفية والابستمولوجية؟ أم هو تكامل خارج نصي؟
- وكيف يحدد الجمهور البليغ؟
- وهل الاستجابة استجابة ذات معرفة جمالية أم معرفة تاريخية بالخطابات؟

ـ وهل الاستجابة أحكام مسبقة prejuges أم تأويل وتطبيق؟.
وللإجابة عن هذه التساؤلات تنطلق الدراسة من مسلّمتين اثنتين:
ـ إن كان ثمة تكامل معرفي بين نظرية التلقي وبلاغة الجمهور، على مستوى الثورة على التاريخ الأدبي، الذي كرّس نظرة دونية للمتلقي/الجمهور، شهدنا على إثرها تقديس لسلطتي النص، والمخاطِب، فإنه توجد تمايزات معرفية، تأتي في مقدمتها، اختلاف على مستوى المفاهيم المؤسسة، كاختلاف التأويل بين القارئ والجمهور. فالتأويل عند القارئ (نظرية التلقي) مفهوم له شروطه الخاصة في تلقي الخطاب، عنصر محدد وفق أسئلة فكرية وفلسفية، أما الاستجابة (بلاغة الجمهور) فهي خاضعة لتجانس معرفي جماهيري، تجمع بين النخبوي والشعبي.
ـ إن كان ثمة تكامل بين نظرية التلقي وبلاغة الجمهور، فهو تكامل خارج نصي، مرتبط بإجراءات غير خاضعة للأسئلة المعرفية، ووظيفة المفاهيم المؤسسة عندهما.

I. بلاغة الجمهور ونظرية التلقي تكامل أم تمايز؟

يعتبر الإطار النظري الذي تشترك فيه بلاغة الجمهور مع نظرية التلقي، شريكا أساسيا تتغذى منه بلاغة الجمهور، وتقيم معه علاقة حوارية، عبر تقابلات ثنائية ومفاهيمية. ويبقى هذا الاشتراك هو ما حاول صياغته كل من الأستاذين حسن صلاح حاوي، وعماد عبد اللطيف، مشيرين إلى أن مركز الالتقاء بين هذين النموذجين العلميين هو اهتمامهما بالوسيط: الجمهور والمتلقي. لكن هذا الالتقاء سرعان ما سينفصل في المفاهيم المؤسسة، والمادة المدروسة، والأسئلة المطروحة على كل من الجمهور والمتلقي.

وتفاعلا مع هذه العلاقة التي فُسِّر بها التأريخ لبلاغة الجمهور في دراسة الأحداث العلمية، في بعدها الإبستمولوجي، وعلاقتها بنظرية التلقي. سنحاول أن نتبين هذه العلاقة وفق مسارين اثنين: الأول؛ مسار يمكن أن نسميه بالعلم من الخارج externalistes قياسا على العلاقات الإبستمولوجية بين العلوم، ومسار ثان داخليinternalistes،[3] وهذا الذي تفتقد إليه بلاغة الجمهور. ينحو المسار الأول نحو التكامل/العلم من الخارج، في حين يتجه المسار الثاني صوب التمايز/العلم من الداخل.

1. أوجه التكامل

أ. الثورة على التاريخ الأدبي

تتحدد المعرفة الإنسانية، في علم المعرفة عبر ما يسمى "بالقطيعة الإبستمولوجيةlaraptureepistomologique"[4] بين العلوم، والثورة على المعارف القديمة بغية تحديث المعرفة، والسيطرة على العلم سيطرة عقلية (نسبية)

---

[3] روبرت بلانشي: نظرية المعرفة العلمية الابستمولوجيا، ص:21

[4]نفسه، ص:27

لا سيكولوجية. يقول روبرت بلانشو:"إذا أردنا أن نؤسس معرفة جديدة، فإن علينا أن نقطع الصلة بين هذه المعرفة الجديدة وبين المعارف الأخرى، التي احتلت مكانها بدون وجه حق. إن هذا المعنى هو الذي يمكننا من أن نميز بين نوعين من تاريخ العلوم، كما يقول غاستون باشلار، تاريخ المعارف البالية، وتاريخ المعارف الباقية"[5]، فبدون المعارف البالية لا يمكن أن تكون هناك معارف باقية، إذا ما أريد للثانية الثورة على تاريخ الأولى. ولأنه لا علم يتأسس بدون تاريخ، فإن هذا التاريخ المستحدث لا يكون مقطوع الصلة، أو يظل حبيس الماضي، لكنه ينظر بعين إلى الماضي ليحدد معرفة ارتقائية جديدة.

وانطلاقا من هذه الثنائية، وفي إطار ربط المعارف الباقية بالمعارف البالية، وتجديد التوجهات النقدية، تقف نظرية التلقي وبلاغة الجمهور، موقف الثائر في وجه التاريخ، مستحدثتين مسارا خاصا بهما.

أ- أ- نظرية التلقي

في خضم التصورات التي ميزت المناهج النقدية الكلاسيكية: الاجتماعية؛ النفسية؛ التاريخية؛ والشكلانية...نشأت نظرية التلقي باعتبارها نظرية نقدية جديدة، وقبل أن تعرف بمنهجها وتوجهها، قامت بنقد التصورات السائدة، مع محاولة تقديم منهجية بديلة تستجيب لطبيعة المرحلة،بعد أن تبين لها أن تاريخ الأدب "فقد مشروعيته اليوم، ولم يعد قادرا على الاستجابة لتطلعات القراء، لذا أصبح من الضروري تجديده بشكل يستجيب لرهانات العصر ويجيب عن أسئلة الحاضر"[6].وقد تجلت هذه الثورة أولا على تقسيم تاريخ الأدب إلى أربع نماذج أساسية[7]، قبل أن يثور ثانيا على نظريات تحليل الأدب وهي: التأريخ التقليدي للأدب، التحليل الماركسي للأدب، فالتحليل الشكلاني للأدب.

بدأ مسار تراجع تاريخ الأدب حسب ياوس، مع أصحاب التأريخ التقليدي للأدب، عندما اهتموا بالأديب على حساب الأدب، حسب المتتاليات الإجرائية، وذلك بالاعتماد على المؤلف؛ عصره؛ وآثاره. يقول ياوس في معرض نقده

---

[5]نفسه، ص:21

[6] هانس روبرت ياوس: نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ص:7

[7] في معرض التأسيس لتاريخ أدبي جديد، حاول ياوس في مقال له بعنوان "التغير في نموذج الثقافة الأدبية"، أن يعلن ثورة على الدراسات والمناهج الأدبية المعاصرة، مستعيرا لهذا الغرض مصطلحي "النموذج" و "الثورة العلمية". وقد قاده هذا التأسيس إلى مناقشة ثلاثة نماذج في الدراسات الأدبية، واقتراح نموذج رابع، وهذه النماذج هي: النموذج الإنساني الكلاسيكي، كانت تقاس فيها الأعمال الأدبية في الحاضر بناء على قوانين مقررة، وقد انهار هذا النموذج خلال القرن الثامن عشر نتيجة التغيرات الاجتماعية والمطالب الإيديولوجية، وأضحى معه التاريخ الأدبي مطلبا للشرعية القومية حتى بزغ النموذج الشكلاني الجمالي الذي ركز على العمل الأدبي بما هو كذلك، لكنه سرعان ما صار مستهلكا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بعد أن بدأت بوادر أزمته في الظهر بفعل استعادة النزعة التفسيرية مكانتها، والدعوة إلى نقد ذو صلة وثيقة بالمجتمع. وهكذا إلى أن بزغ نموذج رابع سمي بالنموذج الجديد، داعيا إلى عقد ثلاثة مطالب لهذا النموذج، منها: الدعوة إلى عقد صلة وصل بين التحليل الشكلي الجمالي، والتحليل المتعلق بالتلقي التاريخي، والربط بين المناهج البنائية والمناهج التفسيرية، واختبار جماليات للتأثير غير مقصورة على الوصف. وبعد هذه الدعوة يرى ياوس بأن نظرية التلقي هي القادرة على الوفاء بهذه المطالب، وأنها المرشح لتمثيل هذا النموذج. ينظر: روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص:35/31

للتاريخ التقليدي للأدب:"فتاريخ الأدب في صيغته التقليدية للغاية يحاول عادة الانفلات من معضلة السرد الكرنولوجي الخاص والبسيط للوقائع، وذلك بترتيب مواده حسب اتجاهات عامة، وحسب الأجناس، ومعايير أخرى. وبعد ذلك دراسة الآثار وفق تسلسلها من داخل الخانات التي صنف فيها"[8]. فتاريخية الأدب حسب ياوس من خلال هذا النص لا تنهض على علاقات التماسك القائمة بين الظواهر الأديية، والمتواليات البحثية المعهودة، والتي ستؤدي حتما إلى نتائج لأسباب مؤكدة سلفا.

وزكى تراجع تاريخ الأدب، حسب نظرية التلقي التحليل الماركسي للأدب، لأنه في نظرها كرّس جزء منالنزعات الموضوعية التي استحكم بها تاريخ الأدب، وذلك بتأكيده على أنالأدب إما بنية فوقية تنعكس عليها شروط بنية تحتية، أو أن العلاقة بين الأدب والإيديولوجية علاقة وثيقة، أو أن الواقعية هي الشكل الفني الصحيح الذي يطابق العلاقات الاجتماعية. وبهذا التراجع يبدو هذا التحليل أنه يرفض أن يجعل للأدب أوالفن عموما تاريخا خاصا به، أي؛ أن يكون مستقلا عن الممارسات الاجتماعية، وعن البنيات السوسيواقتصادية[9]، كما يعتبر الأدب مرآة تعكس التحولات الاجتماعية، وبإمكان البنيات الثقافية أن تزدهر في حال تدهور البنيات الاقتصادية. لذلك فهو يرى بأنه على الأدب أن يتمتع باستقلاله، وأن يحظى بتاريخيته الخاصة، وهذه التاريخية ذات طبيعة أدبية, فتاريخية الأدب إنما تتمظهر في العلاقة الجدلية بين العمل الجديد والعمل القديم (وليس في العلاقة الجدلية بين البنيتين الأدبية والاقتصادية) في هيئة أثر جمالي منتج في المتلقين المتعاقبين للتاريخ، عبر صيرورات ممتدة، يسيطر من خلالها الإنسان على العالم ويرقى إلى إنسانيته. يقول ياوس: "وهكذا فإن الأدب والفن لا يمكنهما أن يبرزا بدورهما بوصفهما صيرورة ممتدة ((إلا في علاقتهما بالممارسة الفعلية للإنسان التاريخي))، وكذا في ((وظيفتهما الاجتماعية))، حينئذ يمكن أن يفهما بوصفهما نمطا من أنماط سيطرة الإنسان على العالم –نمط أكثر أصالة وطبيعة من الأنماط الأخرى- وأن يعرضا باعتبارهما جزءا من المسار العام للتاريخ الذي يعتمد عليه الإنسان، ليرقى بوضع الطبيعة إلى مستوى إنسانيته"[10].

أما الثورة التاريخية لنظرية التلقي على التصور الشكلاني للأدب، فقد تشكل من خلال التأكيد بشكل صارم على الطابع الجمالي للأدب، مع إهمال الشروط والظروف التاريخية للأدب، وتعريفه تعريفا تقنيا ووظيفيا، أي؛ باعتباره حصيلة طرائق فنية موظفة فيه، مع اعتقاده استحالة إدراك الأدب كفن إلا بالتمييز بين اللغة الشعرية واللغة العملية، التي تنتمي إلى السلسلة غير الأدبية. وعليه فالعمل

[8]هانس روبرت ياوس: نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ص:27

[9]نفسه:41/40

[10]نفسه:40

الأدبي لا يمكن أن يكون عملا فنيا إلا باختلافه النوعي عن اللغة غير الأدبية، أي بانزياحه عن الشعري، وليس بتبعيته للغة في بعدها الوظيفي العملي النفعي[11].

ولذلك، فإن ما يجعل الأدب أدبا حسب ياوس، لا يتحدد فقط سانكرونيا، أي؛ بالمعارضة بين اللغة الشعرية، واللغة العملية، بل يتحدد أيضا ديانكرونيا (أي بالتعارض الشكلي الدائم بين الأعمال الجديدة، والأعمال القديمة التي سبقتها في السلسلة الأدبية)[12].

بعد هذه الانتقادات التي وجهت إلى النظرية الماركسية، والنظرية الشكلانية، يلاحظ أنهما يتناولان الأدب من زاوية جمالية التصوير، ومن زاوية جمالية الإنتاج، ومن ثم فإنهما تلغيان بعدا أساسيا لا يتنافى مع الطبيعة الفنية للأدب ولا مع وظيفته الاجتماعية، وهو الأثر l’effet الذي ينتجه العمل ويساهم فيه القارئ.

وهكذا يؤسس ياوس جماليته على ما أغفلته كلتا النظريتين معا: وهو القارئ المتلقي للعمل الأدبي. فالجمالية الماركسية إما أنها تتجاهل القارئ بصفة نهائية، أو تنظر إليه كما تنظر إلى المؤلف، بحيث تبحث في وضعه الاجتماعي أو تنظر إليه من زاوية النظام التراتبي. أما المدرسة الشكلانية فهي لا تهتم بالقارئ، إلا في حدود كونه ذاتا تدرك البنية الشكلية للعمل. يقول ياوس:"لكي أتمكن من ردم الهوة بين الأدب والتاريخ، سأحاول الانطلاق من جديد من هذا الحد الذي وقفت عنده كلتا المدرستين. إن مناهجهما تتناول الحدث الأدبي داخل الحلقة المغلقة لجمالية الإنتاج والتصوير، وبذلك يجردان الأدب من بعد ملازم مع ذلك وبالضرورة لطبيعته كظاهرة جمالية، وكذا لوظيفته الاجتماعية: بعد الوقع المنتج (working) من قبل أثر ما والمعنى الذي يسند له من قبل جمهور بعينه، أي بعد "تلقيه"، فالقارئ والمستمع والمتفرج أو بكلمة واحدة: الجمهور باعتباره عنصرا حاسما لا يلعب في هذه النظرية أو تلك إلا دورا جد محدود"[13]، ويبقى الأثر الذي يحدثه القارئ هنا هو إنتاج مظهر جمالي، وآخر تاريخي. يتضمن الأول حكم قيمة جمالي محملا إياه، من خلال التركيز على الخبرة بآثار أخرى لأعمال مقروءة.

هذا، ولتحويل تاريخ الأدب عند ياوس من تاريخ الأحداث إلى تاريخ الأفكار، وجعله تاريخا للعقل البشري، وإحداث عقبة إبستمولوجية obstacle épistémologique[14]، وتجديد مساره، حاول أن يعيد تركيب التاريخ انطلاقا من الدعوة إلى إقصاء الأفكار المسبقة عن أصحاب النزعات الموضوعية التاريخية، والاتجاه نحو تأسيس جمالية للإنتاج والتصوير، أي؛ بين الانتاج

---

(11) نفسه، ص:51

(12) نفسه، ص:53/52

(13) هانز روبرت ياوس: نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ص:55

(14) ينظر: روبير بلانشي: نظرية المعرفة العلمية (الابستمولوجيا)، ص: 26

(المؤلف) والاستهلاك (القراء)، وهكذا وفق سيرورة دلالية متعاقبة[15]. فالتاريخ الأدبي الذي يرصد سير المؤلفين وحياتهم، ليس تاريخا بحسب ياوس، وإنما هو طيف، يكاد لا يتجاوز منطقته. يقول ياوس: "غير أن التاريخ للأدب بهذه الكيفية التي تراعي تراتبية مكرسة، وتقدم المؤلفين وسيرهم، وآثارهم حسب التتابع الزمني ليس تاريخا حقا بقدر ما هو بالكاد طيف تاريخ حسب تعبير/كرفنوس"[16]، ذلك لأن مثل هذه الأعمال لا تكرس تأملات التاريخ في تزامنيته، وما يصدر عنها إنما هي مجرد أحكام قيمة.

أ- ب- موقف بلاغة الجمهور من تاريخ البلاغة العربية

في ظل الانفتاح المتزايد والمتواصل للباحثين العرب على المنجزات والأبحاث والمناهج الغربية الحديثة منها والمعاصرة، وفي إطار إغناء الدرس البلاغي العربي وإعادة الاعتبار لخصوصيات التراث البلاغي العربي، وإخراجه من النفق المظلم الذي واكبه لقرون عِدّة. بالاعتماد على مقاربات شكلية، تجزيئية، معيارية مُصَوْرَنَةٍ، تحكم على النص قبل إخراجه للوجود. آثَرَ البلاغيون العرب على أنفسهم حمل هذا العناء. ويعد عماد عبد اللطيف واحداً من البلاغيين العرب، الذيوضع نفسه على مِحَك تجديد الدرس البلاغي العربي مُعِيدا البلاغة إلى وضعها الطبيعي، كنظرية للقراءة وتحليل الخطاب. ولقد برز هذا الاهتمام عنده من خلال اسم جديد أطلق عليه بداية "بلاغة المُخَاطَب" قبل أن تستقر التسمية ثانيا على "بلاغة الجمهور". فماذا يقصد عماد عبد اللطيف ببلاغة الجمهور...؟ وما موقفها من تاريخ البلاغة العربة...؟ وكيف تنظر إلى هذا التاريخ...؟ وما دور الجمهور فيه...؟

لقد حاول الباحث الجمع في كل أبحاثه وعلى غزارتها وتنوعها بين الدقة والوضوح، كما حرص على أن يكون العمل متوازنا يجمع بين النظري والتطبيقي[17]، (لماذا يصفق المصريون ؟، بلاغة الحرية...) وهو الشق الغالب على جُل إصداراته. وذلك حتى يوطِّد المفهوم في الإجراء، وتستقيم الدراسة. أو يكتفي أحيانا بأحدهما وهي قليلة (البلاغة الغربية المعاصرة مدخل موجه للباحث العربي...). والمتأمل في كل هذا يلاحظ أنه جعل من الخطاب السياسي قاطرة لكل أعماله. فكان بذلك القطب الوحيد الذي يحوم حوله. مركزا بالأساس على الخطابات الإعلامية بالدرجة الأولى، وذلك لمواكبتها الهدف الذي رام البحث حوله، وهو البحث عن" الاستجابة الجماهيرية"، متخذة من النشاطات الافتراضية "فضاءات بلاغية" للاشتغال، خلافا للخطابات المكتوبة. يعطي هذا التصنيف إذن انطباعا على إيلاء البعد التداولي الحجاجي الإقناعي التأثيري للبلاغة الدرجة

---

(15) ينظر: هانز روبرت ياوس: نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ص:60/59 و روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص:15/14

(16) هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ص:24

17- يبرز هذا الاشتغال أساسا في مؤلفيه: لماذا يصفق المصريون.؟ وبلاغة الحرية

الأولى، كما يوضح بالمقابل مدى تحاوره وتجاوبه مع الشق التداولي، ممثلا في الخطابات اليومية وعلى رأسها الخطاب السياسي.

لم يكن الباحث عماد عبد اللطيف وهو يكتب مقالاته الأولى يفكر في ما ستؤول إليه الخطابات المشتغَل عليها لاحقا، على إثر ما شهده المشهد السياسي العربي عموما والمصري خصوصا، أنها ستكون موجهة لمسير بلاغة المخاطب/الجمهور، بعد أن حدد أسسها الأولى في "دراسة الخطابات الجماهيرية 2005". ليأتي بعدها وقبل أقل من عام ونصف تقريبا على انتفاضة جماهير الربيع العربي الدور على لماذا يصفق المصريون ؟ 2009، فساهم اشتغاله على التصفيق، وما يطرحه من فخاخ واستجابات لدى الجمهور في الفن والسياسة العصب الأساس، الذي زكاه هذه المرة ومتمما إياه بإيجاد ما كان يبحث عنه في هتافات وشعارات ورسومات وصور وأغاني جماهير ميدان التحرير 2013،باعتبارها خطابات بلاغية ساعدته في توسيع مدارك بلاغة الجمهور.

وبغض النظر عن المفتاح الأول الذي فتح به درب البلاغة، وهو "بلاغة المخَاطب 2005 "، فإن مشروعه عموما رام إلى تطوير الدراسات البلاغة العربية المعاصرة، انطلاقا من ثلاث ركائز أساسية: بدءا باقتراح تعريف أولي لهذا العلم، ومرورا بتحديد موضوعه، وصولا إلى إبراز وظيفة اشتغاله المتمثلة في محاولة تقديم معارف وأدوات للمخاطب من أجل مقاومة الخطابات البلاغية السلطوية[18].

لقد قاده هذا الاقتراح إلى التمييز بين ثلاث بلاغات: "البلاغة القرآنية: مادتها القرآن الكريم، وموضوعها الأبعاد البلاغية للقرآن الكريم، ووظيفتها التعليل لإعجازه البلاغي، والمشاركة في تفسيره. الثانية؛ البلاغة الأدبية: مادتها النصوص الأدبية شعرا ونثرا، وموضوعها الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية، ووظيفتها استخلاص الجمالية للنصوص الأدبية وتحليلها. الثالثة. البلاغة الإنشائية: مادتها اللغة المستخدمة في الحياة اليومية التي تتوخى التأثير والإقناع، وموضوعها إنتاج الكلام البليغ، ووظيفتها وضع معايير للكلام البليغ، مع وضع إرشادات تمكن المتكلم من إنتاجه"[19]. فبلاغة المخاطب إذن وبحسب هذا القول هي سليلة التوجه الثالث التي تأخذ من التأثير والإقناع آية للاشتغال، وهي موطن التحليل عنده والتي ستتحول في ما سيأتي إلى بلاغة الجمهور[20].

18- عماد عبد اللطيف " بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته " ص10

19- عماد عبد اللطيف " بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته " ص10

20- يقوم مشروع تجديد البلاغة العربية عند عماد عبد اللطيف على ثلاثة محاور رئيسة: أولا مراجعة أسس علم البلاغة، من حيث وظائفه ومادته وتاريخه وجمهوره، وثانيا مراجعة أدوات العلم، من حيث لغته ومناهجه، وثالثا مراجعة علاقة العلم بمحيطه المعرفي من خلال خمسة مسارات متساندة: المسار الأول اقتراح توجه جديد في البلاغة العربية هو بلاغة الجمهور. المسار الثاني مراجعة مناهج التحليل البلاغي. المسار الثالث النظر في وظيفة علم البلاغة والانشغال بالوظائف الحياتية والخطابات الجماهيرية. المسار الرابع إعادة النظر في جمهور علم البلاغة. المسار الخامس مراجعة جذور علم البلاغة واستكشاف بلاغات مهمشة وإلقاء الضوء عليها. ينظر: بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة: حوار مع الدكتور عماد عبد اللطيف، ص196

ويرجع الانكباب على دراسة المخاطب، للتهميش الذي طال هذا الأخير، إذ البلاغة في ما قبل كانت في اتجاه واحد هو "بلاغة المتكلم" هو الفاعل والمسيطر والمتحكم في زمام الخطاب، أما المخاطب فهو مجرد تابع لسلطة المتكلم "إن البلاغة العربية الإنشائية كانت معينة بالمخاطب بوصفه الغرض الذي تستهدف السيطرة عليه. لكنها بوصفها ممارسة علمية لا تقوم بخدمة المخاطب، بل تهدف أولا وأخيرا إلى خدمة المتكلم الذي يرغب في التأثير في المخاطب أو التغلب عليه. وعلى ذلك فإن المتكلم الملغي هو المحرك الأساسي لهذه الممارسة العلمية وهو المستهلك الوحيد لها والمخاطب الحاضر ليس إلا الهدف الذي يشحذ له المتكلم كلامه ليحكم سيطرته عليه"[21]. فالمخاطب هو العملية المحورية في توجه بلاغة المخاطب/ الجمهور؛ هو المحرك والدينامو، لم يبق أسير تلقي الخطابات فقط، وإنما أضحى هو الآخر عنصرا فاعلا في العملية التواصلية، مفككا الهيمنة التي مورست عليه. تسمى هذه الخطابات بالخطابات البلاغية الجماهيرية.

ولأجل هذا الغرض فهي أي ــ بلاغة الجمهور ــ تسعى لتغيير وضعية المخاطب بواسطة مجموعة من الآليات وقد أجملها عماد عبد اللطيف في ما يلي:" أولا تطوير قدرة المخاطب على إنتاج استجابات بلاغية آنية للخطاب البلاغي للمتكلم بنوعيه السلطوي وغير السلطوي ومقاومتها أو فضحها. ثانيا. تدريب المخاطب على التمييز بين الخطاب البلاغي السلطوي والخطاب البلاغي غير السلطوي عن طريق تحديد الخصائص النوعية لكل منهما وتعميق الوعي بالتغيرات والتحولات التي تطرأ على كل منهما. ثالثا. تطوير قدرة المخاطب على إضفاء أو إلغاء سيطرة المتكلم ... رابعا. تقديم لائحة بالآثار التي تترتب على سيطرة المتكلم على المخاطب والاستعانة بأمثلة تاريخية تبين للمخاطب الثمن الباهظ الذي يدفعه جراء استسلامه لخطاب المتكلم السلطوي. خامسا. التعريف بطرق التضليل بواسطة اللغة ودراسة خطابات فعلية استخدمت اللغة بهدف التضليل وتطوير استجابات لغوية مضادة. سادسا. تطوير قدرة المخاطب على إدراك الأغراض التي يسعى المتكلم لتحقيقها بواسطة خطابه ... سابعا. تعريف المخاطب بالكيفية التي يقوم بها خطاب المتكلم بإدراك المخاطب وتشكيل صورة للمخاطب النموذجي وكيفية الاستجابة لهذه الصور. ثامنا. تعريف المخاطب بأنواع الخطابات البلاغية (سياسية، دينية، اجتماعية...الخ) والخصائص النوعية لكل منهما والوظائف التي يتغيا منشؤها تحقيقها بواسطتها والآثار التي تحتمل أن تحدثها في المخاطب..."[22] وبهذا الإجراء الأولي يكون الباحث قد بدأ في إنزال المخاطب منزلة الانخراط التنظيرية في قضايا العامة، والخوض في أسئلة الحياة

---

[21]- عماد عبد اللطيف " بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته " ص15

[22]- عماد عبد اللطيف" من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي " ص580

اليومية والمساهمة في بلورة أجوبة عن خطابات المتكلم (السلطوية)، مع توسيع فسحة استجاباته وفرض قوته.

إن الجمهورauditoire universel[23] الذي يدافع عنه عماد عبد اللطيف ليس جمهورا، لا يفكر ولا ينتج خطابات لا تعدو أن تكون بعيدة عن العقل. إنه على النقيض تماما، ليس حشدا من الأشرار السذج فاقدا للرشد، تحكمه غريزة العدوان. بل هو كيان "يتسم بدرجة من الايجابية، ويسعى لإنجاز مصالحه الخاصة، ومن ثم يمكن ترشيد استجابته بواسطة الوعي والممارسة"[24] وهو بهذا التصور إذ ينتقد تصور غوستاف لوبون(Gustave le bon) الذي عدَّ الجمهور طرفا غوغائيا حيث لا مجال للكفاءات العقلية عندهم، وكل ما ينتج عنهم ناتج فقط عن تصرفات وصِفات لا واعية. ومهما كانت خطاباته المُنتجة يبقى عبيدا لكل فعالياته اللاواعية "الجمهور هو دائما أدنى مرتبة من الإنسان المفرد فيما يخص الناحية العقلية والفكرية"[25] فالجمهور لا يكتسب طاقة واعية، إن هو اتخذ من الجماعة مركبا أما إن كان فردا فتتحقق فيه إنسانية المثقف المتعقل "إنها لا تجمع الذكاء في المحصلة وإنما التفاهة"[26] وعندما ينخرط الفرد مع الجمهور ويستوي الجاهل والعالم في إنتاج الخطاب يستويان معا في التفكير ولا ينتجان إلا خطابا واحدا ناتج عن اللاوعي.

أما الجمهور الذي يتحدث عنه غوستاف لوبون في هذه الحالة فهو يتميز بمجموعة من الخصائص: تأتي في مقدمتها سرعة تأثره وسذاجته وتصديقه لأي شيء، وسرعة انفعاله وخفته ونزقه لأن أعماله بكل بساطة أسيرة تأثير النخاع الشوكي، لا التأثير العقلي المنطقي. فضلا عن عواطفه المضخمة والمبسطة التي ينتجها، وتضخيمه نابع من التحريض والتهييج الذي ينشئه مما يزيد من فعاليته فيكون بذلك الجمهور هو صانع الحدث خلافا للفرد الذي لا يقوى بمفرده على فعل ذلك. أما الخاصية الأخرى المميزة للجمهور فهي خاصية الاستبدادية والتعصب حيث لا مجال للشك في حقيقة أو خطأ الأفكار والآراء والعقائد التي يحرض عليها، فالفرد بإمكانه قبول الاعتراض والمناقشة أما الجمهور لا يحتمل ذلك. لتبقى خاصية الأخلاق هي الأخرى شريكة لديه لأن ما ينتجه من أخلاق غير قابلة

---

[23]- في الوقت الراهن يقوم "الجمهور auditoire universel" على ترجمتين اثنتين: الأولى ترجمة عماد عبد اللطيف تحت مسمى "الجمهور" بالجمع، أما الثانية لمحمد العمري فتحمل مستَمَع تجمع بين صيغة "مجتمع" و صوت "سمع". مستمعون (auditoires). يحمل المستمع صفتين اثنتين: مستمع كوني (auditoire universel)، ومستمع خاص(auditoire particulier). ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،ص220. أما الجمهور فهو جمهور غير متجانس يصعب فصل مكوناته بين النخبوي والعام.

[24]- عماد عبد اللطيف " ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية ؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد " ص39

[25]- غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ص61

[26]- غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ص58

ومهيأة في رأي غوستاف للاحترام ما دام أنها وليدة نزوات وغرائز؛ حيث لا مجال للإخلاص والنزاهة والتضحية وحُسْن العدالة[27].

وهو إذ يضع هذه الخصائص ينطلق من مجموعة من الأحداث التاريخية السياسية والاجتماعية والدينية والعقائدية، ومما فعلته الحشود بثورة فرنسا و أوربا، وكيف استطاع قادة عِظَامٌ التأثير في عقول جماهيرهم، ضاربا لذلك بشخصيات تاريخية "كنابليون بونابرت والمسيح وبطرس..."، فكل ما تم تلقينه للجماهير فقد تم التأثير في خيالاتهم وأن ما تم بناءه من قناعات إنما هو تأثير بالصور.

وعلى هذا الأساس، ترسخت لدى الجمهور قناعات إيمانية (عاطفية) نتجت عنها "عبادة إنسان يعتبر خارقا للعادة، الخوف من القوة التي تعزى إليه، الخضوع لأوامره، استحالة أي مناقشة لعقائده، والرغبة في نشر هذه العقائد، الميل لاعتبار كل من يرفض تبنيها بمثابة أعداء (...) فالإنسان ليس متدينا فقط عن طريق عبادة آلهة معينة، وإنما أيضا يضع كل طاقاته الروحية وكل خضوع إراداته، وكل احتدام تعصبه في خدمة قضية ما أو شخص ما كان قد أصبح هدف كل العواطف والأفكار وقائدها"[28] وبكل هذه القناعات إذن استطاعت الجماهير أن يُؤَثَّر فيها تأثيرا عاطفيا لا عقليا وأصبح "البطل الذي تصفق له الجماهير هو بالفعل إله بالنسبة لها"[29] غير أن هذا التأثير لا يخضع لكل الجماهير فثمة تباين حاصل على مستوى الجماهير: الجماهير المتجانسة والجماهير غير المتجانسة، وحِدّة التأثير في كل منهما تختلف عن الأخرى.

فالمتأمل إذن في المشروع الذي أقام عليه لوبون يلاحظ حجم السلطة الممارسة على المخاطب/الجمهور، وبلاغة الجمهور إذ تقيم أركانها على هذا. غير أنها لا تنظر إليه بنفس النظرة؛ إنها تقيم علاقة حوارية معه بحيث أصبح عنصرا بإمكانه خطف بلاغات تتماهى مع خطابات السلطة. يقول عماد عبد اللطيف في هذا الصدد:" فموضوع بلاغة الجمهور إذن هو الاستجابات التي ينتجها الجمهور أثناء تلقيه للخطابات الجماهيرية التي تبثها وسائل الاعلام، وهي تعنى بشكل أساس بالعلاقة بين هذه الاستجابات والسلطة التي يمثلها الخطاب الجماهيري أو يسعى لترسيخ أو إضفاء الشرعية عليها"[30].

يمثل هذا القول، فكرة مفادها أن بلاغة الجمهور تجعل من الخطابات التي تنتجها الجماهير في الفضاءات العمومية أو الافتراضية والاستجابات التي تتولد عنها موضوعا لها. فما ينتجه الجمهور من خطابات لم يعد فقط ذاك القطب

27- غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، ص63 وما بعدها

28- نفسه، ص91-92

29- نفسه، ص92

30- عماد عبد اللطيف: لماذا يصفق المصريون ؟ ص59

المغبون الذي يتلقى السلطة/ الخطاب، وإنما بقدرته ممارسة سلطة خطابية يكون للفضاء العمومي والافتراضي ولبلاغة الحرية ساحة للصراع.

وعليه فهو بهذا كله يمارس عملية نقدية بهدف "التمييز بين خطاب سلطوي يحاول السيطرة عليه، وخطاب غير سلطوي يحاول تحريره – يستطيع بواسطة تطوير وتفعيل استجاباته أن يقاوم الخطاب السلطوي"[31].

ولعل الفضاء النشيط الذي يمكن أن تسبح فيه بلاغة الجمهور هو فضاء الحرية، ميدانيا وافتراضيا. فقد مكنت الوسائط الإلكترونية وما تتيحه من إمكانيات لمتلقي الخطابات بإنتاج خطاب آني مباشر. مؤيدا أو معارضا لما شهده أو تفاعل معه. ولذلك كانت من أهم خصائص استجابات الجمهور في الفضاء الافتراضي تحديدا:

أ- " الآنية : جل الخطابات التي ينتجها الجمهور على الفضاءات الرقمية هي خطابات مباشرة آنية بإمكان توزيع الخطابات على مئات الخطابات كيفما كانت.

ب-ضعف استهلاك هذه الخطابات و خضوعها للرقابة أو إعادة المعالجة والصياغة من قبل أناس آخرين، إنها تتمتع بمساحة من الحرية والنفاذ.

ت-ضخامة الاستجابات وتعدد أنواعها قد تكون استجابات لغوية أو مرئية أو بصرية...

ث-قابلية تجهيل المصدر مع صعوبة تتبع منتج الخطاب.

ج-سهولة القابلية للحصر والقياس." [32]

ويبدو أن انطلاق بلاغة الجمهور من الاستجابات الجماهيرية في الفضاءات الافتراضية وانخراطها في تحليل الخطابات الواردة فيها؛ مطالبة أولا بتحديد طبيعة الجمهور الذي ستتعامل معه، ومحاولة تصنيفه أهو جمهور متجانس أم غير متجانس، مثقف أم محدود المعرفة بُغْيَةَ معرفة درجة الاستجابة المنتجة وطبيعتها، ومدى قدرتها فعلا على مقاومة خطاب السلطة. أم أن هذه الاستجابة الثاوية لا تعدو أن تكون تكريسا لخطاب السلطة نفسه.

وبالموازاة مع الخطابات الافتراضية تحضر الخطابات الجماهيرية التي تتخذ من الساحات والفضاءات العمومية أمكنة للاستجابات، حيث الهتاف والتصفيق، والشعار، واللوحات والجرافيت، والأغاني، واللافتات، والتنظيم الجمالي للفضاء... كلها عناصر بلاغية تسهم في تنامي نشاط بلاغة الجمهور. على نحو ما ممثلته جماهير الحركات الإحتجاجية بالعالم العربي سنة 2010، أو ما يفعله جمهور كرة القدم[33].

31- نفسه، ص58

32- عماد عبد اللطيف " تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسميائية الأيقونات " ص516

33- ينظر: عماد عبد اللطيف "بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري، ومثال تطبيقي" ص11

لقد أثبتت الخطابات الجماهيرية بكل أشكالها المختلفة إبّان انتفاضات الشباب العربي أواخر 2010 وبداية سنة 2011 مما لا يدع مجالا للشك، أنها المجال الأرحب لتحليل الخطاب. وعلى إثر هذا استطاعت بلاغة الجمهور أن تجد في هذه الخطابات الحُضن الدافئ الذي أغني مجال اشتغالها "وجدت بلاغة الجمهور في الربيع العربي برهانا على افتراضاتها النظرية المتعلقة بقدرة الجمهور على إنتاج استجابات مؤثرة في الفضاء العمومي ودليلا على أن خطابات الأفراد العاديين لا تقل ثراء، ولا تعقيدا ولا كفاءة عن الخطابات النخبوية. وكانت دراسة هتافات الربيع العربي، ولافتاته وأيقوناته البصرية، وأغانيه، وتسمياته وغيرها تجليا لهذا الإيمان بأهلية استجابات الجمهور للبحث والدراسة"[34].

ولعل ما يزكي هذا الطرح هو الإقبال الكبير المتزايد على دراسة مختلف الأشكال الخطابية خلال هذه الفترة[35]. وإلى جانب الصورة وما تمثله من علامات سميائية مختزلة للتلفظ اللغوي، يحضر الهتاف والتصفيق كمظهر من المظاهر التواصلية غير اللغوية المرتبطة بالخطاب، وكآلية من آليات البلاغة وكفخ من الفخاخ التي تُصَمّمُ خِصِّيصاً لاصطياد الجمهور. بدل أن يقيم علاقة حوارية مبنية على التواصل العقلي.

يُعَدُّ التصفيق عند عماد عبد اللطيف واحدا من الخطابات غير اللغوية، التي خصّها بالدراسة والتحليل في كتاب له من الحجم المتوسط (233 صفحة). إذ لم تكن دراسته هاته انشغالا أحاديا، وإنما واكب فيه بين التنظير والتطبيق في الوقت ذاته. تنظيريا لشُح ونُدرة المنشغلين بظاهرة التصفيق في العالم العربي، وتطبيقيا بمحاولة إفراغه للمحتوى النظري على متونا من الخطاب السياسي المصري، والخطاب الفني. واعتبر بذلك التصفيق في هذين المجالين تقنية من التقنيات، وحيل من الحيل غير الواعية، هدفها التمكين من الجمهور. ويحلل لأجل هذا الغرض حالات متنوعة من التصفيق[36]، ليكشف عن مجموعة من الفخاخ البلاغية، التي تستعمل للسيطرة على الجمهور: ذكر شخص أو تاريخ أو حدث يحظى بتقدير الجمهور، الفكاهة والمفارقة، القوائم ثلاثية الأجزاء، الصمت القصير فور الانتهاء من العبارة، تكرار مفردات تحظى بقبول وتقدير خاص من الجمهور، السخرية من طرف ثالث بخلاف المتكلم والجمهور، الثنائيات المتقابلة[37] فضلا عن الفخاخ الصوتية والفخاخ الأدائية كالنبر والتنغيم وحركات

---

[34]- عماد عبد اللطيف "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية " ص15

[35]- نشير على سبيل التقديم لا الحصر إلى: البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي وعناصر التشكل ووسائل التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1،(2017). عماد عبد اللطيف بلاغة الحرية معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، 2013.

[36]- ثمة أنواع متعددة من التصفيق ويختلف كل صنف عن الآخر حسب الوظيفة التأثيرية التي ينشدها. لمزيد من التفصيل يُنظر الفصل الأول (من الصفحة 29 إلى الصفحة 47) من كتاب عماد عبد اللطيف لماذا يصفق المصريون؟

[37]- ينظر: عماد عبد اللطيف" جدل الظاهرة والاستجابة دراسة في فخاخ البلاغة " ص 213

الجسد واليدين. لأن التصفيق عنده علامة صوتية وبالإمكان عند تنزيله إلى مستوى التطبيق الاستعانة ببعض الرموز المرئية المقروءة لفهم خصائصه الصوتية من مثل مدته وشدته وفرديته أو جماعية[38] وهذه الرموز المستحدثة هي رموز تكميلية يستعين بها محلل الخطاب من أجل معرفة مواضع التصفيق. أين يبدأ ؟ وأين ينتهي؟ وما مدى تأثيره في الجمهور أو استحسانه، وكلها عمليات موازية.

وسعيا لربط السابق باللاحق، ومد الجسور بين المقاربات القديمة ومحاولة تطويعها وتطويرها لخدمة الخطابات السياسية المعاصرة. يشير عماد عبد اللطيف إلى أن بلاغة الجمهور بإمكانها الاستفادة من المفاهيم الاجرائية وقوانين إنتاج الخطابة وإلقائها. يتعلق الأمر بالأساليب الخمسة التي اتخذها أرسطو كمكونات للخطابة وهي (الابتكار، الترتيب، الأسلوب، التذكر، الالقاء). وقد تأتى له هذا الأمر باقتراح مبدأين جديدين اثنين هما: مبدأ توزيع الخطاب ومبدأ استجابات الجمهور[39]ويَقْصِدُ بالمبدأ الأول التداول الحاصل للخطاب على مستوى الوسائط أما مبدأ الاستجابة فنظير الخطابات اللغوية وغير اللغوية التي تنتج من طرف الجمهور.

يقوم الابتكار في الخطابة المعاصرة عنده بمحاولة البحث عن عمليات إنتاج الخطب التي لا تعد من تأليف الخطيب نفسه، وإنما تلك المستعينة بكتاب أو مؤلفين يحتم أن يكونوا هم كاتبوها وليس بالضرورة أن من يلقي الخطبة بالضرورة مؤلفها. ودرجة الابتكار هنا تخص الطرفين معا كأن يستعين المحلل بجمع هذه الاجراءات عن طريق مقابلات شخصية أو الاستعانة بالصحف والمجلات... وهو ما قام به عماد عبد اللطيف حينما اهتدى للبحث عن كاتب خُطب الرئيس حسني مبارك في شخص محمد حسنين هيكل. فالابتكار هنا يجعل المحلل يطارد كتابتين اثنتين مما ينتج عنها استبدال للعبارات التي يكون لها وقع وتأثير على الجمهور.[40]

وإذا كان الترتيب في الخطبة السياسية القديمة يُنْظَر إليه من زاوية ترتيب الحجج والأدلة وكيفية الانتقال بين أجزاء الخطبة اعتمادا على اختيار الحجة المناسبة في المكان المناسب لها مما يسهل الإقناع والتأثير على الجمهور. فإن الترتيب في الخطابة المعاصرة/ المرئية تحديدا يتجاوز المتن اللغوي إلى مُجمل الحدث الخطابي، ذلك لأن الخطبة المعاصرة تشكيل فضائي وزمكاني بامتياز يدخل فيها الإعداد المسبق والمحيط الجغرافي، مع المِنَصَّة. "يشكل نص الخطبة في هذا الاستعراض محور ارتكاز، تدعمه وتحيط به مكونات مشهدية أخرى،

38- ينظر: نفسه ص ص: 213- 220 وانظر: لماذا يصفق المصريون ؟ ص:135

39- عماد عبد اللطيف "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة ؟ "، ص66

40- نفسه، ص67/66

منها أنشطة الجمهور السابقة والتالية والمصاحبة للخطبة مثل الهتافات والأناشيد والرقصات الجماعية والطقوس غير الخطابية مثل السلام الوطني، وتحية الخطيب للجمهور، ومصافحته لبعض الحضور. إضافة إلى الأنشطة الخطابية الممهدة للخطبة، مثل الكلمات التي يقدم بها الخطيب جمهوره، والتي يلقيها مذيع محترف، أو سياسي آخر وثيق الصلة، والكلمات الختامية التي تلقى عقب الخطاب"[41]، وكلها ترتيبات تدفع الجمهور، وتزيد من تهييجه وإثارة أحاسيسه وتحريكها manipulée فالناظر إذن يستشف إيلاء العنصر الخارجي بعدا إقناعيا أكبر خلافا للبعد اللغوي.

أما الأسلوب في الخطابة المعاصرة عنده فلا يمكن النظر إليه من الزاوية اللغوية فحسب، حيث تحضر اللغة بمكوناتها الصوتية و التركيبية والدلالية، بل إن الأسلوب في مقاربة الخطب المرئية بإمكانه أن يتجه صوب حركة الأداء الصوتية للخطيب والجماهير، وكذا علاقة هذه الأساليب بهما معا[42]. في حين تحاول الخطابة المعاصرة أن تسمد من أسلوب التذكر القديم لتتحاور معه على مستوى مجموعة من الخصائص تعالج في إطار استراتيجيات التذكر أجملها الباحث في النقط الآتية:" حدود تغير الصورة الذهنية للخطيب المفوه، بسبب تفكك اقتران صورة الخطيب المثالي بالقدرة على الارتجال، ودراسة أثر التحول إلى القراءة في فعالية الخطابة السياسية الراهنة، خاصة بسبب ضعف التواصل البصري. استكشاف أثر القراءة من نص على الصورة العامة للخطيب، خاصة ما يتعلق بإدراك الجمهور لمصداقية المتكلم، التي ترتبط ببعض مؤشراتها بعفوية الكلام وانطلاقه... فحص أثر التقنيات الحديثة خاصة أجهزة التيليبروميتر (teleprompters) في إحداث تغيير جذري في صورة الخطيب فقد أتاحت هذه الأجهزة للخطباء أن يقرأوا من نصوص مكتوبة، ويحافظوا في الوقت نفسه على مظهر المتحدث المرتجل..."[43] وحاصل القول هنا، هو محاولة ربط أسلوب التذكر عند الخطيب بمهارة الارتجال أثناء إلقاء الخطبة.

فاعتماد الخطيب على النصوص المكتوبة تحد من فعالية التذكر خلافا للارتجال الذي يستغني عن هذه التقنية، لكن اعتماد الخطابة المعاصرة على بعض التقنيات الحديثة توهم المتلقي بارتجالية الإلقاء وتضع الجمهور أمام مفارقة تربط بين الخطيب وصورته أثناء الإلقاء فتزكي في آخر المطاف مصداقية الخطبة والخطيب. لأنها بكل بساطة تُخفي وراءها صورا مخزنة عن وجه السياسي والتي ربما قد لا تنكشف أثناء الارتجال المباشر مع الجمهور[44].

41- عماد عبد اللطيف "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة ؟ " ص69

42- نفسه، ص70

43- نفسه، ص74-75

44- عماد عبد اللطيف " مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة ؟ " ص75

ويحضر الأسلوب الأخير وهو العنصر الأبرز في الخطبة التقليدية لأنها عصب الخطبة وتجسيد لها، بالاعتماد على صورة الخطيب وهيأته وكل ما يدخل في ما سمي بالباتوس. والخطابة السياسية المعاصرة إذ تسعى لهذا الغرض بالتوجه نحو استعانة هذه الأخيرة بتقنيات مكبر الصوت الذي زادت من كفاءة الخطيب وشدّت على عملية استعراضه أمام الجمهور، مما يزيد من الاستحواذ والسيطرة. فكانت هذه التقنيات إذا بديلا عن التقنيات الخطابية التي عُدّت قديما في درجة تأثير الخطيب بقدراته الصوتية وهيئته وإشاراته...إلخ. فقد تبين أن الخطابة السياسية المعاصرة بإمكانها أن تستغني عن المؤهلات الفيزيولوجية للخطيب لتعوضها بمؤهلات أخرى تقنية[45].

وبهذه التقنيات إذن، تكون بلاغة الجمهور فتحت لنفسها بابا جديدا–تاريخا- وأسئلة حديثة ممكنة، تتعلق بعلاقاتها مع العلوم الأخرى، التي اعتبرت رائدة في ميدان تحليل الخطاب وبخاصة (الخطابات الإعلامية/المرئية عموما).

ب. نظرية التلقي وبلاغة الجمهور، من سجن النص/الخطاب إلى تحرر القارئ/الجمهور

قياسا على ربط مبدأ التلاقي بين نظرية التلقي، وبلاغة الجمهور، وربطا أيضا بكشف أوجه التكامل/التآنس المعرفي بين هذين النموذجين خارجيا (العلم من الخارج externalistes)، وقفت دراسة كل من الأستاذ عماد عبد اللطيف[46]، والأستاذ صلاح حسن حاوي[47]، على مجموعة من العلل المشتركة بينهما. فالذي يجمع نظرية التلقي ببلاغة الجمهور إذن وفي إطار التآنس المعرفي الخارجي، هو اهتمامهما بالعنصر المحوري للمتلقي/القارئ والجمهور، يقول عماد عبد اللطيف: "ومع ذلك فإن الأرضية المشتركة بين بلاغة الجمهور وتوجهات دراسة القراء لا تتجاوز التشارك في الاهتمام العام بالمتلقين، إذ؛ تستقل كل منهما بمادة بحث، وأسئلة بحثية وخلفيات معرفية"[48].

تقوم هاتين الدراستين على تقابلات خارجنصية لكلا النموذجين، مستدعيتين التقابل المعرفي الذي اختصتا بهما، بدءا من الثورة على سلط النقد الأدبي من لدن نظرية التلقي: سلطة المؤلف، سلطة النص، والتوجه نحو اقتراح نموذج فكري مهمل في الدراسات النقدية والأدبية، وهو القارئ. ذلك الكائن الذي نصبه ياوس إمبراطورا حاكما على مشروعه النقدي الجديد. بينما تأتي بلاغة الجمهور بالمقابل محاولة تخليص تاريخ البلاغة من (ديكتاتورية) المخاطِب/المتكلمالذي بسط سلطته وقوته عليها، فضلا عن التخلص "من مرحلة الانحسار البلاغي، وفك

45- نفسه، ص76

(46) عماد عبد اللطيف: منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص:147/136

(47) صلاح حسن حاوي: بلاغة الجمهور ونظرية التواصل "نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف"، ص:105/116

(48) عماد عبد اللطيف: منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص: 139

القيود من سجن اللغة المركزية، والنصوص النخبوية التي أولتها البنيوية والتيارات المتوالدة عنها عناية خاصة"[49]، نعيد طرح هذه التقابلات مع محاورتها[50].

- **التسيّد والهيمنة**

أحدثت نظرية التلقي ثورة في الدراسات الأدبية، تمثل ذلك في إعلانها تغييرا في سلطة النموذج الأدبي الذي يمكن أن يكون وجها لاحتواء صراع المناهج. تمثل هذا التغيير في التحول من الاهتمام الجذري من دراسة الثنائية القطبية الكاتب-النص، إلى العلاقة التفاعلية بين النص-القارئ. تحول بدأته بهدم جدار إمبراطورية المؤلف، وهيمنته على كتب التاريخ الأدبي، من سير وتراجم لحياة الكتاب، حتى غدا عمل المؤلف مقرونا بشخصيته، يقول رولان بارت: "...ولذا فإن صورة الأدب التي تستطيع أن تقف عليها في الثقافة المألوفة قد ركزت بشكل جائر على المؤلف وشخصيته وتاريخه، وأذواقه، وأهوائه، ولا يزال قوام النقد في معظم الأحيان ينصب على القول مثلا: إن عمل بودلير يمثل إخفاق الإنسان، وإن عمل فان غوغ، يمثل جنونه، وإن عمل تشايكوفسكي، يمثل رذيلته، وهكذا فإن البحث عن تفسير للعمل يتجه دائما إلى جانب ذلك الشخص الذي أنتجه"[51]، هذه هي الصورة التي يصور لنا بها رولان بارت الثنائية القطبية الكاتب في علاقته بالنص، قبل أن تثور نظرية التلقي عليها، آخذة بالحسبان أن المناهج السياقية استبعدت العلاقة التفاعلية بين الذات القارئة والنص الأدبي. فالتصور الماركسي إما أنه تجاهل القارئ نهائيا، باعتباره مجرد مستهلك، أو تنظر إليه كما تنظر إلى المؤلف، حيث تبحث في وضعه الاجتماعي أو تضعه ضمن النظام التراتبي الذي تصوره الأعمال الأدبية. أما المدرسة الشكلانية فهي لا تهتم بالقارئ إلا في حدود كونه ذاتا تدرك البنية الشكلية للعمل وتكشف عن إواليات اشتغاله.

هذه الثورة على التسيد والهيمنة عكستها بالمقابل بلاغة الجمهور بعد محاولة الخروج بالبلاغة العربية من قطب المتكلم/المخاطِب، إلى دائرة المخاطَب/الجمهور.

لقد ركزت البلاغة الإنشائية[52] على طرف دون الآخر، واعتبر المخاطِب/المتكلم في العمليات الخطابية صانعا للخطاب، وموجها له. حتى أضحت الدراسات حبْلى بالاستراتيجيات الخطابية التي يمكن أن يتبعها من أجل إقناع الجمهور والتأثير فيه، مع دراسة مختلفالطرق الممكنة لهذا الفعل الإقناعي. كل ذلك تحت مسمى "بلاغة المتكلم"[53].

---

(49) عماد عبد اللطيف: منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص:106

(50) المحاورة أرجأنها إلى المحور الثاني الخاص بأوجه التمايز/التقاطع

(51) رولان بارت: هسهسة اللغة، ص:76

(52) عماد عبد اللطيف: "بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته" ص:12

(53) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع، ص:14

وهكذا ظل المخاطَب/الجمهور مغيبا تحوم حوله نظرة نقدية دونية، بدعوى أن "لا بلاغة في كلام العامة...ولا سلطة لكلام العامة ! من أنتم؟"[54]، لتأتي هذه البلاغة كرد فعل على ديكتاتورية الخطاب، معيدة خطاب الجمهور إلى ميدان تحليل الخطاب، لأنه يعكس مرايا يمكن أن نتعرف من خلاله على أبعاد فكرية وثقافية، مفككة به حجم السلط الممارسة عليه، عبر الاستجابات التي يتخذها لأجل هذا الغرض، وتكون إما: شعارات، أو لافتات، أو أغاني، أو تصفيقات، أو هتافات...في الفضاءات العامة، أو عبر التعاليق على وسائل التواصل الاجتماعي.

فالأساس الذي قامت عليه نظرية التلقي ومعها بلاغة الجمهور، وهذا التحول من قطب إلى قطب، يأتي إذن كرد فعل على هدم تحكم المنهج/التاريخ، وهو جزئي. يقول صلاح حسن حاوي في علة هذا التسيد: "لو تعاملنا مع (نظرية التلقي والبلاغة/ بلاغة الجمهور) في ظل مبدأ (العلة والنتيجة) لوجدنا أن النظريتين (النقدية/نظرية التلقي، والبلاغية/ بلاغة الجمهور) نتيجة وجودهما هي علة (سلطة المنهج المهيمن)أي: أن سيادة نظرية معينة أو منهج محدد كان سببا في نشأة هاتين النظريتين ونضوجهما، فتكوينهما رد فعل على فعل مهيمن ومتسيد، ولذا قراءة تأريخ التأسيس وأسباب النشأة أمر هام، وإن كانت الدراسة غير معنية تماما بتأريخ النشأة أو الأسس والأسباب بقدر عنايتها بالفهم المعرفي لمحطات الاختلاف والتطابق"[55]. هذا التطابق على مستوى ردة الفعل، سرعان ما ستتفكك وتنفصل على مستوى النشأة، والدوافع الفلسفية (العلمية)، التي أسهمت في بلورة كل نموذج معرفي، وبخاصة إذا استحضرنا البعد الهيرمونيطيقي والظاهراتي التأويلي. من هذا المنطلق، تزداد الوحدات التقابلية لإبراز مناطق التكامل بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي بروزا، عندما تُستلهم ماهية الحاكمين الجديدين (القارئ/الجمهور) المستحدثين، مع توصيف صورتهما، ودرجات تفاعلهما مع الوعاء الحامل: النص/الخطاب. يقول حسن صلاح حاوي في هذا الصدد: "صورة المتلقي في نظرية التلقي بشقيها (ياوس وآيزر)، هي صورة القارئ ذي الاستجابة المنتج. وظهوره يأتي في حالتين، فمرة يظهر بوصفه قارئا نصيا، يتشكل داخل العمل الأدبي نفسه ليؤدي دوره التفاعلي في سد الفجوات عبر التأويل، ومرة يكون قارئا خارجيا يمتلك الخبرات بالنصوص وقيمها، فيعرف انتماء أي عمل أدبي إلى أي نوع. وهذه الوظائف والتشكلات النصية وخارج النصية هي استجابة بلا شك وفاعلة مثلما نجد ذلك في بلاغة المخاطب الذي يدخل تغييرات جوهرية على الرسالة التي ينتجها المتكلم من خلال الاستجابة لهذه الرسالة فضلا عن القيام بعمليات التأويل"[56].

---

(54) عماد عبد اللطيف: "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية"، ص:18/17

(55) صلاح حسن حاوي: "بلاغة الجمهور ونظرية التواصل "نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف" ص:105

(56) صلاح حسن حاوي: "بلاغة الجمهور ونظرية التواصل "نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف" ص:110

يتشكل التقابل الخارج النصي للقارئ والجمهور، من خلال صورتهما في تلقي/استجابة النصوص/الخطابات، وتفاعلهما الظاهري معهما. فالأول قد ينتج تلقيه انطلاقا من تفاعله مع نصوص أدبية، بينما الثاني يتفاعل عبر الاستجابات التي يحدثها على الرسالة/الخطاب في الفضاء العمومي أو الافتراضي، مع إعطائها بعدا تأويليا خاصا مفككا بها خطابات السلطة.

وهكذا يتأسس هذا التقابل من الثنائيات الآتية: التأويل مقابلا للاستجابة؛ التلقي مقابلا للاستجابة؛ القارئ نظيرا للجمهور؛ والنص مقابلا للخطاب.

- **تكامل النص بالخطاب (التلقي بالاستجابة)**

من فتوحات بلاغة الجمهور على دراسة تحليل الخطابات، أن وسّعت مدارك التلقيبانحساره في مدلول النص، إلى الفضاء العام (ساحات عمومية)، أو الفضاء الخاص (وسائل التواصل الاجتماعي). فالنص/الخطاب عملا بربط هذا بذاك هو هو، وتلقيه أو/و استجابته مثيلة له، وإنما المزية في اختيار الوسيط الحامل لهذا التفاعل.

واستلهاما لهذا الفتح، أتت بلاغة الجمهور معنية بادئ ذي بدء ب "خطابات الحياة اليومية في مقابل الأدب"[57]، استلهام زكته بالبحث في خطابات المهمّشين/المقموعين، مع دراسة استجاباتهم الآنية أو غير الآنية كالتجمعات البشرية التي يكون الجمهور طرفا فاعلا فيها. هذه الاستقلالية في التبني، تعكسها مختلف الأشكال الخطابية الجماهيرية: شعارات؛ لافتات؛ حفلات الأغاني؛ تصفيقات؛ هتافات، عندما تصنع واقعا خاصا بها.وهو ما لا يكون بإمكان نظرية التلقي إدراكه، لأنها استقلت في زاوية بحثية خاصة مرتبطة بالنصوص العليا.

وبيان ذلك يضيف عماد عبد اللطيف، مرده إلى أن نظرية التلقي وضعت في حسبانها نصوصا مختصة، لها متلقوها ومؤولوها، في فضاءات فردية، تتحكم في مدخلها ومخرجها سياقات مضبوطة[58]. هذا التحكم في تلقي النص الأدبي هو الذي يعطي قيمة للعمل، تتعداه إلى تنمية طاقة مساهمة في صنع تاريخ معين. لكن هذا التاريخ فهو معرض في الجهة المقابلة عند بلاغة الجمهور إلى معرفة تحررية،"غير مصممة سلفا، أو محكومة بقيود وضوابط من الباحثين"[59]. لأنها تنتج المعاني في فضاءات عمومية، بإمكان التحقق منها ومشاهدتها. يقول عماد عبد اللطيف مدركا هذا الربط "تعنى بلاغة الجمهور بدراسة استجابات الجمهور في الفضاءات العمومية، في حين تقتصر توجهات دراسة القراءة والتلقي على تحليل عمليات إنتاج المعنى في فضاءات فردية أو خاصة..."[60].

---

[57] عماد عبد اللطيف: "منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة"، ص: 140

[58]نفسه، ص:141

[59]عماد عبد اللطيف: "منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة"ص: 141

[60] نفسه، ص:141

وإمعانا في هذا التلاقي بين النص والخطاب [التلقي/الاستجابة] يدرك حجم التفاعل بين الاثنين. فالتلقي يربط ربط تبعية بالنص لأن مدلول هذا الأخير–أي النص- مدلول لساني بمعناه الكلاسيكي، أي: أنه متواليات من الجمل،أما الاستجابة فهي تبدأ من حدود اللفظ باعتباره خطابا، وقد تصل إلى النص.

2. أوجه التمايز والتقاطع

بعد تحديد بعض التقابلات المشتركة/خارج نصية(العلم من الخارج) بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي، نقف على أوجه التمايز المعرفي بينهما (العلم من الداخل)، من خلال البحث في التقابلات الممكنة بين المتلقي [القارئ] والجمهور، ومدى تقاطعهما على مستوى الإنتاج المعرفي لكل من التلقي/التأويل في نظرية التلقي، والاستجابة في بلاغة الجمهور.فهل يمكن أن تتعدى الاستجابة (حسب مفهومها عند بلاغة الجمهور) لتصبح تأويلا (كما عند رواد نظرية التلقي) لها منطلقات ومرتكزات فلسفية.؟.ثم أين يكمن موطن التمايز الفلسفي/العلمي بين المتلقي [القارئ] والجمهور؟.

أ. هل يمكن أن يكوّن الجمهور تأويلا؟

هل يمكن أن يكوّن الجمهور تأويلا...؟ سؤال فلسفي استعرناه من مقال (روبرت كروسمان)، **"هل يكون القراء المعنى؟"**[61]. ليس للتعبير عن إمكانية تكوين تأويل من لدن الجمهور، محتملا إجابتين: نفيا أو إيجابا،وإنما لتبيان حدود التأويل المنتج من قبل الجمهور أولا. في صناعة استجابة ذات بعد تأويلي، ذلك لأنه سؤال مبهم وغامض في علاقته بالقارئ كذات عارفة لها منطلق فلسفي محدد من قبل رواد نظرية التلقي، والتفكيكية. وثانيا لتوجيه حلقة التأويل من القارئ إلى الجمهور عبر الاستجابات المختلفة التي ينتجها في الفضاءات العامة أو الخاصة،مع تبيان إمكانية أن ترتقي هذه الاستجابات إلى مصاف صراع التأويلات،كما هي عند أصحاب النزعة الهيرمونيطيقية.

يأخذ التأويل في الدراسات النقدية، ونظريات القراءة والتلقي، عمليات عقلية، وذهنية ومعرفية، مختلفة تباينت حوله الآراء واختلفت معاركه الفلسفية[62]، وطرق تشكله عند المؤول/المتلقي. ومهما يكن يظل التأويل إجمالا هو حصيلة إنتاج معرفة عقلية وفكرية، تكشف المِلك العام والمُشاع لمعنى النصوص/الخطابات، والاتجاه بها نحو البحث عن تأويل ثوري وتدميري لمعناها.

ولكي يتأتى له هذا التدمير/الهدم، لابد للتأويل من عملية فهم وتفسير لواقعة الخطاب، حتى لا يتحول التأويل إلى معرفة جاهزة ينطبق تلقيها على نصوص وموضوعات مختلفة، ويصبح النص فعلا تخمينيا حدسيا، لا معرفة استشكالية، تبرز المضمرات وتلامس الآفاق الممكنة التي يقود إليها الفكر التأويلي."ينبغي

---

[61] روبرت كروسمان: "هل يكوّن القراء المعنى" ص:178

[62]عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمونيطيقا، ص:367

لكل تأويل حقيقي أن يحترز اعتباطية الأفكار التوهيمية التي تلوح في الخاطر ابتداء من الحدود المنحدرة من بعض الحالات اللاواعية للتفكير(...)ولكن الطابع الدوري أو الحلقي للفهم هو نتيجة جهد يبذله ويدعمه المؤول للاكتفاء بصراحة هذا البرنامج رغم الأخطاء التي بالإمكان ارتكابها أثناء أبحاثه واستقصاءاته"[63].

فلكي يتحول التفكير/التلقي يضع (غادامير) أصولا ضمنية تفرق بين الحدود المنحدرة من اللاوعي/اللاشعور، والحلقات التي تأتي عبر جهد إفهامي وتأويلي.جهد لا يدرك من فراغ المعنى، وإنما لا بد للمؤول من فرضيات راهنة وأخرى قديمة. اعتبارا بأن الفهم هو حصيلة مسافة زمنية ونشاط نقدي معرفي يتجمع ويتراكم ليتحول إلى تراث، ويدرك هذا التحول انطلاقا من التمييز بين الأحكام المسبقة المضللة، والأخرى الموضحة، وبين الأحكام المسبقة الخاطئة والأخرى الصحيحة.

وتكمن أهمية المسافة الزمنية في التأويل (عند جدامير)، في أنها تستبعد الفرضيات غير الصالحة، وتظهر أخرى أكثر إيجابية تؤدي إلى الفهم الصحيح، وهي "ليست ذات سمو محدد وإنما تتطور وفق حركة متصلة للعالمية أو الثقافة الشاملة universalisation. فالعالمية المطهرة بالزمن هي الخاصية الثانية المنتجة للزمانية temporalité. فتحفة هذه الأخيرة هو الكشف عن جنس جديد من الأحكام المسبقة. يتعلق الأمر بأحكام مسبقة غير جزئية ولا خاصة وإنما أحكام تؤسس الأفكار الموجهة والمؤسسة للفهم الحقيقي"[64]،وبهذا تكون المسافة الزمنية محاولة للتبرير، حتى لا يكون الفهم والتأويل "كوجيطو ديكارتي"[65]، يتأسس معناه كتعبير عن الوجود (أنا أفكر إذن أنا موجود).

ليس همنا استحضار قانون التأويل بمختلف أبعاده ومنطلقاته، بقدر ما يهم ربط المكون الرئيس في بلاغة الجمهور "الاستجابة الجماهيرية"، بالتأويل. ما دام أن نقاط تلاقيهما كما مر بنا يكمن في عنصر "التلقي". فهل تقف الاستجابات[66] بمختلف مكوناتها، عند حدودالحدس، أم تتجاوزها نحوالحركة الدورانية للفهم والمعنى والتأويل؟.

تضع الاستجابة في صلب اهتمامها مخاطبا/جمهورا بليغا، غير محدد لنوع هذه الصفة، الذي يقوم بإنتاج استجابات/خطابات بليغة مقاومة للخطاب السلطوي. يقول عماد عبد اللطيف معلقا على نوع الاستجابة التي ينتجها الجمهور "ترى أن المخاطب ليس طرفا سلبيا في هذه العملية، فهو ليس مجرد مستقبل لنص المتكلم.

---

[63] هانس جورج غادامير: فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف. ص:44

[64] هانس غيورغ غادامير. "مدخل إلى أسس فن التأويل التفكيك وفن التأويل"، ص:89

[65] يمثل الكوجيطو الديكارتي حلقة ظاهراتية لا ترتقي للتأويل عند بول ريكور، لأنها حقيقة باطلة، وغير ممتحنة ولا مستنتجة، وما ينتج عنه إنما هو تفكير حدسي. ينظر: بول ريكور: صراع التأويلات دراسات هيرمونيطيقية، ص:50/48

[66] الاستجابة تطال الميادين الافتراضية كما الواقعية، وتتخذ أشكالا مختلفة لغوية وغير لغوية.

فبالإضافة إلى قيام المخاطب بعملية إنتاج معنى نص المتكلم عن طريق التأويل والتفسير، فإنه يستطيع أن يدخل تغييرات جوهرية على الرسالة ذاتها من خلال استجاباته لها، حيث إن الاستجابات الآنية للمخاطب والمتمثلة في رد الفعل والقصدية الرجعية...إلخ تؤثر في الطريقة التي يبني بها نصه ومجمل خطابه[...]وتنطوي هذه المقاومة على نقد خطاب المتكلم بما يمكن من نقله من دائرة اليقين إلى دائرة الاحتمال، من دائرة التسليم المطلق إلى دائرة المساءلة، من دائرة حرية التأثير إلى دائرة البحث في الأغراض والمصالح..."[67]، فالاستجابة حسب النص خطاب مقاوم (مضاد) لخطاب السلطة؛ آني في طرحه، يتجاوز رد الفعل إلى إنتاج معان تأويلية وتفسيرية للخطاب السلطوي، ناقلا إياه من دائرة اليقين إلى الشك، وتبقى في عمومها تلق ظاهري.

وجوازا بهذا الأمر في بعده الظاهر، تفترض هذه العمليات التفسيرية، التأويلية التي ينتجها الجمهور قراءات تبادلية transactive readingبتعبير (رومان هولاند)، والقائمة على ازدواجية الفعل القرائي والتي تتشكل وفق المعادلة الآتية"النص يقرأ القارئ/القارئ يقرأ النص"[68]، أو بعبارة أخرى هل الخطاب يقرأ الجمهور يقرأ الخطاب، من منطلق أن الجمهور هو المقصود في عمليات الاستجابة هذه، وهو الذي يعيد تشكيل الخطاب السلطوي، ويسهم في نقله من دائرة اليقين إلى الشك والاحتمال، وإثراء جوانبه المظلمة.

إن عمليات الاستجابة هذه، تخضع الجمهور لذات وحيدة واعية، لكنها تغفل شبكة من الذوات الأخرى التيتدخل في زمرتها؛ كالذات القارئة، والذات المنصتة السامعة، والمبدعة المؤولة للخطاب، والمحكومة بشروطها الثقافية والسيكولوجية...وكلها ذوات لها استجاباتها/تأويلها الخاص بها (عقلانية/سيكولوجية/حدسية/ ردود أفعال (منفعلة)/بليغة/فاعلة).

تركز الاستجابة (بلاغة الجمهور) من خلال ما سبق على التأويل والفهم، والتفسير، والمساءلة، والإنتاج، لكنها بالمقابل تغفل مستويات هذه الاستجابة (القراءة)، وتشكلها في (ذهن/عقل) الجمهور الناقد/البليغ. وتخلص الذوات من النزعات السيكولوجية التي لا تنطلق من سند تفسيري أو تأويلي الأمر الذي يهدد طبيعة الاستجابة؛ كأن تكون الاستجابة حصيلة رد فعل نابع من توجه إيديولوجي، أو سوء فهم للخطاب السلطوي، أو عن صناعة إعلامية نابعة من سيوف التعاليق التي تابعت الخطاب، وتصبح الاستجابة رهينة ذوات أخرى في تلقي الخطاب[69].

---

[67]عماد عبد اللطيف "بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته " ص:18

[68] نقلا عن، غالية خوجة: "إبداعية النقد جماليات قراءة القراءة" ص:231

[69] يكمن هذا الطرح في تحول التلقي من معرفة سابقة بالعمل الأدبي (نظرية التلقي)، إلى معرفة تصنعها عدد التعاليق، والمشاهدات للخطاب في الفضاء الإلكتروني (بلاغة الجمهور).

واستحضارا للبعد التأويلي الذي ينتجه الجمهور بأشكاله المختلفة، نستحضر تعدد مستويات تفاعل المعلقين على خطبة رئيس أمريكا (باراك أوباما)[70]، يقول عماد عبد اللطيف:"تتعدد أشكال ومستويات تفاعل المعلقين مع النص الأصلي، ويمكن أن نصنف هذه التعليقات وفقا لما يلي:

1- التعليق على أجزاء صغيرة، أو تلفظات جزئية من الخطاب...
2. التعليق على مجمل الخطاب...
3. الإشارة إلى السياق لإضاءة التلفظ...
4. مساءلة مقولات الخطاب بواسطة استحضار الخطابات المناقضة...
5. تقديم شروحات وتلخيصات للخطبة...
6. تعليق الحكم على الخطاب..."[71]

يتحدد التعليق من خلال هذا التوظيف إذن من خلال مجموعة من التفاعلات الخطابية بين الجمهور، والملاحظ في هذا التفاعل أنه يمارس عمليات "الشرح" كليا أو جزئيا لنص الخطاب، تقف عند حدود المعرفة الفنية. فهي أقرب ما تكون إلى (أشكال ترفيهية) مولّدة تتميز بجماليات تلقّ غير مستعدة لتغيير أفقها، لأنها مشبعة بآفاق توقعات مفروضة سائدة ومألوفة، بحيث يمكن أن تنتج معرفتها (فهمها) بناء على وعي جماهيري سابق، بعد أن تحتك التعاليق مع بعضها البعض.

وعليه، فالحكم الذي ينتجه (صاحب تعليق ما)، قد لا تتأسس معرفته، بناء على قراءة/تلقي الخطاب السلطوي، كما في حالات التعاليق هذه، وإنما يتم صياغة الفهم/الاستجابة انطلاقا من تفاعل عموم المعلقين على هذا الخطاب أو ذاك، ومنه تبنى الاستجابة. وبذلك تصبح الاستجابة (الفهم) معرضة للتشويه والزيف، وضياع معنى الخطاب السلطوي.

ب. الأثر بين نظرية التلقي وبلاغة الجمهور

يستلزم الأثر l'effet الذي يحدثه العمل الأدبي مع نظرية التلقي، نظرة أفقية معاكسة، لما يمكنه أن يفعله بالمقابل مع الجمهور أثناء استجاباتهم الخِطابية، وذلك لاعتبارات عدة؛ أولها: اختلاف القناة الحاضنة في توجيه تلقي/استجابة الجمهور/المتلقي.ولأن اختلاف طرق التلقي والاستجابة نابع من كون بلاغة الجمهور تتعامل في نقدها للخطابات مع فضاءات حية، ونظرية التلقي مع فضاءات ورقية[72]، فإنه حتما سيكون لطبيعة الأثر l'effet تأثير على التلقي

---

(70) ينظر: عماد عبد اللطيف: الخطابة السياسية في العصر الحديث، ص:43//86، وانظر: عماد عبد اللطيف: "تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسميائية الأيقونات "ص:509.528

(71) عماد عبد اللطيف: الخطابة السياسية في العصر الحديث، ص:74/72

(72) عماد عبد اللطيف: منهجيات دراسة الجمهور دراسة مقارنة، ص:145

والاستجابة، وطرق تشكيلهما. فالأثر يختلف باختلاف "مصانع الثقافة"[73] التي تشكل المعاني.

يلعب الفضاء l'espace دورا في تكوين تلقي/استجابة مختلفة عن الأخرى، وذلك إذا نظرنا إليه من زاوية الأثر الذي يمكن أن تحدثه سلطة الإعلام الجديدة ووسائل التواصل الاجتماعي، في تلقي الخطابات وردود الأفعال الممكنة حولها، وبين ما يمكن أن يحدثه النص الأدبي ودرجات تلقيه.

يتيح الأثر الأدبي في القارئ، أفقا للانتظار، قائما على تصور منهجي ناتج عن دراية بالقواعد والقيم الفنية والأدبية، التي تصنع الجنس الأدبي وتؤطر التجربة الأدبية، وترسم معالمها. يقول ياوس: "يتاح لتحليل التجربة الأدبية أن تتخلص من النزعة النفسية التي تهدده، إذا عمد إلى إعادة تشكيل أفق توقع جمهوره الأول قصد وصف تلقي الأثر الأدبي والوقع الذي ينتجه، بمعنى إعادة تشكيل النظام المرجعي القابل للتحديد الموضوعي الذي يعد بالنسبة لكل أثر في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها، حصيلة ثلاثة عوامل أساسية:

- خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الأثر.
- شكل ومحتوى آثار سابقة يفترض معرفتها في الأثر الجديد.
- والتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية، بين العالم الخيالي والواقع اليومي."[74]، تؤكد نظرية التلقي إذن من خلال ما تقدم أن هناك معطيات وأساليب تجريبية يمكن للمتلقي/القارئ أن يستخلص حالات خاصة قبل مزاولته لفعل القراءة/التلقي، أي؛ ذلك التهيؤ القبلي لتلقي عمل أدبي ما.

فالتهيؤ القبلي لتلقي عمل أدبي عنصر ضروري حسب –نظرية التلقي- بالرغممن الظهور الأول لعمل أدبي، يضيف (ياوس) في هذا السياق رأيا. "إن الأثر الأدبي لا يقدم نفسه، حتى في اللحظة التي ظهر فيها، باعتباره جديدا جدة مطلقة منبثقة من فراغ من الأخبار، فانطلاقا من مجموعة كبيرة من الإعلانات والإشارات الظاهرة والخطية، ومن الإحالات الضمنية، والخصوصيات التي أصبحت مألوفة، يكون جمهوره مستعدا لنمط معين من التلقي فهو يثير أمورا سبق أن قرئت، ويضع القارئ في هذا الموقف الانفعالي أو ذاك، ويخلق منذ بدايته نوعا من التوقع لما سيأتي في وسط الحكاية ونهايتها..."[75].

هكذا إذن تنص نظرية التلقي على أن كل عمل أدبي حديث الصدور، يحيل على أعمال سابقة يفترض في القارئ أن يكون قد قرأها سلفا، كما أنه يُعِد هذا القارئ لرد فعل معين ويخلق منذ بدايته توقعا قد يترسخ لدى تقدم القراءة، أو يتحول أو يتبدد وذلك وفق قواعد خاصة.

---

[73]يحدد الغذامي ثلاثة مصانع ثقافية للمعاني، وهي: الشعر، الصحافة، وتويتر، ينظر: محمد عبد الله الغذامي: ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعبير، ص:63

[74]هانز روبرت ياوس: نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ص:63

[75]نفسه، ص :65

يهمنا في هذه المرحلة من التلقي، مرحلة الاختبار الجمالي التي تخلص القارئ من النزعات النفسية، وهو بصدد تلقي النص، حتى يتحول تلقيه من مجرد انطباعات ذاتية، أي؛أحكام مسبقة prejugesإلى قواعد وجملة من العناصر التي تعدّل الأثر وتصحح منطلقاته الأولى.هذه هي الحلقة المفقودة التي تبحث عنها بلاغة الجمهور لتطويع أو تعديل أثر استجابات الجمهور على الخطابات، وتخليصها من النزعات النفسية السيكولوجية. ذلك أن زمن استجاباتهم قد تقترن بلحظات مرتبطة بالدهشة الفنية، وهذه الدهشة تصنعها عدد الاستجابات الجماهيرية، وتعاليقهم على خطاب من الخطابات. وذلك بسبب إنتاجها "في سياقات طبيعية، غير مصممة طبيعية سلفا أو محكومة بقيود وضوابط من الباحثين"[76]، فالخطابات الوسائطية الالكترونية ليست مادة خاضعة بسهولة للفهم والتأويل بسبب جوهري، وهو ما يمكن أن يشهده مثل هذا الصنف من الخطابات، في بعض الأحيان من تهجين وتزييف بواسطة برامج أخرى(فوتوشوب)، مما يجعل الأثر والاستجابة مزيفتين.

إن التساؤل حول موضوع خطاب الوسائط الالكترونية، ودرجات الوعي/الفهم بها، والشكل الذي يمكن أن يتخذه هذا الوعي بهذا الموضوع. أكان وعيا خاصا (حرا) بقصدية الخطاب intentionnalité أسهمت فيه ذات قارئة، أم ذات تدخلت فيها ذوات أخرى، وحركت استجاباته نحو هذا القصد أو ذاك. فالقصدية هنا لا تعني الرغبة في ما يريد أن يقوله الخطاب، أي؛ لا تقف عند الأثر الأول، وإنما تتعداه إلى آثار أخرى حتى تفصح عن بنية الأفعال الإقناعية، وتضعاستجابات واعية متفاعلة بينها وبين الخطاب المستجيب حوله، وبين خطابات الجمهور المعلّق في ما بينه.

ت. التلقي صورة والاستجابة حجة

يدرك الفرق بين كون التلقي صورةfigure[77]، والاستجابة حجةargument[78]من زاوية أن الخطابين اللذين يقعان فيهما (التلقي/بلاغة الجمهور)، ينصرفان إلى معنيين اثنين: المعنى الأول؛ خطاب احتمالي مؤثر منجز عن طريق طلب التخييل والتوهيم، والثاني؛ منجز لغرض طلب التصديق أو التسليم بدعوى أو أطروحة[79].أو بعبارة أخرى يدخل التلقي ضمن اهتمامات الخطاب التخييلي (شعرا؛ نثرا؛ رواية؛ قصص قصيرة؛ سير ذاتية...)، أما الاستجابة فينصب اهتمامها بناء على هذا التوظيف، على الخطاب التداولي

---

[76]عماد عبد اللطيف: "منهجيات دراسة الجمهور"، ص:141

[77] figureترجمة لصورة بالفرنسية من اقتراح الأستاذ محمد العمري وهي كلمة "لها اتصال بمجال التصوير والتشكيل والصوغ الذي يربط الجزئيات بالجوهر"، محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:209

[78]محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص:22

[79] محمد العمري: المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص:51

(مناظرات؛ لقاءات؛نقاشات؛ الإشهار...). وبين هذين الاشتغالين تتفرع مفاهيم ومصطلحات خاصة بكل صنف. ويجمعهما مصطلحا "الاحتمال"[80] و "الأثر"[81].

ينجم عن التلقي صورة figure اشتغال خاص، مع مستمَع خاصauditoire particulier ذات قارئة، عارفة محددة سلفا، بينما تتعامل الاستجابة حجة argument (بلاغة الجمهور)، مستمع كوني auditoire universelغير محدد الهوية، أكان نخبويا، مثقفا أو محدود المعرفة، ويصعب فصل مكوناته عن بعضه.

وانطلاقا من هذه التقابلات المصطلحية والمفاهيمية المؤسسة للاشتغال، تدرك الاستجابة/الحجة على أنها "بلاغة خاصة تعنى بدراسة استجابات الجمهور وتفاعله بما ينتجه صناع الخطاب السلطوي ومدبروه"[82]، أي أنها تلك البلاغة التي ترتبط بالحياة اليومية للإنسان العادي، الذي يتوجه نحو البحث عن وضعيات تحررية له، في فضاءات افتراضية أو واقعية، مستفيدا من فرصة تطوير قدراته على إنتاج استجابات (حجج) مقاومة، فاضحة لمطامع الخطابات الأخرى.بينما يقف التلقي على النقيض من هذا في الجهة المقابلة باحثا في النصوص العليا (التخييلية).

خلاصة:

على مشارف نهاية كل دراسة تتحدد معالم الخلاصات المتوصل إليها، ومن بين ما خلصنا إليه، نذكر مايلي:

ـ إذا كانت نظرية التلقي أعادت إدراك حقيقة تاريخ الأدب، وهدم ديكتاتورية المناهج السياقية، عبر اكتشاف سلطان العمل الأدبي"القارئ/المتلقي"، فإن بلاغة الجمهور أعادت بالمقابل رسم خريطة "الجمهور"، بما يتناسب والمعطيات الحديثة التي استجد بها الوحش الإعلامي في غزو تواصلنا اليومي. غزو سيفوض للجمهور سلطة جديدة، بعد أن حُرم منها لسنوات عدة.

ـأعادت بلاغة الجمهور بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية من حيث تكونها، عبر وسائط جديدة، وطرق الاشتغال عليها، ودور الجمهور في إنتاج عمليات خِطابية واستجابات نقدية مفككة لخطابات السلطة.

ـ بالنظر إلى أوجه التكامل والتمايز بين التلقي والاستجابة، تدرك مجموعة من العناصر التي تعيق سير مشروع بلاغة الجمهور؛ وهو تأويل الجمهور

---

[80] الاحتمال يولد من الادعاء، ادعاء الصدق واحتمال الكذب (المناظرة)، وادعاء الكذب واحتمال الصدق (الشعر)، ينظر: محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص:71

[81] الأثر ينتج عن التأثير الذي يحدثه منشئ الخطاب في متلقي الخطاب، (تخييلا أو تداولا)، ينظر: محمد العمري: المحاضرة والمناظرة، ص:76

[82]إدريس جبري:"في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف نموذجا"ص:362

وأحكامه. أكانت تأويلات ذات بعد معرفي بالخطاب وأحواله، أم استجابات عبارة عن حكم قيمة.

ـ استثمار بلاغة الجمهور للتلقي في دراسة استجابات الجمهور، مطالب بأن يتعداه إلى استثمار بعض المفاهيم المؤسسة في بعدها الفلسفي من قبل؛ الفهم، والتفسير، والتأويل.

المراجع

1. **بارت (رولان):** هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري حلب سوريا، الطبعة الأولى1999.
2. **بلانشي (روبرت):** نظرية المعرفة العلمية الابستمولوجيا، ترجمة حسن عبد الحميد، تقديم محمود فهمي زيدان، جامعة الكوفة مطبوعات الجامعة، د,ت.
3. **جبري (ادريس):** ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات تحرير وتقديم: صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صديقي دار شهريار العراق، ط1، (2017)
4. **حسن حاوي (صلاح):** « بلاغة الجمهور ونظريات التواصل" نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف " ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صديقي، دار شهريار العراق البصرة، ط1،(2017).
5. **روبرت هانز (ياوس):** نحو جمالية للتلقي تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ترجمة وتقديم محمد مساعدي، مراجعة عز العرب لحكيم بناني، النايا للدراسات والنشر سوريا، الطبعة 1 (2014).
6. **ريكور (بول):** صراع التأويلات دراسات هيرمونيطيقية. ترجمة منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي. دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، الطبعة 1 (2005).
7. **صديقي (عبد الوهاب):** " بلاغة الجمهور... مفاهيم وقضايا" ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صديقي، دار شهريار العراق البصرة، ط1،(2017).
8. **عبد اللطيف (عماد):** لماذا يصفق المصريون؟ دار العين للنشر القاهرة مصر، ط1،(2009).
   - الخطابة السياسية في العصر الحديث المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر القاهرة، الطبعة 1 (2015).
   - "بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته » ضمن كتاب power and the Rôle of the Intellectuall منشورات جامعة القاهرة (2005).

- "تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسميائية الأيقونات " مجلة فصول عدد84/83 خريف، شتاء 2013/2012.
- "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية ؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد "ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صديقي، دار شهريار العراق البصرة، ط1،(2017).
- "مبادئ البلاغة كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة ؟ " ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي منشورات ضفاف دار الأمان الرباط ط1،(2016).
- "منهجيات دراسة الجمهور، دراسة مقارنة" ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم صلاح حسن حاوي، عبد الوهاب صديقي، دار شهريار العراق البصرة، ط1،(2017).
- "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسيملاحظات منهجية " ضمن كتاب البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي عناصر التشكل ووظائف التأثير، إعداد وتقديم سعيد العوادي، دار شهريار العراق ط1،(2017).
- " من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي " أعمال الندوة الدولية بجامعة القاهرة كلية الآداب " الخطاب وعلائق السلطة " أيام 29-31 أكتوبر 2006.
- "بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري، ومثال تطبيقي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، مجلة علمية دولية محكمة، جامعة محمد بوضياف امسيلة الجزائر، العدد2019/6.
- "جدل الظاهرة والاستجابة دراسة في فخاخ البلاغة "ضمن كتاب البلاغة والخطاب إعداد وتنسيق محمد مشبال منشورات ضفاف، دار الأمان الرباط ط1،(2014).

9. **عبد الله الغذامي (محمد):** ثقافة تويتر حرية التعبير أو مسؤولية التعبير، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط1،(2016).
10. **العمري (محمد):** البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق المغرب ط2،(2012).
- المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغةالعامة مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، أفريقي االشرق (2017).
11. **غالية خوجة:** "إبداعية النقد جماليات قراءة القراءة" سلسلة علامات في النقد. النادي الأدبي الثقافي جدة، ج50، مجلد 2003/30.
12. **القزويني (الخطيب):** الإيضاح في علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع. دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.

13. **كروسمان (روبرت):** "هل يكوّن القراء المعنى" ضمن كتاب القارئ في النص مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير سوزان روبين سليمان، إنجي كروسمان. ترجمة حسن ناظم، على حاكم صالح. دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة 1 (2007).
14. **لوبون (غوستاف):** سيكولوجية الجماهير، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي بيروت لبنان ط7،(2016).
15. **مصطفى (عادل):** فهم الفهم مدخل إلى الهرمونيطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة 1 (2007).
16. **هانس غيورغ (غادامير):** فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف. ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف الجزائر، الطبعة 2 (2006).
   - "مدخل إلى أسس فن التأويل التفكيك وفن التأويل" ترجمة وتقديم محمد شوقي الزين مجلة فكر ونقد، السنة الثانية عدد1999/16.
17. **هولب (روبرت):** نظرية التلقي مقدمة نقدية، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية القاهرة، الطبعة 1 (2000).

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغييرالخطاب
قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف

د. ماجدة صلاح

جامعة شيكاكو

انشغلت البلاغة على امتداد قرون طويلة بالكلام والمتكلم، ولم يحظ المخاطَب بالاهتمام المطلوب، إذ كان مقتصرا على الطبقة المثقفة، وعلى الكلام الأدبي الرفيع، مستبعداالخطابات والممارسات اليومية والمجتمعية والجمهور العادي، وبعد حالة السكون والجمود التي شهدتها البلاغة، بدأت عملية إنعاشها بفتح قنواتوآفاق جديدةفي محاولة لتوسيعها وتجديدها ، ومع الاهتمام بالمتلقي عبر نظرية التلقي والتأويل استثمر بعض المفكرين العرب تلك الجهود في محاولة منهم لتطويرها.

المشروع التطويري

يهدف المشروع إلى الاهتمام بالمتلقي العادي(الجمهور) وبخطاباته المختلفة، ويعد عماد عبد اللطيف من الوجوه البارزة التي عملت على تطوير مشروع بلاغي يُعنى ببلاغة الجمهور، وممارساته اليومية التي ظلت بمنأى عن الدراسات البلاغيةالعربية. معتمدا في ذلك على دراسة التراث العربي وتجديده على أسس معاصرة .إذ أوضح الباحث منذ بداية مشروعه، أنه ينطلق من النقطة التي توقفت عندها البلاغة القديمة، مستفيدا من جهود القدماء إذ قال: " وعلى الرغم من أن البلاغيين العرب لم ينسبوا للمخاطب بلاغة، ... فإنهم قدّموا بشأنه إشارات، وأفكارا، وملاحظات جديرة بالاهتمام.."[1].وبهذا الدمج بين الماضي(التراث) والحاضر تشكّلت رؤية جديدة رحيبة للبلاغة انبثقت منها بلاغة الجمهور.

واللافت في هذا المشروع ملامسته قضايا الجمهور،والاهتمام بالأنشطة التواصلية المختلفة، إذ تكمن أهمية المشروع في انشغال بلاغة الجمهور " بأنشطة تواصلية أخرى غير القراءة، مثل الاستماع، والفرجة، تلقيا لكافة الأنواع التي تنتج في فضاءات عمومية، ولا سيما المرتبطة بالحياة اليومية..."[2]. إضافة إلى الطبقة النخبويةوبهذا يمكن الاستفادة من هذه البلاغة على نطاق واسع، وفي مجالات عملية تواصليةمتعددة كانت في السابق مقصية، إذ تتيح للدارس معرفة بروز ظاهرة ما من الظواهر التي باتت منتشرة في ثقافة العالم عامة وثقافتنا العربية على وجه خاص.

1.بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، منهجيات دراسة الجمهور، دراسة مقارنة، عماد عبد اللطيف، ، دار شهريار، العراق، ط1، 2017، ص165.

2. بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، منهجيات دراسة الجمهور، عماد عبد اللطيف، دار شهريار، البصرة، ط1، 2017، ص143.

البلاغة الجديدة(بلاغة الجمهور):

توسّع مفهوم البلاغة في الدراسات المعاصرة فأصبح " علم الخطاب اللا احتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا إيهاما أو تصديقا"[3]. وبتنا في عصر شكّلت فيه استجابة الجمهور نقطة تحوّل، أطلق عليه " عصر استجابات الجمهور" حيث سعت البلاغة الجديدة إلى تأسيس "بلاغة الجمهور التي تهدف إلى تخليص البلاغة من خدمة السلطة على حساب الجمهور، فكان الإنسان العادي هدفها إضافة إلى الطبقة النخبوية المثقفة، وذلك بإمداد الجمهور العادي بمعرفة تمكّنه من فهم واكتشاف تحيزات أي خطاب، "فالغاية الأهم لهذه البلاغة هي تدريب الإنسان العادي على إنتاج استجابات بلاغية فعّالة تجاه كل ما يتلقاه"[4]، تمكّنه من إبداء رأيه والإسهام في توجيه الخطاب بقبوله وتأييده إن كان لصالحه، أو رفضه والتحريض على مقاطعته. خاصة في ما يتعلق بالمجالات المختلفة التي تمس حياة الإنسان، إذ توغلت البلاغة الجديدة(بلاغة الجمهور) في دراسة مجالات مختلفة غير محصورة في الخطاب الأدبي، لمواكبة التطور والتقدم التكنولوجي الهائل، الذي أصبحت وسائله منتشرة في كل مكان ومؤثرة بشكل كبير في المجتمع. مما أتاح للباحثين الإفادة من البلاغة في دراسة ظواهر مختلفة؛ اجتماعية وأدبية ودينية وسياسية،.. ومع زيادة تعامل البلاغة الجديدة مع الخطابات النصية المختلفة لسانيا وأسلوبيا وحجاجيا وتداوليا وسيميائيا، أصبحت مطلبا للجميع على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم[5]. وقد أدى الاهتمام بالبلاغة إلى وضع المتلقي في قائمة الأولويات من خلال نظرية التلقي [6] .

وتهتم بلاغة الجمهور بـ "الاستجابات التي ينتجها الجمهور أثناء تلقيهم للخطابات الجماهيرية التي تبثّها وسائل الإعلام. وهي تُعنى بشكل أساس بالعلاقة بين هذه الاستجابات والسلطة التي يمثّلها الخطاب الجماهيري أو يسعى إلى ترسيخها أو إضفاء الشرعية عليها"[7]. وما يعنينا هو دراسة استجابات جمهور المتابعين وتأثيرهم في توجيه الخطاب وتغييره.

ومع ما يشهده العالم من تدفق هائل للمعلومات بوسائل تقنية ووسائط معلوماتيةمتعددة أصبحت متاحة للجميع تقريبا، تكمن أهمية بلاغة الجمهور التي ترمي إلى توسيع دائرة البحث ودراسة المخاطَب لتشمل الجمهور بمختلف طبقاته الفكرية والثقافية، وذلكبدراسة استجاباته في كافة المجالات والممارسات اليومية،

---

[3]. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، 2005، ص6.

[4]. تحليل بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ص517.

[5]. ينظر: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2014، ص5.

[6]. ينظر: الفلسفة والبلاغة، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص29.

[7]. لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، القاهرة، 2009، ص47.

وهذا المشروع سد الثغرة التي ظهرت وفقا للإطار التحليلي الذي اقترحه فيركلف الذي انحصر في طرق إنتاج المعنى غافلا طرق استجابة الجمهور[8].
تهدف بلاغة الجمهور إلى فهم ألاعيب وأساليب الخطابات السلطوية ومقاومته، وتتيحأيضا دراسة ومعرفة ما يدور حولنا من استجابات تجعلنا أحيانا نقف حائرين، أو جاهلين طريقة استجابة الجمهور كما يحدث على مواقع التواصل الاجتماعي. فمن خلال دراسة استجابة الجمهور يمكننا معرفة الأسباب الكامنة وراء بروز أسماء وشخصيات يتابعها الملايين إلى درجة تصل بالجمهور حد تقليدهم والاقتداء بهم، كما تتيح للجمهور معرفة وتحليل الخطابات المختلفة التي يراد من وراء غالبيتها تضليلهم واستغلالهم وتعريفهم بأساليب وطرق كشف ما وراء الخطاب، وبذلك تصبح استجابة الجمهور عن دراية وفهم.

عصر التكنولوجيا والجمهور

يعيش العالم اليومعصر التكنولوجيا والمعلوماتية، الإنترنت، والفضائيات، ومواقع التواصل الاجتماعي المتعددة ؛اليوتيوب، والفيس بوك، والتويتر، وانستغرام، وغيرها، والإذاعات، فـ " إذا كان الإعلام يتمثل في نقل الأخبار والمعلومات المختلفة من المرسِل إلى المرسل إليه، فإن الاتصال يتجاوز الوظيفة النقلية الإخبارية إلى الوظيفة التفاعلية بين المتخاطبين"[9] والتأثير فيهم.
وقد أدى هذا الانتشار إلى بروز ظواهر مختلفة سلبية وإيجابية، تنبّه كثير من رواد هذه المواقع إلى أهميتها والدور الذي تلعبه والتأثير الذي تحدثه في جمهور المتابعين، إذ تخضع مثل هذه المواقع لرغبة صاحبها وهدفه وما يرمي إليه، وكلنا نسمع ونشاهد بعض الحسابات لأشخاص لا يملكون أي كفاءة أو ميزة تؤهلهم ليكونوا من مشاهير المجتمع والعالم، وخير دليل على ذلك بعض أصحاب المدونات والحسابات والقنوات على تلك المواقع، وتزامنا مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي اتسعت قاعدة مستخدمي هذه المواقع والنشطاء وجمهور المتابعين، و" تكمن أهمية هؤلاء النشطاء في حجم التأثير الذي يحدثونه أو قد يحدثونه بين متابعيهم، سواء كان تأثيرا إيجابيا أو سلبيا، وكذلك في حجم التأثير الذي قد يحدثونه في نقاشات مطروحة أو قضايا راهنة"[10]. لذا وجب الاهتمام بالجمهور واستجاباته لأهمية الدور الذي يلعبه على هذه المواقع.
ونتيجة لانتشار هذه الوسائل التواصلة الجماهيريةتيسّر للأشخاص العاديين حول العالم المشاركة في الشأن العام إذ "تغلغل الخطاب العام في حجرات معيشة

---

8. ينظر: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، عماد عبد اللطيف، ص512.
9. استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، بشير إبرير، مجلة اللغة العربية، ع23، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر، الجزائر، ص92.
10. نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي بين التأثير الإيجابي وتخدير العقل الواعي، عثمان مرزوق، موقع هسبريس: https://www.hespress.com/opinions/384019.html

الإنسان العادي في كل أطراف الأرض من أقصاها إلى أقصاها"[11]. فأصبح عن قصد أو عن غير قصد مشاركا في مختلف الخطابات التي يتباين منشئوها والوسائط المستخدمة في نقلها، فهناك الوسائط المرئية، والوسائط المسموعة، والوسائط المرئية المسموعة كالإنترنت والتلفزيون والسينما[12]التي يتلقاها المواطنون، والأهم الدور البارز الذي تلعبه استجابات الجمهور في نشر وتأييد الخطاب أو رفضه أو تغييره.

ونظرا للتوسع الذي حظيت به البلاغة من خلال بلاغة الجمهور التي لم تعد مقتصرة على الخطاب الأدبي، لكنها تخطته لتشمل مختلف الخطابات والممارسات اليومية، ولأهمية وسائل التواصل الاجتماعي والدور الذي تلعبه، ومدى تأثيرها في الجمهور المتابع، فقد تناولت في هذا البحث دور الجمهور (بلاغة الجمهور) وأثره في تغيير الخطاب وتوجيهه عبر(تويتر وأنستغرام) من خلال مقطع فيديو أثار جدلا واسعا وضجة كبيرة لناشطة على السناب وانستغرام ، قامت ببثه ونشره على حسابها.

الخطاب (مقطع الفيديو)

نشرت ناشطة (فاشينيستا) صاحبة حساب على انستغرام وسناب شات يتابعها أكثر من مليون متابع ، مقطع فيديو بطله ابنها الذي لم يتجاوز العاشرة، إذ قامت بتصوير الصبي على الهواء مباشرة وهي تبلغه خبر وفاة جدته (أمها) لتسجيل رد فعله عند سماعه الخبر . متلاعبة بأعصاب ومشاعر الصبي ـ كما رأى المتابعون لها ـ إذ جعلت الموضوع كأحجية وهي تسأله عن شخص توفى من العائلة، ولم تخبره مباشرة، ثم قامت بحذف المقطع فور قراءة تعليقات جمهورها الغاضب المتابع لها . ونظرا لأهمية الموضوع والضجة الإعلامية التي أثارها هذا المقطع على منصات التواصل الاجتماعي لخرقه القوانين والأعراف، جاء اختياري لدراسة استجابات جمهور المتابعين وتأثيرها في تأييد أو رفض الخطاب ، فالدراسة معنية باستجابات الجمهور وتأثيرها في الخطاب ـ مستبعدةصاحبة الحساب ـ وبانتشار المقطع على مواقع التواصل الاجتماعي أصبح قضية عامة.

وقد استدعىعدة أسئلة، يحاول البحث الإجابة عنها:

ـ ما هدف الناشطة من نشر الفيديو؟

ــ كيف كانت استجابة الجمهور المتابع؟

ـ ما العوامل التي أثرت في هذه الاستجابة؟

وأخيرا، "ما دور استجابات الجمهور الآنية في توجيه الخطاب؟ وفي دعم أو مقاومة سلطة صاحب الخطاب؟".

---

11. تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، عماد عبد اللطيف، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد: 83- 84، ص513.

12. بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، عماد عبد اللطيف، القاهرة، 2005، ص7.

لا يخفى على أحد قوة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع بمختلف طبقاته وفئاته " نظرا لأن قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية على مخاطبة أعداد لا حصر لها من البشر في الوقت نفسه متجاوزة قيود المكان كان لها تأثير بالغ الخطورة في معظم الأنشطة البشرية في القرن العشرين"[13] وهذا التأثير يظهر بوضوح أثناء دراسة استجابات جمهور المتابعين.

تناولت الدراسة استجابات الجمهور خلال ثلاثة أيام من تاريخ نشر مقطع الفيديو بتاريخ 2019/1/22، ولتوسيع دائرة الدراسة والوصول إلى نتائج أكثر شمولية فقد اعتمدت الدراسة على موقعين من مواقع التواصل الاجتماعي من خلال حسابين أعادا نشرالمقطع، أحدهما على انستغرام، والثاني على تويتر، مستبعدة حساب الناشطة صاحبة الفيديو. لحذف الأخيرة هذا المقطع وعدم تمكن الباحثة من حفظ استجابات جمهورها المتابع، فاقتصرت الدراسةعلى استجابات جمهور المتابعين للناشطين الآخرين.

سيمياء الصورة واللغة

تلعب وسائل الإعلام المختلفة خاصة مواقع التواصل الاجتماعي دورا بارزا ومحوريا في حياة الفرد والمجتمعإذ يُعد الخطاب الإعلامي "من أهم الخطابات المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المعبرة عن كل مجالاتها الحياتية المؤثرة فيها والمتأثرة بها"[14]. ونظرا لهذه الأهمية فقد اعتمدت وسائل التواصل الجماهيري بمختلف أنواعها صحف وإذاعة وتلفزة وانترنت... ببلاغة الإقناع فوظفتها توظيفا واضحا لجذب أكبر عدد من المستقبلين [15]، فأصبحنا نعيش اليوم زمن العلامات المتعددة. ولإحداث التأثير والإقناع في الجمهور استعان نشطاء الوسائط بكل الإمكانات المتاحة، الكلمة والصورة واللون والإشارة والصوت والحركة تتكاثف وتتعارض لتشكّل الخطاب " وكانت الروابط القوية بين السيميائية وتحليل الخطاب التي وصلت إلى حد التداخل والاختلاط انعكاسا لتشابك العلامات في الخطابات الإنسانية المعاصرة"[16]، وقد تعدى مفهوم تحليل الخطاب في الوقت الحاضر تحليل العلامات اللغوية إلى غير اللغوية[17].

وبعد أن كانت اللغة أهم نسق علاماتي في التواصل، أضحت الصورة منافسة لها في مجالات كثيرة، أو مساوية لها في الأهمية، لكونها حية متحركة ذات تأثير

---

[13].تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ص513.

[14]. ينظر:الصورة في الخطاب الإعلامي ـ دراسة سيميائية في تفاعل الأنساق اللسانية والأيقونية، إبرير بشير، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي"، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2008.

[15]. ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2008، ص181.

[16]. تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، عماد عبد اللطيف، مجلة فصول العددان 83-84، خريف – شتاء 12/ 2013، ص510.

[17]. تحليل الخطاب، ص510..

قوي فعّال وبما تحمله من عناصرإيحائية[18] ،ونظرا لهذه الأهمية نجد اعتناء المرسِل بالرسالة أو الخطاب الذي يود طرحه، باختيار الصورة بمعايير ومقاييس جمالية تغري الجمهور المتابع وتؤثر فيه.إذ أصبحت الصورة بمختلف أنواعها وأنماطها؛ السينمائية والبلاغية والذهنية والإشهارية، والمتحركة والثابتة عنصرا مهما في التواصل والإقناع، فاقتحمت كل المجالات العلمية والثقافية والمعرفية [19].وشكّلت عاملا مهما لجذب الجمهور والتأثير فيه، وتستند قوة تأثير الصورة على وضوحها ودقتها وارتباطها بالحدث ، فكلما كانت الصورة واضحة ومرتبطة بواقع الحدث ولافتة، أثّرت في المتلقين [20]. وانطلاقا من هذه الأهمية لجأ نشطاء مواقع التواصلالاجتماعية إلى الصورة بأنواعها" وطاقاتها التعبيرية في أبعادها المختلفة المطبوعة والمرئية وما يصاحب ذلك أيضا من أنظمة أو أنساق غير لغوية بما في ذلك الحركات الجسدية والأنساق الرمزية التي تشمل مكونات الأحداث المختلفة"[21]. إذ عوّلوا عليها في جذب الجمهور ولفت انتباههم والتأثير فيهم، لتحقيق أهدافهم وزيادة مكاسبهم على حساب الجمهور.

استجابة الجمهور:

تختلف استجابات الجمهور وتتباين، ويمكن تحديد خصائصها من جوانب متعددة تبعا لما حددته بلاغة الجمهور[22]، منها:

تصنيفها وفقا لمنتجها إلى استجابات فردية وجماعية[23]. عند تتبع مواقع التواصل الاجتماعي (انستغرام وتويتر) نلاحظ استجابات فردية على مقطع الفيديو، تتجاوز التعليق إلى إعادة نشر المقطع والتعليق عليه والتحريض ضده كاستجابة المغرد أحمد الميموني وعدد المتابعين لحسابه 216 ألف متابعحيث أعاد نشر فيديو الناشطة على صفحته وكتب معلقا " حب الشهرة وزيادة المتابعين يدفع فاشينيستا لتوثيق لحظة إبلاغ ولدها بوفاة أمها(جدته).. نتمنى من هيئة حماية الطفل التدخل ومنع المتاجرة بمشاعر الأطفال وعرضها للعالم لزيادة متابعين وشهرة".[24]

جاءت استجابة هذا الناشط فردية بإعادة مقطع الفيديو مصحوبا بتعليق يحرّض المتابعين على الناشطة، ويطالب الهيئة المختصة باتخاذ الإجراءات المناسبة .

---

18. ينظر: مدخل إلى سيمياء الإعلام، جوناثان بيغنل، تر: محمد شيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 2010، ص127.

19 الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2010، ص101.

20. ينظر: فنيات التحرير الصحفي، ساعد ساعد، دار الخلدونية، الجزائر، ط2، 2009، ص65.

21. استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، ص140.

22. بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، جامعة القاهرة، 2005، ص22-23.، عماد عبد اللطيف

23. بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي، عماد عبد اللطيف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد6، يناير، 2019، ص15.

24 .https://mobile.twitter.com/AhmadAimaimoni

ومن بين هذه الاستجابات إعادة المقطع من قِبل حساب باسم شرطة المشاهير، الذي علّق على الفيديوقائلا:" حسبي الله ونعم الوكيل، وين صرنا يا عمي!!فاشينيستا تافهة بهيمة ماتت أمها، أجت تخبر ابنها وفاتحة سناب حتى تصوّر ردة فعلو..طيب معقول لوين وصلنا؟؟؟؟هزلت". عدا عن استجابات جمهور المتابعين لهذين الحسابين وحسابات في مواقع أخرى نشرت المقطع نفسه.

خصائص استجابة الجمهور

حددت بلاغة الجمهور مجموعة خصائص تعين على معرفة استجابة الجمهور، نتناولها لمعرفة استجابة جمهور المتابعين على نشر الفيديو موضع الدراسة وهي: الآنية، قابلية تجهيل المصدر وصعوبة التتبع، ضخامة حجم الاستجابات وتعدد أنواعها، سهولة القابلية للحصر والقياس، ضعف الخضوع للرقابة وإعادة **المعالجة**[25] .

الآنية:

أتاحت مواقع التواصل الاجتماعي لجمهور المشاركة والتجاوب مع الخطاب مباشرة، مما جعله في حالة تفاعل، وذلك بسرعة استجاباته وتعليقاته تزامنا معنشر الرسالة فأصبحطرفا فاعلا في إعادة إنتاج معنى نص المتكلم والتفاعلمع الخطاب بإنتاج خطاب خاص به[26]. وبفضل هذا التفاعل والتأثر والتأثير باتت الثقافة عامة جماهيرية[27] متاحة للجميع غير محصورة في فئة معينة.وهذا ما سجلته الدراسة، إذ فور نشر (الفيديو) انهالت التعليقات وردود الأفعال المنددة والمستاءة من هذا التصرفالمرفوض، فجاءت بعض هذه الاستجابات عنيفة مما أجبر الناشطة على حذفه والتغيّب عن حسابها على سناب الذي نشرت فيه الفيديو، فـ " الجمهور المرتبط بالتكنولوجيا يتحدّى العصر بإمكانية استجابته السريعة وردود أفعاله الآنية نظرا لما تفرضه التكنولوجيا الحديثة ممّا يؤثّر على مواقفه وآرائه ويستجيب وفق ما يفرضه وعيه ودرجةثقافته".[28]. فتجاوز التلقي إلى تأييد الخطاب أو رفضه والمشاركة في إنتاج المعنى.

سهولة الحصر والقياس:

يتمتع الفضاء الافتراضي (مواقع التواصل الاجتماعي) بإمكانيات وخصائص تعين روادها فيعملية الحصر والقياس ،بما تتيحه من أدوات وإمكانات ، كتتبعاستجابات جمهور المتابعين، بتعليقاتهم على الخطاب الأصلي " وإعادة

---

25. ينظر تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقوانت الاجتماعية، ص515- 516.

26. خطاب الثورة السورية..من بلاغة المتكلم إلى بلاغة الجمهور،حمو الحاج، ذهبية ، ، المتكلم إلى بلاغة الجمهور، http: //www.alketaba.com/index.php/2013-50/item/1562-55-09-30-10 balaghetalmotakalem.html

27. ينظر: الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، لويس دللو، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982، ص115.

28. خطاب الثورة السورية من بلاغة المتكلم إلى بلاغة الجمهور، حمو الحاج، ذهبية، موقع الكتابة، http://alketaba.com/خطاب-الثورة-السورية-من-بلاغة-المتكلم-إ/

إرساله، ووضعه أو حذفه.."[29]. وحصر تلك الاستجابات مما يسهّل على المهتمين دراسةواستنتاج خصائص متعلقة بهذه الاستجابات، كأسباب الاستجابة بالتأييد أو الرفض، كما تكشف ميول الجمهور، وثقافته، وأيديولوجيته، ومدى فطنته بالألاعيب التي يتقنها نشطاء هذه المواقع لاستمالتهم والتأثير فيهم، فتظهر مدى وعي الجمهور وتقديره لما يحدث حوله.
وقد بلغ عدد مرات مشاهدة المقطع 385,462 مرة، ووصل عدد التعليقات 4,947 قبل أن يتم حذفه من قبل الناشطةبعد نزوله بساعات فقط، وقد نفهم سبب حذفها للفيديو، لكن ما لا نفهمه سبب حذف الفيديو من حساب آخر (شرطة المشاهير)، قد يكون للمسؤولين عن هذه المواقع أو من يمتلكون السلطة والتسلط يدفي حذفه، وربما حذف لمخالفته قوانين حماية الطفولة، خاصةوقد تعدى عدد المتابعين لهذا الحسابالمليون متابع.
وقد طالب عدد من المتابعين بتدخل السلطات المسؤولة، وتم فعلا وبسرعة غير متوقعة تدخّل جمعية حماية الطفل بعد يوم واحد من نشر الفيديو، وهذا دليل على سرعة استجابة جمهور المتابعين وتأثيرهم ، إذ نشر حساب شرطة المشاهير خبرا مفاده أن " إدارة الجرائم الالكترونية: في وزارة الداخلية تحيل فاشينيستا بالتعاون مع جمعية حماية الطفل إلى النيابة العامة بعد انتشار مقطع فيديو توثّق فيه بكاءه بوفاة أحد أقاربها" والمقصود هنا (جدة الطفل)، وكانت استجابة الجمهور قوية فاعلة، إذ بلغ عدد المعجبين بهذا الخبر 20, 333 معجبا وبلغ عدد التعليقات 1,858 تعليقا خلال يومين.

ضعف الرقابة

سحبت الوسائل التواصلية الحديثة البساط من تحت قدمي الرقابة، وكسرت مقص الرقيب بتعدد منافذ توزيع ونشر الاستجابات،إذأتاحت للجمهور المتابع التعبير عن رأيه - رغم وجود بعض القيود-، حيث كانت تخضع استجاباته إلى أشكال متعددة من الرقابة قد تحذف أو تستبعد بعض الاستجابات التي تتعارض مع مصالح صاحب الخطاب وأهدافه[30]،فتحول الجمهور المتلقي للخطاب إلى متلق ومنتج ومؤثر في الوقت نفسه.لكن تبقى بعض القيود المفروضة التي تقيّد استجابة بعض الجمهور النشط والمؤثر.

ضخامة حجم الاستجابات وتعدد أنواعها

لم تعد تشكّل استجابات الجمهور في الوقت الراهن أية إشكالية في حجم الاستجابة المسموح به، إذ من النادر جدا أن يحدد للجمهور مساحة محددة، كما تنوعت استجاباتهم متخذة أشكالا مختلفة، كرسوم تعبيرية أو تسجيلات أو إشارات . نلاحظ ذلك من استجابات الجمهور المتابع للفيديو قيد الدراسة، إذ اختلفت

---

29. تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ص516.
30. ينظر: بلاغة الجمهور بين وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، ص516.

استجاباتهم وتنوّعت بين رسوم تعبيرية كقلب مكسور تعبيرا عن الحزن والألم، أو وجوه حزينة أو غاضبة أو باكية ، والملاحظ في هذه الاستجابات أن غالبيتها جاءت مقتضبة، في حين سجلت استجابات مرئية فشكّلت مساحة حرة لاستجابات الجمهور المختلفة.

قابلية تجهيل المصدر وصعوبة التتبع

بات إنشاء حساب على مواقع التواصل الاجتماعي ميسرا للجميع، إذ بإمكان أي إنسان أن ينشئ حسابا باسمه أو باسم مستعار، وهذا يمنحه حرية التعبير عن رأيه والمشاركة بلا أدنى خوف، نظرا لصعوبة تتبعه. ففي هذه الدراسة نلاحظ أن غالبية الاستجابات وردت موقعة بأسماء مستعارة أو برموز يصعب معرفة أسماء أصحابها الحقيقية.

وقد تباينت أشكال تفاعل الجمهور المتابع لهذا الحدث التواصلي، الذيأثرّ فيمعظم المتابعين وأثارهم فكان محفزا للبعض على مشاركة الفيديو وإعادة نشره على حساباتهم الشخصية، لمشاركةجمهورهمفي مشاهدة الفيديو والتعليق عليه. فاتفقت غالبية استجابات الجمهور المتابع على سوء تصرف الناشطة، واستغلال عواطف ابنها لكسب مزيد من المتابعين، مع اختلافلغتهم وتباين قوة استجاباتهم .

دراسة استجابة الجمهور

أصبح المخاطب طرفا إيجابيا فاعلا في عملية الاتصال، إذ لم يعد مجرد مستقبل لنص المتكلم، " فبالإضافة إلى قيام المخاطب بعملية إنتاج معنى نص المتكلم عن طريق التأويل والتفسير فإنه يستطيع أن يدخل تغييرات جوهرية على الرسالة ذاتها من خلال استجاباته لها"[31]. وبناء على استجابات وتفاعل الجمهور مع الفيديو، سجلت الدراسة الملاحظات الآتية:

لغة الجمهور

تنوّعت لغة الجمهور في استجاباتهم وتعليقاتهم، إذ جاءت التعليقات على حساب الناشط الخليجي باللهجات العربية المحكية العاميةباستثناء بعض الاستجابات التي سجلت باللغة العربية الفصحى، التي لم تخل غالبيتها من الأخطاء الإملائية واللغوية. وهنا سأنقل الاستجابات ـ كما وردت في التعليقات ـ.يقول مغرد فريد3d. : " إلى متى هذا الاستهتار بمشاعر الناس من سمح لها أن تنشر مشاعر فقد طفل لأمه هل نزعت المبادئ والأعراف هل أصبح الحزن والألم مادة إعلانية أتمنى وجود حملة على كل من يتاجر بمثل هذي المواقف لمحاسبتهم أعتقد لو كان شخص كبير وقامت بتصويره لاعتبرت جريمة معلوماتية فمن يدافع عن حق هذا الطفل" وكذلك جاءت استجابة هارمونيJan23"يوم من الأيام كنا نستغرب من الأجانب هذه التصرفات والان أصبحنا ابشع منهم". في حين سجّلت استجابات

---

31. بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، عماد عبد اللطيف، القاهرة، 2006، ص17.

أخرى بلغة مختلطة بين المحكية والفصحى تقول DoDi ll .jan 23"اعوذ بالله من قسوة القلوب، لهذي الدرجة وصل حب الشهرة!!تقوله عن خبر وفاة امها بقلب بارد الولد احن على امها منها، الله لا يبلانا بما بلاها".وجاءت استجابة (أبو سفيان) باللهجة المصرية" ايه قمة التخلف والجهل اللي وصلت ليها البشر". وباللهجة العراقية كتعليقA"حسبي الله عليها ماكو احساس شكو تصورينه هالدرجة تبي تبين أنا زعلانه علي هالخبر استغفر الله". وهذا التنوّع في اللهجات المحكية يظهر تنوّع ثقافة وبيئة وبلدان المتابعين وتجاوزها الحدود الجغرافية .

في حين خلط بعض جمهور المتابعين بين لغتين (العربية والإنجليزية) فاستعملوا ألفاظا أجنبية بحروف عربية كاستجابة**سين"**قلبي تقطع ع الولد، انحرق دمه وهو يقول جست تل مي والغبية مسويه نظام اتنشن والله كأنها تصور موفي، جد بلا احساس هالعالم". وجاءت بعض الاستجابات باللغة الإنجليزية كاستجابة عبد الله "Toooooooo much" واستجابة عبد الله بن سعيد" أووووووفرررررررر أوووووووي" الذي لجأ أيضا إلى تكرار بعض الحروف تعبيرا عن خروج هذا التصرف حد اللا معقول لإظهار شدة استيائه.

ولجأت طيف أيضا لتكرار بعض الحروف " تقهر يا ربيييي طب مو لازم تصور ردة فعله" دلالة على مدى تأثّرها بحالة الصبي وغضبها من تصرّف الأم.

علامات غير لفظية(إشارية وبصرية):

من أبرز خصائص وسائل التواصل إمكانية استخدام علامات غير لفظية يمكن لرواد هذه الوسائل توظيفها والاستعانة بها، كالرسوم والإشارات والرموز التعبيرية، والصور، والتسجيلات الصوتية. إذ استعان غالبية جمهور المتابعين بالإشارات والرسوم التعبيرية، كوضع رسم لقلب مكسور كما فعلت صاحبة الحساب سين، حيث وضعته في نهاية تعليقها الذي بيّنت فيه تأثّرها وحزنها على الصبي. واستعانت Hano_noo برسم وجه باك وقلب مكسور . في حين وضع صاحب حساب باسم * وجها ضاحكا وقلبا مكسورا.

في حين لجأ بعض المتابعين إلى التسجيلات الصوتية والمرئية كاستجابة بندر العديلي الذي قال في تسجيل مرئي " يعني صراحة مالت عليكم وطيح الله حظكم شي يفشّل".

التعاطف مع الصبي:

سبّب انتشار هذا المقطع تعاطف جمهور المتابعين مع الطفل، إذ يرون موت المشاعر والرحمة لأجل الشهرة، تقول HanO_n00: "ماتت الرحمة ..حسبي الله ونعم الوكيل فيها..". وقد استعانت بالرسوم فوضعت وجها باكيا، وقلبا مكسورا. وكانتGhadeerمتأثرة جدا فلم تكمل المقطع" ما قدرت أكمله" تعبيرا عن حجم الألم الذي شعرت به من رؤيتها له، ومشاعر الحزن المختلط بالغضب. والشعور نفسه نجده في استجابة xالتي علقت واتخذت موقفا فوريا بحذف الناشطة

من سنابها" والله عورني قلبي ع الولد وحذفتها حسبي الله ونعم الوكيل هذي يستحيل تكون أم". وردّت طيف "تقهر يا ربيييي طب مو لازم تصور ردة فعله". يظهر من استجابات الجمهور المتابع مدى تأثره وتعاطفه مع الصبي.

الاستنكار:

في حين جاءت استجابات بعض جمهور المتابعين بصيغة سؤال بلاغي أفاد في غالبيته الاستنكار والتعجب، يقول عبد الله :" ايش صاير للناس؟" سؤال يحمل التعجب والاستنكار من مثل هذه الممارسات والأفعال ، وترجع رشا rasha.تصرّف الأم طلبا للشهرة التي باتت مرضا مزمنا" لهذي الدرجة وصل مرض الشهرة؟ "، وتضيف بسمه الزهراني2d. " مقطع مغبن والله معقوله وصلنا لدرجه ذي لا احساس ولا ضمير"، وقد عدّ Mansour هذا التصرف متاجرة بالمشاعر " ما هذا الانحطاط والمتاجرة بالمشاعر الإنسانية".والملاحظ من استجابات الجمهور التي جاءت بصيغة السؤال التعجبي والاستنكاري أنها عامة شملت هذا التصرف وكل الممارسات والتصرفات المماثلة. وكأنهم وجدوا في هذا التصرّف غير المسؤول فرصتهم للتعبير عن استيائهم من تصرفات مماثلة سواء كانت من الناشطة أم من غيرها على مواقع التواصل.

إلقاء اللوم على الفضاء الافتراضي (مواقع التواصل):

إن تأثير النشطاء وأصحاب الحسابات العامة على الجمهور المتابع لا يمكن إنكاره، وقد تنبّه بعض المتابعين إلى هذا التأثير القوي ، إذ يرون في حذف مثل هذه الحسابات، وعدم متابعة أصحابها غير المسؤولين أفضل رد على مثل هذا التصرّف، فالجمهور هو من يصنع المشاهير، لذلك نجد من الجمهور من ألقى باللوم على المتابعين لمثل هذه الشخصيات، تقول نقاء...jan23. " مو منها من الفاضيات الي بدون هدف الي يتابعوهم لو من البداية محد اعطاهم وجه ما كان تمادوا كذا" وهذه الاستجابة تنم عن حكمة وعقلانية بعض الجمهور ، في حين رأى أحمد الأولjan23. أن العقوبة من جنس العمل، فهي حسب رأيه فعلت ذلك بدافع الشهرة، والعقوبة الملائمة حذف حسابها أو مقاطعتها وعدم متابعتها " إذا فيكم إنسانية وإذا فيكم ثقافة العقاب الذاتي والوعي الاجتماعي احذفوا سنابها عاقبوها بنفس الغرض التي كانت تطمح له، زيادة الشهرة، خلّوا غيرها يتأدب فيها! أتمنى ذلك" فمعاقبتها ستكون رادعا لغيرها كما يرى أحمد.

وتمنى محمدjan 23 قفل برنامج السناب "وصلو الى مرحلة لا يطيقها العقل البشري وبإذن الله برنامج السناب يتقفل نهائيا وتتلاشى هذه الأشكال"، في حين ألقت بنت الوطن jan23 اللوم على السوشيل ميديا" الله يلعن السوشيل ميديا حتى في هذه يصورنها!!طيب وش نستفيد!ضيعت ولدها وخربت نفسيته عشان شوية متابعين..." وجاءت استجابة فاطمة الفيلكاوي بتمني انقطاع النت عن البلد " يا رب يقطعون النت عن الديرة".

الذم والشتم:

بقدر تعاطف جمهور المتابعين مع الطفل كان غضبهم علىالأم (الناشطة)، إذ لم يكتف غالبية الجمهور بالاستنكار والتعجب من قيام الأم بهذا الفعل ، لكنهم ذموها وأخذوا يكيلون الشتائم لها ولفعلتها بألفاظ غير لائقة، نقرأ ذلك في استجابة RIDER.3d TREND"حقارة وتفاهة ورزالة. الحمد لله المعافي". وبيّن صاحب الحساب أن هذا التصرّف وحب الشهرة مرض Dietitian wasoofa.3d " الحمد لله والشكر ناس مرضى". في حين رأت أم دانة3d . أن هذا الفعليكشف غباء الأم فأكتفت بقولها "غباء" . وجاءت استجابة صاحب/ة حساب باسم O.N.3dعلى هذا التصرّف بقوله/ا: " قمة الحقارة والنذالة، بدل ما تهيئة نفسيا لسماع الخبر الحزين وتاخذه بالأحضان، قعدت اترزز قدام الكاميرا بدون اي مبلاه او اهتمام، والله ان الطفل ارحم وارق قلب منها".

ومن ذلك تعليق عبد الله jan23.الذي قال: "الله يلعنها"، وقال بدر: jan23. "الله ياخذ عمرها". وتمنى صاحب الحساب Dr.Turki أن تشل يدها"امك متوفية تروحي تصوري ردة فعل حفيدها سناب!اسأل الله يشل يدك ويفكنا منكم يا كلاب الشهرة". واكتفى أكثر المتابعين بقول حسبي الله ونعم الوكيل، كما جاء في استجابة عبد الله Abdullah..24 " حسبي الله ونعم الوكيل..والله وصلنا زمن يخوف وش القلوب الميته ذي"، وقال صاحب/ة الحساب جُ " حسبي الله عليها لهدرجة حتى هاللحظات صارت تتوثق وتنزلها بالسناب" متعجب/ة مما وصله الباحثون عن الشهرة. وبعض الاستجابات جاءت بالدعاءلأنفسهم بأن يقيهم الله شر ما ابتلى به غيرهم مثل تعليق jan23. "عسى اللي بلاهم بهوس الشهرة وموت الضمير يعافينا".

طلب العقوبة للأم

ولم يكتف البعض بذم الأم، لكنهم رأوا ضرورة معاقبتها على فعلتها، ووضع حد لمثل هذه الأفعال، ومن بين الاستجابات المطالبة بعقوبة الأمومحاسبتها استجابة محمد المعيدي.jan23 "حسبي الله عليك لازم هيئة الإعلام تضع حد لهؤلاء التافهين"، وتمنى ياسرjan23."أن تسحب على وجهها إلا الجهات الرسمية ويستضيفونها كم يوم، للأسف هاذي حرام تكون أم لأطفال أبرياء....يلزم تدخل حقوق الإنسان". والاستجابة ذاتها كانت من قِبل المتابع سعد آل سعد jan23." دقائق معدودة فيها كمية من الألم والقهر وموت الرحمة والضمير...نتمنى أن يكون هناك تدخل لحماية الأطفال وحماية مشاعرهم ورفض الاتجار بهم بأي شكل من الأشكال من باب الشهرة". وقالNsbeel-R" نأمل متابعة الموضوع".

طلب العذر لها

وفي المقابل جاءت استجابات بعض جمهور المتابعين متعارضة مع استجابات المتابعين الذين طالبوا بمعاقبة الأم، وذلك بطلب العذر لها ومسامحتها ومعرفة

ظروفها قبل لومها والمطالبة بإنزال أقصى العقوبة عليها كما جاء في استجابة نوف jan23. "اللي متابع هالإنسانة يعرف إنها غير متزنة نفسيا ومرت وتمر بظروف ما في احد يتحملها..ناهيك على إنها وحيدة برغم شهرتها..لننظر لهذا المقطع من باب الرحمة والشفقة أمها متوفيه ومستحيل ما تكون حزينة وموجوعة من داخلها..قليل من الرحمة لبعضنا ولنخفف عن بعضنا ضغوط الحياة"، وجاءت استجابة Sarah .jan24 مؤيدة ومتفقة مع استجابة نوف " للعلم..الطفل بحالة فقد هذي أول نقطة..ثاني شي أمه غلطت بس ما ازيد الموضوع وانشر بهالطريقة الي الطفل ممكن يقرأ الخبر..واصدقائه يقرون خبر والدته؟في اكثر من طريقة لحل المشكلة لكن ما تنحل المشكلة بمشكلة اكبر ويتم اتخاذ قرار عاطفي لكسب الجمهور والاستفادة من القضية والشهرة" لتظهر التعليقات تباين طرق تفكير الجمهور واستجاباته.

المطالبة بحذف مقطع الفيديو وعدم عرضه:

رأى عدد من المتابعين الذين تفاعلوا مع الفيديو، أن إعادة نشر الفيديو يخدم مصلحة الأم التي تبحث عن الشهرة ـ من وجهة نظرهم ـ ، وفي المقابل تضر بالطفل، تقول sarah : "وها تعتقد صحيح أنك أعدت نشر الفيديو؟ ما كان الأجدر من مكتب الطفل منع نشر الفيديو وحجبه؟ وبدل ما نعرض الطفل لفقد أمه لساعات حتى وإن كانت غلطانة وتعريضها لتحقيق وغيره بيضر الطفل نفسيا ما كان الأولى تحويلها للاستشارات النفسية الاجتماعية؟ يفترض حل مشاكل الطفل حل منطقي ما يكون عاطفي". جاءت استجابة هذه المتابعة بصيغةسؤال باللهة الخليجية.

أما سارة فقد رأت أن نشر المقطع يزيد من حجم المشكلة ويؤثر سلبا على الصبي، فهناك أكثر من طريقة لحل المشكلة " الطفل بحالة فقد هذي أول نقطة..ثاني شي أمه غلطت بس ما أزيد الموضوع وأنشر بهالطريقة إلي الطفل ممكن يقرأ الخبر..".

لا تعليق

اكتفى بعض جمهور المتابعين بكتابة (لا تعليق) عملابالمثل القائل : السكوت أبلغ من الكلام، جاءت هذه الاستجابة من N*UF.jan 23 "لا تعليق " وكذلك استجابة (أبو سليمانjan24.) " لا تعليق" مع ملصقات لوجوه غاضبة.

التناص

بعض المتابعين استحضروا مقولات أو أبياتا شعرية متداولة،إذ استشهد البندري jan24.بالشطر الثاني من بيت المتنبي الذي يقول فيه: لكل داء دواء يستطب به..... إلا الحماقة أعيت من يداويها، فقال:" إلا الحماقة أعيت من يداويها هذول مالهم علاج الا ان الجوال ينسحب منهم عادي عندها بكره تدخل السجن

وتطلع تفتح سناب وتشوف اذا المتابعين زادو أو لا". واستشهد الدكتور محجوب بشطر بيت للمتنبي يقول فيه:
أغاية الدين أن تحفوا شواربكم..... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم
Dr.Mahjoub" يا أمة ضحكت من جهلها الأمم!!! مشروع تجهيل هذه الأمة نجح بكل ما في الكلمة من معنى إنا لله وإنا إليه راجعون"، إذ يرى أن مواقع التواصل أداة لتجهيل الشعب باستخدامه من قبل من لا يحسن استخدامه.

استياء الجمهور من استغلال بعض الناشطين لوسائل التواصل الجماهيرية:

وجد بعض المتابعين في نشر هذا المقطع فرصة لإظهار استيائهم من بعض الناشطين، الذين يسيؤون استخدام هذه الوسائل، ويستغلونها بشكل غير لائق من أجل الشهرة، يقول المتابع محمد المعيدي3d. " حسبي الله عليك لازم هيئة الإعلام تضع حد لهؤلاء التافهين".
ويرى بعضهم أن الشهرة وحب المال وراء تصرفات لا يقبلها المجتمع والعُرف والدين إذ يرى ياسر" أن سلاتيح التواصل الاجتماعي اللي يسمونهم مشاهير كل شي يتاجرون فيه عشان يجمعون متابعين! حتى الحيوانات عندها مشاعر؟! هالنوعيات ايش جنسهم؟!"

الحوارات الجانبية(التفاعل الجماهيري):

نلاحظ دخول بعض جمهور المتابعين في حوارات جانبية، إذ يعلقون على استجابات بعضهم، كالحوار الذي دار بين صاحب حساب باسم عبد الإله علي و Hيقول عبد الإله علي jan 23" اللعنة على قلبها المتجمد..تبا لها" ، ليرد عليه صاحب/ة الحسابjan 23H" حسبي الله ونعم الوكيل شيء يقهر"
عبد الإله علي jan 23" منجد"
H jan 23" القلوب صارت قاسية حيل".

الإسقاط

أسقط بعض جمهور المتابعين ما يحدث على مواقع التواصل الاجتماعي على واقعهم الذي يعيشونه، فما يحدث في العالم الافتراضي من تجاوزات وإفلات من العقوبة إنما هو صورة عن الواقع وما يحدث فيه، يتضح ذلك من استجابة صاحب/ة التوقيعة التي تحمل صورة غصن زيتون " يا ليت فيه قانون يغرم المشاهير زي ما يصير مع اللاعبين والأندية كل مشهور ومشهورة لازم يدفعون ثمن ابتزازهم للمشاعر والله تصويرها ما شفته مع أحد؟! الناس توثق افراح وهذي توثق خبر وفاه امها ما فكرت بكرى بالمدرسة مع اخوياه ويكبر ولا يزال مقاطعه محفوظه؟!"، **ويرى ؟؟؟؟** أن الأمر لن يتعدى زوبعة في فنجان تختفي سريعا دون أي حساب أو عقاب " كل مره مشهور يطلع يسوي شي في قمة الغباء والسخافة والناس تتذمر...اسبوعين وكل شي يركد...لازم احد يجلدها" كون مثل هذه التجاوزات حدثت وتم التغاضي عنها.

وقد ذكّر هذا الفيديو بعض الجمهور المتابع بحادثة أو موقف مشابه تعرّض له فاستحضره كصاحبة الحساب باسم aldhu حين قالت:" تذكرت امي لما تقولي عن جدي نفس البجية والشهقة والحضنه الله لا يعوده من يوم".
وبعد دراسة استجابات جمهور المتابعين يظهر التفاوت في قوة الاستجابة والأسلوب وطريقة معالجة الموضوع المطروح، وقدرة الجمهور على تغيير الخطاب أو إعادة توجيهه، كما يظهر مستوياتهم الثقافية والاجتماعية.

أثر استجابات الجمهور

يهدف نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي من نشر خطاباتهم على اختلاف أنواعها إلى استقطاب وجذب أكبر عدد من المتابعين،فهذه الخطابات المباشرة تجعل" النص الأصلي على اختلاف أنواعه خاضعا للتشكل على مدار عمليتي الإنتاج والتلقي، إذ يمارس الجمهور دورا متواصلا في تشكيل الخطاب وتوجيهه"[32]. أو رفضه كاستجابات جمهور المتابعين قيد الدراسة لمقطع الفيديو ، وقد تمكنت استجاباتالجمهور المتابع المستنكرة لهذا المقطع النفاذ إلى الجهات المسؤولةوإيصال رأيها وإرغام الناشطة على حذف المقطع والتغيّب عن حسابها على سناب شات، واتخاذ إجراء فوري ضدها من مكافحة الجرائم الالكترونية، باستدعائها من قِبل هيئة حماية الطفل كما جاء في الخبر الذي نشر على حساب شرطة المشاهير.

32.مبادئ البلاغة..كيف نطوّع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة، بلاغة الخطاب السياسي، عماد عبد اللطيف، منشورات كلمة، تونس، ط1، 2016، ص71.

المصادر والمراجع

1. استثمار علوم اللغة في تحليل الخطاب الإعلامي، بشير إبرير، مجلة اللغة العربية، ع23، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر، الجزائر.
2. إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، عماد عبد اللطيف، مجلة خطاب، العدد: 14.
3. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، 2005.
4. بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي، عماد عبد اللطيف، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد6، يناير.
5. بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، منهجيات دراسة الجمهور، عماد عبد اللطيف، دار شهريار، البصرة، ط1، 2017.
6. بلاغة الخطاب السياسي ، مبادئ البلاغة..كيف نطوع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرةعماد عبد اللطيف، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2016 .
7. بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، عماد عبد اللطيف، جامعة القاهرة، 2005.
8. تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، عماد عبد اللطيف، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العددان 83-84، خريف – شتاء 12/ 2013،.
9. الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، لويس دللو، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1982.
10. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد، ط1، لبنان، 2008.
11. خطاب الثورة السورية من بلاغة المتكلم إلى بلاغة الجمهور، حمو الحاج، ذهبية، موقع الكتابة، http://alketaba.com/خطاب-الثورة-السورية-من-بلاغة-المتكلم-إ/
12. الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2010.
13. الصورة في الخطاب الإعلامي ـ دراسة سيميائية في تفاعل الأنساق اللسانية والأيقونية، إبرير بشير، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص

الأدبي"، مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2008.

14. الفلسفة والبلاغة، عمارة ناصر، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.
15. فنيات التحرير الصحفي، ساعد ساعد، دار الخلدونية، الجزائر، ط2، 2009.
16. فنية وفاعلية العلامات في الخطاب الإشهاري: دراسة سيميائية لتفكيك الخطاب الإشهاري، فتحية العقاب، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع: 3 سبتمبر، 2014.
17. لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، عماد عبد اللطيف، دار العين للنشر، القاهرة، 2009.
18. مبادئ البلاغة..كيف نطوّع البلاغة الكلاسيكية لدراسة الخطابة المعاصرة، بلاغة الخطاب السياسي، عماد عبد اللطيف، منشورات كلمة، تونس، ط1، 2016.
19. مدخل إلى سيمياء الإعلام، جوناثان بيغنل، تر: محمد شيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، 2010.
20. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، جميل حمداوي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2014.
21. نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي بين التأثير الإيجابي وتخدير العقل الواعي، عثمان مرزوق، موقع هسبريس
22. https://www.hespress.com/opinions/384019.html
23. https://mobile.twitter.com/AhmadAimaimoni

بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.

عبد الكبير الحسني
جامعة السلطان المولى سليمان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
بني ملال- المغرب

تقديم

لم يكن سهلا على الدراسات الحديثة في مجال البلاغة أن تتطور بالشكل الذي هي عليه اليوم لو لم ينتبه الباحثون إلى مسألة إعادة طرح الأسئلة الجوهرية التي تختص بالوسائل و الوسائط المتدخلة في مسألتي التأثير و الإقناع، اعتبارا أن كل خطاب بلاغي هو في الأصل محاولة لاستمالة الجمهور و التأثير فيهم، و أمام ذلك تصبح كل الطرح و الاستراتيجيات متاحة لبناء نسق توافقي يجمع بين عنصري العلاقة التواصلية، و تلعب اللغة هنا دورا محوريا لأنها تمثل الوسيط الذي من خلاله تتجسد تلك العلاقة و تبنى مقوماتها الجوهرية ، فلا يمكن أن نرسم مسارا تواصليا دون الارتكاز على مكون اللغة التوافقي لأنها تنقل كل التفاصيل الممكنة عن ما نفكر في توصيله و محاولة إسقاطه على ذهن المخاطب.

و ليس سهلا أيضا أن نفكر اليوم في مسألتي التأثير و الإقناع على اعتبار أنهما مرا عبر مجموعة من التحولات المعرفية الكبرى منذ أرسطو إلى اليوم ، و هي التحولات التي يمكن أن نعتبرها مهمة للغاية بالنظر إلى كونهما من المرتكزات الجوهرية و الأساسية للبلاغة بشكل عام، إذ لا يمكن الحديث عن أي نوع من أنواعها دون أن تكون الغاية هي التأثير و الإقناع، و ربط ذلك بمجال اللغة دفع بالقول إن المخاطب يوظف كل إمكاناته اللغوية من سلاسة في الأسلوب و حضور الشخصية القوية و توزيع النظر على الجمهور ...من أجل أن يستميلهم و قيادتهم نحو الهدف الذي هو الإقناع.

في مقابل ذلك يمكن أن نسائل البلاغة بشكل عميق و نقول : هل بناء مسار التأثير و الإقناع يحمل على ما يجري من تفاصيل اللغة، أم أن ذلك يرتبط بمقومات أخرى لها علاقة بقدرة الإنسان على قراءة و تأويل ما يجري في أذهان الجمهور؟

انطلاقا من هذا أحاول أن أدفع نحو الافتراض أن تحقيق التأثير و الإقناع لا يرتبطان باللغة فقط ، بل إن الأمر يتجاوز ذلك نحو أن أي عملية من هذا النوع ترتبط بقدرة الإنسان على قراءة ما يجري في ذهن المتلقي ، و هي خاصية إنسانية لا تملكها الحيوانات الأخرى بحكم أن قارئة سلوك، و هي محاولة لتطوير

فكرة أننا نتواصل من أجل أن نؤثر في الأخر، و كل تواصل ناجح هو في الأصل توافق على نقط مشتركة لها صلة بمسألتي الإفهام و القصدية.

1- طرق إنتاج لغة السلطة

لا أريد أن أخوض في السياق التاريخي للبلاغة، ولا أريد أن أمارس التأريخ لها، لكني أسعى إلى اقتطف بعض الملاحظات التي وردت عند الكثير من البلاغين العرب و غيرهم، وهي الملاحظات التي أعتبرها تدخل في باب المتفق عليه بين الباحثين حتى أوفر على نفسي عناء الاتهام بإقصاء البعض على حساب الأخر، فقد أسس الدكتور عماد عبد اللطيف مشروعا بلاغيا يستهدف باب بلاغة الجمهور المؤسسة على التأثير والتأثر، بمعنى أنها خطاب يقوم على هدف التأثير في المتلقي بصرف النظر عن وسائل المستخدمة في ذلك و درجات تحقيق ذلك، بمعنى ضرورة تأسيس هذا النوع من البلاغة على مفهوم الأثر، و الأثر هنا أنواع وأشكال تتداخل فيه مقومات عدة ترتبط بالمقام و السيّاق و طبيعة المتلقي[1] ، وهو الأمر الذي يهمنا بشكل كبير، خصوصا أن فكرة الأثر شكلت، في نظرنا، جوهر حدوث البلاغة كتوجه معرفي له مسار طويل امتد منذ أرسطو إلى اليوم، فلو تقصينا قليلا مرامي البلاغة لوجدنا أنها السعي إلى التأثير في المخاطب بتوظيف كل الأساليب الممكنة، المهم أن فعل التأثير غاية كبرى من أنتاج الفعل في حدّ ذاته، ونحن نعلم أن مسألة التأثير لا يمكن تحصيلها هكذا، بل من أجل الوصول إليها يجب المرور عبر الكثير من المراحل التي تختلف من شخص لأخر، وهو الاختلاف الذي يجعلنا نقتنع ببعض و لا نقتنع ببعض أخر، لكن في مقابل ذلك سواء نجح الفعل أو لم ينجح فإن غاية كل واحد هو الوصول إلى أعلى درجات التأثير والإقناع، على الرغم من صعوبة تحديد مقياس ذلك بسبب الوجه الاحتمالي للخطاب في حدّ ذاته.

عندما نركز الاهتمام على المشروع البلاغي الذي قاده الدكتور عماد عبد اللطيف سندرك أن فكرة دراسة الجمهور دفعته إلى النظر في الكثير من الخطابات التي لا يهمنا منها إلا الجانب اللغوي في الخطاب السياسي، هو الخطاب الذي فرض نفسه بشدة لأنه يمثل النموذج المعيار الذي تتوحد فيه كل معاني المواجهة بين الخطيب مع الجمهور ، بل إن قوة التلاحم بينهما تتجسد في كثير من الأحيان من خلال قراءة قوة التأثير و التأثر من جهة، و من جهة أخرى رصد الوسائط التي تدفع نحو بناء جسور الإقناع بين الطرفين، على الرغم من التأكيد المسبق : "أن اللغة السياسية صممت خصيصا لكي تجعل الأكاذيب تلبس ثوب الحقائق، و لكي تقتل ما هو جدير بالاحترام" (جورج أورويل).

---

[1] للتوسع أكثر يرجى العودة إلى كتاب سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري لمؤلفه إدريس جبري، منشورات مجلة البلاغة و تحليل الخطاب ، ط 1 ، (2019)

إن إنتاج اللغة داخل الخطاب السياسي يتدحرج بين الوعي بالخطاب و الوعي بما يقع على الجمهور من تداعيات التأثير ومتطلبات الإقناع، فبؤرة الخطاب هي أن تفرض اللغة سلطتها على الجمهور بحيث أنها تتحول في صياغة المعنى من منطق الصدق إلى منطق التدليس و التمويه و المراوغة، و هي تداعيات تعطينا نتيجة عن طبيعة الفئة المستهدفة، فكل عشيرة لغوية تفرض خطابا معينا و تساهم في تشكيله من خلال الرصد الدقيق لحجم التفاعل المبني على عنصري التأثير و التأثر ، فلا يمكن أن نتصور أن خطابا سياسيا بلغة معينة يمكن أن يسقط على الجميع، أو نفترض أنه صالح ليتقبل عند الجميع بالحمولة نفسها، و هذا كفيل بأن يقدم لنا دليلا أنه لكل فئة اجتماعية سياق لغوي يناسبها و يناسب احتياجاتها، لذلك يمكن أن نساير الطرح الذي يؤكد أن اللغة تساهم بشكل كبير في إدماج الجمهور في إطار النظام السائد عبر تشكيل يرسم لهم خارطة طريق للكيفية التي يجب أن يكون عليها وعيهم و شخصيتهم و نمط تفكيرهم، ليبدو لنا سلوك الأفراد كما لو كان نابعا من إرادة حرة في حين أنه مقيد بإديولوجيا خفية قد لا يعيها الإنسان في أقصى تقدير للمسألة، والأخطر في المسألة أن أي مسّ بها يصادر بمقاومة و نضال اعتقادا منهم أنها تمس مصلحتهم الشخصية، و لن تجد سلطة أخطر من اللغة لكي توصل الجمهور إلى هذا المستوى الكبير من التأثير، ولكي تؤدي اللغة هذه الوظيفة يجب أن تؤسس على مجموعة من المعطيات منها ما يعلن عنه صدقا ومنه ما يظل خفيا يضمر في ما نسميه "المعنى الثالث" الذي لا يصرح به بشكل علني.

2- أوجه إنتاج اللغة و تداعياتها.

تلعب اللغة دورا خطيرا في التعبير عن أفكارنا و تصوراتنا، هي القالب الذي نفرغ فيه عالمنا و نؤوله، إذ لا يمكن أن نتصور عالمنا بدون وسيط اللغة الذي يمثل في نهاية الوجه الذي نحن عليه، اعتبارا أن كلّ ما نعبر عنه من أفكار ومدارك و تصورات هي حياتنا اللغوية المستقاة من تجربتنا مع الأخر ومع المحيط اللغوي الذي ننشأ فيه، فنحن مفطورون أن نتعامل مع الأخر، مفطورون أن نتواصل مع المحيط الذي ننمو داخله، مع المحيط الذي زودنا بكل التفاصيل التي تخص عوالمنا اللغوية الخاصة، لذلك فمن الممكن جدا أن تكون هذه المعطيات بداية جيدة لما نتصوره ضروريا في أنتاج اللغة، اعتبارا منا أن إنتاجها لا يأتي هكذا دون خلفيات تؤسس للعملية و تهندس لها، لمجرد أن يكون الإنسان مفطورا بالتعامل مع الأخر فهذا كفيل بأن يكون الأخر هو المساهم الحقيقي و الفعّال في إنتاج اللغة، وإذا ما تم ربط إنتاج اللغة بالأخر فإنه يفرض سلطته حيت ندري أو لا ندري، لذلك فهي سلطة مترامية فينا بالقوة والفعل، وعلى الرغم من الصعوبة التي قد نصادفها في وضع المعايير المضبوطة لقياس درجة حضور هذه السلطة، إلا أننا نملك في مقابل ذلك الكثير من المؤشرات التي تجعلنا قارئين

جيدين للنوايا والتصرفات والسلوكات، فما يصدر منا من ذلك هي كاشفات لما يدور في أذهاننا، وهي أمر نعلم أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على فعل ذلك بالمقارنة مع باقي الحيوانات الأخرى، اعتبارا أن تواصلنا مع أطفالنا لا يتم باللغة بقدر ما يتم بالقراءة الجيدة لما يدور في الذهن، وهذا وحده كفيل بأن يجعل الإنسان قارئ أذهان في حين أن الحيوانات هي قارئة سلوك.

تدفعنا هذه الفكرة نحو طرح أسئلة جوهرية و دقيقة هي: هل فعلا نتواصل باللغة؟ وهل ما ننتجه من لغة كفيل بأن يحقق التواصل؟ نستثمر للإجابة عن هذه الأسئلة نظرية الفضاءات الذهنية كما وردت عند فكونيي (faucaunier) الذي أكد أن حجم اللغة التي ننتجها لا يتوازى مع حجم اللغة الذي يظل في أذهاننا، فحجم اللغة الذي يمكث في أذهاننا كثير بالمقارنة مع ما نصرح به. و هو الأمر نفسه الذي دعمه تشومسكي عندما أكد أن المبررات التي تقدم كدليل على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل هي مبررات غير كافية لإثبات ذلك، فهناك الكثير من اللغة يظل في الذهن دون التمكن من إصداره في صورة تراكيب لضرورة معينة، وهو الأمر الذي يمكن أن ندعمه بكون الإنسان لا يستطيع أن يصرح بكل ما يفكر به، فهو ينتقي من معجمه الذهني ما يناسب المقام، اعتبارا لمجموعة من الإكراهات التي تحول دون فعل ذلك، فلو كانت اللغة تسعفنا في قول كل شيئ لما أنتجنا من داخل عبارات ماذا تقصد؟ وماذا تعني؟ وماذا تريد أن تقول؟....فلو كانت الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل لما أنتجنا مثل هذه العبارات التي أعتبرها وسائط مساعدة على الفهم، ومساعدة على إنجاح العملية التواصلية، ففي نهاية المطاف نحن لا نتواصل بقدر ما نحقق توافقات قصدية تبنى على الفهم والإفهام، لذلك يجب أن نبحث في التواصل عن المعنى الثالث الكامن في الذهن ولا نستطيع أنتاجه في صورة لغة لأسباب لها علاقة بطبيعة الأخر أو بالمحيط أو بشروط المقام أو بإكراهات نفسية أو شعورية لأسباب نعلم منها القليل و نجهل فيها الكثير، المهم أن أنتاج اللغة في نظرنا يخضع لمصفاة ذاتية و رقابة مقامية تفرض علينا أن نختار لكل مقام المقال الذي يناسبه و اللغة التي تفي بغرض التواصل لكي نحقق بعضا منه دون أن ندّعي أننا نحقق ذلك بكل المقاييس التي نتوخاها ونرجوها. فنحن لا نتواصل في الوقت الذي نعتقد فيه أننا نفعل ذلك.

أمام كل هذه الإكراهات التي تحدثنا عنها فإن حديثنا عن إنتاج اللغة وفق معايير خاطئة غالبا ما سيقود تحليلاتنا إلى نتائج خاطئة، و إذا ما نحن سايرنا الخطأ فإننا سنسقط في التحاليل المبنية على التأويل و ليس على التحليل العلمي الذي ينسجم مع المنطق، لذلك فحجم التنظير الذي أنتجته البلاغة كبير جدا لدرجة أنها ظلت مهووسة بدراسة المقام و المقال و القصد و الإفهام والخطيب والخطاب .... في محاولة منها تقريب لتأويل ما يجب أن يكون عليه الحال، ونحن إذ لا ننفي توجه البلاغة في زمن من تاريخ الفكر اللغوي نحو البحث في القصد والإفهام، فهي في

الوقت نفسه فتحت الباب أمام قراءة ما يدور في ذهن المتلقي ، فتحدثت عن خالي الذهن من المعلومة، و تحدثت عن شروط المقام، ومحاولة إفهام المتلقي....المهم الكثير من التعابير التي تسير وفق هذا المسار، بمعنى أن البلاغة تشكل أرضية خصبة لإنتاج نظرية معاصرة تبحث في المعنى الثالث الذي يجعلنا متأكين أن المخاطب خالي الذهن من المعلومة، و تجعلنا على يقين أن الإفهام و الفهم حصلا ...فكل ما تم التأكيد عنه لا يغدو سوى تأويلات تفتقد للمبررات الواقعية للحكم على ما يجرى في أذهان الأخرين، بمعنى أخر تم بناء نظريات كثيرة في البلاغة العربية على التأويل و ليس التحليل المنطقي الذي ينسجم مع العلم، و رغم أننا نقر أنه من الصعوبة فعل ذلك لاستحالة تحويل أدمغتنا إلى مختبرات للتجربة العلمية، إلا أنه من الممكن جدا استثمار الكثير من الوسائط لتحليل ذلك، و ما اللغة إلا واحدا من تلك الوسائط التي يجب أن نرصد سلوكاتنا اللغوية من خلال ما نعبر عنه من أفكار و تصورات ، مما يفرض علينا إعادة النظر في المشروع العام الذي بنيت عليه البلاغة الذي هو التأثير و التأثر و دور اللغة في إيصال المخاطب إلى أعلى درجات الإقناع، بسبب أن ما ننتجه من اللغة غير كاف لبناء ذلك، فاللغة تعبير عن عجز و لا تعبر عن قوة.

وفق ذلك يمكن أن نؤكد أن إنتاجنا للغة محكوم بشروط، وتداعيات ذلك لها صلة بنتائج مخرجات الأنساق التواصلية، بمعنى أننا محكومون بسلطة خفية تظهر ملامحها بجلاء من خلال سلطة اللغة التي تكرس العديد من التصورات والمفاهيم بشكل خطير عبر إقناع الجمهور به وتكريس حضوره في كل المجالات والقطاعات، ولك أن تنظر إلى الطريقة التي توغل فيها مفهوم "الإرهاب" إلى ذهن الجمهور بالتصور الذي أريد له به، و لنا أن نستحضر كيف سيطر مفهوم " القاعدة" على الساحة السياسية الدولية خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، لدرجة أنه لا يمكن أن نمرّ على وسيلة إعلامية دون أن يقع على مسامعنا صداه، ولنا أن نستحضر كيف يروج مفهوم الداعشية في وسائل الإعلام الدولية، وكيف أنه تحول من مفهوم يحيل على حركة معارضة بتوجه إسلامي متشدد إلى مفهوم يحيل على التشدد والغلو في الأمر، فعندما تنتج عبارة من قبيل: (أنت داعشي الفكر)؛ (دعني من داعشيتك)؛ (تطلعك للحياة داعشي المذهب).

ونحن إذ لا نناقش هذه المحتوى العام لهذه الحركات، فنحن نخصص منها المفهوم في حدّ ذاته و كيف توغل فينا و في معجمنا بشكل لم نتصوره للحظة، و حتى إن وعينا بالأمر فإننا لا نملك إلا أن ننحني أمام سلطة حضوره حتى يمرّ ، بمعنى أن توغل هذه المفاهيم داخل معجمنا المتداول يعدّ سلطة لغوية قوية جدا، رغم معرفتنا أن هذه السلطة تُدعّم بالعديد من الوسائط و الوسائل التي تدفع به نحو الحضور المستمر في حياتنا اللغوية، بل إن المسألة تتطور بشكل يجعل منها

مفاهيم سيّارة[2] متحولة من حركات معارضة إلى معاني محيلة،و هذا وحده كفيل بأن يجعلنا نقف للحظة لكي نتأمل هذا التوغل و نستوعب الطرق المؤدية إلى إنتاجه و تسويقه.

3- دور اللغة في الكشف عن المعنى الثالث

كتب كوستاف لو بون كتابا عنونه ب سيكولوجية الجماهير تحدث فيه أن علماء النفس، ومن بينهم فرويد، أنه بمجرد أن ينخرط الفرد في الجماعة حتى يكتسب سماتهم ما كانت من خواصه من قبل، أو لنقل إنها كانت موجودة و لكنه لم يجرؤ على البوح بها أو التعبير عنها، وهذا كفيل بأن يجعل المنهج المطبق على دراسة الفرد يجب أن يكون مختلفا عن المنهج المطبق على دراسة الجمهور[3]. لكن من الممكن أن نستثمر مفاهيم اللاوعي الفردي في دراسة اللاوعي الجمعي، و على الرغم من معرفتنا أن فهم الضمير الجمعي يمر عبر بوابة الضمير الفردي باعتباره جزءا من البنية العامة التي تؤسس لنظام الجماعة، و الحقيقة أن ما يهمنا في المسألة ليس البحث في طبية اللاوعي الذي يتحكم في الفرد أو الجماعة، لكنني أريد أن أنبه إلى مسألة مهمة جدا هي سلطة الجماعة على الفرد في مسألة أنه لا يستطيع أن يصرح بما يخالف الجماعة، و إذ نتحدث عن التصريح هنا ، فإننا نخصص ذلك بما يتوافق و العمليات المتدخلة في التواصل، بمعنى أن غير المصرح به هو المعنى الثالث الذي يظل في منطقة هناك داخل الذهن، و عندما نقول هناك موانع تحول ذلك فهذا يعني أن الكثير من اللغة يظل في الذهن و لا يصرح به وفق سلطة يفرضها الجمهور على الفرد، لأن مبدأ القوة يرجح كفة الجمهور على حساب الفرد، وهنا يمكن أن نفتح بابا لمناقشة المعنى الثالث باعتباره جزءا خفيا في العمليات التواصلية.

انتبه الدكتور عماد عبد اللطيف في الكثير من الأبحاث إلى فكرة بلاغة الجمهور، و هي الفكرة التي راودت الكثير من أعماله، مؤكدا أن المواطن العربي يتلقى يوميا العديد من الخطابات الدينية و سياسية و إعلامية بتوظيف مجموعة من الوسائط من إعلام و لافتات و مواقع الاجتماعية عبر الشبكة العنكبوثية و وسائط إذاعية مسموعة ....والأكيد أن حجم القصف اليومي يفوق كل التصورات، اعتبارا أن قيادة الجمهور تتطلب توظيفا مكثفا للحجج التي تساعد على الدفع بهم نحو الإقناع، ولكي تقنعهم يجب أن التأثير فيهم بشكل قوي عبر استمالة عواطفهم وأحاسيسهم و جعلها مطاوعة للهدف المتوخى، ومن المهم أيضا أن نؤكد أن الكاتب اتجه نحو بناء بلاغة جديدة فيها اجتهاد كبير مبني على منطلقات علمية و معرفية مهمة، مما دفعه نحو قراءة جديدة للبلاغة عبر تصنيفها وفق مداخل

---

[2] نقصد بالمفاهيم السيارة تلك المفاهيم التي تنتقل من حقل معرفي إلى حقل معرفي أخر مع الحفاظ على الكثير من الخصائص و مواءمتها مع الحقل المعرفي المتقبل، و هي مسألة واقعة في العلم و المعرفة.

[3] يمكن التوسع في المسألة من خلال العودة إلى مؤلف : سيكولوجية الجمهور لكاتبه غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صلاح، منشورات دار الساقي، و الصادر سنة 1991.

تراعي ثلاثة أصناف أساسية هي أولا: المادة التي يختص التوجه البلاغي بدراستها، ثانيا الموضوع الذي يعالجه التوجه البلاغي، ثالثا الوظيفة التي يسعى التوجه البلاغي لإنجازها،باعتبار أن كل هذه الخطوات ذات بعد إجرائي فقط ، و قد عالج الكاتب كل صنف من الزاوية التي يستهدفها التحليل العام للبلاغة العربية، لكن ما استخلصه أن الثلاثي المقترح في التصنيف يستجيب للعلم بكافة اختصاصاته ، فلو أخذنا الرياضيات أن المنطق أو الفيزياء ...كلها تميل إلى العلمية لأنها تقوم على عنصري المادة و الموضوع من جهة، ومن جهة أخرى وظيفة هذا العلم داخل كل مناحي الحياة، وأن ندخل البلاغة في هذا الباب هذا أمر يجعلها قريبة من العلم و من الحقيقة والمنطق، إلا أن كل التعاريف التي تقدم للبلاغة، في حدود ما أدركه، هي خطاب احتمالي، و الاحتمالية هنا ضرب من عدم اليقين، بل يجعلها تقوم على تأويل ما قد يقع على مستوى ذهن المخاطب، بمعنى أكثر ظام مبدأ الاحتمالية يؤسس له عدم قدرتنا على رصد ما يدور في الضمير الجماعي أو الفردي لصعوبة تحويل أدمغة الجمهور إلى مختبرات للتجارب و الدراسة و التحليل، إضافة أن الإنسان يملك قدرة على قراءة ما يدور في ذهن الغير بناء على القراءات أو الإسقاطات التي يستنتجها من خلال رصد سلوكات الأخر، و الأكيد من كلّ هذا أن الإنسان يضمر الكثير من المعطيات التي تتخذ طابعا لغويا من جهة، و من جهة أخرى طابعا مرتبطا بالمشاعر والأحاسيس و الرغبات و المكبوتات التي لا يستطيع التعبير عنها و لا التصريح بها لشروط لها صلة بالمقام أو السياق أو الظروف و الملابسات المحيطة به، مما يدفع نحو التأكيد أن المعنى الثالث الذي يظل راسخا في أذهاننا هو من يجعل من البلاغة خطابا احتماليا و ليس علميا بالمقاييس التي يتطلبها العلم، خصوصا إذا ما تأملنا أن تحريك الجمهور نحو مسار معين سياسي أو ديني أو رياضي يصطدم دوما بإكراهات أو ترسبات موروثة عن الجماعة التي تعتبر الحاضن الأول للفرد اجتماعيا قبل أن يتوسع وعاء الشراكة ليشمل المدرسة و الشارع و الأصدقاء و الإعلام...فكل جزء من هذه المكونات يحاول السّيطرة على الجزء الأخر من خلال فرض سلطة معينة عليه، إلا أن الأخطر في المسألة هنا أن حتى لو انخرط الفرد في توجه الجمهور فهذا لا يعني أنه فرد مهادن و مستسلم بالمرة، بل من الممكن أن يثور على ذلك في أي لحظة من اللحظات، أو لنقل هو يستغل مكونات المعنى الثالث الكامنة في ذهنه كسلاح للتفاوض على مطالب أو مكتسبات، أو يصدّ بها كلّ تهديد يستهدف مخزونه الفكري أو العقدي أو السياسي....

4- من بلاغة اللغة إلى بلاغة الذهن

منذ ظهور البلاغة و هي تسعى إلى فرض السيطرة على الأخر، باعتبارها أداة فعالة يستطيع كل من يطوع أساليبها في فرض سلطة على الآخرين، و قد أوضح

"جورجياس" ذلك عندما أكد أن هؤلاء يستطعون إقناع الآخرين، لأنهم يمتلكون مهارة الكلام - بل إنهم يستطيعون تسخيرهم لخدمتهم.
حقيقة أن الذين يعرفون كيف يتكلمون لهم سلطة خفية يمارسونها على الجماهير ، و هي سلطة ممنوحة من خلال القراءة الجيدة لأذهان الجماهير ، و مهمة صعبة و لا يمكن أن تتاح لأي أحد، بل هي مهارة تنمى و تتطور و تنسج وفق ملابسات لها علاقة بالقراءة الجيدة لسيكولوجية الجماهير و متابعة كل التغيرات التي تطرأ بين الفينة و الأخرى، و من الصعب جدا أيضا أن تسيطر على أذهان الجماهير دون أن تمتلك حسهم و تشعر بما يشعرون به، فلا يمكن أن نتصور أن يصل المتكلم إلى أعلى درجات التأثير إذا كان لا يمثل الضمير الجمعي للجماهير، و هي بلاغة أعتبرها من جزءا مهما يؤسس لتوجه جديد في الدراسات المعرفية، على اعتبار أن المرجع الأساس لهذا التوجه يقوم على اعتبار البلاغة المعرفية مرجعا أساسا لبناء فرضية القراءة الجيدة للذهن البشري، إذ يمكن أن نفصل بين البلاغة اللغوية كما طرحت منذ أرسطو حتى لبرمان ، و بين بلاغة الحجاج كما طرحت مع ديكرو و أبو بكر العزاوي، و بين البلاغة المعرفية كما أتصورها باعتبارها تتجاوز اللغة نحو الذهن، بالنظر أن اللغة في هذا المستوى تعتبر وسيطا فقط نستطيع من خلالها الطرق التي يشتغل بها الذهن البشري، بمعنى أننا نعتبر جزءا من الوسائط التي نستخدمها للوصول إلى قراءة جيدة للذهن البشري، و مادام أن هذا الأمر لا يمكن أن يتاح للجميع، فإن الذي يستطيع فعل ذلك يجب أن تتوافر فيه العديد من الشروط الضرورية و الكافية التي تجعله ينتقل تدريجيا من بلاغة اللغة إلى بلاغة الذهن، و إذا أمكننا أن نساير هذا الطرح، فإن مقتضيات البناء المنهجي لهذا النوع من البلاغة يجب أن يستحضر دوما أن حدود اشتغال بلاغة الذهن البشري تقف عند حدود قراءة ما يجري في ذهن الأخر مستخدما في ذلك كل ما يتاح أمامك من مؤشرات و ملامح و وسائط لغوية أو غير لغوية ....بالنظر أن الذي يُجمّع كل هذه المعطيات يستطيع في الوقت نفسه أن يكون قارئا جيدا للذهن، لذلك نستطيع أن نجزم أن المتكلم الذي يستطيع أن يسيطر على الجماهير هو المتكلم الذي يقرأ جيدا ما يجري في أذهانهم، و نحن نؤكد أنه يستثمر في ذلك كل المعطيات المتاحة، لتكون اللغة أحد هذه الوسائط التي يتم استغلالها بشكل جيد لتمكينه من إسقاط فعل السيطرة و جعلها أمرا محققا، فاللغة وسيلة و ليست غاية، و الغاية هي تحقيق التوافق العاطفي بين متكلم "انتهازي" وجمهور "ضحية" مع حفظ القيمة المعنوية لكل واحد منهما.

خاتمة

حاولت في هذا البحث أن أضع المشروع الذي قدمه الدكتور عماد عبد اللطيف على طاولة النقاش والتساؤل من بوابة الاستفادة مما توصل إليه في تأسيسه لبلاغة الجمهور، ومحاولا في الوقت نفسه أن أنتقل بهذا المشروع من بلاغة اللغة

إلى بلاغة الذهن، وأقصد هنا أن السلطة التي يمارسها المتكلم على الجمهور لا تقف عند حدود اللغة "فقط"، بل أتصور أن ما يجعل المتكلم في هذه الصورة هي قدرته على قراءة ما يجري في ذهن الجمهور مستثمرا في ذلك كل المعطيات التي تجري أمامه، فهو يجمع بين الخطيب الذي يلقي كلامه بواسطة اللغة وبين محلل طبي ونفسي وبيولوجي لما يجري في أذهان الجمهور، وهي معطيات تشخيصية لا يمكن أن تتاح إلا متكلم يملك شروطا ضرورية و كافية.

لائحة المراجع و الصادر

- عماد عبد اللطيف (2006): بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته. ضمن الندوة الدولية الثامنة التي أقيمت إيام 24-25 نونبر 2005، بكلية الآداب و الفنون بالقاهرة.
- عماد عبد اللطيف (2012): اللغة و الثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أورويل، مجلة نزوى ، العدد 69.
- عبد الكبير الحسني (2018): الحجاج في اللسانيات العربية الحديثة، ضمن كتاب الحجاج، عن منشورات الرسالة، الجزائر .
- عبد الكبير الحسني (2018):آليات بناء الحجاج: من اللغة إلى الذهن، ضمن مجلة روابط ، منشورات جامعة العربي التبسي، العددان الأول و الثاني (مزدوج).شتنبر .
- عبد الكبير الحسني (2017): مستويات الخطاب المعرفي: المعنى و التأويل و الثقافة، ضمن مجلة سياقات ، العدد السادس، أغسطس.

فلسفة الحوار تأسيس لبلاغة الجمهور
في كتاب البلاغة والتواصل لعماد عبد اللطيف

الدكتورة : نعيمة سعدية.
جامعة بسكرة الجزائر

"إن أول التجديد هو قتل القديم فهما"[1]

تمهيد

تعرف الساحة النقدية الحديثة والمعاصرة، تدافع الكثير من المناهج الدارسة للنص الأدبي وذلك بسبب الانفتاح على الآخر وثقافته، وتوجه الكثير من النقاد إلى ترجمة المناهج النقدية الغربية وتطبيقها على النص الأدبي، كما أصبح يُنظر للدراسات النقدية التراثية، بوصفها بعيدة كل البعد عن معايير المعاصرة، على اعتبار أنها لم تعد تلبي حاجات النص الحاضر، مما يستدعي نقل وتبني مفاهيم وتيارات جديدة . وهذا ما أدى إلى صياغة رؤًى نقدية جديدة و ميلاد عصر نقدي جديد يسلم بضرورة التحول والانتقال في الممارسة النقدية، بزعزعة تلك الثوابت الراسخة المتعلقة بالنص الذي كان إلى عهد غير بعيد يعد مستودعا للمعاني الجاهزة، ليعاد النظر في مفهومه وفي كيفية القراءة النصية النقدية التي تحولت من قراءة أفقية سياقية إلى قراءة عمودية نسقية تحاول سبر أغوار النص.

هل استطاع الباحث الدكتور عماد عبد اللطيف أن يقارب كيفية مواجهة النص السياسي والإعلامي؟ كيف جسد بلاغة الجمهور؟؟ كيف لهذه البلاغة أن تفعل في الخطاب على تعدد أنواعه؟.

مقاربة موضوع بلاغة الجمهور يحتاج لسبر أغواره وفق قواعد المقاربة سوسيو-إدراكية؛ إذ"وتفرض المقاربة السيسو إدراكية إن معظم الأشياء السابقة تكون إشكالا منمذجة في التفاعل الذي يكون في المبادئ الحساسة لتحكم المتكلم، ولكنها في الممارسة تكون لا شعورية، التحكم في الغالب والتصنيفات الأخرى، مثل صيغ الكلمات والعديد من أبنية الجمل تكون ذات قواعد إلزامية وثبات سياقي ومن ثم فهي في العادة ليست موضوعا لتحكم المتكلم، والقوة الاجتماعية وتقترح المقاربة السيسو-إدراكية علاوة على ذلك ست خطوات للتحليل:

- تحليل البنيات الكبرى السيميائية (الموضوعات والافتراضات).
- تحليل المعاني المنطقية التي تكون في العديد من الصيغ سواء أكانت مضمنة فيها أو صريحة، مثل التضمينات والافتراضات والإيماءات، والغموض، والحذف، والاستقطاب في النص التي تحظى باهتمام خاص.

---

[1]- جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص121.

- تحليل أشكال البنيات الماكرة: وهنا معظم الملحوظات اللسانية تندرج في التحليل
- تحليل الصيغ والقياسات المحلية والعالمية في الخطاب.
- تحليل الإدراكات اللسانية المخصوصة على سبيل المثال المبالغة و التعبير بالموجب قصد النفي.
- تحليل السياق"[2].
ويكاد يكون النهج ذاته الذي اتبعه الباحث في معظم مؤلفاته، يقارب الخطاب-قيد الدراسة-، ببحث قضايا السياق والتأثير، والتثاقف، وفق ما تسمح به البنيات الكبرى والصغرى في الخطاب مهما كان نوعه، وقد تأسست دراسة الباحث عبد اللطيف، على مرجعيات عديدة، أهمها البلاغية والفلسفية، إذ وفق هذه الخلفيات أطر دراساته معرفيا.

أولا.المرجعية البلاغية والفلسفية لبلاغة الجمهور-الخلفية الفكرية-:

يبدأ الباحث في كتابه" البلاغة والتواصل عبر الثقافات"، بفصل عن البلاغة العجوز التي عمرت آلاف السنين[(3)]، التي تجدد ثوبها وجلدها ولغتها. لتستمر، هي الساحرة التي لا زمن لها ولا ثبات، والبلاغة- في أبسط تعريفاتها- فن تأليف الخطاب أو تقنية لغوية تستخدم في تقويم الأعمال الأدبية، تعتبر في الوقت ذاته، " ضابطا لغويا لقواعد التعبير الأدبي ، وأداة نقدية"[(4)] ؛ إنها مجموع طرق الأسلوب التي تشكل موضوع دراسة خاصة تنطوي تحت لواء البلاغة، بعدّها العلم الذي يسعى لتحديد مجموع الإمكانات والقواعد المتاحة للتعبير"، و قد ظهر – لأهميته البالغة – علما في مختلف الأمم والحضارات .
ومن منطلق تسخير البلاغة لخدمة فن الخطابة – تمد الخطيب بالأساليب الكلامية المؤثرة في السامع والمقنعة له ؛ و خير ممثل لها أرسطو بكتابه فن الشعر (poétique) والخطابة (la rfétorique)؛ ففي كتاب "فن الشعر" أولى أرسطو الاهتمام بمظاهر الأسلوب في الكتابة الأدبية؛ حيث أدرك الشعراء أن الإبداع الشعري لا بد أن يتميز في لغته عن الكلام المبتذل ، ليكون أكثر تأثيرا و هكذا تولد منذ تلك العهود مفهوم التجاوز والتجوز[(5)] وبنفس القدر كان الاهتمام بفن الخطابة ؛ فالبلاغة – عنده هي فن الإقناع ، فن تأليف الخطاب (أو فن الكتابة)؛ وعلى هذا الأساس احتوت البلاغة – في العهد اليوناني على أقسام أربعة و ذلك ما ظهر في الكتابات الرائعة لأرسطو و شيشرون (chichronos) وكافتيليان (kaftilianos) وهي:

1- الابتداع : أو البحث عن البراهين و الحجج لتطويرها .

2- الترتيب: أو البحث عن النظام الذي يجب أن تكون هذه الحجج منتظمة فيه .

2- جمعان بن عبد الكريم، المرجع نفسه، ص162.
3 - عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012، ص09.
4 - بيار غيرو، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي، دار الإنماء القومي، بيروت، ص09.
5 - المرجع عينه ، ص 16.

3- التعبير : أو طريقة العرض، و ذلك بالشكل الأكثر وضوحا وإدهاشا، على أن تكون هذه الحجج أو البراهين منفصلة في إنشائها .
4- الفعل : الذي يعالج القصد في سرعة النطق ، والحركات و تغيرات الملامح[6].
وطبق هذا التحليل للإنتاج الأدبي بمختلف أنماط التعبير و الكتابة ، تميزت الأجناس: المسرح، التاريخ، الشعر...، وهي من أهم الملامح الأسلوبية في بلاغتهم، مع فكرة الأساليب، و الصور؛ لتكون هذه الأشكال في الوقت نفسه أجناسا تستخدم أدوات خاصة للتعبير عن الأفكار والمشاعر والمواقف المحددة .

لا يختلف مفهوم الجنس عن مفهوم الأسلوب، فكل جنس يتناسب مع طرق للتعبير ضرورية ومحددة بدقة ؛ فهي لا تعين له التركيب فقط ، بل تعين له كذلك المفردات والنحو والصور والمحسنات؛ إذ تشير إلى الأسماء والحيوانات والأدوات و المساكن والنباتات التي تصلح أن تنسب لها؛ لأن الكلمات تحتفظ بانعكاسات الأشياء التي تشير إليها، أو بالأوساط التي تستعملها، و هي مبادئ كان بإمكانها أن تجدد البلاغة، و تلبسها ثوبا يتلألأ حداثة.

إن تصورا للبلاغة من القبيل يتضمن أمرين: أولهما ضرورة وجود علم عام للنص يكون صالحا، لا للدراسة النصوص الأدبية وحدها، بل لدراسة غيرها من النصوص على اختلافها، وثانيهما الفكرة المتضمّنة في أن كل نص هو بشكل ما " بلاغة" ، أي أنّه يمتلك وظيفة تأثيرية، وبهذا الاعتبار فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي ومرجعه التأثير، وعندما نفكر حسب المفاهيم البلاغية فإننا ننظر، مبدئيا، إلى النص من زاوية نظر المستمع/ القارئ ونجعله تابعة لمقصدية الأثر؛ ففي النموذج البلاغي للتواصل يحتل ملتقى الخطاب المقام الأول بدون منازع[(7)].

الأمر الذي يتجلى في قول هنريش بليث:"إن البلاغة قد صارت علما، وأننا نهدف من جهة ثانية إلى نظرية بلاغية، وأن البلاغة من جهة ثالثة، ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم، بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع، وإن راوّد هذه البلاغة الجديدة في فرنسا هم رولان بارت وجيرار جنيت وكونتز وكبدي فاركا ومجموعة Mu بلبيج وبيرلمان وتودوروف، فلقد استطاع هؤلاء الباحثون وباحثون آخرون كثيرون في بلاد أخرى أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا"[(8)].

وتكوّن هذه القواعد في مجموعها بناء معقدا يتكون هيكله من التبعية والمشابهة والتحديد، ونستخلص من ذلك أن البلاغة طبيعية نسقية، ومع أن هذا

---

[6] - بيار جيرو ، المرجع نفسه ، ص10.
[7] -هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص" ترجمة وتعليق: محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب،1999، ص 24.
* فرجيل: شاعر وفيلسوف روماني ، اشتهر بالإنيادة ، التي قام بنظمها وفق ما قدمته " إلياذة هوميروس "، كما اشتهر بدولابه الشهير في ضبط أساليب ذلك العصر والعصر اليوناني .
[8] - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية ، ص 23.

النسق بقي عبر 2500 سنة من عمره غير كامل، وتعرض لتغيرات متوالية فإن وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة وهي إنتاج نصوص حسب قواعد فن معين، أما المفهوم العلمي الحديث للبلاغة فإنه مخالف لذلك، بل إنه عكس المفهوم السابق، إذ لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص بل تحليلها[9]، وفق ما تسمح به استيراتيجية بلاغة الجمهور..

لنشير إلى أهمية البلاغة البالغة، كونها لا تعكس مفهومها عن اللغة والأدب، بل تعكس فلسفة وثقافة ومثالا عقليا أعلى[10]؛ فالدراسات البلاغية تحتفظ بمكانها كاملا في النقد الأدبي الأوربي؛ لذلك كانت البلاغة ركنا أصيلا في تكوين الأديب بل الإنسان المثقف بوجه عام، كما كانت وسيلة متزايدة الأهمية في الإبداع الأدبي، ومعيارا مطلقا ووحيدا لتقدير الجمال الفني، وأمام كل ما أفرزته هذه البلاغة، اعتبر المحدثون أن تلك النظريات والمبادئ البلاغية قيد يحد من الإبداع؛ يخضعهم لشروط وقوانين إلى جانب مآخذ أخرى.

وعلى هذه الخطى نسج الدكتور عماد عبد اللطيف كتابه البلاغة وتواصل الثقافات، كانت البداية تصديرا النماذج الثقافية والبلاغية وحدود الحوار بين الشعوب .مقدمة: ما الذي يمكن أن تكونه البلاغة؟ أهداف الكتاب .منهج الكتاب وتقسيم فصوله .الدراسات السابقة .الفصل الأول: الحوار بين الثقافات مفاهيم ومساجلات 1 .السياق التاريخي للحوار بين الحضارات 2 .دور العرب والمسلمين في طرح مبادرة الحوار بين الحضارات وتعزيزها 3 .الحوار العربي-الغربي: تاريخه، طبيعته، غايته 3-1 .من العرب؟ ومن الغرب؟ وأي حوار يمكن أن ينشأ بينهما؟ 3-2طبيعة الحوار العربي- الغربي 3-3 .أسس الحوار الأمثل وسماته 3-3-2 .الحوار مع الغرب: حوار أم جدال؟ 3-3-3الحوار مع الغرب: حوار أم محاضرة؟ 3-4أهداف الحوار مع الغرب 3-4-1 .الحوار بين الثقافات بديل للصراع بينها 3-4-2 .الحوار بديل الهيمنة 3-4-3 .الحوار مع الآخر(الغربي) واكتشاف الذات (العربية 3-4-4 .(تغيير الصورة الذهنية السلبية للعرب 4 .في رفض الحوار مع الغرب .خاتمـــة الفصل الثاني: اللغة والحوار بين الثقافات 1اللغة والتفكير والثقافة 2الحوار بين الثقافات وعقبة اللغة 3أثر اللغة على الحوار مع الغرب 4هل اللغة العربية معوق أمام نجاح الحوار مع الغرب؟ خاتمة الفصل الثالث: البلاغة وحوار الثقافات 1دراسات البلاغة عبر الثقافات والحوار العربي- الغربي 2حدود ومجالات الإفادة من دراسات البلاغة عبر الثقافات في الحوار مع الغرب 2-1مستوى الشفاهية والكتابية 2-2 الاختلاف في مسؤولية الكاتب والقارئ 2-3التكرار 2-4الحجاج 4-1 الاختلاف في نوع الحجج 2-4-2طبيعة الحجج وترتيبها خاتمة الفصل الرابع:

---

9 - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية ، ص 23.

10 - بيار جيرو، المرجع نفسه، ص 15- 17 .

التواصل عبر الثقافات 1خطوات التواصل الناجح عبر الثقافات 2الأبعاد الثقافية للاتصال غير اللفظي بين العرب والغربيين 1-2المباشرية 2-2الفردية-الجماعية 3-2التنوع 4-2تفاوت السلطة 5-2تجنب اللايقين 6-2الاعتماد العالي أو المنخفض على السياق 3سلوكيات التواصل غير اللفظي كعائق أمام نجاح الحوار مع الغرب خاتمة نتائج وتوصيات.

ووفق فهرست الكتاب هذه، فقد سطر الباحث هدفين لكتابه؛ الأول عملي هو تشخيص المشكلات اللغوية والبلاغية التي تعوق التواصل العربي والغربي وتفشله،وتحديد المشكلات والأسباب المؤدية إليها، واقتراح حلول للتغلب عليها وتقليل تأثيرها السلبي. والثاني نظري وهو محاولة وضع تأسيس نظري لبعض أوجه الشبه والاختلاف بين اللغة العربية والثقافة العربية، واللغات والثقافات العربية من جهة أخرى. وهو تأسيس يجمع بين عناصر بلاغية وتداولية واتصالية..في سبيل معرفة الذات العربية.

"إن الناظر في بعض البحوث والدراسات في اللغة العربية يجد هنالك التباسات متعددة حول العلاقة بين تحليل الخطاب وبعض العلوم المتاخمة للنص أو المهتمة بدراسة المضامين الكلية والإيديولوجيات والتغييرات الاجتماعية وعلى ذلك كان لابد من توضيح أين تلتقي تلك العلوم بتحليل الخطاب وأين تفترق عنه وهل ما تقوم به هو مجرد استعانة بالجانب اللساني النصي أو بمقولات تحليل الخطاب أو إنه يمثل نوعا من الرؤية الضبابية للحدود الابستمولوجية (العلومية) بين الفروع العلمية كما يمثل نوعا من التداخل غير المحكم، والاضطراب العلمي المنهجي، الذي يؤدي إلى نتائج ضعيفة أو غير واضحة في الغالب، وسيقف هذا الفصل حول علاقة تحليل الخطاب بعدة علوم هي البلاغة والدراسات الثقافية والدراسات الاجتماعية ودراسات النقد الأدبي في نطاق اللغة العربية"[11].

ثانيا. الثقافة فعل إنساني:

تعد الثقافة نشاط إنساني يعبر بكثير من الصدق عن التطور الحضاري، والرقي الاجتماع من خلال مختلف الثقافات بأشكالها المتعددة ومواضيعها المتنوعة وهذا التعدد من الإشكال وهذا التنوع من المواضيع، هو ما جعل من الثقافة المعبر الأساسي عن طاقة المجتمعات في الإبداع والمرجع المهم في مقياس مستوى الرقي والتحضير عند المجتمعات ، كما أنها (أي الثقافة) تأخذ حيزا كيرا من حياة الإنسان، يساهم في تحقيق التواصل الاجتماعي بين الأفراد وبن المجتمعات ، حيث غالبا ما يشكل الرصيد الثقافي عند الفرد أو عند المجتمع أهم عامل لصنع التفاعل مع الآخرين.

11-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص121.

نقول بداية، الثقافة هي الكلّ المركّب الذي يشتمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل الملكات والصفات التي يكتسبها الفرد داخل المجتمع[12]، وبهذا تعد الثقافة من أبرز مكونات حركات الحياة في المجتمعات الإنسانية باعتبارها الذخيرة المشتركة لأي أمةٍ من الأمم تنتقل بها من جيل إلى جيل، فهي تنمو مع النمو الحضاري للأمة[13].

تظهر الثقافة فعلا إنسانيا في كل التعريفات التي صيغت لأجل تحديد مفهومها، مثل تعريف الدكتور محمد العربي ولد خليفة في قوله: **"**نحن نعني بالثقافة الآن كل شيء قد يتمثّله الإنسان ويتمثّله المجتمع من خلال العقل والمزاج، والذوق والحس والبيئة**"**[14]. وهي بالتالي نشاط يميّز الإنسان، تدخل فيه البيئة المحيطة به سواء كانت طبيعية أم اجتماعية، مادية أو معنوية، يمارسه مستعملا عقله وحواسه من خلال كل نماذج السلوك الاجتماعي المشترك بينه وبين أفراد المجتمع وبين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض وكلا التعريفين السابقين يمزج بين مادية الثقافة ومعنويتها.

أما المفكر الجزائري - مالك بن نبي- فقد عرف الثقافة بأنها:**"** مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي نؤثر على الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه**"**[15].

ويزيد قائلا **مالك بن بني** في هذا المجال:« إن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة، وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن مجموعة القيم الثقافية المحققة» [16]، وبهذا تعتبر الثقافة الوعاء الذي تصب فيه كل التجارب والخبرات وطرائق العيش والمخزون الفكري والعطاء الإبداعي...، لذا مصير الإنسان رُهن دائما بثقافته.

وعليه نراه يحدد الثقافة في الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية داخل المجتمع وهو تعريف يظهر فيه التركيز على الجانب المعنوي للثقافة. ومنه يمكن أن نحصر للثقافة خصائص عدة منها:

1. ***الثقافة سلوك:*** وتظهر هذه الخاصية من خلال تعريف الثقافة نفسها على أنها نشاط وفعل إنساني مادي أو معنوي، وبالتالي فهي سلوك يمكن تعلمه أو محاكاته.

---

(12) صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، ص 10.

(13) ينظر: رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقة، اللغة العربية والتفاهم العالمي " المبادئ والآليات"، دار المسيرة، الأردن، ط: 1، 2009، ص 29.

(14) محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، د.م.ج، الجزائر، ص 77.

(15) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 74.

(16)مالك بن بني، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، ط: 1، 2013، ص 101.

2. ***خاصية الاكتساب:*** وذلك لأنها ليست فطرية ولا تورث بيولوجيا،" الثقافة ليست غريزية أو عضوية أو تنتقل بيولوجيا"[17] فالإنسان يكتسب ثقافته بطريقة غير مباشرة من خلال التربية واتصاله بأفراد المجتمع وتفاعله معهم.
3. ***خاصية الاستمرارية:*** وفكرة الاستمرارية تظهر عند 'إدوارد تايلور' من خلال أن المكونات والعناصر الثقافية تورث من جيل إلى جيل، فيترك بعضها كما هو ويعدل في البعض الآخر بالزيادة أو النقصان، وهو في أحيان أخرى يخترع عناصر جديدة.
4. ***خاصية التراكم:*** من خلال خاصية الاستمرارية يمكن التوصل إلى التراكمية، فعناصر الثقافة ومكوناتها تتراكم عبر الوقت لأنها حصيلة للمعرفة والفكر في جوانبهما المادية والمعنوية.
5. ***خاصية التعقيد والتركيب:*** وتظهر هذه الخاصية كذلك في تعريف 'تايلور' السابق فـ: (الكل) تعني التركيب، أما عدد العناصر والمكونات للثقافة فهي التي تشكل التعقيد بحيث تصعب الإحاطة بها مجتمعة، ويرجع هذا التعقيد كذلك إلى التراكم المستمر لهذه المكونات.
6. ***خاصية التكامل:*** رغم خاصيتي التعقد والتركيب إلا أن الثقافة " تتحد وتلتحم لتكون كلا متكاملا متجانسا، متسقا؛ بحيث أن عناصر الثقافة في مجتمع ما تكمل بعضها البعض، وكمثال على ذلك فإن عنصري القيم والسلوكيات متكاملان بحيث أنه وفي العادة فإن أغلب السلوكيات تخضع لضروب القيم. "فالثقافة كل مركب متصل الأجزاء، لابد من وجود قسط من الانسجام فيه"[18]
7. ***خاصية التغير:*** رغم ثبات العناصر العامة المشكّلة للثقافة نسبيا، فإنها عرضة للتغيير، ويحدث هذا التغيير بفضل ما يحذف وما يستبدل من مكونات الثقافة وعناصرها، نتيجة للتّطورات التي تحدث في المجتمعات واحتكاكها ببعضها البعض فكثير من السلوكيات اندثرت وكثير منها اعتنق، وبعض الأعراف أقبرت وكثير من التقاليد مسها التغيير.
8. ***الخاصية الاجتماعية:*** هذه الخاصية تميز الثقافة لأن هذه الأخيرة نشاط إنساني وسلوك اجتماعي ناتج عن تفاعل الأفراد ببعضهم البعض والمجتمعات بعضها ببعض فالثقافة:" هي كل ما يقدره العقل والنفس من خلال رؤية معينة، فكرية أو فلسفية أو اقتصادية أو إيديولوجية، بهدف إحداث توجيه خاص، تخدم تلك الرؤية أو تتواءم مع أهدافها"[19] بمعنى أن الخاصية

---

[17] حسين عبد الحميد رشوان: المرجع السابق، ص 36.

[18] المرجع نفسه، ص 49.

[19] إبراهيم بدران: أصول الثقافة، وزارة الثقافة، الأردن، 2002، ص 118.

الاجتماعية للثقافة تظهر في الحركية المتواصلة داخل المجتمع والتنشئة التي يمارسها هذا المجتمع ليصنع ثقافته.

9. ***خاصية الانتشار:*** من خصائص الثقافة سهولة انتشارها داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة، ويتمثل الانتشار الثقافي في العملية التي بواسطتها ينتشر العنصر الثقافي بين الأفراد أو بين المجتمعات حيث يفسر (هويل) الانتشار الثقافي بأنه: "عملية من ديناميكيات الثقافة في مجتمع آخر تحت تأثير التنشئة الاجتماعية"[20]، أي أن خاصية الانتشار تتعلق بالحركية الدائمة للعناصر والمكونات ويظهر ذلك بصورة أكثر وضوحا في عصرنا الحاضر بما قدمته وسائل الإعلام والاتصال من سرعة في نقل المعلومات والمعارف والمنتجات الفكرية والمادية للإنسان وتنشرها وكلها تشكل عناصر ومكونات ثقافية.وتعمل الثقافة في أي مجتمع على ضبط وتوجيه حياة الأفراد وسلوكياتهم من خلال مجموعة من الوظائف نذكر منها:

1. المساهمة في تهذيب وتطوير الوظائف البيولوجية للفرد كالتناسل، وتنظيم الحياة الاجتماعية، وإشباع حاجاته: مأكل ومشرب ومأوى ودفء أسري.
2. تعمل على غرس القيم الاجتماعية داخل الفرد وتقوّم مختلف سلوكياته تماشيا مع البيئة التي يعيش فيها.
3. تعمل على تطوير الفكر الإنساني للفرد، وتغرس فيه روح المسؤولية والتكيّف مع المجتمع:" الثقافة مسؤولة عن الأمن الداخلي والخارجي"[21]وهي كذلك:" تمدنا بما يحقّق التلاؤم والتكيف مع البيئات الطبيعية والبشرية والاجتماعية".
4. الثقافة تحدد المواقف بما تزود به الإنسان من معارف ومعاني ومفاهيم يستطيع من خلالها أن يميز بين ما هو طبيعي وغير طبيعي أو أخلاقي وغير أخلاقي فالثقافة:" تشكل في النهاية ضمير الفرد وشخصيته"[22].
5. تحدّد الاتجاهات والقيم والأهداف من خلال الخاصية الاجتماعية للثقافة فتكتسب هذه القيم وتؤطر المقاييس التي من خلالها تتشكل الاتجاهات التي تحدد الطموح الشخصي أو الجمعي وهو ما يتمثل في الأهداف.
6. تصنع أنماط السلوك من خلال ما تزود به الفرد والمجتمع من عادات وتقاليد، ومفاهيم تدرب الأفراد على الالتزام بالقيام بأدوار معينة داخل المجتمع.

وللثقافة ثلاثة أنواع هي:

---

(20)محمد السويد: مفاهيم علم الاجتماع الثقافي، دار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 80.

(21)حسين عبد الحميد رشوان: المرجع السابق، ص 65.

(22) المرجع نفسه، ص65- 66.

أ - الثقافة النخبوية: يقصد بثقافة النخبة أسلوب الحياة للأفراد وسلوكيات المجموعات من العِلْيَةِ في القوم والتي تحصلت عليها بواسطة عدة وسائل منها الكتاب وبالتالي فهي ثقافة مكتوبة لا يتحصل عليها إلا من يعرف القراءة والكتابة، وتظهر هذه الثقافة بشكل ملفت في المجتمعات الطبقية حيث نرى التميّز بشكل بارز في سلوكيات وأساليب حياة النبلاء والارستقراطيين بحيث:" تتضمن الثقافة النخبوية الأعمال الراقية التي يقدمها المبدعون في مجالات الفنون المختلفة؛ من أدب وشعر، ومسرح ونحت ورسم، وهي تشمل طريقة الحياة المادية والروحية"(23).

ويؤخذ على هذا التعريف شدة الاختلاف في تحديد الرقي إلا أن هذا لا يلغي أبدا تمايز النخبة عن باقي طبقات المجتمع، إن في طريقة حياتها أو عاداتها وتقاليدها كما يذهب في هذا المنحى المفكر المغربي - محمد عابد الجابري- عندما يسميها 'الثقافة العالمة': "والتي تضم حسبه طريقة الحياة المادية والروحية وتمتد من طريقة المأكل والملبس والمأكل والضحك ... إلى مكونات الذاكرة الجماعية والخيال الاجتماعي"(24).

- الثقافة الشعبية: وكما في كل التعريفات التي خصت الثقافة فإن العلماء والمفكرين اختلفوا كذلك في تحديد الثقافة الشعبية فبعضهم يربطها بالتراث الفولكلوري• الذي تتوارثه الأجيال، فالثقافة الشعبية "يطلق عليها أيضا اسم الفولكلور، وهي التي ينقلها المجتمع من جيل لآخر شفويا، كالشعر الملحون، والحكايات والأساطير وهي ثقافة أصيلة وحية ومباشرة، تفرض منذ الصغر على الفرد"(25)، والملاحظ على هذا التعريف هو حصره للثقافة الشعبية تقريبا في الفولكلور واقتصارها على المنقول شفويا بالتوارث من الأنباء عن الأجداد.

وهناك رأي ثاني عند مفكرين يرون أن الثقافة الشعبية لا تمثل " سوى حواشي أو هوامش ثانوية للثقافة المهيمنة"، ودليلهم في ذلك أنها تعتمد الرواية الشفهية وتبتعد عن المظاهر الأكاديمية من تدوين وتمحيص ونقد وغيرها... .

أما التيار الثالث فإنه لا يرى فرق ببين الثقافة الشعبية وغيرها من أنواع الثقافة الأخرى، سوى افتقادها لعنصر الهيمنة والتسلط والسيطرة فيقولون: " الثقافة الشعبية ثقافة كاملة مساوية لثقافة النخبة، أو أرقى منها لأنها أصيلة ومستقلة عن أي توجيه أو تنظيم، ولا تدين بشيء لثقافة النخبة"(26).

وعلى الرغم من الاختلاف الواضح في تحديد موقف من الثقافة الشعبية إلا أنه يمكننا القول أن الثقافة الشعبية هي جزء مهم من الثقافة ككل، لا يمكن إلغاؤها أو

---

(23) جمال العيفة: الثقافة الجماهيرية، جامعة عنابة، الجزائر، 2003، ص 45.

(24) المرجع نفسه، ص 45.

(25) محمد العربي ولد خليفة، مرجع سابق، ص 45.

(26) المرجع نفسه، ص 72.

تهميشها أو حصرها في الفلكلور الشفوي فقط، فهي الحقيقة التي ينطبق عليها تعريف (تايلور) في تمثيلها لـ: الكل.

ج - الثقافة الجماهيرية: لقد بدأ الاهتمام بهذه الثقافة خلال ستينيات القرن الماضي، وارتبطت بوسائل الإعلام الجماهيرية وما تقدمه من منتجات ونشاطات، حتى أنها أصبغت على هذه الثقافة صفة السلعة:" كما جاء في دراسة - قام بها 'ادخار موران' E. Morin سنة 1967- بعنوان: " دراسة في ثقافة الجماهير" ولاحظ فيها أن المنتوج الثقافي: أصبح يخضع لنفس مقاييس الإنتاج الصناعي وتطبّق عليه معايير المردودية والسوق الاستهلاكية" [27].

وقد عرّفت الثقافة الجماهيرية على أنها: "هي المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام والاتصال لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية، وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب، وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة"[28]. وعليه فيمكن الجزم بأن الثقافة الجماهيرية ترتبط بوسائل الإعلام الجماهيرية، وتمثل المضمون الذي تبثه هذه الوسائل وما يحتويه هذا المضمون من معارف، وسلوكيات وأنماط حياتية مختلفة أو بمعنى آخر ما يستهلكه جمهور وسائل الإعلام بكل أنواعها، وبما تقدمه هذه الوسائل من إنتاجيات، فقد تضاربت آراء المفكرين بين مؤيد ومعارض لهذه الثقافة.

فالمؤيدون للثقافة الجماهيرية يدافعون عنها من منطلق أنها ضرورية لمسايرة الحركة الطبيعية لتطور المجتمعات المعاصرة وأنه يجب تقبلها والتعامل معها بواقعية، وأنها أمر واقع وطبيعي ومن أشهر هؤلاء المدافعين 'مارشال ماكلوهان' حيث " يتخندق" ' مارشال ماكلوهان' ضمن المدافعين عن هذه الوسائل معتبرا أنها ساهمت في تقريب البشر من بعضهم البعض"[29]؛ ذلك أن:

- الثقافة الجماهيرية ضرورة حتمية فرضتها حركية تطور المجتمعات.
- الثقافة الجماهيرية تساهم في تقريب البشر ببعضهم.
- الثقافة الجماهيرية تمس أكبر شريحة من أفراد المجتمعات من هلال قوة حضورها.
- وسائل الإعلام الجماهيرية أهم وأكبر رافد في نشر الوعي.
- وسائل الإعلام الجماهيرية لا تقدم الإثارة والابتذال فقط.
- ليس عيبا أن يعامل الإنتاج الثقافي كسلعة لأن هذا الإنتاج يحتاج إلى مداخيل تغطي تكاليفه.
- توفر عامل التنوع من حيث المضمون في الثقافة الجماهيرية، مع الطرق الفنية التي تقدم بها.

---

[27] محمد العربي ولد خليفة: المرجع السابق، ص 73.

[28] جمال العيفة: نفسه، ص 45.

[29] المرجع نفسه، ص 64 .

أما المعارضون لهذه الثقافة فيستندون في معارضتهم لها على أنه لا يمكن أن تكون الثقافة سلعة تخضع لمعايير السوق، وأن وسائل الإعلام التي تصنع هذه الثقافة تخضع لرغبة القائم بالاتصال في المؤسسات الإعلامية، والأجندات التي يرسمها في المقام الأول مهملة الاعتبارات الأخرى، من أجل الانتشار، خاصة مع الانتشار الواسع والسريع لوسائل الاتصال، والتطور التكنولوجي للوسائط والتنافس بين المؤسسات الإعلامية، وقد تزعم تيار المنتقدين للثقافة الجماهيرية كثير من المفكرين وتناولوها بالنقد بتمحيص المضامين التي تنشر وتحليلها: " وهل هي في فائدة الجمهور الموجهة إليه أو هي فقط لتحقيق الكسب المادي الخيالي"[30]، بالإضافة إلى أنهم توصلوا إلى أن هذه المضامين لا تراعي في كثير من الوقت احترام القيم الاجتماعية ولا تحمل قيمة فسألوا: " هل ما تنقله هذه الوسائط يحترم القيم الاجتماعية؟ وهل هو ذو قيمة أصلا"[31]. كذلك فهم يرون أن هذه الثقافة تروج لنمط حياتي استهلاكي تعيش الجماهير فيه بعيدا عن واقعها متأثرة بالخيال والأوهام التي تعمل وسائل الإعلام على زرعها في الأوساط الشعبية متخذة من التطور التكنولوجي والإبهار عاملين مساعدين على ذلك. كذلك فإن هذا الانتشار الكبير لوسائل الإعلام وتجاوزها للحدود الوطنية والإقليمية للدول والمجتمعات، لا يساهم بتقريب الشعوب بعضها ببعض بقدر ما يحاول القضاء على الخصوصيات الثقافية للمجتمعات وصنع نموذج ثقافي مهيمن يسيطر على المجتمع العالمي، وعليه فهم يقدمون أسبابا جعلتهم يقفون دون تأييد هذه الثقافة منها:

- الثقافة الجماهيرية تسعى للكسب المادي البحت.
- الثقافة الجماهيرية تخضع لسلطة رأس المال.
- الثقافة الجماهيرية تروج لنمط حياتي استهلاكي.
- الثقافة الجماهيرية لا تراعي القيم الاجتماعية.
- الثقافة الجماهيرية تعتمد الإثارة لكسب الجمهور.
- الثقافة الجماهيرية تصنع عوالم خيالية وأوهام.
- الثقافة الجماهيرية تخضع في وظيفتها وسيرورتها لعمل وسائل الاتصال أكثر منها للسيرورة الاجتماعية الطبيعية.[32]
- الثقافة الجماهيرية تعمل على إلغاء الخصوصيات الثقافية للمجتمعات.
- الثقافة الجماهيرية تعمل على فرض النموذج الثقافي الغربي على كل مجتمعات العالم.

---

(30) المرجع نفسه، ص 35.

(31) المرجع نفسه، ص 116.

(32) جمال العيفة: مرجع سابق ، ص 116.

وفي ظل هذا التفرد والخصوصية التي تميز الثقافة يظهر مصطلح جديد يسعى إلى تحويل كل شيء في هذا الوجود إلى الشمولية والعالمية، وهو مصطلح العولمة الذي يعتبر أكثر مفاهيم القرن العشرين انتشارا واستهلاكا في دنيا الثقافة وفي عالم المعرفة والعلوم؛ نتيجة لتعبيره عن أخطر مراحل تطور الإنسانية في مختلف مستويات الوجود[33]، ولقد حاول البعض أن يجد لمصطلح العولمة أساسا اشتقاقيا لغويا بالرجوع إلى مادة (ع ل م) في معاجم اللغة إلى أنه لم يوفق، بينما يرى آخرون أن هذا المصطلح مشتق من كلمة عالم وأنها ترجمة للكلمة الإنجليزية (GLOBOLIZATION)المستمدة من كلمة (GLOBE) أي العالم أو الكرة الأرضية، فالعولمة تعني إخضاع الشيء(دولة، مؤسسة، نظام ...)إلى قوانين ومبادئ وأعراف وملامح عالمية بحيث يتحول هذا الشيء من الإطار القومي إلى الإطار العالمي، ويندمج معه بهدف جعل العالم في كل شؤونه ومجالاته دائرة واحدة لا يوجد بداخلها حدود فاصلة [34].

وفي هذا المجال أخذت العولمة تمس الثقافة بمعناها العام، أي كل ما يجيش به فكر الإنسان من تصورات ونظريات وممارسات لفرض النمطية في كل ما يخفق به القلب ويرتاح له الضمير[35].

إنّ الصراع الحضاري الذي ظل لفترات طويلة قائما بين الإيديولوجيات قد تحوّل إلى صراع ثقافي على الرغم من تسمية البعض لذلك بأنه حوار حضاري، وإذا سلمنا بكونه حوارا حضاريا فإنه في باطنه عداء حتى وإن بدا غير ذلك. لأنه كما يقول **هنجتون** (hengton)«إن الفروق بين الحضارات ليست فروقا حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية؛ فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى، بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأهم الدين»[36].

وباعتبار لغة المجتمع تمثل أحد جوانب ثقافته، فإن اللغة العربية جزء من ثقافتنا فلا بد من تحصينها من تأثيرات هذا الصراع حيث يقول أحد الباحثين:«نحن العرب ماذا بقي لنا لكي نتماسك ولكي لا نضمحل ونذهب خبرًا من الأخبار، ونذوب كما ذابت من قبلنا أمم فقدت شخصيتها السياسية؟ لم يبقى لنا إلا اللغة العربية، فقد تكالب علينا الغزو الثقافي من كل جانب، يعمل دائما ليل نهار لكي يقوض ارتباطنا بلغتنا لغة القرآن»[37].

التواصل بين الثقافات شكل من أشكال التواصل،قد يكون لغويا أو غير لغوي،فرديا أو جماعيا.

---

[33]ينظر: عمرو خاطر، عبد الغني وهدان، العربية والعولمة "معالم الحاضر وآفاق المستقبل"، حورس الدولية، الإسكندرية، ط: 1، 2010، ص 15.

[34] محمد بن عبد الرحمان الربيع، اللغة العربية في عصرالعولمة الثقافية، هبة النيل العربية، الرياض، ط : بلا، 2009، ص 16-17.

[35]صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، ص 10.

[36] محمد حسن البرغوثي، الثقافة العربية والعولمة، ص 133.

[37]محمد بن عبد الرحمان الربيع، اللغة العربية في عصرالعولمة الثقافية، ص 13.

يهتم دارسو البلاغة عبر الثقافات بدراسة التأثيرات التي يحدثها اختلاف اللغات والثقافات على أداء الأفراد في اللغات الأجنبية التي يتعلمونها. ومن هذه الزاوية فإن البلاغة عبر الثقافات ذات أهمية حاسمة في مشروع الحوار بين العرب والغرب، في حالة ما إذا كان أحد طرفي الحوار يستخدم لغة أخرى غير لغته الأم. فإذا كان ممثلو الطرف العربي يستخدمون لغة غير لغتهم الأم مثل الإنجليزية أو الفرنسية، أو إذا كان ممثلو الطرف الغربي يستخدمون العربية التي تعلموها كلغة ثانية، أو الإنجليزية التي ليست لغتهم الأم فإنه من المحتمل أن تنشأ معوقات في التحاور نتيجة تأثير ثقافة اللغة الأم (العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية...) على اللغة الثانية المستخدمة في الحوار[38].

ثالثا. الحوار ودوره في تفعيل بلاغة الجمهور

الحوار هو الذي قوم في أساساته على إحالات مشتركة بين المتحاورين (إحالات مشتركة) إحالات تعطي للكلمات دلالات موقعية خاصية، ليست لها في غير ذلك الموقع، و سبب ذلك أن الذات تصبح ذات رؤية حوارية، و الأصل أن الواحد يعرض ما عنده ، بأحسن ما يستطيع من العرض، ليتلقى أحسن ما عند الآخر، ومن هنا نشأت البلاغة باعتبارها صورة راقية من التلقي، ولهذا سميت بلاغة،لأن القدرة على الوصول إلى الآخر ثمرة من ثمار التفكير الحواري، ذلك أن نتوقف عند مصطلح البلاغة نفسه لتجد فيه التلقي معبرا عن نفسه بمصدر فعل "بلغ"[39]

الحوار هو تفاعل إنساني أكثر مما هو تخريج منطقي، يعكس أبعاد المتحاورين المختلفة؛ الثقافة-و المسلمات والعواطف والانفعالات والهواجس، ولا ريب أن لكل منها دور هام في عملية التحاور، وفي إقبال الأطراف وإدبارها، وفي الإقناع والمكابرة، ولذلك صار الأخذ بها في إدارة الحوار أمرا لازما، إذا أريد لنهايته التوفيق والسداد.

ولا ينتهج المحاور نهجا معاكسا إلا لغرض إلزامي حجاجي، ولو دققت النظر لألفيتها مستويات استدلالية متراتبة، بعضها فوق بعض، تنشد غرضا واحدا، هو الإفهام و الإقناع و التأثير، و كلها مدارك تداولية، تعتمد العقل و المحاورة و المناظرة، و تقتضي أن يتخير المحاور من الأدلة ما يلقى القبول من الآخر، و لذلك لا يصح في[40] نظر الكثير من المتكلمين أن يستدل المحاور الملحد بالكتاب المنزل لأنه لا يفي بالغاية، ولا يفيد معه حتى يسلم بوجود الله تعالى.

38- المدونة، ص 106.

39- .الراغب الأصفهاني:"مفردات،ألفاظ القرآن "،تحقيق صفوان داوود،دار القلم ،ط 2 ، 1997، ص26. وينظر: شريف إستينية:"اللسانيات المجال،والوظيفة،والمنهج"، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع،الأردن،ط ، 1 2005 ،ص677

40- القاضي عبد الجبار"شرح الفصول الخمسة، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر،ج1،1992 ،ص159.وينظر: عماد الدين الفراء بن كثير الدمشقي:" تفسير بن كثير".ص965.

ومن الطبيعي لأي حوار يدور بين اثنين ينتهي-في هدفه - إلى نتيجة حاسمة من الإيمان العميق المنفتح بنتائج الحوار، أن يحقق شرطا أساسيا، أن يملك كل من الطرفين حرية الحركة الفكرية التي يملك معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا يكون واقعا تحت رحمة الإرهاب الفكري و النفسي الذي يشعر معه بالانسحاق أمام شخصية الآخر لما يحس به في أعماقه،بالعظمة الكبيرة المطلقة التي يملكها الآخر[41] ولهذا نجد أن التداولية ترمي إلى النظر إلى أحوال المتخاطبين أثناء الحديث ضمن الترسيمة التواصلية، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى التداولية التي عنيت بالسياقات المختلفة وأطراف التواصل[42].

فما البلاغة إلا فن، والفن يعني هنا الصنعة؛ إن نتاج هذه الصنعة أمر مدبر أي أنه لا يرجع إلى الطبيعة وصدفها بل هو نتاج العقلانية المنهجية الإنسانية وبعبارة أخرى: البلاغة منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام، وبصفتها منهجا فإنها تتميز بمجموعة من القواعد؛ هذه القواعد ليست مرصوفة بطريقة تعسفية، بل لقد ربط بينها من زوايا نظر قائمة على أساس منطقي؛ لذلك يعمد الكاتب إلى ربط البلاغة بالثقافة والحوار، وعلى إثر ذلك فإن الأطر المنهجية للحوار تفرض التجرد والابتعاد عن الأحكام المسبقة بهدف الوصول إلى الحقيقة المبتغاة، وإيصال الطرف الآخر إليها، بالإضافة إلى الإيمان بالتعددية والتعددية تقتضي التمايز [(43)].

كفعل كلامي لا يحدده فقط المقام الاجتماعي أو بالأحرى التأويل الذي يعطيه له المستعمل المشارك، إنما المقام الاجتماعي نفسه تحدده كيفية استعمال اللغة، فمن الواضح تأثير النص على المقام الاجتماعي وكذلك تأثير المقام الاجتماعي على النص يمارسان بواسطة الاستعداد الإدراكي للمستعمل ذلك أن تفسير هذا الأخير للواقع الاجتماعي، مهما كان اصطلاحيا هو الذي يمارس تأثيرا على توجيه الإنتاج النصي وفهم النص، من خلال أرائه ومواقفه ورغباته ومصالحه، وكما في المقام الاجتماعي فإن مصالح المشارك ليست دائما متوافقة، وكما كان المستعمل يرغب في أن يكون بملفوظه تأثيرا أفضل على مخاطبه في المقام التواصلي فإن مستعمل اللغة سيلجأ إلى استراتيجيات عدة والتي تؤدي دورا في البنى البلاغية والأسلوبية بمعزل عن هذا الدور الذي تلعبه النصوص الأفعال الكلامية في التفسير الاجتماعي على مستوى السياق الصغير، ويمكن أن تكون

41- ينظر عماد الدين الفراء بن كثير الدمشقي:" تفسير بن كثير"، ص978 -980.وينظر: .مسعود صحراوي:"التداولية عند علماء العرب" ص19

42- محمد حسن فضل الله:" الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه،معطياته" ص36 . 69محمود أحمد نحلة:" آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر"ن دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002 ، ص10.

(43) ينظر: عبد الله علي العليّان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مسقط، ط: 1، 2003، ص80.

بعض النصوص فعالية على مستوى ما يمكن تسميته بالسياق الاجتماعي الكبير، أي على مستوى المؤسسات ولا تقوم العلاقة التفاعلية بينالمؤسسات فقط بل بين المؤسسات والأفراد كما أن للظروف الاجتماعية دخل في تفعيل الحوار، والتشويش على طرفي الحوار، ولذلك نبه المتكلمون على أهمية هذا الجانب، ونصوا المبتدئين بقولهم«احذر الاعتماد في كلامك على من تظن أنه معك أو يستحسن كلامك في جملة الحاضرين فربما بين لك خلافه، فيضعف ذهنك وخاطرك ويذهب عنك كثيرهما لا تستغني[44]

فالإنسان يعيش في مجتمع تتظافر فيه الجهود وتتعاون قصد تحقيق التغيير عن إرادة ووعي، إذن هناك أشخاص يقومون بأحداث متوالية مترابطة بعضها ببعض ترابطا شرطيا داخليا لكن هناك شروط إدراكية حتى يكون هناك تفاعل خاصة بالفاعل وبالحدث المقصود، هذه الشروط لها أهمية من الناحية الاجتماعية، وفضلا عن ذلك يمكن أن يكون الربط والترابط مقيدين قاعديا أو معياريا (مراعاة القواعد والمعايير والقوانين، (لذلك يمكن الحديث عن السياق الاجتماعي تجريدا بالنظر إلى الموقف الاجتماعي ه وكمثال عن ذلك، الحديث الذي يعد شكلا خاصا من التفاعل اللغوي لكن هناك فرق دقيق بين الحديث والمحادثة، فالمحادثة وحدة تفاعل اجتماعية تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث لغوية، تحديدا ارتباطا بسياق اجتماعي خاص.

وعلى اعتبار أن الحوار عند المتكلمين هو بناء عقلي يشترك فيه كل من المتحاورين، قصد الإفهام و التفاهم يتعلق بسيرورات الحوار و متعلقاته من إفهام و اقتناع و تأثير، و الابتعاد عن كل المنغصات على الحوار، و قد المتكلمون للإلمام بها من أدب الحوار،و لذلك درسوها تحت عنوان "آداب الجدل والحوار"و ألزموا طرفي الحوار بمراعاتها، يقول الإمام الجويني (وأحسن شيء في الجدل المحافظة من كل من المتجادلين على أدب الجدل التي تعتبر أدب الجدل من آداب الحوار) التي تجمعها مبادئ تداولية أهمها[45]مبدأ إخلاص المقصد: ويؤكد هذا المبدأ، في تداول الحوار لاعتبارات مختلفة هي:

أ. الاعتبارات الإيمانية: فلكون الحوار إنسانيا، وكل فعل يحاسب عليه ولذلك إذا تعلق بالمفهوم شرعا كالرياء والعجب والمباهاة والاحتقار، صار مذموما عند الله.

ب. الاعتبارات الخطابية: فمعلوم أن الحوار تفاعل بين النفوس لتبادل و تصحيح المعارف،و النفوس قد تخفي شيئا و تظهر آخر و لا تلبث أن تبوح بما تكتبه من قناعات، لا سيما إذا انشغلت بما ينسي سبب الإخفاء، وهذا ما لا تأمن عاقبته، فإن أخفى احتقارا و كبرا للمحاور، لميأمن أن تكشفه نظرات العين. وقسمات الوجه و عثرات اللسان، الأمر الذي يفسد الحوار و يوحي بالمغالبة و المكابرة، و يولد

---

[44]- علي آيت أوشان «: السياق والنص الشعري»، ص88،87.

[45]- أبو المعالي الجويني:" الكافية في الجدل"، دار الكتب العلمية،د ت، ص318

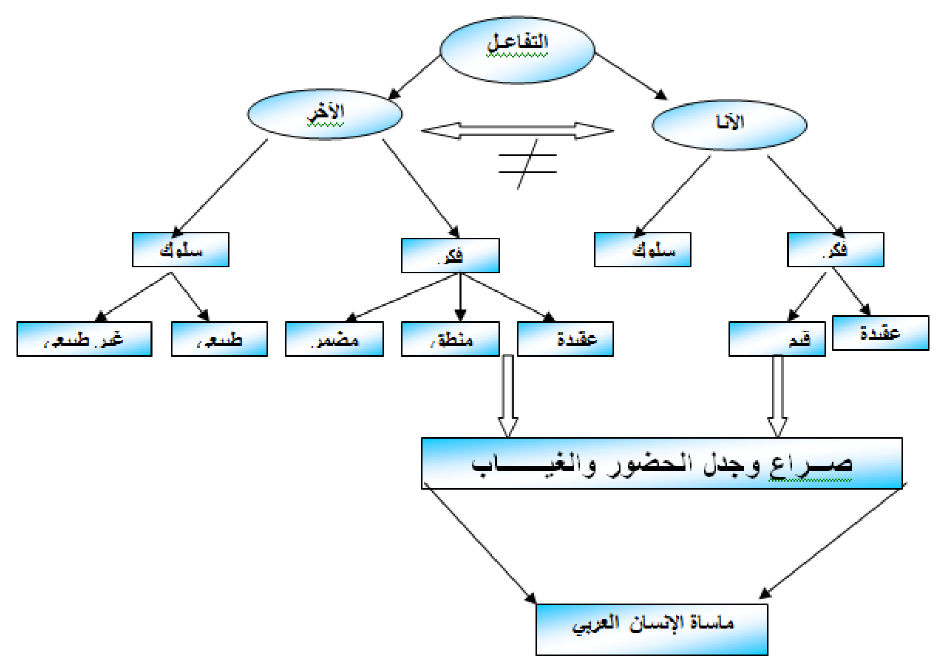
النفرة، لذلك فلا ينبغي للمحاور أن يشرع في الحوار إلا بعد أن يراقب مقصده، ومدى مشروعيته، فلا يليق أن يكون إلا الانقياد للحق و الفناء عن الذات، و التنكر لكل الحظوظ النفسية، كي يقتنع الطرف الآخر أن المهم هو الحوار لا طرفاه و لا نصرة الرأي . فالمشاهد أن المحاور إذا توقع من المحاور الغلبة و الاحتقار، وإظهار الفضل، ونيل الحظوظ، فلن يلقاه إلا بالأدبار؛ إما بالانكسار الذي يؤذي و يؤلم ويهين، وإما بالمعاملة بالمثل والمكابرة والاحتقار والإهانة وربما سبابا، وفي كلتا الحالتين يعد إخفاقا، فالحوار لم يف بغرضه، ولم يولِّد إلا الشغب، و لم يزد الاختلاف بالرأي إلا توسعا، وحسب المتكلمين، فإن مقصد الحوار يتأكد لدى الطرف الآخر بالقرائن الباديةعلى المحاور .وعلى قناة الحوار التي وظفها، ففي الكلام مثلا تعرف من قسمات الوجه، و نبرات الاحتفاء بأخلاق الحوار، وكلما أقنع المحاور بسلامة المقصد، وعلو الهمة، ونيل النية، كلما كان المحاور مراعيا لمقتضيات مبدأ مقصد الحوار[46].

"الحوار الحضاري أو الثقافي هو شكل من أشكال التفاعل بين القوى الاجتماعية، ووسيلة للتواصل، أو لتجنب الصراعات، وتلطيف المجابهات"[47]؛ فللحوار بين الثقافات مشروعين؛ واحد سياسي وآخر ثقافي. وفي الحقيقة مشروع حوار الثقافات طرحه الإسلام عبر قانون الشورى والتعارف و تبادل الأفكار والترجمة، وغيرها من قوانين التفاعل التي تفتح السبل للحوار، وتبادل الخبرات، بين الحاضر والحاضر، والحاضر والغائب، وبينهما والمستقبل؛ وهي «الطريقة في طرح مسائل البناء الاجتماعي / الثقافي للمعنى لا تغير الحدوس والحجج الكامنة خلفها، وما تفعله أنها تبين كيف ينسجم هذا المشروع مع الدلالة التصورية »[48]؛ الحقيقة أننا نرى أن الأصل في حوار الثقافات والحضارات والكائنات والموجودات هو ثراء الاختلاف بين بلاغات الثقافات، ما يجعلها في تفاعل مستمر، من أجل البقاء:

46- أبو المعالي الجويني: " الكافية في الجدل"، ص32

47-المدونة، ص45.

48- تشومسكي وآخرون، المرجع نفسه، ص 24.



بين ما تمنحه إياه حضارته وثقافته العربية الخالصة وبين ثقافة أخرى غربية ..يحيا الإنسان العربي صراعا متأزما في ذاته بين مقلد ورافض ومحايد ومعتدل إلى حد ما، وليحقق الحوار مبتغاه بخاصيتي التأثر والتأثير دون التماهي والانحلال في الفكر الغربي، يجب تفعيل خاصية المحاججة التي يمارسها المرسل ويحدث المرسل إليه ردة فعل إزاءها.

رابعا.الحجاج والتواصل وبلاغة الجمهور:

لم يعد ممارسة الحِجاج محصورا في أنواع خطابية معينة، بل أصبح ضرورة ملازمة لكل الخطابات التي يتواصل بها الناس في أمور دنياهم العملية والثقافية؛ فالرجل عندما يحاول إغراء الفتاة الجميلة، والمراهقة عندما تحاول إقناع أبويها للسماح لها بالخروج في المساء، وصاحب المطعم عندما يغري زبائنه ويقنعهم بما يعرضه عليهم من وجبات، وصاحب منتج عندما يروج لسلعته ويقنعهم بفوائدها اعتمادا على نسق الصورة، والأستاذ عندما يسعى إلى إقناع تلاميذه، والمثقف عندما يروم إقناعنا بصحة رؤاه...، كل هؤلاء يستخدمون في تواصلهم الحِجاج ويمارسون فن الإقناع [49].

"الجدال شكل من أشكال التواصل بين طرفين، يدفع فيه المتجادل الحجة بالحجة بهدف البرهنة على صدق رأيه وصحته، وتفنيد رأي الطرف الآخر والبرهنة على نقصه وخطئه، وعلى الرغم من أن الجدال ينطوي على محادثة

(49) فيليب بروطون، الحِجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، ص 9.

لفظية، فإنه توجد فروق جذرية بين الجدال والحوار، يمكن الوقوف على هذه الفروق من خلال استعارتي الرقص والحرب."[50]

حسب هذا الموقف نفهم أن المُخاطِب لا يهدف إلى التواصل مع المخاطَب لمجرد التعبير أو الإخبار أو الإعلام، ولا يقصد تقديم المعلومات، بل يسعى إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى اتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع التفكير، فيغدو بذلك الحِجاج دافعا للتواصل.

فالحِجاج إذن يعني التحكم في آلياته وتوظيفها في النسق اللغوي وغير اللغوي (الخطاب) لأجل التواصل مع الآخرين وإقناعهم بوجهة النظر أو الرأي أو الموقف أو السلوك أو الأطروحة. فمدار الحِجاج يتوقف على الرأي المحتمل، وتبادل هذا الرأي وتوصيله للآخر يستلزم توظيف لآليات الحِجاج؛ فالحِجاج والتواصل يجمعهما الرأي المحتمل والخروج برأي معين من شأنه أن " يحقق القوة والفعالية في الحياة الاجتماعية اليومية"[51].

وهذا ما يجعل الحِجاج في الحقيقة مرتبط بجمعٍ من الأفعال الإنسانية (تكلّم، عبَّر، أخبر، تواصل، حاجج، أقنع) التي تسعى إلى الإقناع. فعديد من مقامات التواصل تسعى في الواقع إلى حمل الفرد أو المتلقي أو الجمهور على تبني سلوك ما أو مشاطرة رأي معين.

وفيما يخص مواضع تقاطع الحِجاج والتواصل، التي نقف عندها من خلال طرح الدكتور عماد، المستوحى من خبرات سابقة، نوردها كالآتي:

- ✓ خصوصية الحقل الجوهري التواصلي تؤهله لأن يكون الفضاء الذي يحتوي الحِجاج ويتطور فيه من دون أي شك بسرعة أكبر؛ لتطور صيغ التواصل والقيم التي لها أهمية كبرى في الحِجاج، جعلت منه مادة حية"[52]، إذن يندرج الحِجاج بشكل واضح، في المثلث التقليدي مرسل، رسالة، مرسل إليه الذي تدرسه علوم التواصل بأشكالها المختلفة[53].
- ✓ كل من التواصل والحجاج يكتنفان برسائل لغوية، اجتماعية، ثقافية.
- ✓ إن التواصل حِجاج، والحِجاج ترجمة للموقف الفكري التواصلي المدافع عنه.
- ✓ التواصل ينظر إليه من خلال الدينامية الاجتماعية التي تؤطره، بوصفه حاملا لرهانات معينة، فكل سلوك تواصلي يندرج ضمن لعبة (اجتماعية) هو بالضرورة حامل لرهانات ما يضفي عليها الحِجاج سمة التحقيق الفعلي والتثبيت، ومن بين الرهانات التي يشترك فيها كل من الحِجاج ويسعى إلى صقلها من خلال الموقف التواصلي:
  - الرهان العلائقي، والمتعلق بتشكيل وتفعيل العلاقات والروابط بين الافراد.

50- المدونة، ص65.

(51) المرجع نفسه، ص10.

(52) المرجع السابق، ص 34.

(53) المرجع نفسه، ص 20.

- الرهان المعياري، وهو الذي يرتكز على تنظيم العلاقات نفسها.
- رهان التعبئة والتحسيس، والذي يستهدف التأثير على الغير.

✓ تداخلهما في عدة مبادئ تشكل حقل اشتغالهما نجد: مبدأ اللافردية، مبدأ التفاعل، مبدأ المرونة، مبدأ السياق.

بناء على ما سبق الحِجاج يعني التواصل وفق فهم لخصوصية الآخر؛ في غيريته واختلافه وتفاعله ومحاولة إقناعه وتغير وجهة نظره وفق سياقه، "بوصفه كتلة لامتدادات سوسيولوجية وثقافية.. (الانتماءات الأيديولوجية والطّبقيّة والسياسية)" [(54)] فهو بناء تواصلي تفاعلي تقاطعي بين العوالم الذهنية التذاوتية والسياقية فيشكل بذلك الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور.

إذن حسب هذا الموقف لا يمكن الفصل بين التواصل والحِجاج إلا إجرائيا، فهما متداخلان على المستوى الوجودي والنفسي ومحكومان بسياقاتها الاجتماعية المتعددة والمختلفة، فكل منهما يسعى إلى خلق تفاهم بين الذوات في إطار اجتماعي محدد، فيتم بمقتضاهما تبادل المعلومات والآراء والأفكار والخبرات وتكوين العلاقات، التي يسيجها الميراث الاجتماعي، فليس كل شيء قابل للحجاج. ولكن هذا الموقف بإقراره بعلاقة التكامل والتداخل بين التواصل والحِجاج وجعل قيمة التواصل مرهونة بوجود الحِجاج قد وقع في مطب المغالاة؛ فالتسليم بأنّه لا قيمة للتواصل بغير حجاج فيه نوع من المبالغة وإقصاء لأنواع التواصل الأخرى.

الموقف الثاني: في حين أنَّ الموقف الثاني يرى أن ليس كل موقف تواصلي ذو طبيعة حجاجية؛ فالتواصل يتباعد عن الحِجاج، لكون التواصل أعم من الحِجاج وليس موازيا له؛ فهو نوع من أنواع التواصل إلى جانب التواصل التعبيري والإخباري، فمقام التواصل هو الذي يحيلنا إلى نوع التواصل[(55)].

من يقرأ لعماد عبد اللطيف يجد أن " الخطاب عبارة عن حدث اتصالي يتضمن التفاعل في المحاورة، والنصوص المكتوبة، تماما كما هو مرتبط بالإشارات، وتعبيرات الوجه، والتخطيط الاثنوغرافي، والصور، وأي سيمائية أخرى، أو أي بعد للميديا متعددة الأنواع، يعبر بها عن المراد، وقد اعتمد Van Dijkعلى النظرية السوسيو إدراكية، وعلى الفهم اللساني خارج الاتجاه البنائي–الوظيفي"[56]

وهذا الفهم المتكامل لمكونات أسلوب أي خطاب: لغة و أداء وتواصلا وسياقا، يقربه من النظرية التداولية، لأن توجه البلاغة نحو الأثر والبعد التداوليين، يظهر في تمييزها-منذ القدم- بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية ؛ واحد منها فكري، و اثنان عاطفيان : أحدهما معتدل والثاني انفعالي عنيف[57].

---

(54) المصطفى العمراني، التواصل نماذج ورهانات، ص 74.

(55) فيليب بروطون،الحِجاج في التواصل، ص 138، 139.

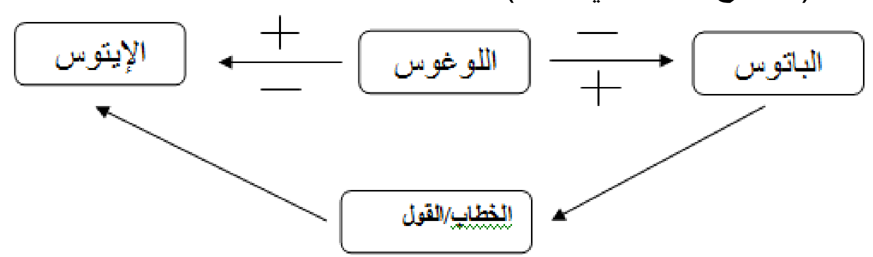
56-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص159-160.

57-هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص25.

1 ـ المقصدية الفكرية : وتضم مكونا تعليميا ، و مكونا احتجاجيا و آخرا أخلاقيا، و كلها مكونات متداخلة على الدوام.
ا ـ المكون التعليمي : ويهتم بإخبار المتلقي بواقع ما، دون استدعاء العواطف ، ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب كما يقوم أيضا على تقديم موضوعي (كما في النصوص العلمية و الإخبارية)
ب ـ المكون الحجاجي : ويتمثل في جعل موضوع الخطاب ممكنا، بالرجوع إلى العقل ، ويمكن أن يتحقق هذا الغرض أو المكون بالحجة المادية"الحجة غير الصناعية" المعتمدة على الوقائع الموضوعية :العقود و الشهادات ، وعلى الخلفية العامة المكونة للمجتمع (الأخلاق والمعتقدات)، ويتحقق هذا المكون من جهة، بالحجة المنطقية وشبه المنطقية، أي الصناعية، التي تسيير من الخاص إلى العام (الاستقراء) ومن العام إلى الخاص الاستنباط ، و الغرض من ذلك جعل غير المحتمل محتملا ، وغير الأكيد أكيدا[58]، ويمتد هذا النشاط إلى الجانب البرهاني للخطاب(الحجاج)، وإلى النص الاحتجاجي الإخباري (مثلا النص السياسي).
ج ـ المكون الأخلاقي : ويتعلق بتعليم المجتمع بمجال الأخلاق ، وتقديم عناصر تعليمية و احتجاجية له، كما يتضمن دعوة للعقل والمنطق، وتسجل عناصر النصح هنا الانتقال من المقاصد الفكرية إلى المقاصد العاطفية، وهذا الغرض الأخلاقي يظهر في جميع النصوص التعليمية والإرشادية.
2 ـ مقصديه العاطفة المعتدلة : ولها مكونان غائي ، وغير غائي، وينتجان معا انفعالا خفيفا (كالتعاطف) ويحمل اسم إيطوس(ETHOS)، الذي هو استعطاف المستمع والتأثير فيه بحال الخطيب وبقضيته، وفق نوع من الاعتدال العاطفي.
ا ـ غرض المكون الغائي: وهو إقناع الجمهور (بواسطة الايطوس، ولذلك يكون هدف الإقناع خارج النص (يظهر في مدخل الخطاب).
ب ـ غرض المكون غير الغائي : وهو المتعة الجمالية للجمهور ، وغياب النية أو العزم كامن في إحالة النص إلى ذاته(الفن للفن)، والغرض الانفعالي موجود في الإشباع العالي والمترفع والمتعة الجمالية واللذة النصية.
3 ـ مقصديه التهييج: وتكمن في البحث عن الانفعالات العنيفة (الحقد ، الألم ، الخوف) التي تسيطر على الجمهور، فهي عكس الإيطوس، ويسمى الباطوس(BATHOS)الكلاسيكي، وفيه تبلغ السيكولوجية المقصدية للبلاغة ذروتها؛ والنصوص التي تظهر الباطوس هي التي تنتمي إلى الجنس القضائي، والجنس الاستشاري، ونهاية الخطبة هي التي –غالبا- هذا الغرض أو هذه الوظيفة، كما تؤديها أحيانا بدايتها، وفي الأدب يظهر الباطوس في التراجيديا بشكل خاص[59].

58-هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص25.
59-هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص26- 27.

الايتوس (أخلاق الخطيب) إن أخلاق الخطيب، بل وحتى عواطفه التي يسعى إلى إلصاقها بذاته في رسالته، تأتي لأهداف حجاجية بارزة، فالصورة التي يقدمها المرسل عن نفسه تهيئ المتلقي لقبول كلامه[60]
الباتوس (انفعالات المتلقي) .
ذلك أن الإنسان كائن مركب يصعب فصل عقله عن أهوائه، ولا تبصره عن ورغباته وميولاته، ولا تقليبه للأمور بميزان المنطق عن انجراره وراء انفعالاته[61]
اللوغوس (الججج الكامنة في القول).



نرى القوة في الإيتوس المرتبط بصاحب الحوار ومنتجه وفق مرجعيات ومعطيات محددة؛ "فالإيتوس يستلزم طريقة للتحرك في الفضاء، وانضباطا ضمنيا للجسد الذي يدرك من خلال سلوك ما"[62]
يتعرف إليه من خلال الاستناد إلى مجموعة منتشرة من التمثلات الاجتماعية المقوّمة إيجابا وسلبا، والتي يسهم التلفظ في تحويلها أو الحفاظ عليها.
على سبيل المثال مؤشرات لسانية كالألفاظ والمجازيات والأنماط الحجاجية، ويأخذ تحليل الخطاب التنظيمي داخل حسابه النواحي النوعية والكمية في هذه المميزات، إنه يحلل: نوع الحجاج وصيغته_الاستراتيجيات الحجاجية الرئيسة – التورط الضمني والتلميحات – المنطق الواقعي ومقارنة النصوص –الرمزية المجموعة أو "المجازات والرموز والاستعارات وقس على ذلك في اللغة والتصميم معا "(الإحصاءات، والصور، واللوحات المرسومة، والكاراكاتيرات الخ)-التعبيرات الاصطلاحية والأقوال والمسكوكات، والألفاظ و الأسلوب - المراجع على سبيل المثال إل العلوم (أل) وصيغة جمع التكسير (فعول) – الفاعلون(الشخص -والبنية المضمرة) – الموارد الخاصة للمعرفة..وغير ذلك.
"بيد أن التحليل النقدي يفيد من كل ذلك وفق مقاربات منهجية محددة فهو يستفيد من الفلسفة والانثربولوجيا والسيسوسيكولوجيا والعلوم الإدراكية والدراسات

---

[60]عبد العالي قادا ، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا، دار كنوز المعرفة، عمان ط1، 2015، ص 172.
[61]المرجع نفسه، 176
[62]-دومنيك مانجينو وآخرون، بحث ضمن التحليل الحجاجي للخطاب، إ اشراف وتقديم: د.أحمد قادم ود.سعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1- 1437ه/2016م، ص 772.

الأدبية والدراسات الثقافية والدراسات الاقتصادية كما يعتمد في الوقت نفسه على لسانيات النص وتحليل الخطاب التقليدي والبلاغة والحجاج واللسانيات العامة بفرعيها اللذين ينظران إلى اللغة كنظام عقلي(الجانب الإدراكي في اللسانيات) أو كنظام اتصال، في حين تعد اللسانيات نقطة الانطلاق المركزية في تحليل الخطاب النقدي في كل مقارباته ومناهجه، كما تجدر الإشارة إلى أنّ تحليل الخطاب النقدي يرتكز في كل دراساته ونظرياته على العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع"[63].

ومن منطلق هذا الاستثمار المعرفي في الأسلوبية المعاصرة، يمكن القول "أنّ القضية تتعلق بخطاب أسلوبي (ما وراء لساني) تراكمي، وجامع، وانعكاسي، إنه كذلك خطاب المسافة"[64].

تقول جملة للقديس أوغسطين: « الكلمة هي العلامة على الشيء، ويمكن أن تفهم من طرف المستمع عندما ينطق بها المتحدث »[65].

يجب على العبارة أن تنقل شيئا يمكن أن يتفاعل معه السياق، وإذا لم تفعل ، أمكن للسامع مبدئيا أن يعرف من السياق الإرسالية المقصودة.

« المعنى ليس شيئا مرتبطا بأي منهما لوحده، لكنه شيء "متفاوض" بشأنه في إطار التفاعل بينهما: إنه "بناء اجتماعي"[66]، ذلك أن التواصل باللغة مشروع تعاوني ملتزم اجتماعيا، إن إرسالية المتكلم تمت صياغتها واستقبالها بطريقة ملائمة:

1-كيف يعرف الأفراد المتفاعلون أن لهم أفكار مختلفة.

2-في ظل أي شروط يختار الفرد الإذعان لأفكار فرد آخر؟

تبدو اللغة مسألة لا يمكن تجاهلها في أي مشروع للحوار بين الحضارات؛ إعلاميا كان هذا الحوار أم ثقافيا. فالحوار شكل من أشكال التواصل يوجد فيه مرسل ومستقبل وسياق ووسيلة اتصال وشفرة ورسالة. ولأن الرسالة في إطار التواصل بين الثقافات غالبا ما تصاغ بواسطة اللغة فإن اللغة مكون جوهري من مكونات الحوار. ولا ينفي ذلك أن أنظمة سيميوطيقية semiotic system أخرى قد تشترك في صياغ الرسالة مثل الصورة واللون والموسيقى والإشارة لكن اللغة تظل النظام السيميوطقي المهيمن على هذا الشكل من الحوار. ومن هنا فإن أية محاولة جادة لتطوير الحوار بين العرب والغرب ثقافيا وإعلاميا لا يمكنها تجاهل العوائق التي تنشأ عن اختلاف اللغة بين طرفي الحوار[67].

---

[63]-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص156.

[64]موليننييه، الأسلوبية، ص101.

[65]- تودوروف: العلامة والرمز ضمن سلسلة اللغة، ترجمة محمد سيلا وعبد السلام عبد العالي/ دال توبقال، المغرب، ط5، 2010، ص31.

[66]- تشومسكي وآخرون، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة محمد غالم وآخرون، دار توبقال، المغرب، ط1، 2007، ص 23.

[67]- ص 81-82

إن البحث في أدوار الخطاب (ténors of discoures)، بين الثقافات لتحقق التواصل والتفاعل المطلوب، وجب البحث عن طبيعة العلاقة بين المشاركين في الخطاب و حالتهم النفسية و أدوارهم الاجتماعية، والعلاقات الدائمة والمؤقتة بينهم. وهو أيضا البحث عن طبيعة العلاقات الاجتماعية المتصلة بالكلام-وهذا ما يؤكده الدكتور عماد عبد اللطيف- كما تبين لنا دراسة أدوار الخطاب الأبعاد النفسية للمتخاطبين؛ فإذا كان النص يتحرك ضمن معطياته السياقية، فإنه فضاء يعتمد على فاعلية الحركة، وسعتها، وشموليتها داخل أواصر الوحدات المتناغمة في هذا السياق، والتي تتحاور مع التركيبة الحيوية للبناء النصي. وكما يقول ليفنسون(Stephen Levin son)"السياق لا بد من أن يفهم على أنه شروط وصف الاعتقادات المتعارف عليها، المودعة و الأساسية في الخطاب"[68].

وفي هذا المقام، يشير فان ديك إلى ما يسمى بالسياق الراهن أو الواقعي، (actualcontext)، وهو السياق الممكن في حالة محددة في الزمان والمكان الذين يتحقق فيهما النص كنشاط مشترك بين كل من المتكلم والمخاطب اللذين يحددان خاص الـ(هنا) والـ(الآن) منطقيا، ومعرفيا[69]؛ إذ كل سياق واقعي، و كل جزء منه توجد له مجموعة من البدائل.

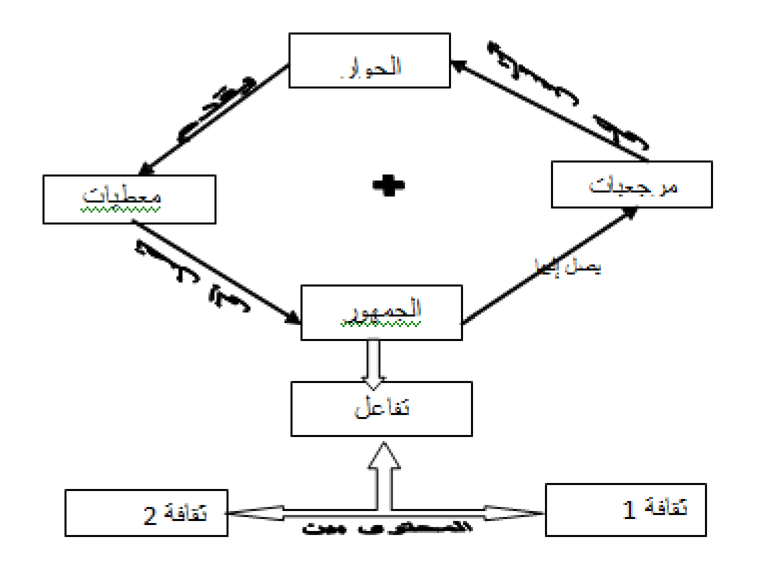
لكي يكون الحوار بين العرب والغرب ناجعا يجب أن يكون شاملا. ومن ثم فإن أحد التحديات الأساسية التي تواجه الحوار بين العرب والغرب هي نقل هذا الحوار من دائرة النخبة إلى دائرة الجماهير. ولعل هذا كان حافزا إضافيا على الاهتمام بدراسة لغة الحوار لكي يمكن توفير معارف دقيقة لكل من يرغب في الانخراط فيه. وفي الواقع فإنني أعول على الحوار الفردي بين عرب وغربيين، كوسيلة لإزالة سوء التفاهم والصور النمطية المشوهة لنا كعرب، بأكثر مما أعول على حوارات القاعات المكيفة والاستقبالات الرسمية[70].

---

[68]- Stephen Levin son,pragmaticcomBridge, text Book in linguistique, com bridge university press, united kingdom, New york, 1983, p 276.

[69]- ينظر: فان ديك، النص والسياق، ص 258.

[70]- المدونة- ص61.



ففي تنظيم المسار التوليدي للحوار الذي يمثل حالة افتراضية ونشاطا قيد الانجاز، أين يتم العمل على تصحيح مكامن الخلل وتعزيز مواطن القوة، لخلق تواصل منسجم وشامل، يعمل بشكل أكثر فاعلية بين بنيتين: سطحية(المكون الابستمولوجي) وعميقة (المكون الحواري)، ويهتم أساسا بتنظيم النموذج الحواري لبلاغة الجمهور، بما يميزها، بفعل الجمهور وحده ، وليس برواسبه النفسية.

يقول الكاتب: "لا فقر التطابق بين الشعوب وتسلطية المماهاة بين الهاويات،وفوضى الذوبان في نرجسية الذات ومركزيتها المقيتة ،ان كل حوار وكل تفكير قائم على مركزية الرؤية والتصور هو عمل مرأوي استنساخي يجرى بين نرسيس والخطيئة، وهو صورة من صور الرياء و الازدواج والخديعة ،حيث يتم حصر الكائن والوجود و الكينونة إما بين النرجسية تصورية مريضة ،او بين هجاء ادراكي ثقافي عدمي"[71]

وهنا يهتم الكاتب حسب معتقدنا بموقفية الجمهور؛ إذ ينطلق في بيان طبيعة الشعوب، التي تجسدها عينة الجمهور ، معتمدا الحوار والتجلي، أي التفرد، وهو بذلك انتقل من البحث في العام، إلى الكشف عن المخصوص، وفق سيمياءالتلفظ أو ما أطلق عليها (Sémiotique situationnelle) أي سيمياء المواقف أو سيمياء التفاعل، والتي تهتم بالانتقال من الأمر الذي يجمع إلى المتفرد الكلامي الخاص، الذي يفرق الذوات بعضها عن بعض ويميزه،والتي تضع في الحسبان مشكلة انبثاق المعاني والتسييق(La contextualisation)، أي وضع الظاهرة

[71]- المدونة- ص15.

في علاقة مع إطار مرجعي من أجل وصفها وتقييمها[72]؛ وذلك في سبيل أن لا نقع في خطأ التأويل النابع من أهوائنا؛ ذلك لأن البحث عن المعنى(أوالتأويل) في التعبيرات الإنسانية الاجتماعية (الكلام، السلوك، المظهر، الانفعالات، المشاعر، شبه اللغة...الخ) مصدره الأساس هو الاتصال البين - ثقافي[73]، كونها تراعي السياق اللغوي المعياري والموقف الثقافي الاجتماعي في التحليل.

ونشير هنا إلى أن الجمهور كفاعل إجتماعي هو أساس التواصل والنبادل والتثاقف، ومهمة المكون المعرفي لديه كبيرة لنجاح ذلك، لأن" الفاعلين الاجتماعيين المتضمنين في الخطاب لا يستعملون فقط خبراتهم الفردية والاستراتيجيات، بل إنهم في الواقع يفتحون مجموعة من أطر المقدرة على الفهم.. هذه المقدرة الاجتماعية المشتركة على الفهم تشكل الرابط بين النظام الاجتماعي ونظام الإدراك الفردي، وتنجز ترجمة التجانس والتوفيق بين المطالب الخارجية والخبرات الموضوعية، وهكذا تشير المقاربة إلى "الرابط""[74]، فبرزت أهمية الأفكار المجتمعة في بناء المطالب الاجتماعية، فالأفكار ليست ذات منشأ شخصي وفردي ..هي ملك إنساني.

ويربط هذا التواصل بالسلوك فيقول:"من السلوكيات الجسدية المسببة للمشكلات في التواصل بين الثقافات حركة اليد والرأس. فقد يومئ المتكلم بشكل معين علامة على الموافقة أو المخالفة أو مجرد المتابعة، في حين تعني نفس الإيماءة شيأ آخر في ثقافة أخر"[75]؛ ففي هذه الفقرة تتحدث عن سلوكيات التواصل غير اللفظي كعائق أمام نجاح الحوار مع الغرب، فمثلا حركة الرأس يمنة ويسارا علامة للرفض عند بعض العرب، بينما هي علامة على التوتر عند البريطانيين.

ذلك أن"الانخراط الجسدي للقارئ يعني أبعد من مجرد التماهي مع شخصية المتلفظ الضامن، فهو يستتبع "عالما أخلاقيا" هذا المتلفظ الضامن هو جزء لا يتجزأ منه، وهو الذي يسمح بالولوج إليه"[76] النمطية المرتبطة بالسلوكات المتنوعة والمختلفة التي تعود إلى الإنسان، وهذا التناغم في طرح فكرة بلاغة الجمهور على مستوى تواصل الثقافات، يعود في اعتقادنا إلى بناء الفكرة على تبني أفكار ومبادئ، ورسمها بخيوط تمدها بقوة الانفتاح على الآخر.

خامسا. التبني والانفتاح:

لم ينجُ كثير من المفكرين والفلاسفة والنقاد البارزين العرب، من الوقوع أسرى للرؤية الغربية المتعصبة، وتياراتها الفكرية والنقدية المتعددة الرؤى، وذات

---

(72) ينظر:أ.د.ألكس مكيلي، الوجيز في سيمياء المواقف، ترجمة: وحيدة سعدي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2008، ص11. وما بعدها.

(73)ينظر:أ.د.ألكس مكيلي، المرجع عينه، ص175.

74-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص160.

75- المدونة، ص138.

76-دومنيك مانجينو، نفسه، ص772.

المشارب المختلفة، فاحتضنوها وتبنوها باعتبارها حركة تنوير في الثقافة العربية، وثمرة الفكر العقلي في بداية النهضة، فهي قمة التنوير في عالمنا العربي المعاصر[77]، وهي ثورة تنويرية ذات مشروع جذري وشامل، يتضمن عناصر عقلانية تنويرية حيث ينتقلب الأدب والفكر التراثي من الحيز اللاهوتي الذي يقدس الماضي إلى حيز التحليل والنقد[78]. وعليه، يجب الاستضاءة بمناهج ومدارس النقدالغربي، وبشكل خاص تلك التي لها نظائر في النقد الأوروبي وضرورة الاستفادة من كل مناحي واتجاهات بعض علماء النقدالأوروبي."تأريخ الفكر العلمي يثبت لنا أن الفكر العلمي لم يكن قط منفصلا عن الفكر الفلسفي، وأن الثورات العلمية الكبرى قد تحدد بانقلابات وتحولات في المفاهيم الفلسفية"[79]

وهكذا وتحت شعار " عالمية النظريات "ومقولة " المناهج المتاحة للجميع "التي دأب الحداثيون الغربيون على إطلاقها من منابر ثقافية مختلفة، وفي مناسبات متعددة، ارتأت فئة من المحدثين العرب، تبني هذه الشعارات والأخذ بها كقناعات أولية للانتقال إلى استيراد النظريات النقدية الحديثة، وترجمتها وتطبيق مناهجها . ويستند هؤلاء المحدثون إلى مبررات يرونها أكثر علمية وموضوعية من غيرها، ومنها القول بعالمية النظريات وكونيتها، فالنظرية عندهم **"**هي تركيب فكري شامل، يقوم على التجريد، والتعميم، ويهدف إلى تفسير أكثر عدد ممكن من الظواهر في مجال بعينه بعيدا عن المعنى الضيق لزمان النشأة **"**[80]**.**

ان العالم والواقع والمجتمعات والتواريخ تتحرك بقوى اللامعنى الى جوار قوة المعنى، وبحيوية اللانسق والفراغ والغياب المبثوثة في نواحية العالم من حولنا داخل بنية العقل وخارجها، فان واجب العلم بالواقع واللغة والوجود أن يقفوا جميعا على منطق الفجوات، لا منطق الامتلاءات، ومنطق التفكك لا منطق الاتساق، ومنطق الشروخ لا منطق المماهاة"[81].-

وجمع بين الفكر والممارسة في وحدة مدهشة، وأخيرا أدرك العلاقة العضوية بين حلمه التنويري، و بين الأرضية السياسية والاجتماعية، فلا تقدم دون عقلانية، ولا عقلانية[82].

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يمكننا أن ننفي البؤر المعرفية المشَكِّلة للبنى التحتية للمناهج والنظريات الغربية الوافدة على عالمنا العربي، فالأمر اليوم، أشبه بالأمس ولكن بشكل معاكس حيث لا يمكن أن ننفي بالمقابل الأهداف الإيديولوجية

[77]- سيدالبحراوي،البحث عن المنهج النقدي العربي الحديث، دارشرقيات،1993،القاهرة،ص50.

[78]- عبدالله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، ط1999،1، الدارالبيضاء، ص14.

[79]-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي- ص155.

[80]- سعد البازعي،استقبال الآخ الغرب في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، 2004 ، ص 77 .

[81]- المدونة، ص 18-19.

[82]- عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، دار الأمان ، ط1 ، الرباط ، 2010 ، ص15.

التي كانت تصاحب نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى العالم أجمع. فمثلما فعلنا بالأمس، هم يفعلون اليوم، لكن يبقى تصدير المعارف مختلفا ومتفاوتا، من حيث القيم والأهداف.

عنوان الفقرة هو الاختلاف في مسؤولية الكاتب أو القارئ ."الكاتب العربي يلقي على القارئ مسؤولية تنظيم النص وإنتاج المعنى، ومن ثم يندر أن تستخدم علامات الترقيم المتعددة، التي تقوم بوظيفة تنظيم النص وتيسير إنتاج المعنى، والقارئ العربي يتقبل - برحابة صدر - الغموض الذي ينتج عن غياب هذه العلامات، ويحاول أن يبذل جهدا كافيا للتغلب عليه، لكن القارئ الغربي ربما لا يكون مستعدا لبذل جهد كبير في تنظيم النص أو التغلب على غموضه"[83].

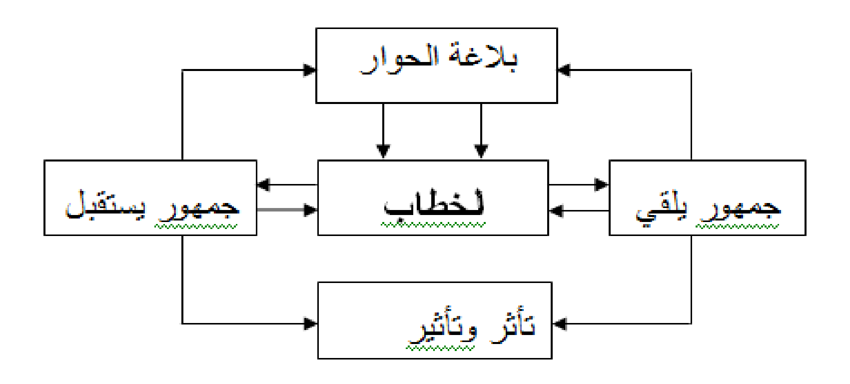
هنا الحديث في هذه الفقرة يدور حول علامات الترقيم في النص وكيف للقارئ العربي أن ينظم النص وينتج المعنى، أما القارئ الغربي لا يمكنه أن ينظم النص العربي أو أن ينتج المعنى المراد إلا إذا تمكن من فهم علامات الترقيم؛ هذه الأخيرة من شأنها أن تربك التواصل، وتدخل الحوار في مأزق كبير، نلهيك عن الجانب الأخلاقي، الذي هو هو صورة نمطية ثقافية تستوعب عددا من الوضعيات المختلفة فدراسة الدكتور عماد دراسة ثقافية، كتخصص بين حقلي عالميا، ويقوم بدعم هذا التخصص بعض المجالات تتراوح ما بين الدراسات الثقافية والنص الاجتماعي والتشكلات الجديدة"[84].

ذلك "لأن مقارنة الطريقة التي تعمل بها اللغة العربية سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة بأية لغة أخرى تزيد من معرفتنا بثقافتنا العربية مقارنة بثقافة تلك اللغة. والوعي بفروق اللغة والثقافة ضروري لا غنى عنه لتجاوز مشكلات التواصل؛ لأن هذه المعرفة تتيح تعديل وتكييف استخدامنا للغة في الحوار مع أبناء اللغات والثقافات"[85].

[83]- المدونة، ص112.

[84]-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات:132.

[85]-المودنة، ص 105.

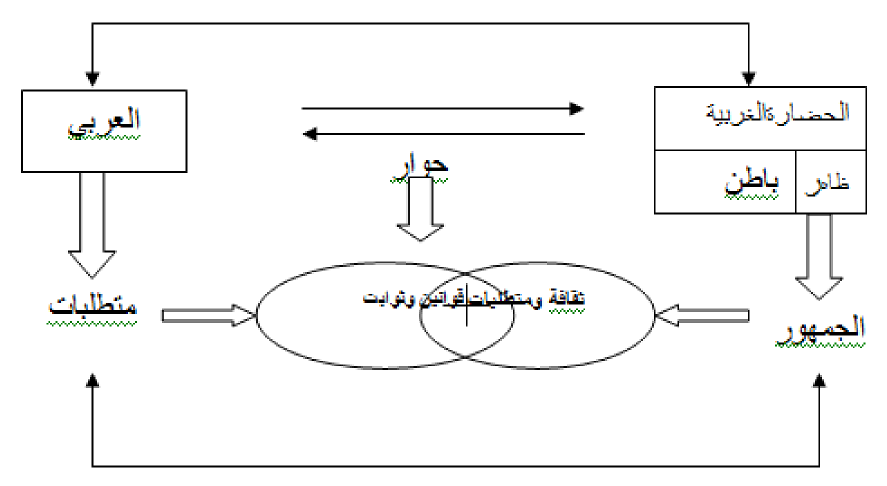


تفاعل

ومنه كانت النظرة المتكاملة للخطاب و أسلوبه، لا تكون إلا بدخوله نطاق النظرة التداولية، ضمن تفسير الفاعلية، التي تتم فيها عملية استعمال اللغة ومكوناتها أثناء الأداء و التلقي، الذي يعني بكل الظروف والملابسات والأحوال و السياقات، التي تمت فيها أفعال إنتاج الخطاب وتواصله الشامل. وعليه يقول روبير اسكار بيت(r.eskriebett): "يجب أن نضيف إلى تحديدات اللغة والفنون الأدبية تحديد العنصر الذي يصعب تفسيره وهو ما ندعوه الأسلوب"[86]؛ لأن الأسلوب بهذه الطريقة يكون رابطة له أصوليته و انشقاقاته الخلاقة التي يعتمد عليها، و تبين التجربة أننا نستطيع أن نؤرخ أو نحدد نصا دون أن نعرف مؤلفه انطلاقا من تحليل الخط وبنية الجملة واستعمال أقسام الكلام و نوع الموضوع و الاستعارات، أي المتطلبات الجمالية الكبرى؛ لأن المؤلف مهما كانت لديه قدرة الخلق فإنه لا يستطيع أن يتجاهل متطلبات الذوق لديه ولجمهوره.وهذا ما يفسر تنوع الأساليب في المجتمع الفرنسي في (ق 17) ، ومن ثم اختلاف الجماهير؛ إذ لا يختلف الناس في ثقافتهم، أو لغتهم، أو مذهبهم فقط، ولكنهم -فوق ذلك- يؤلفون جماعات وفرقا وزمرا لكل منها بنيتها اللغوية وأسلوبها و جمالياته؛ وهو الأمر الذي سهل على شارل موريس –في اعتقادنا- التمييز بين ثلاثة انزياحات أسلوبية: التركيبية (العلاقة بين الدلائل)، الدلالية (العلاقة بين الدليل و الواقع) ، والتداولية (العلاقة بين الدليل و المرسل و المتلقي)، ليدخل الحوار في دورة اتصالية مغلقة تعيده إلى الأساس في كل حوار، فلا تناقض في كل ذلك:

---

[86]- معمر حجيج ، التداولية بين اللسانيات والدراسات الأدبية ، مجلة الأثر، ورقلة ، الجزائر، العدد 2، ماي 2003، ص 258. مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطبيعة ، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 16 . ومحمد خطابي ، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، مركز الثقافي الإسلامي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 297.



فالتواصل بين الثقافات معرض بدرجة أكبر للفشل والانهيار بسبب اختلاف الشفرات اللغوية وتباين دلالة العلامات غير اللغوية، واختلاف طريقة كل ثقافة في التواصل والتحاور. إضافة إلى الصور النمطية التي تترسخ في أذهان أبناء ثقافة عن أبناء الثقافات الأخرى. ولأن التواصل بين الثقافات أكثر قابلية لوقوع حالات سوء الفهم وانهيار التواصل فإن مخططى هذا التواصل وممارسيه لابد وأن تتوفر لديهم معرفة أكاديمية عميقة وشاملة بالأسباب التي قد تؤدي إلى سوء الفهم أو انهيار التواصل بوجه خاص، والعوامل التي قد تؤثر في التواصل بين الثقافات بوجه عام[87]. كما نجد عند الدكتور عماد عبد اللطيف.

نابعة من جراء خضوعه " فكريا لآلية المركزية الغربية التي صنعت، كما ذهب لاوعيه الثقافي"[88].

مراعاة خصوصية الأدب العربي، ويحذرنا من مجاراة التفكير الأوروبي، وراء دعوته إلى تغيير هذا الواقع، وتجديد حياتنا واتجاهاتها وقيمها باستمداد الآداب والفنون الغربية، الأمر الذي يعني استيراد واقع جديد مطابق للواقع الغربي. وهذا ما جعل محمد برادة يؤكد أن «المثاقفة..، وعلى الرغم من التطور النسبي في الوعي، كانت تنطوي على عناصر سالبة كثيرة، لأن نموذجية الغرب كانت ملتصقة بوعي وممارسة الطبقة السائدة آنذاك، مما جعل التنبيه إلى المقومات القومية والاختيار بين ما هو صالح وما هو طالح مجرد شعارات لترضية كبرياء المشاعر الوطنية والدينية والتخفيف من وطأة الانشداد إلى الغرب في كل المجالات[89].

الجهود العربية في تكوين فكرة البلاغة وتواصل الثقافات، يتأسس على:

87- المدونة، ص 35.

88- عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، ص63.

89- محمد برادة، محمد مندور وتنظير النقد العربي، دار الآداب ،بيروت،1979 ، ص41

1- التلقي: الانفتاح على الثقافة الغربية واستقبال روافدها من المعارف العلميّة والتقنيات المنهجية وتمثل هذا في ظهور التيارات اللسانية المتأثرة بالفكر اللّغوي الأوروبي في كافة مجالاته.

2- التمثيل: وهو البحث في صور الاشتراك الذي يمكن استنتاجه من خلال استحضار مكونّات التّراث وربطها فيما يقابلها من عوائد الثقافة الغربيّة.

3- الإنشاء والوضع: وهو البغية الأساس في هذا المجال، فبعد المرور بالتلقي يأتي التمثّل وهذا كلّه يجيء دور التطبيق والحصول على النتيجة المرجوة في امتلاك الكم الهائل من المصطلحات والمفاهيم.

1-مغالبة المتصورات: حيث يسعي العربي لفك أيّ غموض مصطلحي/ فكري ومنهجي يعترضه في التعامل مع تلك الثقافة تلقيا وتأثيرا.

2- مراودة المفاهيم: وهي جعل كلّ المعطيات المستخلصة من المعارف الغربية النظرية تتلاءم والثقافة العربية من النّاحية الدّلالية.

3- الاحتيال على المدلولات: أي إحداث رؤية تفسيرية خاصة نستطيع من خلالها فهم التصورات الفكرية الغربية والعربية الحديثة، لأن الثقافتين في هذا الحوار يتسمان بالآتي:

1- اتسامها بالنزعة الفكرية الفلسفيّة.

2- تعتمد طريقة الكشف.

3- بحث التوافق ومتطلبات العصر...من أجل نجاح الحوار.

" إنّ تحليل الخطاب التنظيمي يميز بين المرحلة التي فيها محتوى أكثر في 1 تحليل البنية والمزيد من الجانب اللساني المركز 2 مرحلة التحليل الدقيق. وفي داخل تحليل البنية يجب أن تتشخص الميديا والثيمات العامة. وفي داخل التحليل الدقيق يركز تحليل الخطاب التنظيمي على فتح السياق، وسطح النص، والمعاني البلاغية."[90]

-التركيز على ابستيمولوجية التفكير في البلاغة واللسانيات.

-محاولة تكييف المصطلحات والمفاهيم مع الظروف السياقية وتحسين المصطلحات .

-ضرورة تقريب المفهوم المعرفي للتأصيل البلاغي في الذهنية العربية اللسانية المعاصرة، بمنهجية علمية ومحاولة محاكاتها مع العلوم الإنسانية.

-المقاربة بين النظري والتطبيقي، وعكس ذلك بما تفرزه العلوم الإنسانية والمناهج الوضعية الحديثة .

-احترام أبجديات العقل البشري وأخلاقياته[91].

---

[90]-جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي-مناهج ونظريات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1437ه/2016م، ص159.

[91]

نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف
وعلاقتها بالسيمياء

د. ماجد قائد قاسم
جامعة أبين- اليمن

مقدمة

إن الإنسان كائن بلاغي، يوظف طاقاته اللغوية وغير اللغوية من إشارات وعلامات ورموز ليحقق وجوده، ويتواصل مع محيطه، ويستخدم آليات وتقنيات تساعده في عملية التواصل والتأثير والتأثر. هدفت البلاغة العربية منذ نشأتها إلى التأثير والإقناع، وتنقّلت في مراحل مختلفة ارتبطت في بدايتها بالقرآن الكريم، مرورا باقترانها بالأدب والبحث عن أسرار الإبداع وتأليف الخطابات، وانتهاء بتحليل النصوص وكشف جمالها وقبحها، ولكنّها تحنّطت على يد السكاكي بسبب تقسيماته التي تركت أثرا كبيرا في الدرس البلاغي العربي، ونظرا للتطورات والتحولات الكبرى الفكرية والثقافية والمعرفية والأدبية في العصر الحديث فإن من اللازم على الدرس البلاغي أن يتأثر بها، فتعالت أصوات تدعو إلى تجديد البلاغة العربية،وتأسيس وعي بلاغي جديد، لا ينكر التراث،ينبع من طبيعة المجتمع، ويلائم الذوق العام. فليس التجديد في البلاغة ابتداع، أو حكر على عصر دون عصر، فقد دعا ابن قتيبة إلى التجديد، بقوله "إنَّ الله لَم يَقصر العلم والشعر والبلاغة على زمنٍ دون زمنٍ، ولا خصَّ به قومًا دون قومٍ، بل جعَل ذلك مشتركًا مقسومًا بين عباده في كلِّ دهْر، وجعَل كلَّ قديمٍ حديثًا في عصره"[1]، والباحث البلاغي عماد عبد اللطيف أحد رواد التجديد في البلاغة، وخير من مثّل الاتجاه السابق، إذ سعى إلى بعث البلاغة العربية بحلة جديدة، تنسجم مع الواقع، وتواكب التحولات والمعطيات الجديدة، في نظرة علمية ثاقبة.

إذا كانت البلاغة القديمة تهدف إلى فن الكلام المقنع للجمهور،وتتصل بلغة التخاطب،وبالخطب التي تلقى في الميادين العامة أمام جمهور المتلقين،فإن نظرية بلاغة الجمهور "تسعى إلى تخليص علم البلاغة من جزء من تاريخه السلبي الطويل في خدمة السلطة على حساب الجمهور"[2]،فبلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف عكست تصور البلاغة القديمة، وأعطت الأولية للجمهور في تلقي الخطاب، حيث عني "بخطابات الحياة اليومية، معبرا للاستقلال بمنطقة بحث جديدة، تحتاجها تلك الحياة، ويحتاجها الإنسان العربي في فهم الخطابات، أو

1- أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، د. ط، 1423، ج1، ص64.

2- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر،ع84/83، 2013/2012، ص517.

إنتاجها عبر العناية بـ (استجابات المخاطَب)، والخروج من هيمنة بلاغة المتكلم"[3]،فقد انتقلت الدراسات البلاغية إلى الممارسة البلاغية والوظيفة الحياتية لها، فلم يعدعلم البلاغة الطريقة التي يؤثر فيها المخاطِب على جمهور متلقيه،لإقناعهم وإبلاغهم،بل أصبح دور الجمهور مهما في توجيه الخطابات العمومية وتشكّلها من خلال الاستجابات الجماعية الفعلية اللغوية وغير اللغوية التي يبديها نحوها،ولعل التصفيق من أكثر الظواهر التي ينتجها الجمهور عند تلقي الخطاب, فقد تحول الخطاب إلى كتلة من الرموز والشيفرات التواصلية البلاغية والإبلاغية بسبب التكنولوجيا الحديثة. وترجع قدرة الجمهور في بناء الخطابلوعيه بكل ما يحيط به، ما أنتج بلاغة جديدة أنجزها الجمهور أفعالا وردودا مختلفة، إذ يستفيد من مقاصد المخاطِب، ويسعى إلى تحليل رموز خطابه، وفك شيفراته، وإعادة بنائه من جديد في عمليات ذهنية حجاجية. لقد أصبحت كفاءة وقدرات المخاطَب لا تقل أهمية عن كفاءة وقدرات المخاطِب في تشكل الخطابات العمومية، وتوجيهها، واستجاباتها، فأنتج بلاغة جديدة هي بلاغة الجمهور، والتي انطلقت بحسب تعبير الباحث عماد عبد اللطف من "الإيمان بأن الجمهور يستطيع أن يلعب دورا كبيرا في التواصل الجماهيري المعاصر"[4]، باعتباره الحافز والدافع الذي وجّه البلاغة العربية وجهة جديدة تهتم بالاستجابات الجماهيرية للخطابات العمومية.

تنطلق فكرة البحث من أسئلة مفادها ماذا تقدم نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف في تحليل الخطاب وخصوصا الخطاب الجماهيري؟ وما أوجه العلاقة بينها وبين الخطاب من جهة،والسيمياء من جهة أخرى؟ما لمنهج الذي اتبعه البلاغي عماد عبد اللطيف في تحليل ظاهرة التصفيق؟ وهل يمكن تبنيه في تحليل أنواعالخطابات؟ وهل يمكن أن نسميه بالمنهج (السيميوبلاغي)؟ مثل هذه الأسئلة سيتم مقاربتها من خلال الدراسة، وقد قُسِّمتإلى ثلاثة مباحث، عُنوِن المبحث الأول الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيمياء البلاغة، ودرس المبحث الثانيالأسس النظرية والمفاهيم الإجرائية لنظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف، وتناول المبحث الثالث أسس التحليل السيميوبلاغي للخطابات العمومية عند عماد عبد اللطيف في كتابه(لماذا يصفق المصريون؟)، وخُتِم البحث بخاتمة لخّصت أهم النتائج.

المبحث الأول: الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيمياء البلاغة.

تربِط الخطاب بالبلاغةِ علاقة وطيدة في شتّى مظاهره وتشكلاته الفنية والأدبية والتحليليّة، فغاية كل خطاب هو التواصل والتأثير في جمهور متلقيه،

---

[3]- صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، دار شهريار، البصرة، العراق، ط1، 2017، ص10.

[4]- المصدر نفسه، ص11.

* الرموز المستخدمة في البحث: (ط): الطبعة، (ص): الصفحة، (د.ط): بدون طبعة، (ع): العدد، (تر): ترجمة.

لحمله على فعل شيء، فـ"يقتضي أثرا وتفاعلا بين متخاطبين فعليين (قائمين)، أو مفترضين (متوقعين درجات من التوقع)، قد تقترب من الصفر، وهذا الأثر لا يعدو أن يكون طلبا للتصديق (أو التسليم بدعوى أطروحة)، أو طلبا للتخييل والتوهيم"[5]. ارتبطت البلاغة نظريا وتاريخيا بدراسة الخطاب التداولي والإقناعي، فـ"الإقناع في العربية يعمل في اللسان العربي عمله الجمالي، أي بالعرض لا بالبرهان، وأن سُكون الاستراتيجيات الحيوية في المجادلة العربية، لا ينبغي له أن يحلل في حدود أي قصور ذاتي في نظام العربية، بل في حدود العلاقة المعقدة بين اللغة والمجتمع، أو بين الخطاب والأيديولوجيا"[6]. كما ارتبطت البلاغة بالخطابة "ونشأت ملازمة لها، ولم تفارق ما ارتبط بها من مخايلة الإقناع، وما تؤديه هذه المخايلة من وظيفة إيديولوجية تتصل بإيقاع التصديق في النفوس"[7]. ولكن بلاغة الجمهور قلبت هذه الرؤية، وعكست فلسفتها، لتبحث عن بلاغة الجمهور في إنتاج الخطاب، وتأثير استجاباتهم في توجيه إيدلوجياته، وأصبح الإقناع والتأثير متبادل بين المخاطِب والمخاطَب، "فالبلاغة القائمة على الإقناع والحوار هي الأفق الديمقراطي للمجتمعات الإنسانية، لذلك اعتبر الباحث ماير بأن مرتكز البلاغة هو المفاوضة، أي الاستعداد للتبادل ومداولة المسافة"[8]. لقد فتحت بلاغة الجمهور بوابة جديدة مختلفة في فضاء البلاغة العربية، وعملت على تحررها فهي "في صورتها ووظيفتها المقترحة امتداد عكسي كامل للبلاغة القديمة من ناحية، وهي المعرفة المؤهلة لأن تقوم بوظيفة مقاومة السيطرة التي يمكن أن تمارس بواسطة الخطاب من ناحية أخرى"[9].إنها تسعى لتحقيق وظيفة مغايرة للبلاغة، تهتم بالجانب المغيّب في العملية البلاغية وهو استجابة الجمهور.

تسعى البلاغة الجديدة في دراستها للخطاب إلى لملمة أطراف العلاقة الخطابية، وجعل الخطاب مرآة عاكسة للواقع المعيش، وهي بذلك تروم إلى بلوغ الشمولية، "وتعميم مقاربتها على كل أنواع الخطاب، ليس السياسية منها، والقانونية والبرهانية – المعروفة في التقليد البلاغي العربي الكلاسيكي- وإنما الأدبية والإشهارية وغيرهما، وصولا لأحاديث الحياة اليومية التي لا تخلو من إقناع واستهواء، على هذا يكون تحديد البلاغة الجديدة جامعا لعلمي الخلاف

---

[5]- محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص21..

[6]- محمد العبد، بحوث في تحليل الرقم الإقناعي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، د. ط، 2013، ص8.

[7]- جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ضمن كتاب المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1993، ص7.

[8]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص16.

[9]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين للنشر، الاسكندرية، مصر،د.ط، 2009، ص61.

والجواب المتعدد"[10]. "وحركة تثوير في المفاهيم لتطاول سائر المجالات الاجتماعية، وتغدو علما وصفيا يرنو إلى المستقبل، ويتسع لجميع الخطابات متخليا عن الروح المعيارية التي ألجمت جموحه الإبداعي"[11]. وهذا ما تطمح له بلاغة الجمهور في مقاربتها لكل الخطابات الحياتية السياسية والفكرية والأدبية وغيرها.

هناك تداخل بين البحث البلاغي وباقي الحقول المعرفية الأخرى، فسعة البلاغة الجديدة وامتداداتها جعلها تتواشج مع البحوث اللغوية الأخرى ومنها السيمياء،"فدراسات الخطاب تقتات بالفعل على منجزات العلوم الإنسانية الأخرى، لكنها تتيح لهذه العلوم – وهي تقتات عليها- أن تكتسب كينونة جديدة، تماما مثلما تتحول فروع الأنهار إلى بحيرة مترامية"[12]، ففي مقابل الاهتمام بتحليل الخطاب القديم ودراسة علاقته بالعلوم الإنسانية، هناك الاهتمام بتحليل كل العلامات اللغوية وغير اللغوية داخل الخطاب،فالخطاب من وجهة نظر البلاغيين المحدثين "فضاء يبحث عن شبكات التعليق متعددة الأبعاد، وهي شبكات مكونة من تطابقات، وعلاقات تركيبية واستبدالية تنشأ منها وبها أشكال بلاغية جديدة، تقود بدورها إلى إحداث تأثيرات سياقية معقدة، ويزيد صعوبتها أن هذه التأثيرات السياقية للأشكال اللغوية سرعان ما تنظم إليها تأثيرات ناجمة عن مستويات رمزية وسيميولوجية أخرى"[13]، حيث "ارتبط تحليل الخطاب في نشأته وبدايته باللغة بوصفها النسق العلاماتي الأهم في التواصل بين البشر"[14]. وتهدف بلاغة الجمهور إلى دراسة الاستجابات الفعلية في سياقاتها وأنساقها اللغوية وغير اللغوية.

لم تعد البلاغة فن لإنتاج الخطابات، بل أصبحت أداة لتحليلها، فقد "أظهر النسق البلاغي، عبر قرون، قابليته للاستمرار، بل ومرونته تسمح بالتمادي في تطبيقه على نصوص جديدة ...، فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأويل"[15]،وقد أضحت البلاغة الجديدة علما شاملا لكل أنواع الخطابات، تلك "البلاغة المؤهلة للتأثير في محرك الكون، تخرج من أن تكون معممة أو مؤممة إلى بلاغة عامة ينصهر فيها المكونان الشعري والتداولي الخُطبي، وتتجاوز اللغة الطبيعية إلى عالم العلامات، وهي التي ستكون سيميائيات للخطابات، لجميع

10- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب: في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ص11.

11- أحمد يوسف،السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، المغرب، ع28، 2007، ص113.

12- عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2015، ص44.

13- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997، ص12.

14- المرجع نفسه، ص45.

15- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1999، ص24.

الخطابات"[16]. وسّعت البلاغة الجديدة حقل مقاربتها الإجرائية لتشمل جميع أنوع الخطاب، بهدف البحث عن كلياته وجزئياته وقوانينه وأنساقه، ما جعلها تندرج في إطار المقاربة السيميائية للخطاب، "وتصبح مرادفة للسيميائيات من حيث هي هندسة ذهنية لعوالم اللغة والفكر"[17].

لقدأفرزت التطورات العلمية والتكنولوجيا واقعا جديدا، وأنتجت خطابات سياسية ودينية وإعلامية واجتماعية، تستدعى تطوير الفكر البلاغي وتجديده لمواكبة هذا التطور في كل أشكال الخطابات؛ لتتمكن البلاغة من تحليل الخطاب الجديد ومقاربته، فكانت اجتهادات للبلاغيين المحدثين أمثال البلاغي محمد العمري، ومحمد مشبال، وعماد عبد اللطيف وغيرهم، لتجديد الدرس البلاغي، وإحياء البلاغة العربية بعد أن تحجّرت قرونا من الزمان، وتمثّل هذه الجهود منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ البلاغة العربية الحديثة بعد محاولات سابقة لبلاغيين أمثال أمين الخولي، وأحمد الشايب،وسلامة موسى،وغيرهم.

إن "ظهور السيميائية بوصفها علم للعلامات كافة (بما فيها اللغة) خطوة نحو تعبيد طريق الدرس البلاغي للعلامات غير اللغوية، ثم كانت الروابط القوية بين السيميائية وتحليل الخطاب – التي وصلت إلى حد التداخل والاختلاط- انعكاسا لتشابك العلامات في الخطابات الإنسانية المعاصرة"[18]. لقد خلقت السيمياء تفاعلا معرفيا بين مختلف العلوم، ومن بينها البلاغة، وسعت إلى كشف المنظومة المعرفية البلاغية، والاستفادة من مفاهيمها ومبادئها في دراسة الخطابات وتحليلها، ما أعطى قيمة جديدة للبلاغة بوصفها منهجا للفكر اللغوي، ونسقا تحليليا، قادرا على استيعاب كافة أنواع الخطابات، وإنتاج لغة واصفة قادرة على تحليل جميع الأنساقالسيميائية، وهذا ما أشعر "رواد البلاغة بنشوة لأنهم يجدون في البلاغة جميع العناصر التي يمكن أن يملؤوا بها الخطاطة السيميائية الحديثة في مكوناتها الكبرى: التركيب والتداول والدلالة"[19]. فانتقلت البلاغة من النظرة المعيارية الضيقة إلى فضاء البلاغة العامة.

"إذا كانت البلاغة مصدر توليد الوحدات الكلامية والمقومات الإبداعية، فإن السيميولوجيا تبحث عن الجانب المعرفي المسكوت عنه في الخطاب كما تهتم برصد العلاقات البنائية داخل الخطاب، ويوضح (جان ماري كلانكينبرجKlinkenberg) طبيعة العلاقة بين البلاغة والسيميولوجيا في كون

---

[16]- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الوسطى، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2012، صص76-77.

[17]- أحمد يوسف،السيميائيات والبلاغة الجديدة، مرجع سابق، ص112.

[18]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، ع8/7، 2015،ص199.

[19]- محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة دراسات لسانية أدبية سيميائية، فاس، المغرب، ع5، 1991، ص20.

البلاغة مرتبطة بفن الكلام، أما السيميولوجيا فهي مرتبطة باللغة، والبلاغة التي تستحق أن تكون عامة يمكن مقارنتها بالسيميولوجيا عندما تصل إلى مستوى التجريد"[20]. أي أن هناك تواشجا بين الحقل السيميائي والبلاغي، "فعلم الدلالة والدراسات البلاغية لهما نطاق متشابك يأخذ بعضهما بأعناق بعض"[21]، ويلتقيان في الجانب التواصلي والتداولي، فـ "البلاغة نظام إبداعي ديناميكي تداولي، بينما السيميوطيقا نظام وصفي ثابت، يهتم بوصف الأنظمة اللسانية وغير اللسانية وصفا وتقعيدا وتنظيرا بغية البحث عن الأنظمة الثابتة المضمرة التي تتحكم في توليد الدلالة والبعد التواصلي، ومن ثم، فالبلاغة مقاربة اجتماعية ومقامية تنبني على نظرية الأفعال الكلامية في سياقها الحواري والإنجازي"[22]، وترصد مجمل الانزياحات الصوتية والبصرية والدلالية والتركيبية والإيقاعية التي خرجت عن المألوف، وتكشف دلالاتها الإيحائية المضمرة،والسيمياء مقاربة تأويلية ترصد مجمل أنساق العلامات اللغوية وغير اللغوية، وتدرس أبعادها التواصلية في الحياة الاجتماعية. تشترك البلاغة مع السيميائيات في فهم كيفية بناء الخطاب ودراسة نصوصه، والبحث عن المعنى الإيحائي فيه، وتفرق البلاغة بين اللغة العادية واللغة المجازية، وتفرق السيمياء بين المعنى السطحي والمعنى العميق.

تقترب بلاغة الجمهور في مقاربتها للخطاب من السيمياء،حيث اهتمت السيماء منذ ظهورها بتفكيك الخطابات، ما أدى إلى بلوغها أوسع دوائر المعرفة الإنسانية، والممارسة الاجتماعية بكافة أبعادها، فتمدد نطاقهالتقارب أنواع الخطابات السياسية والاجتماعية والدعائية والفيلمية، وخطاب الصورة،وهو ما تسعى إليه بلاغة الجمهورفي دراستها كل مظاهر الخطابات اليومية،"وتركز على حزمة من العلامات المتنوعة (وليست اللغة وحدها)، ويعني هذا أن بلاغة الجمهور تحدث تغييرا جذريا في مادة البحث البلاغي، وتنقلها من دائرة خطاب المتكلم الفرد ونصوصه إلى دائرة الاستجابات اللفظية وغير اللفظية التي ينتجها الجمهور في سياقات التواصل العمومي"[23]،بمعنى أنها توجه البحث البلاغي وجهة جديدة، "بوصفها معرفة علمية، نحو معالجة مشكلات تواجه المجتمع"[24]. فدراسة بلاغة الجمهور لظواهر الخطاب ووظيفته الحياتية جعلها "تستمد جمالها من صورها وشعاراتها ولافتاتها وأيقوناتها الرمزية، ومن غاياتها الإنسانية التي

---

[20]- محمد القاسمي،البلاغة الجديدة وتحليل الخِطَاب، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، لبنان، ع50، 2019، ص40.

[21]- نسيمة الحاج عبد الله، الدراسات البلاغية وعلاقتها بعلم الدلالة: دراسة في مفهوم المجاز، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،الجامعة الإسلامية العالمية،ماليزيا، ع1، 2016، ص178.

[22]- جان ماري كلانكينبرج، مراجعة جميل جمداوي، مبادئ السيميوطيقا العامة، مجلة الطفولة العربية، الكويت، ع54، 2014، ص77.

[23]- صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، مصدر سابق،ص24.

[24]- المصدر نفسه، ص25.

تنشد القيم الاجتماعية[25]"، وهي بذلك تتطابقمعالسيمياء"باعتبارها العلم الذي يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية"[26]، فكلاهما يسعى لدراسة أنساق الخطاب في الحياة الاجتماعية.

أصبح التواصل بظهور السيمياء منفتحا على كل الأشياء والعلامات التي تحمل في طياتها دلالة ما، فتجاوزت بذلك حدود البعد اللساني في العملية التواصلية إلى أبعاد وأنساق تواصلية أخرى أحدثها الإنسان في إطار حاجته للتبادلات الاجتماعية،وهو ما تهتم به سيمياء التواصل في دراستها للعلامة ومقصديتها، فموضوع دراسة السيمياء عند بيرس يعني "بما هو نسق ترميزي يتحقق بواسطته التواصل، وليس موضوع الأشخاص الشارحين"[27]. لذا تركز بلاغة الجمهور على فعالية التواصل من خلال استجابات الجمهور في الفضاءات العمومية، ودراسة مظاهرها، والعلاقة بينه وبين السلطة.

تلعب بلاغة الجمهور دورا محوريا في إنتاج الخطاب، ويرى رولان بارث أن بلاغة الخطاب أصبحت ترتكز "على الوعي بالفكر الذي يولد فينا بطريقة يمكن معها إنتاج هذه الحركة عندما نتحدث إلى الآخر جاذبين إياه إلى الحقيقة كما لو أنه يكتشفها شخصيا"[28]، فلا بد للخطاب الموجَّه أن يركز على الخطاب الاحتمالي، الذي قد ينتجه الجمهور أثناء تلقيهم للخطاب، فبلاغة الجمهور تنبع من المجتمع، وتتجه نحو جمهوره، وتندمج معه، وتنظر إلى المخاطَب(الجمهور) باعتباره عنصرا فاعلا ومرتكزا في العملية البلاغية والإبلاغية للخطاب.

المبحث الثاني: نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف، المنطلقات الفلسفية، والمفاهيم الإجرائية.

في نظرية بلاغة الجمهور، الموضوع والأهمية:

تعد نظرية بلاغة الجمهور نظرية نقدية في تحليل الخطاب، تهتم بمكوناته الأربعة الإنتاج والتداول والتلقي والاستجابة، لكنها تركّز تركيزا محوريا على المكون الرابع الذي أغفلته مناهج ونظريات تحليل الخطاب، حيت تهتم اهتماما كبيراباستجابات الجماهيرية للخطاب بكل أبعاده،فوجهت الدراسة البلاغية للبحث "في العلاقة بين الظواهر اللغوية المكونة لخطاب ما، والاستجابات الفعلية التي ينتجها المستهدفون بهذا الخطاب والعلاقة بين علاقات السلطة واستجابات الجمهور، وأساليب التلاعب بهذه الاستجابات"[29].

---

[25]- عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي: قضايا ونماذج، دار أمجد للنشر والتوزيع:21.

[26]- مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،د.ط، 1987، ص4.

[27]- مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، مرجع سابق، ص5.

[28]- رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1994، ص38.

[29]- صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، مصدر سابق، ص58.

إن بلاغة الجمهور مشروع بلاغي جديد فطره الباحث البلاغي عماد عبد اللطيف واستطاع أن يصله بالتراث لينتفع منه في قراءة الواقع، ونفخ فيه روح التجديد من خلال ابتكار آليات واستراتيجيات ومفاهيم إجرائية جديدة يمكنها مواكبة الخطابات اليومية الجديدة، وتحليلها ومقاربتها من خلال اللغة والأداء، فهو مشروع كما يصفه "يتسم بدرجة عالية من المرونة، وقابلية النقد والاختلاف"[30]، "ومحاولة جذرية لاستكشاف واستيطان فضاء بلاغي جديد. وتشبه بلاغة الجمهور جزيرة بحثية، تستقل بمادة مخصوصة، وموضوعات مخصوصة، وأسئلة معرفية مخصوصة، وتسعى لتطوير منهجيات مخصوصة أيضا"[31]، لقد خط الباحث عماد عبد اللطيف مسارا بلاغيا جديدا اكتشف من خلاله منطقة بلاغية جديدة كانت مغيّبة عن الدراسات البلاغية جميعا، وهو ما جعله يتفرد بنظريته.

تهتم نظرية الجمهور "بدراسة طرق وأساليب إنتاج استجابات بلاغية. وفي سياق هذا الاهتمام يمكن دراسة موضوعات مثل دور الجمهور في عملية الاتصال، وأثر نوع الخطاب (سياسي، دعائي ..إلخ)، والسياق الذي ينشأ فيه (بجموع الظروف الاجتماعية والاقتصادية ..إلخ)، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والجمهور (مثل حاكم /محكوم، واعظ/متدين .. إلخ)، والوسائط المستخدمة في نقله (التليفزيون، الإذاعة ..إلخ) في استجابة الجمهور،وأنواع الجمهور (نصي، فعلى..الخ، مثقف/محدود المعرفة)، والاستجابات التي يمكن أن ينتجها كل نوع. وقدرة كل منهم على مقاومة الخطاب السلطوي، والمهارات التي يحتاجها لتحقيق ذلك. وطبيعةاستجابة الجمهور (لفظية/غير لفظية، مباشرة/غير مباشرة، خطابية/غيرخطابية..إلخ)، وطرق تطويرها. وخصائص الاستجابة البليغة، والعلاقةبين الاستجابات الخطابية والسلطة"[32].تستمد بلاغة الجمهور "جمالها وتأثيرها في الأثر البلاغي الذي تحدثه الجماهير في عصر الاستجابات السريعة، التي تتبنى هذه البلاغة، والتي خولتها الثورة الرقمية بوسائلها التي سهلت التواصل، وجعلت الأنظمة التقليدية عاجزة عن تكميم أنفاسها في السابق"[33].تهدف نظرية بلاغة الجمهور إلى بناء وعي بلاغي تنويري يطوّر قدرات الجماهير على التمييز بين الخطابات السلطوية، وغير السلطوية، وإجهاض الخطابات السلطوية المظللة والمزيفة، فهي "تقدم معرفية قبلية للمخاطب تمكّنه في حال تعرضه لخطاب بلاغي ما من الكشف عن تحيّزات هذا الخطاب ومبالغاته ومغالطاته

30- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة، مرجع سابق، ص198.

31- عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربي؟ الإسهام،والهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مرجع سابق، ص28.

32- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، مرجع سابق، ص63.

33- عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي: قضايا ونماذج، مرجع سابق، ص21.

ومفارقاته للواقع، وتناقضاته الداخلية والخارجية، والأغراض التي يسعى لإنجازها"[34]،فغاية بلاغة الجمهور "هي تدريب الإنسان العادي على إنتاج استجابات بلاغية فعّالة تجاه ما يتلقاه، تمكنه من مقاومة الخطابات المتلاعبة التي تستهدف تضليله والسيطرة عليه، وفضحها، وإنتاج خطاب بديل يخلو من التلاعب والتضليل"[35]. إنها مجهر يكشف تدليس الخطاب السلطوي، وتفضح زيفه، وتعمل على تقويضه،وزعزعة هيمنته، وتسعى إلى توعية الجمهور في الحفاظ على حقوقه، ومقاومة المحاولات التي تسعى لاستلاب حريته وتفكيره، "بحيث يصبح المخاطب/ الجمهور ممتلكا بشكل فعلي لحرية الإرادة والفعل دون تعرض لخداع وتضليل"[36]،كماتعمل على "تشكيل صورة المخاطَب النموذجي الذي يتوجه له الخطاب"[37]، وتدريبه على إنتاج المعرفة البلاغية للتمييز بين الخطابات السلطوية وغير السلطوية، وتطوير قدراته لإدراك طرق التضليل في الخطاب السلطوي، بمعنى آخر تمليكه وتمكينه من وسائل توجيه الخطاب العمومي.

إن موضوع بلاغة الجمهور يتمثل بالاستجابات للخطاب الجماهيري الذي يتلقاه المواطنون في حياتهم اليومية، وتضم الخطابات الجماهيرية: "خطب الدعاة الجدد، والمناظرات السياسية، والملصقات الدعائية في الشوارع، وخطب المسؤولين السياسيين، وإعلانات الصحف والإذاعة والتلفزيون، ونداءات الباعة الجائلين، والمحاورات في المجالس النيابية، والسجالات اللفظية على جدران الشوارع، ومدرجات الدراسة، وأبواب دورات المياه العمومية، والمواقع المؤسساتية والشخصية على الشبكات الدولية للمعلومات"[38]. فحقل بلاغة الجمهور واسع وممتد ومتعدد "يشتمل على كل الظواهر المرتبطة بالإقناع والتأثير في الاستجابات التي ينتجها الجمهور في فضاءات عمومية. فحيثما وجد فضاء عمومي يتداول فيه خطاب، وينتج فيه استجابة، فثمة إمكانية لوجود "بلاغة الجمهور" بوصفها الحقل المعرفي الذي يدرس علاقة هذه الاستجابات والسلطة والخطاب من ناحية، وإمكانيات تطوير هذه الاستجابات لتصبح استجابات بلاغية من ناحية أخرى"[39].

34- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، power and the Role of the Intellectual، منشورات جامعة القاهرة، مصر، 2005،ص30.

35- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية،مرجع سابق، ص517.

36- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابقص31.

37- المرجع نفسه، ص22.

38- المرجعنفسه،ص8.

39- عماد عبد اللطيف،ماذا قدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام،الهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مصدر سابق، ص31.

ارتبطت بلاغة الجمهور بهموم الناس اليومية كمرآة تعكس الواقع،وانطلقت في دراستها له منالخطابات اليومية المختلفة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية،وتأثيراتها في الجمهور،حيث تتخذ بلاغة الجمهور "من طبيعة الاستجابات البلاغية الفعلية والمحتملة للمخاطب التي يتلقى خطابا بلاغيا عاما موضوعاً لدراستها من جهة، كما تحاول أن تطور مقاربة خاصة لدراسة هذه الاستجابة"[40]. إن طبيعة موضوع بلاغة الجمهور يرتكز على المخاطَب، الذي يمثل حجر الزاوية، فهي تسعى لإرشاده وتمكينه وتزويده بالأدوات والآليات البلاغية التي يستطيع من خلالها تكوين استجابة بلاغية مواجهة للخطابات السلطوية المضللة المسيطرة، وإبطال فاعليتها، وكشف تضليلها، وفهم وتحليل هذه الاستجابات.

المنطلقات والمرجعيات المعرفية لنظرية بلاغة الجمهور:

استمدت بلاغة الجمهور منطلقاتهاالمعرفية من البلاغة العربية، ومن اللسانيات، والبنيوية، والتداولية، والمنطق، وعلم النفس، والسيمياء، وعلوم التواصل، ونظرية التلقي، ولأن بلاغة الجمهور تهتم بتحليل الخطاب، كان لزاما أن تستقي مرجعياتها من هذه العلوم، "لأن تحليل الخطاب ليس مجرد مستوى من مستويات التحليل اللغوي، بل هو بالأحرى شكل من أشكال الدراسة الاجتماعية، يتحرك في مناطق تلاق علم اللغة والفلسفة والبلاغة وعلم النفس المعرفي وإنثوغرافيا التواصل، وغيرها من العلوم"[41]، كالبنيوية والسيمياء وغيرها،لقد استمدت نظرية بلاغة الجمهور منهجها "من حقول معرفية متنوعة كالبلاغة واللسانيات والحجاج والتحليل النقدي للخطاب"[42]،الذي ينظر إلى اللغة من منظور وظيفتها الاجتماعية، و"يهتم اهتماما خاصا بالعلاقة بين الخطاب والسلطة"[43]، فقد تمكنت بلاغة الجمهور من هضم كل هذه الحقول لتبني لنفسها إطار معرفيا ومفاهيمياخاصا يتم من خلاله إدراك الظواهر البلاغية "بوصفها ظواهر مجتمعية تتسم بالتعقيد والتركيب"[44]، وحقل معرفي خصب للدراسة والفهم والمقاربة والتحليل.

المفاهيم الإجرائية لنظرية بلاغة الجمهور:

تمارسبلاغة الجمهور تقنيات جديدة تقترب من السيمياء في معالجة أنماط الخطابات وأشكال التواصل المختلفة، فقد اعترف "تودوروفTodorov" بأن

---

[40]- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق، ص23.

[41]- عماد عبد اللطيف،الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، مرجع سابق، ص45.

[42]- صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات،مرجع سابق، ص120.

[43]- سعيد بكار، في مفهوم بلاغة الجمهور، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مرجع سابق، ص77.

[44]- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق، ص17.

السيميولوجيا يمكن أن تفهم باعتبارها بلاغة معاصرة"[45]، فلكل نظرية مفاهيمها التي تعتمد عليها وتوظفها في التحليل والدراسة،ونظرية بلاغة الجمهور من التقنيات البلاغية الجديدة التي خطّت لنفسها منهجا جديدا بآليات وتقنيات بلاغية جديدة ومفاهيم وأسس إجرائية،تطبق في دراسة استجابات الجماهير، وتحليلها. وقد حدد الباحث عماد مجموعة من الأدوات والمفاهيم الإجرائية للنظرية،مكنت من تحويل "البلاغة إلى أداة للتحرير"[46]، من الخطاب السلطوي المهيمن، وإرشاد المخاطَب بالمعرفة البلاغية التي تمكنه "من إدراك العلاقة بين اللغة والواقع، والعالم داخل اللغة والعالم خارجها"[47].

لقد تحدث الباحث عبد الوهاب صديقي عن الكثير من المفاهيم والمصطلحات التي نحتها الباحث عماد عبد اللطيف في نظريته البلاغية الجديدة، التي تعد مشروعا بلاغيا له خصوصياته ومفاهيمه، ومن هذه المفاهيم،"بلاغة الجمهور، وبلاغة السلطة، وبلاغة التصفيق، والاحتشاد البلاغي، والإكراه البلاغي، والفضاء البلاغي، والحيز البلاغي، والتجريد البلاغي، وبلاغة الحرية، وبلاغة الزهد في السلطة، وبلاغة المجابهة والمصارعة، والحروب البلاغية، والتضفير البلاغي، والاستلاب البلاغي، والبلاغية الأبوية، والذخيرة الخطابية، وسرديات الماضي، وسرديات المثالب"[48]، ويرى أن هذه العدة المفاهيمية مكّنت المنشغلين بتحليل الخطاب من فهم تمفضلاته، ولكنّي ارتأيت أن أركز على المفاهيم التي في وجهة نظري تمثل الأركان المهمة في بناء نظرية بلاغة الجمهور، وتمثل عدّة إجرائية تمكّن الناقد في بلاغة الجمهور من مقاربة الخطاب، وتحليله، ومن أهمها:

بلاغة الجمهور:

ويقصد بها بلاغة المخاطَب وهي"دراسة استجابات الجماهير في الفضاءات العمومية، مع التركيز على الفضاءات الافتراضية، والاهتمام الخاص بالتحليل البلاغي للعلامات غير اللغوية في التواصل، مثل الهتافات والتصفيق"[49]. حيث يقصد بها البلاغة "التي تواجه وتقاوم الأثر البلاغي لبلاغة السلطة"[50]، وقد سعى البلاغي عماد عبد اللطيف على دراسة وظائف البلاغة الحياتية، فجاء اهتمامه ببلاغة الجمهور "سعيا إلى تعزيز قدرة الأفراد العاديين على إنتاج خطابات إقناعية مؤثرة، تخلو من التلاعب والتمييز والهيمنة، وإنجاز استجابت بلاغية

---

[45]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1992، ص66.

[46]- عماد عبد اللطيف،بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق، ص19.

[47]- المرجع نفسه، ص29.

[48]- عبد الوهاب صديقي،ضمن كتاب بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات،مرجع سابق، ص123.

[49]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة، مرجع سابق، ص196.

[50]- عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي: قضايا ونماذج، مرجع سابق، ص21.

فعّالة، وتشكيل وعي نقدي بآليات الخداع البلاغي، وإنتاج ممارسات بلاغية حرّة، وتدعيم الكفاءات التأويلية والتفسيرية للمواطن العادي"[51].

المخاطَب العام/الجمهور:

يقصد به جمهور قراء الخطاب البلاغي العام، ويجمع كل القراء العاديين والمثقفين،ويعتمد هذا النوع من القراء على اللغة المبسطة والعلامات والإشارات المبثوثة في الخطابات اليومية عبر المنافذ الجماهيرية من صحف ومجلات ووسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها.

الناقد البلاغي:

هو القارئ المتسلح بآليات وأدوات بلاغة الجمهور، وله دراية في نقد الخطاب وتحليله ومعرفة طبيعة الجمهور ومستوياتهم العلمية والثقافية، وقدراتهم النفسية والعقلية، وكل ما يمكنه من تحليل الخطابات اليومية ومقاربتها، وفك شيفراتها الرامزة.

الخطاب البلاغي(المضاد /المقاوم):

نعني به الاستجابات البلاغيةمن النصوص والخطابات والارتدادات العلاماتيةاللغوية وغير اللغوية المضادة التي ينتجها الجمهور "في سياقات تواصل فعلي، وتستهدف إنجاز الاقناع والتأثير، إنها خطاب بلاغي بالفعل"[52]، وردود واستجابات إيجابية بناءة للخطابات الإقصائية والتمييزية والمظللة التي تنتج في الفضاء العام، تنتقدها بحيادية وحرية وتعرّيها بدراية في أسلوب بلاغي بناء،"فمقاومة الخطاب السلطوي لا تكون بالكشف عن العلاقة بين الخطاب واستجابة الجمهور فقط، بل كذلك من خلال إجهاض قدرته على التحكم في استجابات مستهلكيه، وتعرية الاستجابات المتواطئة معه"[53]، وفضح أساليبه في التلاعب والتضليل والتمييز والعنصرية والإقصاء. لم يعد الجمهور منصتا يسمع كل شيء من مخاطِبه بل أصبح له خطابه الذي يفكك به الخطاب الموجه له ويتحكم في "إنتاج معنى نص المتكلم عن طرق التأويل والتفسير، فإنه يستطيع أن يدخل تغييرات جوهرية على الرسالة ذاتها من خلال استجاباته لها"[54]، فالاستجابات الآنية للمخاطبين كالهتافات،والشعارات، والملصقات، والتصفيق، وتعليقات كل وسائل التواصل الاجتماعي،والكاركاتيراستراتيجية بلاغية يعبرون من خلالها عما يختلج في دواخلهم، وآليات بلاغية جديدةتقاوم الخطاب السلطوي الموجَّه وتعرّيه،وتكشف أقنعته، وتفضح ماكريَّته،وتحمل في طيّاتها دلالات الرفضوالسخرية والاحتقار، والإهانة، والترويض، والتنكير، والردع، والتشهير،

---

[51]- عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة:196.

[52]-عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة:200.

[53]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية،مرجع سابق، ص513.

[54]- عماد عبد اللطيف، مقاربات معاصرة في الخطاب السلطوي، مرجع سابق، 2006،ص578.

والزجر، والتنكيت،في تقانات تكون لا نهائية، تلعب دورا بلاغيا مهما هو رفض الواقع ومهاجمته، والشك فيه ومساءلته، وعدم التسليم به،"فكل خطاب في الهيمنة يقابله خطاب آخر في الرفض، وكل توجه شمولي كلي يدفع تلقائيا إلى ظهور هوامش كانت ساكنة فحركها المد الجارف لتقول إنها موجودة، وتبتكر لنفسها خطابا مصاحبا في الإفصاح والمعارضة"[55]، فالخطاب المقاوم خطاب نقدي يكشف عن الانحرافات والتحيزات والهيمنة الممارسة في خطاب السلطة.

الخطاب السلطوي:

يقصد به الخطابات العمومية في كل ميادين الحياةالسياسية والدينية والثقافية والفكرية والأدبية والفلسفيةوالإشهارية والإعلامية وغيرها التي توجه من سلطات عليا إلى عامة الشعب،تهدف إلى تمجيد السلطة، ورفع شأنها،وتلميع صورتها عند الرأي العام.

التشريح البلاغي:

ويقصد به الأدوات والإجراءات البلاغية الفاحصة التي يتمكن الباحث في بلاغة الجمهور من فحص وتمحيص استجابات خطاب الجماهير وفرزها، ومعرفة مدى مصداقيتها ومطابقتها للواقع المعيش،"أي أن ممارس بلاغة المخاطب لا يدرس الأنظمة اللغوية والسيميوطيقية المكونة للخطابات البلاغية الجماهيرية فحسب، بل السياقات الاجتماعية والسيكولوجية والاقتصادية التي تنتج وتستهلك فيها الخطابات"[56]. أن يكون على تسلح عال بالأدوات والوسائل كالمعرفة الشاملة بعلم البلاغة والعلوم المتعلقة بها، والإحاطة بالظروف والسياقات المنتجة للخطابات، وإدراك العلاقة بين وحدات الخطاب، والقدرة على تأويلها، وفك شيفراتها، ومعرفة طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب، وقواعد الخطاب واستراتيجياته، وواقع الجمهور، ومستوياته التعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية،كما يجب أن يتوفر على الحيادية وعدم الانحياز هذا فيما يتعلق بالناقد في بلاغة الجمهور، وهناك أدوات يجب أن يزوّد بها الجمهور لفحص وتحليل الحطاب السلطوي، وقد اقترح البلاغي عماد عبد اللطيف "تأسيس ثقافة التكذيب التي تمكن المخاطب من إدراك العلاقة بين اللغة والواقع"[57]، "وتوعية البشر بالتأثيرات المتبادلة بين اللغة والبنى الاجتماعية"[58]، أي أن يتسلح الجمهور بآلية معرفية بلاغية كعدم التصديق بما ورد في الخطاب السلطوي، ومقارنته مع الواقع، والتأكد من مطابقته له.

---

[55]- عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005، ص18.

[56]- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق،صص 19-20.

[57]- المرجعنفسه، ص29.

[58]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية،مرجع سابق،ص511.

المسافة البلاغية

وهي تلك المسافةالفاصلة بين الظواهر اللغوية وغير اللغوية المكونة للخطابات العمومية المظللة من جهة، وبين الردود والاستجابات الفعلية المعتبرة للجماهير التي تفضح هذه الخطابات وتكشف مدى تضليلها، وقد تكون ضيقة فتصدر أحكام فورية، وقد تكون كبيرة فتحدث ردودا متأخرة، فـ" وجود مسافة زمنية بين زمن إنتاج الخطب وزمن تداولها، قد تقصر أو تطول"[59]،فيلعب دورا في الاستجابات البلاغية،كما يلعب فيها عامل المباشر وغير المباشر دورا كبيرا أيضا.

المثيرات والمحفزات البلاغية

هي تقاناتتتمثل في حشد الخطاب السلطوي كل الأدوات والوسائل البلاغية والحجاجيةمن استعارات ومجازات وترغيب وترهيب والتفاف والتفات واستعطاف واستقواء وتباهي وتماهي وتودد وتشدد وتناص والاستشهاد بالرموز الدينية أو الوطنية أو التاريخية،أو "الاستحواذ بسلطة قائمة على المقولات الأكثر شعبية وجاذبية في الخطاب المناهض لها"[60]، وهو ما يسميه الباحث عماد عبد اللطيف بـ(الاستلاب الخطابي)،وفي التصفيق يسميها (فخاخ التصفيق) وهو "مجموعة من التقنيات أو الحيل أو الأساليب اللغوية والبلاغية التي يتم تصميمها لاصطياد التصفيق من الجمهور، ومن الفخاخ البلاغية والصوتية مثل النبر والتنغيم والفخاخ الأدائية مثل حركات الجسد والبين"[61]. كل هذه التقانات البلاغية في الخطاب السلطوي هدفها التضليل على الجماهير،كما يتوقع من خلالها ردود الأفعال، فتنقلب عند الجمهورمثيرايدفعهم لفضح ألاعيب الخطاب السلطوي، وكشف تضليله، ويمكنهم من الجرأة على مقاومة الخطاب السلطوي ونقده، فهي بؤر الضعف في الخطاب السلطوي التي يرصدها الجمهور ويستغلهافي نقد الخطاب السلطوي وإبراز قصوره وتدليسه.

الاستجابة البلاغية

هي الاستجابة المدركة الناجحة للمخاطَبفي "تعديل خطاب المتكلم، وامتلاك قدرة على التمييز بين خطاب سلطوي يستهدف السيطرة عليه، وخطاب غير سلطوي يستهدف تحريره، يستطيع تطوير استجاباته أن يقاوم الخطاب السلطوي، وتنطوي هذه المقاومة على نقد الخطاب المتكلم بما يمكن من نقله من دائرة اليقين إلى الاحتمال، ومن دائرة التسليم المطلق إلى المسائلة، من دائرة التأثير إلى دائرة

[59]- عماد عبد اللطيف، حروب بلاغية: مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، مجلة ألف في البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، مصر، ع22، 2012، ص384.

[60]- المرجع نفسه، ص291.

[61]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، مرجع سابق ص135.

البحث في الأغراض والمصالح"[62]. تتجاوز استجابات الجمهور رسائل الخطاب السلطوي الأصلية بفعل التكنولوجيا الحديثة، وتتعدد "فقد تأخذ شكل رسائل لغوية، أو شكل تسجيلات مسموعة، أو مرئية، أو شكل رسائل بصرية مثل الحركات والإشارات الحركية[63]"، والأصوات والصفير والهتافات والتشكلات والتصفيق، وهذه الاستجابات الآنية للجمهور تمثل تغذية مرتدة تؤثر في الخطاب الموجه.

الفضاء البلاغي

وهو "الحيّز البلاغي والفضاء الذي يتم فيه الصراع بين بلاغات وخطابات السلطة والجمهور، فقد يكون في مؤسسات رسمية كالبرلمان، ووسائل الإعلام. وقد ينشأ الصراع في فضاءات إلكترونية تعجز السلطة عن التحكم في هذا الصراع ونتيجته، وقد ينشا الصراع في الميادين والساحات"[64]، فهو كل حيّز فضائي ومكاني ينتج خطاب بلاغي مضاد، ويحدث فيه المواجهة بين الخطاب السلطوي وخطاب الجماهير،وهذا الفضاء البلاغي له اعتباراته الزمكانية في نظرية بلاغة الجمهور عند تحليل الخطاب الجماهيري،ويعد الفضاء الإلكتروني وعاء لخطاب الجماهير، يمنحهم الحرية في التعبير والنقد.

المبحث الثالث التحليل السيميوبلاغي للخطابات العمومية عند عماد عبد اللطيف

انفتحت نظرية بلاغة الجمهور على استراتيجيات جديدة في تحليل الخطاب، جعلها تتقاطع مع حقول معرفية كثيرة،"فدراسات الجمهور منطقة بحث مشتركة بين عدد كبير من الحقول المعرفية"[65]، استفادت منها بلاغة الجمهور كتوجه بلاغي جديد في تحليل الخطابات الهائلة التي ينتجها الجمهور في حياته اليومية،وقد تحدث الباحث عماد عبد اللطيف عنتقاطع بلاغة الجمهور مع نظرية القراءة والتلقي ونقد استجابة القارئ، والدراسات البلاغية الكلاسيكية والقديمة، ودراسات التواصل الجماهيري،ولعل حقل السيمياء من الحقول التي تقاطعت معها بلاغة الجمهور كثيرا،لكنه لم يتحدثعنهذا التقاطع باستفاضة،سوى إشارات في مواضع كثيرة كقوله: "تقيم بلاغة الجمهور علاقات تحالف معرفي مع دراسات التواصل والسيميوطيقا وتحليل الخطاب"[66]،ومن ضمن إشاراته تساؤله الذي طرحه قائلا: "أهذه بلاغة أم تحليل خطاب أم سيميائية، أم تداولية أم

---

[62]- عماد عبد اللطيف، من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، discours et relations de pouvo، ضمن منشورات جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2006، ص578.

[63]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مرجع سابق، ص516.

[64]- عبد الوهاب صديقي،ضمن كتاب بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، مصدر سابق، ص132.

[65]- عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مرجع سابق، ص136.

[66]- عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربي؟ الإسهام،والهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مرجع سابق، ص33.

غيرها"[67]،ولعل الباحث يدرك مدى العلاقة الواسعة بين السيمياء وبلاغة الجمهور، فالظواهر التي تستهدفها البلاغة في تحقيق التواصل والإقناع والتأثر في نظره "ظواهر صوتية لغوية، وفوق لغوية،وسيميوطيقية غير لغوية مثل الموسيقى، والصور والحركة والإشارات الجسمية والرقص"[68]،ويقول في بحث آخر بعنوان (من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي): "ويتحقق الوعي من الخطاب عن طريق التحليل الناقد للظواهر اللغوية والسيميوطيقية للخطاب، مثل المفردات والنحو والعلاقات النصية، واللون والصورة...إلخ، فعلاقة السلطة في الخطاب تنطوي على المادة التي يدرسها الناقد للخطاب ممثلة باللغة، وإن تجاوز كثيرا من التحليلات الناقدة للخطاب اللغة إلى دراسة أنماط سيميوطيقية أخرى[69].

يؤكدما سبق استحضار الباحث عماد عبد اللطيف ومعرفته الدقيقة للعلاقة المتداخلة بين السيمياءوبلاغة الجمهور،لكنه أحيانا يفصل بين النسق اللغوي وغير اللغوي، ويعد الأخير فقط نسق سيميوطيقي،غلا أنه استدرك ذلك فيبحثه المعنون (تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائيةالأيقونات الاجتماعية)،حيث تحدث فيه عن نسق اللغة العلاماتي ودوره المهم في تحليل الخطاب يقول: "توازى اهتمام تحليل الخطاب بالخطابات غير التقليدية وتوثيق علاقاته بالعلوم الإنسانية مع توسع آخر لا يقل أهمية في طبيعة العلامات التي يتم تحليلها. لقد ارتبط الخطاب في نشأته وبداياته باللغة بوصفها النسق العلاماتي الأهم في التواصل بين البشر"[70]،وهو في هذا الرأي يؤكد علاقة السيمياءبأنساقها اللغوية وغير اللغوية ببلاغة الجمهور، ودورها في تحليل الخطاب الجماهيري، باعتبار السيمياء كما "يرى فيليب ويوغنس أنها ضمن توجهات تقدم نفسها منتمية إلى التحليل الناقد للخطاب"[71]، فتحليل الخطاب في نظر الباحث عماد منطقة تلاق لعلوم مختلفة وبينية.

لقد فتحت بلاغة الجمهور "باب البحث البلاغي على مصراعيه، ليحتضن فيضا من المادة البلاغية الجديدة التي لم يلتفت لها عيون البلاغيين من قبل، مثل التصفيق، والهتاف، والصفير، والإشارات، والهمهمة، والتعليقات، والمقاطعة، والأسئلة المرتجلة، وصيحات الإعجاب، والاستهجان، ورسوم الحوائط،

---

[67]- عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربي؟ الإسهام،والهوية المعرفية، النقد، ضمن كتاب بلاغة الجمهور، مرجع سابق، ص34.

[68]- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق، ص19.

[69]- عماد عبد اللطيف،من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، مرجع سابق،صص 596، 571.

[70]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مرجع سابق، صص500،501.

[71]- انظر نفس المرجع، ص571.

والعبارات المدونة على الأبواب، وتعليقات الفيسبوك،والتغريدات المضادة، والتعليقات المسجلة على شريط التعليقات على شاشة التلفزيون، ورسائل القراء إلى الصحف، وغيرها، وهي استجابات تنتج في جميع سياقات التواصل العمومي، والتقني المباشر في الوقت الراهن"[72]. كل هذه الموضوعات تمثل بيئات خصبة لبلاغة الجمهور.

يتشكلموضوع دراسة بلاغة الجمهور في كتاب (لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن) للبلاغي عماد عبد اللطيفمن أنساق لعلامات اللغوية وغير اللغوية، وهو ما تعني بها السيمياء، وتتناول كل رموزها وإشاراتها وعلاماتها وأيقوناتتها البصرية، وتبحث في أنساقها وعلاقتها بالمعاني والدلالات المختلفة، بمعنى آخر، أن السيمياء "أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الانفعالات البسيطة مروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"[73]. وهي مادة بلاغية دسمة بظواهر بلاغية متعددة العلامات، تحتاج في مقاربتها إلى منهج سيميوبلاغي، يفكك خطاباتها، ويبرز الجوانب التداولية والدلالية فيها، وهو ما نجده عند البلاغي عماد عبد اللطيف في مقاربته للخطاب الجماهيري، إذ يرى أن "اقتصار حقل تحليل الخطاب على دراسة العلامات اللغوية، كان سيؤدي في حال حدوثه إلى خروج الحقل بأكمله من مجرى المعاصرة"[74]، وهو رأي أوافقه عليه، لأن المجتمع اليوم يعيش تقدم غير مسبوق في عالم التقنيات، وهو عصر العلامات وعالم العلامات من الصورة والأيقونة والحركة والإشارة واللون والنغم، فقد طغت وهيمنت العلامات غير اللغوية على العلامات اللغوية، وأصبح الخطاب المعاصر "جامعا لإطار واسع من الأنظمة السيميوطيقية، التي تشمل، بالإضافة إلى اللغة، الصورة والحركة واللون والصوت...إلخ"[75].

فيما يتعلق بمنهجية كتاب "لماذا يصفق المصريون؟" فقد بدأ الباحث كتابه في الحفر عن مصطلح التصفيق منذ القدم، ورأى بأن الفراعنة القدماء يعدون التصفيق "أداة الإيقاع الأساسية، وكان يصاحب عادة حفلات الرقص والغناء"[76]، و"هناك إشارات متعددة للتصفيق في العهد القديم، تربط التصفيق بمشاعر الفرح الإنساني"[77]،والتصفيق عند العرب ما قبل الإسلام "ممارسة شعائرية تُؤدى أمام

---

[72]- صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات،مصدر سابق، ص24.

[73]- سعيد بنكراد،السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحور للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 2012، ص15.

[74]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مرجع سابق، ص510.

[75]- عماد عبد اللطيف، مقاربات معاصرة في الخطاب السلطوي، مرجع سابق، 2006، ص568.

[76]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن،مرجع سابق، ص9.

[77]- المصدرنفسه، ص10.

الحرم المكي"[78]،لذا تنقل التصفيق بين دلالات متعددة في بيئات مختلفة، حتى أصبح التصفيق في الوقت المعاصر مهارة لها أبعادها التواصلية والتأثيرية في الجمهور، وظاهرة بلاغية واجتماعية ونفسية وتربوية انتشرت في كل أصقاع الأرض،وأصبح "ينظر إليه على أنه علامة حيّة على التأثير الذي تحدثه الهيمنة الثقافية والإعلامية في العالم المعاصر"[79]. تنظر بلاغة الجمهور للتصفيق باعتباره استجابة بلاغية ينتجها الجمهور في سياق التفاعل مع الخطاب المباشر، وهو علامة غير لغوية تظهر استحسانا وتأييدا، أو استهجانا ورفضا للخطاب.

ركز الباحث على ظاهرة التصفيق الجماعي في سياقات التواصل الجماهيري المختلفة،"فالتصفيق الجماعي في السياسة والفن قد يكون رمزا للرضا والتأييد، أو نتاجا للقهر والإجبار، أو تجليا للخداع والتضليل"[80]، ومثل هذه الدلالات والمعاني يتم التعرف عليه من خلال البلاغة والسيمياء، وهو ما ذهب إليه الباحث عماد عبداللطيف، فقد قارب ظاهرة التصفيق بمنهج ما يمكنناأن نسميه بالمنهج (السيموبلاغي)،وحاول كشف دلالاته في سياقات متعددة، وتوضيح أبعاده الاجتماعية والنفسية،باعتباره "علامة صوتية غير لغوية تنتج بواسطة انطباق اليد على اليد وهو الشائع، أو انطباق اليد على جزء آخر من الجسد مثل الفخذ، أو انطباق اليد على سطح مادي مثل كتاب أو منضدة وهو نادر"[81]، كما ركز الباحث على علاقة التصفيق بالعلامات السيميائية الأخرى كالصفير والتهليل والهتاف والزغاريد والحركات الجسدية.

تحدث الباحث عن أوضاع التصفيق وهيئاته ووظائفه، وشرح معانيه ودلالاته، فالتصفيق علامة متعددة الدوال، فقد يكون طلبي يدل على معنى مقصود يستدعي غالبا أساليب بلاغية،ومن ذلك التصفيق الرمزي الذي يتم تحديد مدلوله من خلال الاتفاق المسبق بين مستخدميه،أو حر غرضيغير مستدعى تلقائي لا يستدعي أساليب بلاغية عند حدوثه، وكل نوع من أنواع التصفيقات له سياقه ودلالته ومعانيه.

كان التصفيق ولا يزال دليلا على الإعجاب والتعبير عن التفاعل مع الناجحين والمبدعين، وتقديرا لهم،لكنّ بلاغة الجمهور تهتم بالتصفيق الذي يعبر عن الرفض وعدم الرِضى،إي التصفيق المعد سلفا الذي يزيّف وعي الجمهور ويحاول خداعه وتظليله، "فإن التصفيق القهري والتصفيق الخداعي، هي أشكال مشوهة من التواصل بين السياسي والجمهور، لأنها تقوم على التلاعب بالجمهور ، والهيمنة عليه"[82]، حيث تسعى بلاغة الجهور لكشف هذه العلامات وعلاقاتها،

---

[78]- المصدرنفسه، ص11.

[79]- المصدرنفسه، ص17.

[80]- المصدرنفسه، ص19.

[81]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، مرجع سابق،ص26.

[82]- المرجع نفسه، صص224-225.

ومدلولاتها،وتنظر إليها "باعتبارها عنصرا داخل تصور نظري شامل، يتناول الإنسان كتجربة متعدد الأبعاد: إنه منتج للدلالة ومروج لها وأول ضحاياها"[83].
إن التصفيقمرآة عاكسةلعلاقة الجمهور بالخطاب السلطوي الموجه،الذي يسعى إلى ترسيخ خطاباته من خلال استجابة التصفيق باعتباره "الفعل الرمزي الذي ينقل للحاكم مشاعر الجمهور ومواقفه"[84]، ففي حال الرفض يعكس التصفيق إشارة رمزية وخطاب بلاغي يتحدّى خطاب السلطة،لذا تسعى بلاغة الجمهور إلى معرفة هذه الإشارات، والكشف عن الطرق والحيل المختلفة التي تهدف إلى دفع الجمهور للتصفيقعلى الخطاب، وإشعال حماسهم، وكسب رضاهم، والحصول على تأييدهم. بمعنى آخر تسعى بلاغة الجمهور إلى الكشف"عن الدور الذي يقوم به التصفيق في خداع الجماهير والتلاعب بهم وتضليلهم، من خلال دراسة ظاهرة المصفاقيةوالهتفية، وظاهرة المصفق المأجور والتصفيق القهري والتصفيق المعد سلفا، وهو ما يفتح الباب أمام مناقشة العلاقة بين التصفيق والحرية من ناحية، والتصفيق والكلمة من ناحية أخرى، والتصفيق والفعل من ناحية ثالثة"[85].

يحمل التصفيق بعدا تواصليا مؤثرا للخطاب، يشمل أنساقا بصرية وسمعية،ويهدف إلى إنتاج معنى إبلاغي وبلاغي معين،كما تهدف بلاغة الجمهور من خلال دراستها لظاهرة التصفيق إلى "تخليص البشر من كل ما يعمل على تشويه الفهم والاتصال، وهو ما قد يؤدي إلى اتصال حر"[86]، وهذا ما جعلها بلاغة جديدة، لها "بعد أكثر ملاءمة لمتطلبات الحياة، وهي بلاغة الخطاب البصري، فإذا كانت اللغة نظاما للتواصل، فإن الصورة بمختلف أشكالها وأنماطها أنظمة للتواصل"[87]. فالعالم المعاصر عالم الصورة، "فالصورة والحركة والصوت واللون والإشارة وغيرها من العلامات أصبحت تشكل بمعية الكلمة العصب الأساسي للتواصل البشري"[88]، والتصفيق نمط تواصلي بلاغي يرسم صورة معينة تساهم السيمياء في بيان بلاغتها، إذ لا يمكن إقصاء السيمياء في دراسة الخطاب الذي يعتمد على العلامات، فالتصفيق علامة سيميائية غير لغوية، تحمل العديد من الإيحاءات والمدلولات والمعاني والممارسات المختلفة، ومقاربته الناجحة تتطلب استخدام ما يمكن أن نسميه بالمنهج السيميوبلاغي، وهو ما نجده

---

[83]- سعيد بنكراد،السيميائيات والتأويل، مدخل لسميائياتش.س، يورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص74.
[84]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، م. س، ص235.
[85]- - سعيد بنكراد،السيميائيات والتأويل، مدخل لسميائياتش.س، يورس،مرجعسابق، ص21.
[86]- عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص69.
[87]- محمد التونسي جكيب، إشكالية مقاربة النص الموازي وتعدد قراءته عتبة العنوان نموذجا، مجلة جامعة الأقصى، مؤتمر الأدب، مج 9 ،العدد 1 ،2008،ص552.
[88]- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مرجع سابق، ص522.

عند عماد عبد اللطيف، فقد وظف السيمياء في ممارسته البلاغية والنقدية ودراسته لظاهرة التصفيق، وأثرها في الخطاب العمومي.

تدرس نظرية بلاغة الجمهور العلامات التي يحدثها الجمهور عند استجاباته للخطاب،وتقوم بتحليلها، ومعرفة دلالاتها،وكشف معانيها، والتصفيق كعلامة رمزية،وظاهرة صوتية له مدلولاته في الحياة الاجتماعية والخطابات اليومية،وتحتاج دراستها إلى تسجيلات صوتية،ومنهجية متبعة في الدراسة، لبيان ظاهرة التصفيق و"وظيفته ومفعوله ودلالته"[89]، وأسبابه واستجاباته البلاغية أثناء الخطابات العمومية. وقد خطّ البلاغي عماد عبد اللطيف المنهجية المتبعة في دراسة التصفيق كظاهرة بلاغية، ورأى "إن معالجة التصفيق في إطار بلاغة المخاطب ينطوي على الاهتمام بجوانب أخرى للظاهرة تمثل موضوعا للبحث، ويمكن صوغها على النحو التالي:

1- دراسة الآثار التي يحدثها التصفيق في المخاطب بنوعيه، المخاطب المباشرالذي يتلقىالخطاب ويقوم أو لا يقوم بفعل التصفيق، الذي تنقل استجابته بوصفها جزءا من الخطاب، والمخاطب غير المباشر الذي يتلقى خطاب المتكلم وتصفيق المخاطب المباشر بوصفه خطابا واحدا يقوم هو بالاستجابة له. والإجابة عن هذا السؤال تقتضي القيام بعمل ميداني، يتضمن جمع بيانات عن الآثار التي يُحدثها التصفيق في المخاطب.

2- دراسة الوظائف والأغراض التي يسعى المتكلم لتحقيقها بواسطة دفع المخاطب إلى التصفيق، والوسائل التي يستخدمها في تحقيق هذه الوظائف، سواء أكانت وسائل بلاغية أو غير بلاغية، مثل انتقاء المخاطبين، أو وجود مجموعات منهم تقوم بدور موجهين للفعل أو مبادرين به ...إلخ.

3- دراسة أنواع التصفيق الممكنة، والتي يمكن تقسيمها بشكل أولي، إلى 1- تصفيق عرفي. 2- تصفيق عفوي منظم. 3- تصفيق عفوي غير منظم. 4- تصفيق معد سلفا. 5- تصفيقإيقاعي. 6- تصفيق غير إيقاعي. 7- تصفيق طويل أو متوسط أو قصير الزمن. 8- تصفيق حاد أو متوسط أو ضعيف. 9- تصفيق فردي أو جماعي. 10- تصفيق متقطع أو مستمر...إلخ. وتحديد السياقات التي يمكن أن توجد فيها حزمة أو أخرى من هذه الأنواع، وهل ثمة علاقات(اطراد، تلازم،تعارض...إلخ) بين أنواع منها؟ وكيف تفسر هذه العلاقات؟ وهل تتباين التأثيرات التي تحدثها حزم بعينها على المخاطب غير المشارك؟ ولماذا؟

4- دراسة أثر طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب (الاجتماعية والوجدانية والسلطوية...إلخ) في استجابة المخاطب بواسطة التصفيق(وجودا أو عدماء، نوعا ودرجة...إلخ).

---

[89]- عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي: قضايا ونماذج، مرجع سابق، ص30.

5- دراسة كيف يمكن تحويل التصفيق ليصبح استجابة بلاغية مقاومة للخطاب السلطوي.
6- دراسة كيف يُنتج التصفيق دلالاته، وهل توجد علاقات بين درجة، ومدةٌ وشدة وطريقة التصفيق والدلالات التي تنتج عنها.
7- البحث فيما إذا كان موقف المخاطب من التصفيق(قبولا، رفضا، استهجانا...إلخ) يؤثر في تحقيق التصفيق للوظائف التي يسعى المتكلم لتحقيقها ولماذا. وفي حال غياب فعل التصفيق بسبب موقف عقدي، ما الاستجابات التي تحل محله وتقوم بوظائفه؟"90.

تمثلهذه الجوانب خطوات منهجية تطبيقية لمقاربة ظاهرة التصفيق،يتم من خلالها معرفة الظاهرة، وتفسيرها، والبحث عن كيفية إكساب الجمهور لآليات بلاغية تمكنه من تطويع التصفيق كاستجابة بلاغية فاعلة، والتأثير في الخطاب الموجه، وتغيير أهدافه، وتوجيه مساره.كما ركّز الباحث على مسألة مهمة وهي تنازع التصفيق بين سلطة الجمهور وسلطة الخطاب السياسي، والعلاقة بين التصفيق والهتاف في الخطاب السياسي، وظاهرة التصفيق في المجتمع، ومستقبله وآفاق كممارسة جماهيرية.

يعد كتاب لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، كتاب بلاغي سيميائي منهجي نقدي،رصد من خلاله الباحث ظاهرة التصفيق وعلاماته ورموزها وسياقاتها وأنساقها في منهج يمكن نطلق عليه المنهج (السيميوبلاغي).وضع الباحث رموزا كتابية لكتابة التصفيق،باعتباره علامة صوتية بالأساس، يتعذر نقل خصائصه كتابيا،كما استطاع أن يترجم بعض خصائص التصفيق الصوتية مثل مدته وشدته وفرديته أو +جماعيته إلى حزمة من الرموز المرئية المقروءة،حاول من خلالها نقل الخصائص الصوتية للتصفيق، والتأكد منها من خلال نماذج تطبيقية، ومن هذه الرموز:

1- النجمة (*): تستخدم لتشير إلى التصفيق المتقطع أو منخفض لصوت، ويشير عدد النجمات إلى زمن التصفيق بالثواني. فالنجمة السابقة تدل على أن التصفيق قد استمر لمدة ثانية واحدة، والنجمات الأربع (****) تشير إلى أن التصفيق استمر أربع ثوان.
2- علامة الإضافة (&&&): تستخدم لتشير إلى التصفيق المتواصل مرتفع الصوت، ويشير عدد هذه العلامات إلى زمن التصفيق بالثواني، فالعلامات الثلاث السابقة تدل على أن التصفيق قد استمر لمدة ثلاث ثوان، أما العلامات الثماني (&&&&&&&&) على سبيل المثال- فتدل على أن التصفيق قد استمر لمدة ثماني ثوان.

90- عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، مرجع سابق،صص 25-26، ولماذا يصفق المصريون؟ صص65-66.

3- النجمة بين شرطتين (-*-): وتستخدم لتشير إلى تصفيقة فردية واحدة.
4- أكثر من نحمة بين شرط (*-* -*-): تستخدم لتشير إلى تصفيق متردد متقطع؛ أي تصفيقة فردية تتلوها: تصفيقة أخرى فردية، ثم ثالثة.
5- السهم ذو الرأس السفلية ( ) يُستخدم لتحديد مكان بدء التصفيق داخل النص.
6- الخط المستقيم الرأسي (|) يُستخدم لتحديد الموضع الذي قطع فيه المتكلم تصفيق الجمهور، واستأنف كلامه"[91]. إن استخدام الباحث عماد عبد اللطيف لمثل هذه الرموز يؤكد أن الباحث يشتغل على السيمياء،وقد وضع رموزهمدركاقيمتها العلاماتية والرمزية والدلالية، "فالأشياء لا تدرك إلا رمزيا، أي تدرك باعتبارها جزءا من نسق من العلامات"، والباحث عبد اللطيف في تصوره هذا يقترب من تصور بيرس في مسألة تناسل العلامات، "فالتجربة الإنسانية بكافة أبعادها ومظاهرها تشتغل في تصور بيرس كمهد للعلامات: لولادتها ونموها وموتها، فالإنسان علامة وما يحيط به علامة وما ينتجه علامة، وما يتداوله هو أيضا علامة، والخلاصة أن لا شيء يفلت من سلطان العلامة، ولا شيء يشتغل خارج النسق الذي يحدد حجمه وامتداده وعمقه"[92]، لذا كان وضع الرموز السابقة من قبل الباحث تقرّب اشتغاله من السيمياء،وليس هذا فحسب، بل إن الباحث في كثير من مقارباته البلاغية يستعين بالسيمياء في تفكيك العلامات اللغوية وغير اللغوية للخطاب، وهو ما يؤكد أن الباحث كان على وعي كامل، ودراية عميقة بالحقل السيميائي في علاقته المتواشجة مع نظرية بلاغة الجمهور، وكذا ربطه بين العلامات وأنساقها وعلاقاتها، وهذا التصور المنهجي يمكن الاستفادة منه في دراسة وتحليل الخطابات الأدبية والدينية وغيرها.

خلاصات:

إن نظرية بلاغة الجمهور توجه بلاغي حداثي وبحث بلاغي جديد، لها منطلقاتها المعرفية، وجهازها المفاهيمي، وموضوعها المحدد،ومنهجها الخاص، ركّزت على الخط الموازي المهمل في البلاغة العربية، وهو دور جمهور المتلقين واستجاباتهم في صناعة وإنتاج الخطابات، وإكسابهم العدة والأدوات البلاغة لمقاومة الخطابات السلطوية.

تستهدف بلاغة الجمهور استجابات الجمهور، ومعرفة اتجاهاته وتفكيره ومشاعره، وأنماط تعبيراته، وتفاعلاته البلاغية المختلفة مع الخطابات والقضايا المثارة، والشفاهيات اليومية الممثلة في الصدامات الخطابية في البرلمانات، أو في المناظرات في جميع القنوات، أو ما يدور في عالم الفضاء الإلكتروني ووسائل

---

[91]- عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، مرجع سابق، ص68.
[92]- سعيد بنكراد،السيميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش. س. بورس، مرجع سابق، صص72-73.

التوصل الاجتماعي، لتشمل مختلف الخطابات العمومية بعلاماتها اللغوية وغير اللغوية صوتية أو مرئية أو مكتوبة.

رسم البلاغي عماد عبد اللطيف مسارا نقديا جديدا في تحليل الخطاب ما يمكن أن أسمية بالتحليل (السيميوبلاغي)، يضافر بين نقد الخطاب وتحليله والسيمياء من جهة، والبلاغة من جهة أخر، حيث تقترب بلاغة الجمهور وتتداخل مع السيمياء في مقاربتها للخطاب،وهو منهج يمكن الاستفادة منه في تحليل جميع الخطابات السياسية والأدبية والدينية، لاهتمامه ببلاغة العلامات بجميع أنواعها وكل أنساقها.

يعد الباحث عماد عبد اللطيف السبّاق إلى دراسة ظاهرة التصفيق باعتباره نشاط تواصلي واسع الانتشار، وعلامة لها تأثيراتها في توجيه الخطابات العمومية، وتفاعل الجمهور مع الحدث. فقد قدم لها دراسة منهجية وتطبيقية، تتبّع مفهومها، وأهميتها، وأوضاعها، وأنواعها، ووظائفها، والسياقات المنتجة لها، واختار نماذج للتأكد من منهجيته المتبعة، فكانت المقاربة موفقة.

ومازال هذا الحقل المعرفي البكر - بلاغة الجمهور- بحاجة إلى استثمار وحفريات، ودراسة وتعميق وتعمق، فهو حقل معرفي واعد، يحتاج إلى تظافر الجهور؛ لتصبح نظرية بلاغة الجمهور نظرية عالمية، قادرة على دراسة جميع الخطابات الكونية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، د. ط، 1423.
2. أحمد يوسف، السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلة علامات، المغرب، ع28، 2007.
3. أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب: في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011.
4. جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ضمن كتاب المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1993.
5. جان ماري كلانكينبرج، مراجعة جميل حمداوي، مبادئ السيميوطيقا العامة، مجلة الطفولة العربية، الكويت، ع54، 2014.
6. رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1994.
7. سعيد بنكراد،السيميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش. س. بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
8. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحور للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2، 2012.
9. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1997.
10. صلاح حسن حاوي، وعبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات، دار شهريار، البصرة، العراق، ط1، 2017.
11. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1992.
12. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
13. عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2005.
14. عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي: قضايا ونماذج، دار أمجد للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2018.
15. عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2015.
16. عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي بحث في البلاغة المهمشة، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، ع8/7، 2015.

17. عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، power and the Role of the Intellectual، منشورات جامعة القاهرة، مصر، 2005.
18. عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ع84/83، 2013/2012.
19. عماد عبد اللطيف، حروب بلاغية: مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، مجلة ألف في البلاغة المقارنة، الجامعة الأمريكية، القاهرة، مصر، ع22، 2012.
20. عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق الجمهور؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين للنشر، الاسكندرية، مصر، د.ط، 2009.
21. عماد عبد اللطيف، من الوعي إلى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي، ضمن discours et relations de pouvo، منشورات جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2006.
22. مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1987.
23. محمد العبد، بحوث في تحليل الرقم الإقناعي، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، د. ط، 2013.
24. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013.
25. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الوسطى، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 2012.
26. محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة دراسات لسانية أدبية سيميائية، فاس، المغرب، ع5، 1991.
27. محمد القاسمي، البلاغة الجديدة وتحليل الخِطَاب، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، لبنان، ع50، 2019.
28. نسيمة الحاج عبد الله، الدراسات البلاغية وعلاقتها بعلم الدلالة: دراسة في مفهوم المجاز، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ع1، 2016.
29. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1999.

بلاغة الجمهور
بين الرؤية، والمنجز، والطموح

عادل المجداوي
باحث في البلاغة وتحليل الخطاب- المغرب

مقدمة

يَعْرِفُ الحقلُ البلاغيّ العربيّ انتعاشا في العصر الحاضر، بفضل مجموعة من الأقلام التي تعيد قراءة التراث البلاغي العربي بعين منفتحة على المنجز الغربي، خدمةً للبلاغة العربية وطموحا إلى جعلها في مرتبة البلاغة الكونية، فالتراث مفتوح على كل القراءات، خاصة تلك القراءات التي تستند إلى إبدال معرفي Paradigm يساعدها في دراسة البلاغة إبستمولوجيا، دون إقصاء الجوانب التداولية التي رافقت تاريخ تطورها، وأهمها الجانب الإيديولوجي. ومن هذا المنطلق نتبيّن الرؤية التي حكمت المشاريع البلاغية العربية الجديدة، التي أسست تصورها النظري انطلاقا من قراءة التراث البلاغي العربي، باعتماد مفاهيم بلاغية جديدة حتى أصبح شائعا اليوم استخدام عبارتي "البلاغة التقليدية" و"البلاغة الجديدة"؛ فالبلاغة التقليدية هي بلاغة السكاكي ومن تقيّله من الشُرَّاح والملخّصين وصولا إلى العصر الحاضر، من خلال امتداد تصور السكاكي في كتابات المحدثين الذين لم يتخلصوا منه على الرغم من تعدد العناوين، فيما ترتبط البلاغة الجديدة بالمشاريع البلاغية التي استلهمت مفاهيم البلاغة الغربية الجديدة ووظفتها في قراءة التراث، وأبرز هذه المشاريع البلاغية العربية: مشروع البلاغة العامة للأستاذ محمد العُمَرِي، ومشروع بلاغة الجمهور للأستاذ عماد عبد اللطيف، دون أن ننسى مشاريع دون مسمّيات كمنجز الأستاذ محمد الولي؛ إذ لم تكن قراءات هؤلاء البلاغيين تراثية للتراث[1]، أي إنها لم تكن تكرارية واجترارية، بل جعلت التراث البلاغي موضوعا تقرؤه بشكل عقلاني وتفيد منه بكل ما من شأنه أن يطور البحث البلاغي العربي، بمراعاة التغيرات التاريخية التي حدثت في البلاغة الكونية بشكل عام.

إن ما يميز مشروع بلاغة الجمهور من غيره من المشاريع البلاغية، هو اعتماده إبدالا معرفيا جديدا، يقوم على صورة عكسية في مجال البحث البلاغي، وذلك بالتركيز على منطقة الجمهور التي هُمّشت في تاريخ البحث البلاغي، سواء في البلاغة العربية أو الغربية، لأن البحث البلاغي ركز منذ القديم على منشئ الخطاب دون المخاطَب، ومن ثم فحتى حضور المخاطب في الدراسات البلاغية

---

(1) استعرنا هذا التعبير من الأستاذ محمد عابد الجابري، انظر مقدمة كتابه: نحن والتراث.. قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي.

لم يكن إلا بهدف التأثير فيه أو إقناعه أو هما معا، وقد تنبه الباحث عماد عبد اللطيف إلى هذه الملاحظة باعتماد علاقة السلطة التي تربط بين المتواصلين.

تروم هذه الورقة البحثية مراجعة منجز بلاغة الجمهور منذ نشأتها، ومقارنة ذلك برؤيتها البلاغية من خلفية فلسفية ومنظومة مصطلحية، قصد تأمل ثمرات هذا المشروع البلاغي الجديد، ثم رصد مكامن ضعفه كذلك، والعمل على تطويره في المستقبل. ولذلك، سنحاول إعطاء صورة شاملة لمسار تطور هذا المشروع البلاغي، دون الإغراق في تفاصيل محطة معينة، كما سنركز على مرحلة العمل الجماعي في مقابل مرحلة العمل الفردي وإن كانت تعد الأساس المتين لهذا الصرح البلاغي الجديد دون شك في ذلك، كما أن مرحلة العمل الجماعي قامت أساسا على الرجوع إلى أعمال الباحث عماد عبد اللطيف قصد التجريب ومحاولة البناء.

أولا: بلاغة الجمهور بين الرؤية والمنجز

1- بلاغة الجمهور: النشأة وأسسها

ظهر مشروع بلاغة الجمهور سنة 2005، بفضل مقال تأسيسي عَنْوَنه الباحثُ عماد عبد اللطيف بـ"بلاغة المخاطَب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، وكانت غايته من ذلك تطوير البلاغة العربية، ومن ثم كانت أولى الخطوات التأسيسية، تتمثل في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي ورصد إشكالاته، خاصة في العصور المتأخرة، ولا يمكن في نظرنا استيعاب هذا المشروع البلاغي إلا بالاستناد إلى مقولة الإبدال المعرفي The paradigm،[2] لأنها تسعف في عَلْمَنة تاريخ البلاغة العربية من خلال تتبع ثوراته المعرفية، تلك الثورات التي تجسد إبدالات معرفية، أساسها خرق قواعد التفكير البلاغي السائد وتغييرها. وقد وضح الباحث عماد عبد اللطيف بعد سنوات اعتماده هذا المبدأ الإبستمولوجي في بناء معرفة بلاغية جديدة، حين قال: «واقترحت توجها رابعا للدرس البلاغي يقترح تغييرا في **النموذج الإرشادي** للبلاغة العربية»،[3] ولتحقيق غايته دعا إلى الاهتمام بخطابات الحياة اليومية، بسبب «انفصال الدراسات اللغوية والبلاغية الأكاديمية، في أقسام اللغة العربية خاصة، عن الواقع المعاش، وانحسار اهتمامها في اللغة العربية الكلاسيكية وبلاغتها، وافتقاد مناخ الحرية الأكاديمية. وغيرها من الأسباب التي تؤدي جميعا إلى الانصراف عن دراسة الخطابات البلاغية العامة في المجتمع الأكاديمي المعاصر»،[4] وقد ركز

---

(2) ترجمة الأستاذ بناصر البعزاتي، وهو مصطلح ينتمي إلى فلسفة العلوم، يُنسب إلى الفيلسوف ت. س كُونThomas Samuel Kuhn ضمن كتابه بنية الثورات العلمية The Structure of Scientific Revolutions، الصادر أول مرة سنة 1662. وللإشارة توجد عدة مقابلات أخرى، سواء معربة كالبراديغم والباراديم، أو مترجمة كالأنموذج والنموذج، وعادة ما يوصفان بالمعرفي أو الإرشادي أو القياسي.

(3)عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:34. [التشديد من عندنا]

(4) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:9.

تحديدا على دراسة ما ينتجه الجمهور من استجابات بلاغية في مقام تلقّيه خطاب المتكلم.

لقد كانت قراءة التراث العربي أساسا لتصنيف تاريخ البلاغة العربية إلى ثلاث بلاغات، هي: البلاغة القرآنية، والبلاغة الأدبية، والبلاغة الإنشائية، على أساس ثلاثة عناصر ثابتة هي: المادة والموضوع والوظيفة.[5]ثم بعد ذلك، اقترح التوجه البلاغي الرابع الذي أطلق عليه بداية اسم بلاغة المخاطب ليَعْدِلَ عن ذلك إلى تسميته بلاغة الجمهور، وهذا الانتقال له مبرراته، فحين يطلق مصطلح المخاطب فإن مفهومه، ضمن بلاغة الجمهور، ينصرف إلى مقام تداولي يكون فيه المتلقي فردا واحدا، أي مقام بين-فردي، وفي مقابل ذلك يشير مفهوم الجمهور إلى متلقين متعددين، ويتحدد الجمهور بالاستجابة التي ينتجها في مواجهة خطاب المتكلم، سواء كانت استجابة مباشرة آنية أو غير ذلك.[6] غير أن هناك بعض الإشكالات المصطلحية تكتنف مصطلح الجمهور[7].

وإجمالا، يمكن رصد الرؤية البلاغية التي تأسّست عليها بلاغة الجمهور في التقابل الذي أحدثته بين طرفي التواصل، وهما المتكلم منشئ الخطاب والمخاطب أو الجمهور. وتبعا لذلك، حاجج الباحث في أن البلاغة العربية والبلاغة الغربية كذلك، اهتمتا بالمتكلم على حساب المخاطب، وما حضور المخاطب في التراث البلاغي إلا بهدف تعرف كيفية التحكم فيه والسيطرة عليه، يقول الباحث في هذا الصدد: «ركزت على تفنيد الدعوى القائلة بأن البلاغة القديمة احتفت بالمخاطب؛ مبرهنا أن الاهتمام بالمخاطَب في البلاغة العربية القديمة يستهدف تحقيق غاية المتكلم في إنجاز أقصى تأثير لكلامه أو نصه... وقد كان هذا الإدراك لانشغال البلاغة القديمة بتحقيق أغراض المخاطِبين، والنظر إلى المخاطَبين على أنهم فرائس للقنص، ومرمى للتصويب، هو حافزي الأساسي إلى اقتراح توجه بلاغة الجمهور»،[8] أما عن نظرة البلاغة الغربية للمخاطب، فقد استنتجها من خلال دراساته حول بلاغة أفلاطون وأرسطو، إذ خلص إلى أن الفيلسوفين لم يهتما «بأشكال التفاعل التي يمكن أن تنشأ بين المتكلم والجمهور»،[9] وبذلك كانت نظرتهما تتجه من المتكلم صوب المخاطب فقط.

---

[5] لمزيد من التفصيل، يرجع إلى عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب، ص:10-11.

[6] يميز الباحث عبد اللطيف بين ثلاثة أنواع من الاستجابات، هي: استجابات آنية ومباشرة، واستجابات آنية غير مباشرة، ثم استجابات لاحقة، انظر عماد عبد اللطيف، كيف ندرس التناص في الخطاب السياسي، ص:281.

[7]رصدنا بعضها في مقالنا المعنون بـ"مفهوم الجمهور بين البلاغة العامة وبلاغة الجمهور"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص:189.

[8]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:160.

[9]نفسه، ص:159.

وقبل الانتقال إلى إعطاء لمحة عن الخلفية النظرية لبلاغة الجمهور، نوضح أن تجديدها البلاغة العربية شمل ثلاثة عناصر، هي التي اتخذها الباحث لتصنيف البلاغة العربية، فأما على مستوى **المادة**، فقد دعا الباحث إلى دراسة استجابات الجمهور للخطابات البلاغية الجماهيرية مع الانفتاح على وسائط الثورة الرقمية كالفيسبوك واليوتيوب وغيرهما، وأما على مستوى **الموضوع**، فقد لفت إلى دراسة استجابات الجماهير، وما يدعو إلى إنتاجها، خاصة عبر رصد علاقة السلطة بين المتكلم والجمهور والوسيط والسياق، بينما يتجلى مستوى **الوظيفة** في بعد تربويّ (بيداغوجي) يسعى إلى تمكين الجماهير من قواعد ومعارف يبلورها في استجابات بليغة لتقويض الخطابات السلطوية أو زعزعتها على الأقل.

وستكتسب دعوة الباحث إلى الاهتمام بالخطابات الجماهيرية قوةً حجاجية بعد الثورات التي شهدتها مجموعة من الدول العربية، في إطار ما يسمى "الربيعَ العربي Arab Spring"، خاصة بعد تحليل الباحث خطابات الجماهير المصرية، ومن بين تحليلاته قبل الربيع العربي وبعده، نذكر على التوالي ما يتعلق بالعلامات غير اللغوية كتاب "لماذا يصفق المصريون؟"(2009)، وما يتعلق بالعلامات اللغوية وغير اللغوية كتاب "بلاغة الحرية" (2013). وهو ما حفزه على القول بأن بلاغة الجمهور «قد تبنت الدعوة إلى الاهتمام الأكاديمي بخطابات الجماهير، وسعت -قبل الربيع العربي- إلى توجيه اهتمام الأكاديميين العرب، وبخاصة دارسي البلاغة، نحو خطابات الحياة اليومية التي ينتجها الجمهور في الفضاءات العمومية. وقدمت نماذج تحليلية لدراسة هذه الخطابات»،[10] لقد لعبت خطابات الربيع العربي دور المحامي في الدفاع عن انتقاد وُجّه لبلاغة الجمهور، يتهمها بأنها تعطي خطاباتِ الحياة اليومية أهميةً لا تستحقها.

2- الإطار الفلسفي لبلاغة الجمهور

لقد سعى صاحب المشروع منذ بداية مشوار البحث في هذا التوجه البلاغي إلى البحث عما يحوي مشروعه من الجانب الفلسفي، بما يضمن له رسوخه وإمكانية مساءلته بشكل أكاديمي، لذلك مَوْقَعَ مشروعه ضمن فلسفة يورغنهابرماس وتحديدا ضمن الاهتمام الثالث الذي يقصد العلوم النقدية،[11] حين أشار إلى أن هابرماس حدد ثلاثة اهتمامات معرفية مشتركة لدى البشر، هي:

الاهتمام الأول: تقني فني	الاهتمام الثاني: عملي	الاهتمام الثالث: تحرري
يتجلى في معرفة البيئة المحيطة وفي السيطرة عليها والتحكم فيها. وقد	**يتمثل في قدرة كل منا على فهم الآخرين، وعلى العمل المشترك والتعاون في مناشط**	**ينطوي على الرغبة في تخليص أنفسنا من كل ما يعمل على تشويه عمليات الاتصال**

[10] عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية، ص:14.

[11] انظر الملاحظة التي قدمها الباحث في هذا الصدد في مقاله التأسيسي نقلا عن مارشال 2001: "بلاغة المخاطب"، ص:32.

أدى هذا الاهتمام إلى قيام العلوم الطبيعية.	الحياة. وهذا هو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم التأويلية.	والفهم. وهو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم النقدية.

وللإشارة فإن هابرماس ينتمي إلى ما يعرف بـ"النظرية النقدية" التي ارتبط تأسيسها بمدرسة فرانكفورت الألمانية، وهي نظرية اجتماعية ذات أسس ماركسية، و«تتبدى الخطوط العريضة للنظرية النقدية بأنها مشروع يسعى إلى دفع قضية التحرر والانعتاق من خلال ما تراه جهدا نظريا موجها ضد الهيمنة التي أشاعتها مرحلة التنوير واستمرت مع كانط»،(12) وفي هذا التحديد يتجلى التوافق مع الفلسفة التي تضعها بلاغة الجمهور لمسارها في نشر الوعي بين الجماهير لممارسة التحرر والانعتاق عبر نقد الخطابات السلطوية وكشف ما تنطوي عليه من تلاعبات وتضليلات وتزييف وعيها. ويمكن تلخيص أساس هذه النظرية النقدية في أنها تسعى «إلى مناهضة تشكلات القوى التي تؤسس الهيمنة وتعممها مظهرة محدوديتها وقصورها وتعسفها».(13) ولا بد لهذه التواشجات بين النظرية النقدية وبلاغة الجمهور من دراسة مفصلة، فلا نلتقي في الكتابات التي تهم بلاغة الجمهور في هذا الجانب إلا مع إشارات لا تفصل في الأمر تفصيلا لتبيان تلك العلائق.

3- اقتراحات لتطوير الأساس الإبستمولوجي

ما دامت بلاغة الجمهور حقلا معرفيا ناشئا يتبنى إبدالا معرفيا جديدا في الفكر البلاغي، فهي مطالبة بتوضيح الرؤية التي يعتمدها هذا الإبدال الجديد القائم على تصور معكوس للبلاغة التقليدية، يتجه من الجمهور صوب المتكلم؛ ولذلك فأول خطوة لتوضيح هذا التصور هي إعادة كتابة تاريخ البلاغتين العربية والغربية على أساس إبدال بلاغة الجمهور القائم على مفهوم السلطة والصورة العكسية للعلاقة بين طرفي التواصل. وهذه الخطوة قد بدأها الباحث نفسه في مجموعة من مقالات تهتم بتوضيح النظرة السلبية الأفلاطونية إلى الجمهور، وهذه المقالات هي:

أ - موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس"و"فيدروس"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. مجلة علمية محكمة، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مجلد 4، عدد 3 (2008)، 244-227.

ب - نقد بلاغة السلطة وتقويض سلطة البلاغة، دراسة في مشروع البلاغة النقدية. مجلة نزوى، سلطنة عمان، ع 66، أبريل 2011، 49 – 58.

ج - أفلاطون في البلاغة العربية من التهميش إلى الاستعادة، مجلة الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، جامعة مستغانم الجزائر، ع ربيع وصيف 2015.

---

(12) سعد البازعي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، ص:299.

(13) - نفسه، ص:300.

وصدرت مؤخرا الطبعة الثانية لكتاب "ضد البلاغة... السلطة والبلاغة والتضليل عند أفلاطون" من منشورات دار رؤية بالقاهرة، 2016. بمشاركة الدكتورين حاتم عبيد ومحمد الولي.

بعد لفت الانتباه إلى تركيز الباحث على التنقيب في كتابات أعلام لم ينالوا حظا وافرا في الدراسات البلاغية العربية مثل أفلاطون، نشير كذلك إلى أن همّ كتابة تاريخ جديد للبلاغة الكونية هو أحد مسارات مشروع الباحث، فعماد عبد اللطيف له طموح كبير يجسده مشروع ضخم تصبح فيه بلاغة الجمهور جزءا منه، وهذا المشروع الكبير يتكون من عدة مسارات أهمها بلاغة الجمهور ومسار مراجعة جذور علم البلاغة لاستكشاف بلاغات مهمشة، وهذا الاستكشاف يتعلق برغبة في إعادة كتابة تاريخ علم البلاغة على نطاق كوني على الرغم مما يعترض ذلك من صعوبات. أما باقي المسارات الأخرى[14] فيمكن ضمها إلى مباحث "بلاغة الجمهور" من إعادة النظر في وظيفة البلاغة ومناهج تحليلها وفتح أفق تحليل خطابات الحياة اليومية وإعادة تعريف مفهوم الجمهور ثم تقريب البلاغة من القارئ العادي، فـ«البلاغة أيضا حقل خبرة إنسانية، وممارسة تواصلية يومية، يحتاج جل البشر -وعوا بذلك أم لم يعوا- إلى الإفادة من الإسهامات المعرفية فيه».[15]

وهذا عمل يحتاج إلى تضافر جهود عدة باحثين لأن باحثا واحدا ليس بمقدوره إنجاز الشيء الكثير مهما رصدت له من إمكانات، ليصبح هذا العمل المنوط ببلاغة الجمهور في إطار عمل مؤسسي وليس على مستوى الأفراد، والوعي بهذا العمل الجماعي نجده حاضرا في تصور الباحث وهو يطور مشروعه، ودلالة على ذلك نقتبس إشارة جاءت على هامش إحدى الصفحات يذكر فيها الباحث ما يأتي: «يقود كاتب هذا البحث [عماد عبد اللطيف] فريق عمل مكونا من ثمانية باحثين لدراسة استجابات الجمهور في مدونة ضخمة من الخطب المصرية فيما بين 1952-2010، بدعم من جامعة القاهرة»،[16] فإذا كان حديثه هنا عن بلاغة الجمهور فما بالك بحديثه عن مشروعه الكبير. كما أن الباحث فتح أفقا غير مألوف في الدرس البلاغي، يقترح فيه دراسة استجابات الجمهور للأدب في التراث العربي في سياق التواصل المباشر، يقول: «ويتبادل الأديب (أو راويه) مع الجمهور الاستجابات المنتجة وجها لوجه؛ مثل الاستحسان أو الاستهجان، طلب التكرار أو التشويش، طلب التفسير أو التعليق...»[17]، ولا يكتفي بالإشارة فقط، بل يوجه مرتاد هذا المسلك بمجموعة من الخطوات المنهجية، وستكون لنا وقفة مع هذه الإشارة في القسم الثالث من هذا المقال.

(14) عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة، ص:196.
(15) عماد عبد اللطيف، مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر، ص:252.
(16)عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، هامش ص:35.
(17)نفسه، ص:144.

وتبقى المهمة الكبرى متجلية في دراسة مفاهيم بلاغة الجمهور من مقاربة إبستمولوجية وعدم الاكتفاء بالجانب اللغوي والمعجمي لتلك المفاهيم، كما يمكن البحث في مدى قدرة تلك المفاهيم على محاورة مفاهيم مشاريع بلاغية أخرى في إطار حوار كبير بين المشاريع البلاغية العربية على وجه الخصوص.

وفي هذا السياق تساءل الباحث حيدر سلامة عن الداعي إلى ظهور بلاغة الجمهور بوصفها مشروعا وليس نظرية قائلا بأن «ذلك المشروع البلاغي لم يأخذ بعين الاعتبار البحث في الأدبيات الفلسفية واللسانية عن مفهوم المخاطب/ المتكلم، الأمر الذي جعله أشبه بمشروع يظهر من العدم، وكأن هذا المفهوم حكر على تاريخ البلاغة وحدها».[18] كما جعل مركزية المتكلم التي يحاول عماد عبد اللطيف تقويضها هي موجودة كذلك في تاريخ الفلسفة وليست حكرا على البلاغة، ومن ثم، قال بـ«أن البحث عن تاريخ هذه النظرية وصناعة تاريخ بديل لها، لا يمكن تحديده ضمن تاريخ البلاغة العربية فقط، وإنما له تمفصلات وتداخلات كبيرة مع مجمل مشاريع الثقافة العربية عامة والفلسفية خاصة»،[19] بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ تمثل بلاغة الجمهور بحسب رأيه «"المخرج التاريخي" لأزمة العقل والعقلانية في تاريخ الثقافة العربية»،[20] بشرط أن تحقق بلاغة الجمهور التفاعل مع المشاريع الفكرية العربية الكبرى من قبيل مشروع محمد عابد الجابري وزكي نجيب محمود وعبد الله العروي وحسين مروة وغيرهم، بالإضافة إلى بحثها في حقول الفلسفة عبر مراجعة الأسس النظرية والفلسفية والإبستمولوجية.

ثانيا: من العمل الفردي إلى العمل الجماعي

أسّس الباحث مشروعه البلاغي ولم يضع له إطارا تحليليا قائم القواعد لدراسة استجابات الجماهير، لأن بلاغة الجمهور، في بدايتها، «لا تقدم حزمة من الإجراءات والعمليات المحددة التي تطبق على ظاهرة ما»،[21] ولكن دراساته فيما بعد كانت توضح ملامح ذلك الإطار المفتوح على اجتهادات الباحثين الذين ينضمون إلى الكتابة في مشروع بلاغة الجمهور وخاصة من زاوية توضيح إمكان الاستفادة من هذا الحقل البلاغي الناشئ.

ظهر مشروع بلاغة الجمهور في الساحة العربية بفضل المجهودات الفردية لصاحبه، وقد دامت هذه الفترة زهاء اثنتي عشرة سنة، وهو ما أسلفنا الحديث عنه، وبموازاة هذا المسار، ظهر العمل الجماعي الذي دعا إليه الباحث؛ فالتف نتيجة ذلك مجموعة من الباحثين ذوي مشارب مختلفة، أسهموا في تسليط الضوء

---

[18] -حيدر علي سلامة،نقد أيديولوجيا المنهج والنظريةبحث في لغة اللغة لبلاغة الجمهور"، على الرابط: http://www.alkalimah.net/Articles/Read/19271

[19]نفسه.

[20]نفسه.

[21]عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:29.

على مجموعة من القضايا البحثية من زوايا متعددة، كما تجدر الإشارة إلى اشتغال مجموعة من الطلبة الباحثين على هذا المشروع البلاغي الجديد في إطار رسائل جامعية، غير أن هذه البحوث لما تنشر، بالإضافة إلى كتاب "بلاغة جمهور الخطاب السياسي" لعبد الوهاب صديقي؛ غير أننا سنركز في حديثنا عن فترة العمل الجماعي على مُؤَلَّفَيْن اثنين، هما: الكتاب الجماعي الصادر سنة 2017، ثم العدد السادس من مجلة العمدة سنة 2019.

العمل الجماعي الأول 2017:[22] مفاهيم بلاغة الجمهور بين التنظير والتطبيق

نسعى بدراسة هذا الكتاب إلى البحث في مدى تطابق المشروع البلاغي لبلاغة الجمهور مع منجزه، من خلال ما يضمه من دراسات وُزعت بين قسمين: نظري وآخر تطبيقي، تَلحم بينهما دراسة افتتاحية تُعرِّف بهذا التوجه البلاغي الجديد؛ ومن ثم سنرصد من خلال القسم الأول للكتاب أهم ما تطرحه بلاغة الجمهور من أدوات ومفاهيم[23] أمام الباحثين في تحليل الخطاب، ثم نتتبع مع القسم الثاني حضورها في خطابات محللة، أي حضورها على المستوى الإجرائي، متبعين في ذلك الوصف والتحليل وتقييم العمل في خلاصة.

وأول ملاحظة يمكن تقديمها قبل البدء في دراسة مفاهيم هذه البلاغة، هو أن تلك المفاهيم حضرت في كتاب جماعي لتحليل خطابات متنوعة؛ وهذا ما يجعل التحدي أكبر في معالجتها في خطابات تختلف مع الخطاب الذي أنتجها أول مرة وهو الخطاب السياسي،[24] ويبقى السؤال هو عن مدى طواعية مفاهيم -تمخضت عن رحم الخطاب السياسي لخطابات أخرى مغايرة له، في محاولة للتجريب وتوسيع دائرة الاشتغال، ولعمري إن ذلك لهو التحدي الأكبر لهذا المشروع البلاغي الذي يسعى إلى مجابهة كل الخطابات في مستوى التجريب، مع العلم أنه حدد غايته منذ بدايته على أنه مشروع بلاغي يهدف إلى ترشيد استجابات الجمهور في الأفضية العمومية، سواء الواقعية أو الافتراضية مع التطور التكنولوجي لمقاومة كل خطاب سلطوي وكشف تلاعباته وفضح تضليلاته وتعريتها.

1- مفهوم السلطة

إن استحضار تصنيف عماد عبد اللطيف البلاغة العربية في علاقته بمفهوم السلطة؛ يمكننا من استخلاص نتيجة مفادها أن الرؤية التي أسس عليها مشروعه

---

(22) بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.

(23)نرى أن بلاغة الجمهور تقوم على ثلاثة مفاهيم أساسية، هي الجمهور، والسلطة، والاستجابة، أما مفهوم الجمهور، فقد تناولناه بالتفصيل في دراسة سابقة، بعنوان: "مفهوم الجمهور بين البلاغة العامة وبلاغة الجمهور"، مجلة العمدة، مرجع مذكور، ولذلك سنكتفي هنا بدراسة مفهومي السلطة والاستجابة.

(24) - نمثل لكتب عماد عبد اللطيف ذات البعد السياسي بـ:(بلاغة الحرية، منشورات دار التنوير/ استراتيجيات الخطاب الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب/لماذا يصفق المصريون؟، منشورات دار العين).

البلاغي، قائمة على اعتبار أن البلاغة الإنشائية بلاغة سلطة تخدم المتكلم وتجعل المخاطَبَ هدفاً مقصودا لها. إن هذه (السلطة) التي «تتحدد بمعيار السيطرة والتحكم»[25] كانت السمة البارزة في هذا المشروع؛ لأنها نظرت من الجهة المقابلة جهةِ الجمهور، فـ«بلاغة الجمهور تحاول ارتياد طريق معاكس للدرس البلاغي التقليدي، من زاوية التركيز على استجابات جماهيرية، مجهولة المؤلف متعددة العلامات، متداولة في فضاءات عامة مفتوحة، بواسطة مقارنة نقدية تسعى لتعرية التلاعب»،[26] هذه النظرة العكسية جعلت بلاغة الجمهور تكشف سلطوية بلاغة المتكلم، حتى إن مفهوم السلطة -في سبيل مقاومتها- شكل تعريف هذا التوجه البلاغي؛ إذ «يقصد ببلاغة الجمهور البلاغة التي تواجه وتقاوم الأثر البلاغي لبلاغة السلطة»،[27] ونحن نعلم أن حضور هذا المفهوم في الخطابات السياسية يكون أوضح مقارنة بخطابات أخرى، وهذا الأمر يُفسَّر بعكوف الباحث عماد عبد اللطيف على الخطاب السياسي في اشتغاله. ونتساءل هنا عن كيفية حضور مفهوم السلطة وتمثله في دراسة الخطابين الديني والسردي؟

لن نتوقف بشكل طويل مع الدراسات التي اشتغلت على الخطاب السياسي، فهذه الدراسات تعاملت مع هذا المفهوم بشكل سلس لأنه أُسُّ بلاغة الجمهور القائمة على تقويضه، فالبحث في هذه البلاغة يستقصي أولا البحث عن مكامن سلطوية خطاب المتكلم، للكشف عنها وفضحها وتعريتها أمام الجمهور، إلا أن هذه السلطة قد تكون "شرعية"، ومن ثم؛ فما الداعي إلى نقدها بهدف تقويضها؟ كحضور مفهوم السلطة في تحليل الخطاب الديني، إن هذا الخطاب قد يكون ذا تضليلات وتلاعبات إذا وُظف لأغراض تخدم سلطة المتكلم وتُقَوِّيها دون التصريح بها؛ فذلك غرض بلاغة الجمهور ومهمتها التي تعهدت بها، إذ في هذا المقام تدافع عن الجمهور بكشف تلاعبات الخطاب وتضليلاته أمامهم ودعوتهم إلى تشكيل استجابات بليغة؛ فما قيام بلاغة الجمهور إلا لتقويض الخطابات السلطوية.

لقد كان هذا المفهوم حاضرا على مستوى التنظير بشكل كبير، استوعبه الباحثون كلهم، لا تخلو دراسة من دراسات العمل من ذكره نظرا للمكانة التي حظي بها في تشكيل هذا التوجه البلاغي القائم على كشفها بالوقوف على المفارقات بين الخطابات والواقع، ثم تبرير حضوره على المستوى الإجرائي لتحليل الخطابات وبخاصة تلك التي تنتسب إلى الخطابين الديني والسردي. وما يلحظ عنه أنه كان ملازما للخطاب السياسي بشكل كبير، ويرجع ذلك إلى تلازم العلاقة بين البلاغة بصفة عامة والخطاب السياسي -وهو تلازم قديم ظهر مع أرسطو- فكلاهما يشغله مدى حضور التأثير والإقناع في الجمهور بالاستحواذ على الفضاء البلاغي وإن

---

[25] عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:13.

[26] عماد عبد اللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة، ص:200.

[27] عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، ص:118.

من زاويتين مختلفتين. فـ«السياسة والبلاغة والسلطة يشكلون حزمة من المصطلحات وثيقة الارتباط»،[28] وهي تشير إلى النتيجة التي استخلصها أندريو أ. كينغ Andrew.AKing ومفادها أن «العديد من دراسات الخطاب السياسي تنبع من موضوعات السلطة»،[29] لذلك يتجدد سؤال البحث عن مفهوم السلطة في الخطابين الديني والسردي، وعن كيفية حضوره فيهما.

أ ـ السلطة والخطاب الديني

اختلفت نظرة الباحثَيْن (حامدة تقبايت وضياء الدين محمد) في حضور مفهوم السلطة على مستوى الخطاب الديني، ففي حين أفرغت الباحثة حامدة مفهوم السلطة من دلالته السياسية القائمة على السيطرة والتحكم في الجمهور وحاولت إعطاءه دلالة مغايرة، قائلة: «ولكن يبقى التساؤل ها هنا فيما ما إذا استطاع خطاب الفتوى انطلاقا من هذه الحصة الإعلامية من أن يفرض سلطة معينة على المتلقي -**والسلطة التي نقصدها هنا ليست بالمفهوم السياسي الداعي إلى السيطرة وإنما بمفهوم التأثير والإقناع لا السيطرة؟»**[30] وقد تكررت العبارة نفسها في موطن آخر تأكيدا منها على شحن مفهوم السلطة بدلالة مغايرة غير دلالته السياسية، تقول: «وعليه يتأسس نوع من السلطة **-وليست السلطة هنا بالمفهوم السياسي-** وهي سلطة تتضمنها الفتوى في حد ذاتها إلى جانب نوع من الطرح التساؤلي الناقد لتلك السلطة – في الفتوى – من قبل المخاطب».[31] وما يلاحظ على الباحثة أن شحنها مفهوم السلطة بدلالة مغايرة لم يتجاوز (التأثير والإقناع) ولا يمكن بأي حال قبول هذه الدلالة تمييزا للسلطة في الخطاب الديني من غيرها؛ لأن التأثير والإقناع حاضران في أي خطاب آخر بل في كل خطاب مهما كان نوعه، وخاصة حين قبوله في التحليل البلاغي؛ لأن بلاغة الجمهور تأسست أساسا على دراسة الخطابات المتنوعة من هذا الجانب، فـ«كونها خطابات بلاغية يعني أن وظيفتها تتجاوز مجرد الإخبار إلى الإقناع والتأثير»،[32] فهذان الجانبان حاضران ضمنيا في كل خطاب تجابهه بلاغة الجمهور؛ ومن ثم، لا يمكن الاطمئنان إليهما في عملية تحديد مفهوم السلطة في الخطاب الديني. وما نستخلصه من هذه الدراسة هو أن الباحثة تجعل مفهوم السلطة يأخذ دلالة التأثير والإقناع لا يتجاوزهما إلى السيطرة والتحكم.

نجد في المقابل الباحثَ ضياء الدين محمد، يساوي بين الخطاب الديني وباقي الخطابات الأخرى في علاقاتها بمفهوم السلطة محافظا على معناه السياسي، الذي

---

(28) كينغ (أندريو أ.) A. King Andrew: "البلاغة والسلطة Rhetoric and power"، ترجمة عبد اللطيف (عماد)، ج3/ ص:320.

(29) نفسه، ج3/ ص:325.

(30) حامدة تقبايت، بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني، ص:186. [التشديد من عندنا]

(31) نفسه، ص:194.

(32) عماد عبد اللطيف، بلاغة المخاطب، ص:8.

رسّخه عماد عبد اللطيف، القائم على معيار السيطرة والتحكم، فهذا المفهوم قد يحضر في كل خطاب كيفما كان، ومن ذلك الخطاب الديني، وتتجلى سلطوية الخطاب الديني -حسب الباحث- في إمكان قيام هذه السلطة على المستوى التواصلي بين الواعظ والمتدين، فـ«العلاقة بين الواعظ والمتدين تفترض من البداية نمطا سلطويا يقوم على أساس "من يعلم في مقابل من لا يعلم"»،[33] وينتج عن هذه العلاقة (السلطوية) «أن المتدين يتطلع إلى ما عند الواعظ من علم، حيث إن موقف الصمت والإنصات موقف اختياري بالنسبة للمتدين».[34] ولكن الأمر المستضمر في هذه العلاقة التواصلية السلطوية في علاقتها ببلاغة الجمهور هو أنها تشي بـ«حدوث ضعف شديد وصل إلى حد الانعدام للحس النقدي في تلقي الخطاب الديني».[35] وهذا يشكل مسعى بلاغة الجمهور في ترشيد مثل هذه الاستجابات حتى تكون ناقدة متيقظة لا تركن إلى أي خطاب إلا بعد ممارسة نقد تُميّز من خلاله خطابا سلطويا يسعى إلى السيطرة عليها من خطاب يسعى إلى تحريرها. وقد ميز الباحث بين نوعين من الخطاب الديني باعتبار السلطة، «النوع الأول يقف فيه الخطاب عند حدود السلطة المقبولة التي يسمح بها المخاطب لإتمام العملية التواصلية بغرض التعلم والانتفاع بما لدى الواعظ. أما النوع الثاني فتتجاوز فيه السلطة حدودها الطبيعية ويصبح الخطاب نسقا من الحيل والخدع الدينية البلاغية بهدف توجيه المخاطب وجهة محددة تكون في الغالب مخالفة لمصالحه، ناهيك بكونها غير دينية في النهاية».[36] لكن إذا كان النوع الثاني واضحا وميدانا لاشتغال بلاغة الجمهور عليه، فالنوع الأول الذي يسمح بـ**سلطة مقبولة**، لا يسهل تقبله، فهذه المقولة تظهر على أنها تلغي إعمال النقد في هذا النوع من الخطاب الديني؛ ولذلك لا نرى فرقا بين النوعين من جهة الجمهور الذي عليه أن يشغل كفاءته النقدية في كل خطاب يتلقاه، فحتى التسليم بهذين النوعين لا يَسْلَمُ إلا بالنقد الذي ميز بينهما. وقد تنبه الباحث في موطن لاحق إلى ذلك أثناء التحليل تحت مفهوم الاستجابة النقدية، إذ يقول: «وأقصد بالاستجابة النقدية: الاستجابة التي تضع الخطاب الديني موضع المساءلة وتستخدم مهارات الجدل والحجاج في مناقشة ما ورد فيه، دون التعرض بالإساءة أو التجريح لمنشئ الخطاب»،[37] وسنفصل ذلك في الجزء المتعلق بمفهوم الاستجابة.

ب ـ السلطة والخطاب السردي

تعاملت الدراسات المنتمية إلى تحليل الخطاب السياسي مع مفهوم السلطة بشكل سلس مستثمرة إياه في تحليلها بشكل أساس، وذلك لتلازم البلاغة والسياسة منذ

---

(33) ضياء الدين محمد، بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي، ص:209.

(34) نفسه، ص: نفسها.

(35)نفسه، ص:210.

(36)نفسه، ص: نفسها.

(37)نفسه، ص:231.

القدم كما أسلفنا الذكر، بالإضافة إلى أن مفهوم السلطة نابع أولا من تعرض بلاغة الجمهور للخطابات السياسية والكشف عن سلطتها منذ بدايتها مع عماد عبد اللطيف. لذلك تطلعت هذه الدراسات إلى دراسة استجابات الجماهير من جانبها الحجاجي، وتبعا لذلك، لن نستقصي حضور مفهوم السلطة في هذه الدراسات؛ فقد حضر فيها كلها بمعناه الدال على التحكم والسيطرة، ولذلك ننتقل إلى حضوره في خطاب جديد على بلاغة الجمهور وهو الخطاب السردي.

إن اقتحام بلاغة الجمهور دائرة الخطاب السردي، قد تجابهه إشكالات مرتبطة بالخطوط التي سطرتها بلاغة الجمهور لنفسها لتحديد مجال اشتغالها بشكل واضح ومفهوم، من ذلك أن الاستجابات التي تعنى بها هي استجابات جمهور طبيعتها التعددية في فضاء بلاغي تقاوم فيه بلاغة أخرى متمثلة في سلطة خطاب المتكلم، وليس استجابات فردية تكون نظرية التلقي أجدر بدراستها، ومن ثم فما يمكن التساؤل عنه هو كيف يمكن دراسة خطاب سردي في ارتباطه بمفهوم السلطة؟ وكيف تحدد السلطة في الخطاب السردي من وجهة بلاغة الجمهور؟ وما الاستجابات التي يجدر ببلاغة الجمهور دراستها؟

سنحاول رصد علاقة بلاغة الجمهور بالخطاب السردي في إطار مفهوم السلطة، كما سنحاول لاحقا رصد استجابات الجمهور في الخطاب السردي في ضوء مفهوم الاستجابة.

تعد استجابات الجمهور شكلا بلاغيا يجسد طبيعة العلاقة بين سلطة خطاب المتكلم والجمهور من خلال آليتي الإقناع والتأثير، في إطار تفاعلي بين الطرفين، «غير أن هذه الأدوار التي تؤكد درجة من الاستجابة، تؤكد في الوقت نفسه قهر الجمهور؛ لأنه لا يملك القدرة على التغيير فيما يلقى عليه».[38] إذن، مفهوم السلطة في الخطاب السردي يتحدد بكون الجمهور مقهورا ومغلوبا على أمره في تلقي هذا الخطاب، وغير قادر على إحداث التغيير فيه، ولهذا التحديد علاقة بمفهوم السلطة في الخطاب السياسي خاصة، ولكن الاختلاف قائم من جهة أن الجمهور مع بلاغة الجمهور قادر على التغيير والمقاومة باستجابات تنجز ذلك، فكيف يمكن الحديث عن المقاومة والتغيير مع جمهور الخطاب السردي؟

إن الحديث عن مقاومة خطاب المتكلم وإحداث تغيير فيه مع الخطاب السردي، لا يستقيم الحديث عنه إلا مع خطاب قائم على التفاعل المباشر بين الطرفين، لذلك نجد الباحث خالد أبو الليل يختار نصا شعبيا (السيرة الهلالية)؛ لأن الجمهور «مع النص الشعبي يعد أحد وسائل استمرارية تأليفه واستمراريته، فمع كل أداء جماهيري جديد للنص الشعبي نحن أمام عمل إبداعي جديد؛ نظرا لما يضفيه كل من المؤدي والجمهور مع هذا السياق الأدائي الجديد»،[39] ومن ثم فهذا الأداء

---

(38)خالد أبو الليل، السيرة الهلالية والتلقي الشعبي، ص:368.

(39) نفسه، ص:368.

المتجدد يجعل استجاباته الجماهيرية تؤثر على الراوي مما يجعله يحدث تغييرا في النص ليناسب طبيعة الجمهور الذي يتلقاه.
كما تنبه كذلك الباحث ممدوح النابي إلى هذه السلطة الجماهيرية في إطار الخطاب السردي على مستوى الوسيط الرقمي مشيرا إلى هذه الظاهرة عند الناقد "رونان ماكدونالد" قائلا: «وهي الظاهرة التي استلفتت ناقدا مهما كـ"رونان ماكدونالد" فجاء كتابه "موت الناقد" استجابة لهذا الحراك في العملية الإبداعية».[40] وتتمثل سلطة الخطاب السردي كذلك فيما تؤسس له المؤسسة الأكاديمية من ضوابط على الكتاب الروائيين الالتزام بها حتى يُعترف بهم، وفي حال عدم الالتزام بها تبقى تسمية أدب الظل -مثلا- لصيقة بتلك الأعمال في مقابل الأدب الرفيع، على الرغم مما قد تحققه تلك الروايات من مبيعات وانتشار بين أيدي القراء على المستوى الدولي، هذا الانتشار الذي قد يصبح سلطة تجعل المؤسسة النقدية الأكاديمية تعترف بمثل تلك الأعمال، وخاصة أن هذه السلطة الجماهيرية تلقي ببلاغتها في فضاء رقمي له امتداد غير محدود، سلطة تؤثر بشكل كبير على القراء أنفسهم في إقناعهم بقراءة رواية ما أو الإعراض عنها؛ إذ ينتقلون من حيز التلقي إلى الفعل والشروع في القراءة أو تركها إن كانوا قد عقدوا العزم على ذلك. ولكن هذه السلطة الجماهيرية في الخطاب السردي لا يمكن أن تتضمن -بشكل حتمي- قيمة الأفضلية على ما تطرحه المؤسسة النقدية الأكاديمية، فبون شاسع بين الذائقة والمعرفة.[41] وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى خطورة السلطة "الرقمية" التي تصبح في ملك الجمهور المتلقي للأعمال الأدبية، والتي من شأنها أن تعلي الذائقة الأدبية على حساب التبرير العلمي لها،«وهو سبب يفسر الزحف المتوالي لمواقع القراءة التي انتشرت بكثرة، وصار القراء أشبه بنقاد ولكنهم غير رسميين يمارسون سلطة على الكاتب وربما سلطتهم أقوى من الناقد وهو ما جعل الكتاب يسعون دوما إلى استمالة هذا القارئ العادي وجذبه، بوصفه الجمهور الأكبر والأهم بالنسبة للتسويق والتوزيع...».[42] وفي مثل هذه الأحوال تبرز أهمية الحديث عن البعد البيداغوجي الذي تعهدت به بلاغة الجمهور تجاه الجماهير ترشيدا لاستجاباتها.

2- مفهوم الاستجابة

ترتبط مقارنة المخاطب بين نظرية التلقي النقدية وبلاغة الجمهور البلاغية بالاستجابات كذلك؛ فـ«ـالاستجابات مع بلاغة الجمهور مختلفة تماما، فهي استجابات قد تكون لفظية أو غير لفظية (حركية، وإشارية) وتكون مدونة أوغير مدونة مثل (التصفيق، والهتافات)»،[43] ومن البداهة أن حديثنا عن الجمهور لن

---

[40]ممدوح فراج النابي، السلطة الخادعة... والوعي الزائف، ص:418.
[41] نفسه، ص:423، (بتصرف).
[42]نفسه، ص:433.
[43] صلاح حسن حاوي،بلاغة الجمهور ونظريات التواصل، ص:113.

يستقيم، دون أن نعرج على استجاباته؛ إذ لا يمكن الحديث عن الجمهور بمعزل عن الاستجابة في بلاغة الجمهور، لأن البحث في العلاقة القائمة بين الخطاب والسلطة هو البحث عما يجعل الخطاب يشكل استجابات بعينها دون أخرى وكيف يمكن لهذه الاستجابات أن تؤثر في الخطاب السلطوي في إطار مقام تداولي، وقد شَغَلَ البحثُ عن مرجعيات لهذا المفهوم الباحثَ صلاح حسن حاوي؛ لذلك رجع بمفهوم الاستجابة -في إشارة خاطفة- إلى حقل الإعلام في علاقته بعلم النفس السلوكي حيث الاستجابة تتخذ مفهوما سلبيا تخضع للمثير مع نظرية الرصاصة،«فالفعل هو المنبه الذي ينتجه الإعلام، أما رد الفعل فهو الاستجابة التي ينتجها الجمهور».[44]هذا الجمهور الذي أضحى إيجابيا؛ فقد «صار متغيرا يحدث تأثيرا محدودا على وفق نظرية التأثير المحدود التي ظهرت عام 1940».[45] يمكن ربط الاستجابة بفعل التواصل في مقابل الاتصال السائد مع البلاغة الإنشائية، فهذه البلاغة «اتصالية أكثر منها تواصلية، لأنها تعتمد على نقل المعارف والأخبار والأحداث عبر كلام يمتاز بالإقناع والتأثير».[46] ولعل الوقوف على كل بلاغة على حدة بمعزل عن الأخرى سيجعلنا أمام بلاغتين اتصاليتين لا تواصليتين حتى مع بلاغة الجمهور، ومن هنا يكون الإبقاء على البلاغة الإنشائية خادما لهذه القضية في عملية دمج بينهما إبان التحليل؛ فبلاغة الجمهور تواصلية لأن «الخطاب المنتَج من المتكلم ويقابله خطاب الاستجابة من المخاطَب يشكل عملية تواصلية».[47]

غير أن عطف بعض المصطلحات على بعضها دون ذكر الفروق بينها من شأنه أن يوقع القارئ في التداخل بينها دون تحديد تمايزاتها، مثلما نقرؤه من قبيل «**وهو بلاغة الجمهور أو استجابات الجماهير**».[48] فالعطف بـ"أو" قد يُفهم منه التخيير بين تسميتين مترادفتين بل متطابقتين، لكن الأمر عكس ذلك فاستجابات الجماهير تشكل فقط جزءا من المادة البلاغية إضافة إلى المقام التواصلي. أي إنها جزء من هذه البلاغة ينضاف إلى أجزاء أخرى تشكلها، ومثل هذا العطف قد يلبس على القارئ الحدود الفاصلة بين المصطلحات والمفاهيم في التصور قبل الإجراء، لأننا ونحن على المستوى التنظيري نقرأ مع الباحث عبد الوهاب صديقي تعريفا لبلاغة الجمهور كالآتي:«لقد وقفنا سابقا عند هذا المفهوم وهو مدار الدراسة كلها؛ أي **بلاغة الجمهور** التي تعلي من شأن المخاطَب، وتمده بآليات تجعله يقاوم بلاغة السلطة السياسية والإعلامية والتعليمية. الخ، بحيث ينتج

---

(44)نفسه، ص:100.

(45)نفسه، ص نفسها.

(46)نفسه، ص:101.

(47)نفسه، ص نفسها.

(48)نفسه، ص:104. [التشديد من عندنا]

المخاطب **استجابات** مقاومة لأثرها البلاغي، مدركا لتحيزاتها وتغليطها، ومفارقاتها للواقع».[(49)]
إن مفهوم الاستجابة مرتبط في بلاغة الجمهور بالبعد المادي المرئي الذي ينتجه الجمهور بتعرضه لخطاب ما، فصاحب المشروع يتبنى «مفهوما للاستجابة يقرنها بالأفعال اللفظية وغير اللفظية التي ينتجها المتلقي في سياق محدد، استجابة لخطاب آخر».[(50)] ولكن إذا كانت بلاغة الجمهور تستبعد (الاستجابات) الفردية التأويلية المتعلقة بالنصوص الأدبية مع نظرية التلقي في مقابل الاهتمام بالاستجابات المادية الجماعية، فكيف درس المهتمون ببلاغة الجمهور الخطاب السردي في هذا العمل من زاوية هذه البلاغة؟ وكيف يمكن الحديث عن استجابات جماهيرية لخطابات أدبية؟
يمكن الخروج بداية من هذا الإشكال بالنظر إلى أن استجابات الجماهير بصفة عامة في بلاغة الجمهور هي «المنتج المادي الظاهر أثناء التواصل»[(51)] وليس التأويل الفردي (= غير الظاهر). وليس الأمر مقصورا على خطاب معين فبلاغة الجمهور تراهن على وجودها من خلال دراسة استجابات الجماهير، لأن «غاية تأسيس حقل معرفي لدراسة استجابات الجمهور من منظور بلاغي هي استكشاف إمكانية تأسيس هوية جديدة للبحث البلاغي، ليس العربي فحسب بل الكوني أيضا. هذه الهوية التي تقوم على خصوصية المادة المدروسة، والوظيفة، والسؤال المعرفي؛ لا تمثل هوية إقصائية لكينونة البلاغة التقليدية، بل هي هوية إضافية».[(52)]
لا يمكن النظر إلى الخطاب السردي من منظور بلاغة الجمهور، دون الحديث عن أس هذه البلاغة القائم على مفهوم السلطة الذي يبرزه التفاعل بين بلاغتي الجمهور والمتكلم؛ وعن مفهوم الاستجابة باعتباره ردود أفعال لجمهور يجابه خطاب المتكلم؛ ولذلك نجد الباحث خالد أبو الليل يستهل دراسته للخطاب السردي بالفقرة الآتية: «يمكن القول -من منظور علاقات القوة بين القارئ/ الجمهور والنص الأدبي المدون- ((إن هناك علاقة سيطرة أو تبعية أو تكافؤ بين القارئ والنص))؛ ومن ثم فإن دور الجمهور سلبي في تلقي فنون الرواية والشعر والقصة القصيرة عند قراءتها بمعزل عن مؤلفها. رغم وجود النظريات الحديثة التي تعتد بدور القارئ»،[(53)]فهذه الفقرة تبحث ضمنيا عن تسويغ دراسة الخطاب السردي من زاوية بلاغة الجمهور، ويبدو ذلك جليا من خلال مقترحه للدراسة؛ إذ يقول: « درجة المشاركة الجماهيرية أعلى مع تلقي الفنون التي تعتمد على الأداء

---

(49) عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور.. مفاهيم وقضايا، ص:124. [التشديد من عندنا]
(50) عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:143.
(51) نفسه، ص:144.
(52)عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:27.
(53)خالد أبو الليل، السيرة الهلالية والتلقي الشعبي، ص:367.

والمواجهة المباشرة، من خلال ردود أفعال الجماهير»؛[54] لذلك، فدراسته لأشكال الاستجابة الجماهيرية للسيرة الهلالية، جعله يتناول استجابات متداولة في سياق تواصلي قائم على التفاعل بين المتكلم والجمهور، فالنص المختار يجمع بين بعدين المدون والشفاهي، وهما بعدان يلتقيان في منطقة تلحم بينهما وهي الأداء، وقد ضَمِنَ البعدُ الشفاهي للباحث الحصول على استجابات متنوعة لنص السيرة الهلالية، أساسها التفاعل بين المدون والشفاهي لهذا النص.

أما فيما خصائص استجابات الجماهير، فقد استند إليها الباحث عبد الوهاب صديقي، كما هي عند عماد عبد اللطيف، وهي تتمثل في: الآنية، وضعف خضوعها للرقابة، وضخامتها وتعددها، والقابلية لتجهيل مصدرها، وقابليتها للحصر والقياس؛[55] فرصدها في استجابات الجمهور المغربي لقانون مالية 2016 المغربي، ثم تتبع بينتها الحجاجية. لقد نظر إلى استجابات بلاغة الجماهير في دراسة بنيتها الحجاجية بالمنظار نفسه الذي نظرت به بلاغة الجمهور إلى خطاب بلاغة المتكلم، ومن ثم فهذه الدراسة تخدم البعد البيداغوجي لترشيد استجابات الجمهور، لأنها نقد ذاتي إجرائي على تلك الاستجابات، عبر الفضاء الرقمي، «فمما يكون لزاما التأكيدُ أن خطاب الجمهور الرقمي اليوم يحتاج إلى استيفاء شروط التخاطب والمحاججة التي تحتكم للعقل وتعلي من شأن الحوار، حتى لا تستحكم فيه بلاغة الباتوس بدغدغة العواطف والسخرية والتحريض حد العنف»،[56] والملاحظ على دراسة الباحث عبد الوهاب صديقي أنها الدراسة الأكثر توظيفا لمفاهيم بلاغة الجمهور، إذ نجده يوظف الاحتشاد البلاغي، والفضاء البلاغي، والحيز البلاغي، وسرديات الماضي، والتناص، وغيرها من المفاهيم، ويرجع السبب في ذلك إلى جرده مفاهيم بلاغة الجمهور* في شكل معجم لهذه البلاغة. ونشير في هذا السياق إلى أن بلاغة الجمهور في حاجة -فيما بعد- إلى إنشاء معجم خاص بها يُسهل على متتبعيها فهم الإطار النظري لها برصد خلفيات تلك المفاهيم وما تنطوي عليه بلاغاتها، ولن يتأتى ذلك إلا بعد الاستقرار على تعاريف بلاغية مقبولة لدى الباحثين في هذا الحقل المعرفي الجديد، تُحَوِّلُ المفاهيمَ إلى مصطلحات.

كما تتبعت بسمة عبد العزيز استجابات الجماهير الانتقادية في مظهريها اللفظي والسميائي ونظرت إلى معان ثاوية مستترة وأخرى مباشرة صريحة في تلك الاستجابات، ويتضح جليا اعتمادها آلية التأويل المشروط بعلامات لغوية وغير لغوية وسياق تداولها في استخراج تلك المعاني المستترة في الاستجابات الانتقادية

---

[54] نفسه، ص نفسها.

[55] حدد عماد عبد اللطيف هذه الخصائص في كتابه "بلاغ الحرية" (ص:59-60)، وزاد عليها خصائص أخرى، انظر عماد عبد اللطيف "الحجاج والبذاءة"، ص:36-37.

[56] بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي، ص:361.

* عبد الوهاب صديقي، بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، من ص:118 إلى ص:135.

للجماهير، كما تحدثت عن مسألة تطوير الاستجابات البلاغية لمقاومة الخطابات السلطوية.

استجابات الجماهير والإيديولوجيا

ارتبط البحث في دراسة استجابات الجماهير وتحليلها بالبعد الإيديولوجي كثيرا، حتى مع الخطاب الديني، وهذا ما استخلصته الباحثة حامدة تقبايت قائلة: «ما يمكن ملاحظته من خلال الخطاب الديني الموجه عبر الفضائيات هو: هيمنة الاتجاه الإيديولوجي في العديد منها، إذ يظهر الخطاب فيها -غالبا- مسيرا وليس حرا فيما يرد فيه، لهذا عكف الجيل الجديد من الجمهور/ المتلقي على الانتقال إلى وجهة أخرى جعلها الجمهور المتلقي متنفسا للتعبير وحرية الرأي، وهذا ما وفرته مواقع الانترنيت»،[57] لذلك نجد التحذير من الاستغلال الإيديولوجي لاستجابات الجماهير التي قد تفقد معه قيمتها بوصفها استجابة تحررية لتسقط في شركه. وهذا ملمح إلى البحث عن سبيل ترشيد الاستجابات البلاغية للجماهير التي ينتظر منها أن تكون واعية ومدركة للفضاء البلاغي موقعة المعركة بين منشئ الخطاب ومستهلكه، وهو جانب أدركته بلاغة الجمهور منذ نشأتها بنهج جانب بيداغوجي لهذا الغرض. لقد حضر هذا المسعى في تحليل الباحثة بسمة عبد العزيز، إذ توكل أمر تطوير الاستجابات الجماهيرية إلى الفئة المثقفة، فما تنتجه هذه الفئة "يفترض فيه أن يقدم نموذجا متحررا من قيود السلطة وأصفادها، وأن يطرح خطابا أكثر بلاغة واتساقا من خطابها تجد فيه الجماهير بديلا مناسبا يمكنها من تطوير بلاغتها الخاصة»،[58]نظرا لتمكن هذه الفئة من ناصية اللغة التي توظفها السلطة في خطابها للتلاعب بالجماهير. ولا يقتصر الأمر على هذه الناحية، بل لابد أن يمتد هاجس تطوير بلاغة الجمهور «لتشمل توجيه الانتقاد إلى الجماهير نفسها وتشجيعها على ممارسة النقد الذاتي كوسيلة لتحسين أدائها من ناحية، ولكشف مواطن الضعف التي تستغلها السلطة في النفاذ إليها والتلاعب بها من ناحية أخرى»،[59] غير أن هذا الترشيد يجب ألاّ ينسينا الوظيفة النبيلة والأخلاقية لبلاغة الجمهور؛ فتحترز من وقوعها في دائرة المغالطات في إنشاء استجاباتها وهذا ما تنبه إليه الباحث أحمد عبد الحميد؛ لأن «مقاومة السلطة بممارسة تلاعب وتضليل مضاد لا يمكن التعويل عليه في التأسيس لعلاقة صحية مبتغاة بين السلطة والجمهور»،[60] لذلك ينشد الباحثون في استجابات الجماهير البعد البيداغوجي لترشيدها حتى يحافظ الجمهور على سلطته المنتزعة من سلطة المتكلم خاصة في الفضاء الإلكتروني (العالم الافتراضي) الذي يتميز بتجهيل المصدر، فقد رُصدت تجاوزات للجماهير متمثلة في العنف اللفظي مثلا، «ولذا لا

---

(57) حامدة تقبايت، بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني، ص:203.

(58)بسمة عبد العزيز، بلاغة المقاومة.. الجمهور وخصائص الاستجابة النقدية البليغة، ص:307.

(59)نفسه، ص:309.

(60) أحمد عبد الحميد عمر، يسقط يسقط إبلاغة الجمهور بوصفها ممارسة حجاجية، ص:271.

بد للمخاطب أن يحافظ على سلطته الجديدة وأن يعمل على زراعة الرقابة الذاتية في خطابه»،[61] ويلاحظ من خلال هاجس ترشيد استجابات الجمهور لدى الباحثين أنه لن يتم ذلك إلا بعد ممارسة نقد ذاتي، تنجزه بلاغة الجمهور على خطابها، بوصفه محطة أولى وضرورة ملحة لقيام باقي الخطوات في بعدها البيداغوجي.

خلاصة أولى:

- كشفت الدراسة عن اتجاهين اثنين في البحث عن مفهوم السلطة من خلال تحليل الخطابات، اتجاه يحافظ عليها بمعناها السياسي الذي عرفت به بداية مع صاحب المشروع، واتجاه يحاول تكييفه والتخفيف من حدته السلطوية خاصة في تحليل الخطاب الديني (مع الباحثة حامدة تقبايت).
- ارتبطت دراسة استجابات الجماهير برصد البعد الإديولوجي فيها، والتحذير من انزلاقات الجمهور في استخدام سلطته من البعد الحجاجي المنطقي إلى المغالطة التي قد تصل إلى حد العنف اللفظي.
- ارتبط مفهوم الاستجابة بالبعد الأخلاقي في رسم البعد البيداغوجي لبلاغة الجمهور.
- كانت المادة المشتغل عليها من الفضاء الافتراضي، خاصة مواقع التواصل الاجتماعي، باستثناء دراسة خالد أبو الليل للسيرة الهلالية وإن تناولت الاستجابة الالكترونية؛ لأن هذا الفضاء البلاغي هو المناسب لعيش بلاغة الجمهور، بالإضافة إلى ما توفره هذه الوسائط من مادة كثيرة ومحصاة لاستجابات الجمهور تسهل على الباحثين عنها والدارسين لها عملية تحليلها.
- درس الباحثون استجابات الجماهير من الجانب اللغوي فقط إلا الباحثة بسمة عبد العزيز، فقد أضافت التحليل السيميائي وغلّبته في تحليلها.

العمل الجماعي الثاني (2019) :[62] إجراءات التحليل وسؤال المنهج

يُعَدُّ العدد السادس من مجلة العمدة (2019) عملاً جماعيا ثانيا في مسيرة بلاغة الجمهور بعد العمل الجماعي الأول الذي حواه كتاب "بلاغة الجمهور.. مفاهيم وتطبيقات" (2017)، وإذا عدنا إلى سنتي إنجاز العملين سندرك مدى التقارب الزمني بينهما، ومن ثم ندرك التحول في مسيرة البحث من العمل الفردي الذي انبرى له صاحب المشروع منذ سنة 2005، إذ كان شبه مقصور على أعماله إلى حدود سنة 2017، ولا شك أن الباحث يراهن على أهمية تضافر الجهود في سبيل المضي قدما بهذا المشروع، لأنه عمل ينوء به الباحث الواحد، وإننا إذ نسعى إلى تقديم صورة شاملة عن هذا المشروع على عدة مستويات، فلا بد من

---

[61] بهاء الدين أبو الحسن، بلاغة الجمهور بين الفكاهة والعنف اللفظي، ص:318.

[62] مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الأخذ بعين الاعتبار هذا التسلسل الكرونولوجي في مسار البحث لهذا المشروع البلاغي الجديد.

يضم العمل الجماعي الثاني، على غرار العمل الأول، دراسات تتنوع بين التنظير والتطبيق وإن لم يُصَرّح بذلك تصنيفا، مع دراسة للباحث عماد عبد اللطيف تزاوج بين الأمرين كما اعتدنا منه ذلك. ولمقاربة هذا العمل سنرصد بالوصف والتحليل العمليات الإجرائية في تحليل الباحثين للخطابات المتنوعة من منطلق بلاغة الجمهور، قصد تبين الجانب المنهجي في تلك الدراسات التطبيقية على الخصوص، وهو ما يستدعي تتبعا مفصلا لكل دراسة على حدة. ولرصد هذا الجانب المنهجي نبدأ بالدراسات التنظيرية، لمعرفة مدى تطور البناء التنظيري لهذا المشروع مقارنة بجانبه التطبيقي.

1 الدراسات النظرية: نقد ومحاولة ربط الجسور

ضم المؤَلف أربع دراسات تنظيرية صرفة، نتتبعها على النحو الآتي:

بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، الإشكاليات المعرفية والمنهجية... وحدود التأصيل: رامي أبو شهاب

قدم الباحث قراءة في الكتاب الجماعي لبلاغة الجمهور (2017)، وهو الكتاب الذي قدمنا له قراءة من مدخل مفهومي، ويسعى الباحث من خلال قراءته إلى نقد الأسس المعرفية والأدوات التطبيقية لبلاغة الجمهور انطلاقا مما حواه الكتاب المذكور من دراسات تنظيرية وتطبيقية. ولكنه قبل ذلك، يبحث عن مسوغ نشوء بلاغة الجمهور انطلاقا من هذا المؤلف الجماعي، ولعل اقتصار الباحث في إيجاد مسوغات مشروع بلاغة الجمهور على هذا الكتاب، قد يجانب نسقية المشروع عامة، فمسوغات المشروع تحدث عنها عماد عبد اللطيف في المقال الأول له، أقصد "بلاغة المخاطب" (2005)، وهو مقال تأسيسي لهذا الحقل البلاغي، وما يعزز قولنا هو خلو لائحة مصادر البحث من هذا المقال، كما خلا متنه من الإشارة إليه. وعلى الرغم من ذلك، فطرح التساؤل عن مسوغات بلاغة الجمهور في هذا الكتاب له مبرراته، أهمها كونه الكتاب الجماعي الأول، أي انضمام باحثين ذوي خلفيات فكرية متعددة، بعدما كانت الأعمال "منحصرة" فيما يكتبه عماد عبد اللطيف. كما يتعلق كذلك، بالبحث عن المسوغات في رؤى هؤلاء الباحثين المنضمين إلى البحث في المشروع الجديد.

وضع الباحث مبضع تشريحه على موضع لا يزال إشكاليا، وهو الجانب المنهجي في هذا المشروع البلاغي، يقول في صدد ذلك: «... مسعى تأسيس ممارسة معرفية منهجية تطبيقية، ينطوي على إشكاليات عميقة، معظمها منهجي، ومعرفي، يتصل بالذوات المشتركة في هذا النهج من حيث الرؤية والأدوات التي اعتمدت في الدراسات، ولا سيما عند استعراض الأبحاث النظرية والتطبيقية التي قدمها الكتاب حيث لا نجد نظاما متكاملا من الأدوات والمفاهيم البحثية قابلة

للتطبيق على اختلاف المدونات»،[63] وهذه الملاحظة لا تنتقص من العمل، لأن هذا الأمر بدهي بالنظر إلى أن الكتاب هو المحاولة الأولى في مسار البحث الجماعي حول بلاغة الجمهور، ويبقى السؤال الهاجس عند الباحث مرتبطا بالإطار المفهومي لهذا المشروع البلاغي الجديد.

ثم يبدي الباحث ملاحظة مفادها «أن الإحالات لكتب عبد اللطيف [في الدراسات التي حواها الكتاب الجماعي] تبقى مقصورة على التعريف، والمقدمات، وتتمحور على تعريفات بلاغة الجمهور، ومفهومها العام، ومقاصدها، والتعريف بالمشروع، وذلك ضمن تكوينات بسيطة، ولكن عند محاولة التعمق، وتقديم رؤية معرفية وتطبيقية واضحة، فإن الإحالات تنحو إلى أسماء أخرى غربية، مما يعني عدم القدرة على تمثل فكر صاحب المشروع، وتقديم مرجعية معرفية متينة...»،[64]، وقد سقنا هذا النص على طوله لتوضيح المقدمة التي بنى عليها استنتاجه، وهو استنتاج يحتاج إلى تأمل وإعادة تفكير ملي، فالانصراف إلى الاستشهاد بأقوال باحثين غير عماد عبد اللطيف في مقام تعميق الرؤية تجاه بلاغة الجمهور، ليس بالضرورة ناتجا من عدم تمثل فكره، بل هو مسار معروف مسبقا، لأن الباحث عماد عبد اللطيف يدعو إلى تعميق الرؤية في مشروعه، لأنه يدرك مدى الهوة التي يحس بها في هذه النقطة، وما استشهاد الباحثين بأقوال آخرين غير عماد عبد اللطيف ما هو إلا محاولة جادة في مسار تعميق الرؤية. وإذا كان زمام الأمر يتعلق بالبعد المفهومي لهذا المشروع، فإننا نعزو هذا الانصراف إلى باحثين آخرين غربيين بأن الباحثين المنضمين إلى البحث في بلاغة الجمهور، وجدوا إطارا عاما يحتاج جهدا كبيرا، يدعو بداية إلى نحت مفاهيم تكون قادرة على تكوين هوية معرفية لهذا المشروع، وهذا مسلك وعر يحتاج جهدا كبيرا وتحليل مدونات كبيرة طبعا، وليس الاقتصار على مقالات أو دراسات معدودات الصفحات، تُستغرق جلها في التعريف بالمشروع، خاصة في بيئة ألف باحثوها الركون إلى مصطلحات غربية يحاولون تبيئتها في التربة العربية.

وعلى الرغم مما تقدم، فإن الباحث وضع بلاغة الجمهور في الميزان؛ فكشف عن هويتها المبعثرة، التي حاول الباحثون لملمة أجزائها من حقول معرفية متعددة. وتبقى بلاغة الجمهور تحديا واضحا للباحثين لبناء رؤية بلاغية جديدة ذات منظومة مصطلحية متماسكة المفاهيم.

بلاغة الجمهور محددات التفاعل ومستويات التحليل: بلخير أرفيس

طرح الباحث سؤالا محوريا، وإن كان يبدو بدهيا في ظاهره، وهو: «هل الحديث عن بلاغة الجمهور معناه الانتقال من بلاغة المتلقي المفرد إلى المتلقي

---

[63] أبو شهاب رامي، مجلة العمدة، ص:157.

(64) نفسه، ص: 161.

الجماعي؟»،[65] وقد ارتبطت به مجموعة من الأسئلة الفرعية، لكن المنجز كان مفارقا لضخامة الأسئلة، فالكاتب أغرق في التعريفات اللغوية والمصطلحية التي لا تفيد بحثه، وجعلها متراكمة دون بناء، وأحسبه بفعله هذا، يعيد إشكال التشرذم إلى البلاغة العربية، فنشوء المشاريع البلاغية العربية الحديثة، يقوم أساسا على تجاوز هذا التراكم بالبناء المفهومي والمصطلحي داخل رؤية موحدة تحكمه، ويتجلى الخلط المفهومي في اعتماد الباحث محددات نفسية واجتماعية لجمهور الإعلام، وفرق شاسع بين مفهوم الجمهور في بلاغة الجمهور ودراسات الإعلام، وقد حدد الأستاذ عماد عبد اللطيف تلك التمايزات في دراسته المعنونة بـ"منهجيات دراسة الجمهور".كما أن القضايا التي طرحها الباحث في مقاله تحتاج إلى التأني في القبول بها، وسنأخذ مثالا على ذلك.

ذكر الباحث في "محددات التفاعل"[66] أن على الباحثين في بلاغة الجمهور، الأخذ بمجموعة من العناصر حتى يتجنبوا الارتجال، ومن بين تلك العناصر التي ذكرها، الفئة العمرية للجمهور ونوعه، ثم يستشهد في "مستويات التحليل"، تحت عنوان "السرية والعلنية"،[67] بقول لعماد عبد اللطيف، يشير به إلى صعوبة تحديد هوية منتِج الاستجابة، سواء من حيث العمر أو النوع أو غيرهما.

مفاهيم اللسانيات العرفنية ومحددات استجابة الجمهور: صالح غيلوس

يمزج الباحث بين مفاهيم "اللسانيات العرفنية" و"مفاهيم بلاغة الجمهور"، ومن ثم يربط بين الاثنتين على مستوى تجريدي، منطلقا من أمثلة واقعية، وقد رام تعريفا للاستجابة ينزع نحو هذا التجريد قائلا: «استجابة الجمهورعملية تفاعلية إيجابية تعبر عن أفكار الجمهور المعني، وهي بمثابة شبكة من القوى المتداخلة المتبنينة فكريا وانفعاليا وحركيا...»،[68] وقد يطرحُ هذا النزوع نحو العلاقة بين استجابات الجمهور والذهن البشري شبه تعارض، خاصة إذا استحضرنا اهتمام بلاغة الجمهور بالجوانب المادية الملموسة، ولكنه تعارض سطحي، فاللسانيات العرفانية، من شأنها أن تفتح أفقا آخر في فهم استجابات الجمهور، يتكامل وآفاق أخرى. وقد أشار الباحث عماد عبد اللطيف في دراسة سابقة له إلى أهمية الإفادة من هذا الحقل المعرفي، في إطار ما تطمح إليه بلاغة الجمهور «لدراسة العلاقة بين الخطاب والاستجابة، من خلال الإفادة على نحو أكثر عمقا من علم النفس المعرفي cognitive psychology»،[69] فالأمر يتعلق تحديدا بعملية التفسير بين الخطاب والاستجابة من زاوية العمليات الذهنية.

مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور": عادل المجداوي

---

[65] أرفيس بلخير، مجلة العمدة، ص:170.

[66] نفسه، ص:175.

[67] نفسه، ص:178.

[68] صالح غيلوس، مجلة العمدة، ص:137.

[69] عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية، ص:42.

اتجه صاحب هذه السطور إلى البحث في علاقة بلاغة الجمهور بمشاريع بلاغية أخرى، فاهتم بالبحث في علاقة البلاغة العامة للأستاذ محمد العمري ببلاغة الجمهور على مستوى المفاهيم، وتحديدا، في العلاقة بين مفهومي الجمهور والمستمَع، وقد أشار إلى أهمية هذا الحوار بين المشاريع البلاغية العربية في الكشف عن الرؤية البلاغية.

2 الدراسات التطبيقية: تجميع وتصنيف

أما فيما يخص الدراسات التطبيقية، فسنحاول تتبع مساراتها المنهجية في ارتباطها بتنوع الخطابات وتضافرها، كما يأتي:

أ – تضافر الخطابات: الخطاب الرياضي والخطاب السياسي

بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي: عماد عبد اللطيف

وسّع الباحثُ دائرة البحث البلاغي بشكل عام لتشمل الخطاب الرياضي، وقدّم كيفية تحليل هذا الخطاب بسرد مجموعة من الأسئلة النظرية مشفوعة بأمثلة تطبيقية، وقد اتخذ أغنية (في بلادي ظلموني) مثالا لتوضيح رؤيته البلاغية، والملاحظ على الباحث التزامه بمنهجية طيلة مساره البحثي، تتمثل في المزاوجة غالبا بين التنظير والتطبيق، خاصة في الخطابات التي همشها البحث البلاغي أو تحاشاها. وقد نتج توسيعُ دائرة البحث البلاغي عن تغيير مفهوم البلاغة وتوسيع مجال اشتغالها، فقد أضحت البلاغة عند عماد عبد اللطيف «العلم الذي يدرس كيف تنجز النصوص، والخطابات العامة والخاصة، وظائف الإقناع، والتأثير، والإمتاع، وغيرها».[70]

إن الباحث يحمل هاجس توسيع دائرة البلاغة لتشمل جميع الخطابات بالتحليل، البلاغة التي تخدم الناس وتنشر الوعي بينهم، لا سيما أن النظرة الموجهة إلى الجماهير قدحية وتنقيصية، ولعل تكرار الباحث تعريف الاستجابة البليغة أكثر من مرة،[71] ينطوي على رغبة في توضيح أهمية خطابات الجماهير وأحقيّتها بالدراسة البلاغية التي ارتبطت بالنص المقدس ونصوص النخبة بشكل كبير.

بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة: الربيع بوجلال

تماشيا وتوجه بلاغة الجمهور، يشير الباحث إلى انتقال البحث البلاغي مع بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة، ويفصّل في الدور الذي تلعبه بلاغة الجماهير في العصر الحالي، بعد أن أشار إلى عودة البلاغة بعد اختزالها في الجانب الإمتاعي لمدة طويلة، يقول الباحث: «وتأتي هذه المقالة لتبرر دواعي

---

[70] عماد عبد اللطيف، مجلة العمدة، ص:12.

[71] تكرر تعريف الاستجابة البليغة في هذا المقال ثلاثة مرات في الصفحات 15 و17 و23. وقد جاء التعريف الأول في الصفحة الخامسة عشرة كالآتي: "الاستجابة البليغة؛ أي الاستجابات التي تعري الخطابات السلطوية، وتقاومها. والخطابات السلطوية هي التي تمارس تمييزا، أو عنصرية، أو قهرا، أو إقصاء، أو تحيزا، أو تلاعبا، أو تضليلا "،ينظر عبد اللطيف (عماد)، بلاغة جمهور كرة القدم. مجلة العمدة ع6.

الانتقال التي فرضها العصر، وطلبتها البلاغة لبقائها وضمان استمراريتها»،[72] وسنحاول في القسم الثالث من مقالنا هذا، أن نبرز أهمية دراسة أدب النخبة انطلاقا من مقاربة بلاغة الجمهور، فعنوان مقال الباحث، قد يشير إلى أن بلاغة الجمهور تناولت أدب النخبة درسا وتحليلا، وهو أمر يحتاج توضيحا أكثر؛ لأن بلاغة الجمهور انتقدت تركيز البحث البلاغي على نصوص النخبة، ولكنها لمّا تدرسها، والسؤال الذي نطرحه استشرافا لما سيأتي، هو ألا يمكن دراسة نصوص النخبة من زاوية بلاغة الجمهور؟

وأبرز ما ضمّنه الباحث مقاله هو فتح بلاغة الجمهور على الخطاب الرياضي المتضافر مع الخطاب السياسي، إذ يجعل ترابطهما يسفر عن استفادة السياسة من الرياضة بالنسبة للمتكلم السياسي، وفي الجهة المقابلة، نجد بلاغة الرياضي وبلاغة الجمهور.

ب - الخطاب الإشهاري

بلاغة جمهور الخطاب الإشهاري –ومضة إشهارية على الفايسبوكأنموذجا-:

عذر الدين عماري

درس الباحث الخطاب الإشهاري عبر وسيط الفيسبوك من زاوية بلاغة الجمهور، فانطلق من تِبيان خصائص استجابات جمهور الفيسبوك التي حددها عماد عبد اللطيف من قبل. واعتمد الإحصاء في دراسة الاستجابات، وعلى الرغم من ذلك، فقد جاء التحليل تراكميا وهزيلا، لا يزيد عن قراءة التعليقات في سطحيتها.

ج - الخطاب الأدبي

تمثل السلطة المزدوج النص المخالف للسائد واستجابات الجمهور نصوص الغفوري إلى النبي (ص) أنموذجا، كل منتج إبداعي سلطة وكل سلطة اختراق:

محمد عبد الله المحجري

يتجه الباحث في دراسته إلى تبيّن علاقة السلطة التي تتحكم في فرض نصوص معينة، تجعلها في المركز في مقابل تهميش نصوص أخرى، بوصف الثقافة السائدة هي من تتولى ذلك التمييز لامتلاكها السلطة لفعل ذلك، فـ«مع كل ثقافة سائدة هناك ثقافة موازية مستترة لا تقدر على الظهور إلا بقدر ضعف الأولى؛ وبمقدار القهر الذي تمارسه الثقافة السائدة تتعالى نسبة تواري الثقافة الموازية، وربما يتعالى معها تحولها إلى ثقافة دوغمائية منغلقة قاطعة وحادة في الوقت نفسه»،[73] وقد اتخذ الباحث دراسة الاستجابات مدخلا لرصد علاقة السلطة بين الطرفين.

إن ما يلاحظ على الباحث هو تعريفه السلطة «بأنها اختراق شخصية الآخر والهيمنة عليها بهدف التأثير فيها (إيجابا أو سلبا) عبر خلخلة تموضعاتها السابقة،

---

(72)بوجلال الربيع، مجلة العمدة، ملخص البحث ص:68.

(73) محمد عبد الله المحجري، مجلة العمدة، ص:80.

والإسهام في موضعتها في النسق الملائم للذات»،[74] ومن ثم يحدث تعديلا عما أعطاه عماد عبد اللطيف لمفهوم السلطة في مقاله التأسيسي (2005)، إذ ربطها بالسيطرة والهيمنة، ولكن هذا التباين الطفيف مرتبط أساسا بنوعية الخطاب المدروس، فمعنى السيطرة والهيمنة التي تنحو نحو السيطرة المادية والقمع المادي، ارتبطت عند عماد عبد اللطيف بالخطاب السياسي، وهذا أمر لا تخفى حقيقته، فالسياسة مرتبطة أصلا بالسلطة وتداولها، مع تباين درجات هذه السلطة، من نظام ديكتاتوري إلى نظام ديموقراطي، أما مع الباحث محمد المحجري، فقد فرض عليه الخطاب الأدبي المتضافر مع الخطاب الديني هذا التعريف، خاصة أنه يركز على خاصية الإبداع التي تخلخل السائد. إن السلطة في دراسة الباحث محمد المحجري مرتبطة بما هو فكري غير مادي؛ ولذلك فهو يتحدث عن تفرد المنتج الإبداعي حين يخالف المألوف والسائد، وهو في ذلك يأخذ بنظرية التلقي، إذ تتأسس قواعد متشابهة من نصوص متراكمة تشكل المعيارية، إلى حين أن تأتي نصوص تخرق أفق الانتظار الذي أَلِف قواعد معينة لمدة زمنية طويلة نسبيا تحتل المركز إلى حين غير معلوم.

قارب الباحث نص الكاتب مروان الغفوري المعنون بـ" في يوم مولدك، ارفع الحصار عن مدينتي يا محمد" وهو واحد من النصوص والرسائل التي نشرها الكاتب في صفحته على الفيس بوك عن النبي صلى الله عليه وسلم. فرصد مظاهر تمثل السلطة في منجز الكاتب مروان الغفوري، وقد نزع تحليل الباحث إلى تحليل نفسي لمصادر السلطة في بنية النص الإبداعي انطلاقا مما هو بنيوي. وهناك إشارة ينبغي التنبه إليها، في قول الباحث عن متابعي صفحة الكاتب، أن عددهم قريب من (140.000) متابع،[75] وهذا الإحصاء من ميزات وسيط التواصل فيس بوك، ثم يحدد فئة المتابعين على أنهم من الشباب قائلا: «يمكننا القول إن الكاتب مروان الغفوري يحقق حضورا جماهيريا واسعا وتأثيرا بالغا في الفئة التي يستهدفها بالكتابة، وتحديدا فئة الشباب، الذين يتسمون برفض الواقع ونخبه في المستويات كافة، ولا سيما بعد انتكاسة الحلم ودخول اليمن في متاهات الصراع الإقليمي»،[76] وهذا التحديد في فئة الشباب لم يوضح الباحث كيفية الوصول إليه، اللهم أن يكون تمثلا ذهنيا مسبقا عن هذه الفئة، أو مأخوذا من تعليق الكاتب مروان الغفوري، في سياق ردّه على منشور عبد الرحمن الخميسي الذي دعا فيه جمهوره إلى التبرع بالمال لمحاكمة الكاتب، كالآتي: «أما أنا فأدعو القراء، والمثقفين الشبان، للدخول إلى صفحتك وإعطائك بعض الدروس حتى تعرف أنك لا تخاطب شعبا من القردة العليا»،[77] وهو تعليق مثل به الباحث في دراسته.[78]

---

[74] نفسه، ص:81.

[75] نفسه، ص:89.

[76] نفسه، ص:89.

[77] https://www.facebook.com/alghafory/posts/10153937049769047

[78] محمد عبد الله المحجري، مجلة العمدة، ص:90.

مثلت دراسة الباحث مساحة موسعة، شملت رصد علاقة السلطة بين الكاتب وجمهوره، سواء من المؤيدين أو المناوئين له، فتتبعها انطلاقا من الكاتب ودوافعه النفسية والفكرية، ومرورا بالنص عبر الكشف عن تمثلات السلطة فيه، ووصولا إلى الجمهور وتحليل بلاغته.

الخصائص الجمالية لاستجابة الجمهور لشعر محمود درويش: امتنان الصمادي

تنتمي دراسة الباحثة امتنان الصمادي إلى الخطاب الأدبي، وإلى الشعر منه تحديدا، فقد اهتمت بالخصائص الجمالية لاستجابات الجمهور لشعر محمود درويش على وسيط اليوتيوب، ويسجل على عنوان الباحثة ملاحظة مفادها أن التركيز على البعد الجمالي في استجابات جمهور الشعر، قد يقصي البعد الإقناعي وهو ما يبعد دراستها عن أحد أهم أسس بلاغة الجمهور، أقصد السلطة؛ فالتركيز على جانب الإمتاع وحده لن يرصد علاقة السلطة بين منشئ الخطاب والمستجيب له بشكل تفاعلي، كما أن الاستجابة كذلك في بلاغة الجمهور تتأسس على مقدرتها في تقويض الخطاب السلطوي لمنشئ الخطاب، وهذا الإشكال يرتبط بطبيعة الخطاب المختار للدراسة، وهو الخطاب الشعري ذو الطبيعة التخييلية، فكيف تعاملت مع ذلك؟

لقد تنبهت الباحثة إلى العلاقة التفاعلية بين الاستجابات ومضمون النصوص الشعرية الدرويشية ذات المضمون الوطني والوجود الإنساني، أو بينها والموسيقى التأثيرية المصاحبة لتلك النصوص، أو في علاقتها بأداء الشاعر، ومما يلاحظ في دراسة الباحثة أنها رصدت تأثير الخطاب على الجمهور، وما نتج عنه من تمظهرات تلك الاستجابات، والمفيد في الدراسة في نظرنا، يكمن في فهم المجتمع العربي من خلال استجاباته. وقد وُفقت الباحثة إلى أبعد الحدود في رصد ذلك؛ بفتح دلالات الاستجابات على الأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية، ولعل التفكير في توسيع مثل هذه الدراسات من شأنه أن يحمل الكثير من الأفكار والقضايا لفهم واقعنا الحالي وما قد يتطلبه من تغيير.

ولا بد من التأكيد على أن صعوبة رصد تأثير استجابات الجمهور في خطاب هذه الدراسة، هو ما دفع الباحثة إلى الحديث عن خصائص استجابات الجمهور، من خلال البحث في مسبباتها، مع أننا نلتقي في دراستها بتأثير بعض الاستجابات في بعضها الآخر.

إن الفارق بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي في هذه الدراسات يتقلص حتى ليكاد يتطابق، فلا يبقى إلا طبيعة القارئ بينهما بغض النظر عن الوسيط، فالدراسات في كثير من الأحيان أشبه بلائحة قراء لنص شعري لولا بعض ما يكتنف التعليقات من استجابات غير لغوية، كالتعبير بالصور مثلا، ومما يزيد في هذا التقارب، أن الجمهور في هذه الحال يوهم بالتجمع ولكنه في حقيقته مكون من أفراد متباعدي الأماكن والأزمنة، لا يجمع بينهم إلا مساحة التعليق.

تنوع استجابات الجمهور في مواقع تقييم الكتب، (قودريدز وأبجد أنموذجا): صيته العذبة

رصدت الباحثة تنوع بعض استجابات متصفحي مواقع مراجعة الكتب على الشبكة العنكبوتية، من خلال التركيز على نموذجين اثنين (رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي ورواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ")، كل منهما في موقع إلكتروني محدد على التوالي:(كودريدز وأبجد). وقد أشارت في بداية ورقتها إلى سلطة الجمهور في الفضاء الافتراضي في سياق التطور التكنولوجي، ثم صنفت استجابات جمهور الرواية وعلقت في آخر التصنيف، وبشكل عام، فالوقوف عند عتبة تصنيف الاستجابات وتركها معلقة دون تحليل، يثير التساؤل عن جدوى مثل هذه التصنيفات، خاصة أن منطلق الباحثة كان الإشارة إلى سلطة الجمهور، فعلى أقل تخمين أين تتجلى سلطة الجمهور؟ وبأي معنى نفهم السلطة في هذا المقام؟

إن تتبع الاستجابات وتصنيفها، لهو محطة أولى، ولكن قطار البحث يجب أن يتجاوزها إلى محطات أخرى. خاصة في دراسات اتخذت متونا قصيرة، أو استجابات يسهل حصرها.

الاستجابة البليغة للرواية، رواية مصائر لربعي المدهون نموذجا: صباح اليازغي

تعد هذه الدراسة هي الثالثة من نوعها، بعد دراستي الباحثين ممدوح النابي وصيته العذبة، فالمشترك فيما بين هذه الدراسات هو الاشتغال على الخطاب الروائي من زاوية بلاغة الجمهور، وذلك بتتبع استجابات متصفحي مواقع القراءة (كود ريدز خاصة) وتصنيفها ثم التعليق عليها. أما الاختلاف بينها فيكمن من حيث موضعة مفهوم السلطة، فإذا كان الباحث ممدوح النابي قد جعل السلطة في جهة جمهور الرواية، ثم دلل على ذلك بتأثير استجابات القراء في كتابات الروائيين، فإن الباحثة صيته العذبة أشارت فقط إلى سلطة الجماهير بشكل عام، دون أن تحدد ذلك في أثناء دراستها. أما الباحثة صباح اليازغي، فقد جعلت السلطة للخطاب الروائي، منذ بداية دراستها، فقالت: «يمكن القول إن الخطاب الروائي خطاب سلطوي، تكمن سلطويته في سحره الأسلوبي الذي يغري القارئ ويثير إعجابه، مما ينتج تأثرا وهذا التأثر في الغالب يكون انفعاليا خاضعا للعاطفة وليس للعقل»،[79] كما أنها لم تغفل الإشارة إلى سلطة جمهور الرواية قائلة: «فله سلطة إبداء رأيه في الرواية هل تستحق الفوز أو لا تستحقه»،[80] وإذا كانت الباحثة قد جعلت السلطة مرادفة للتأثير؛ فإنها لم توضح تجليات سلطة الجمهور، كما أن تعليقاتها على الاستجابات كانت تُشعر بالانسياق مع كل تصنيف تختاره، وقد صرحت في خاتمة بحثها بالنقص في فهم الاستجابات، وقالت بأن ذلك

---

(79) صباح اليازغي، مجلة العمدة، ص:202.

(80)نفسه، ص:213.

«يتقضي القيام ببحث إثنوغرافي يضاف إلى التعليقات التي وجدناها في موقع goodreads».[81]

ج - الخطاب الديني

بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفايس بوك نموذجا): لعويجي أحمد

انطلق الباحث من مقدمة تحتاج إلى توضيح كبير، وتشمل هذه المقدمة ما يسمى "نظرية المؤامرة" التي نسبها إلى الغرب في إطار العولمة، ذلك الغرب الذي لا شغل له إلا تدمير الإسلام وتشويه صورته ! ثم جعل هذه المقدمة أساسا لتغيير الخطاب الديني على لسان الداعية الإسلامي مواجهةً لهذه التغيرات.

والسؤال الذي يهمنا رصد إجابته في دراسة الباحث، هو: كيف يتجلى مفهوم السلطة في دراسة الخطاب الديني من زاوية بلاغة الجمهور؟ وما مدى الربط بين المقدمة ونتائج التحليل؟

ركز الباحث في تحليل الاستجابات على التنوع اللغوي والأسلوبي، فحاول ربطه بالخلفيات الثقافية والسياسية وغيرهما للجمهور، غير أن دراسة الباحث تفرض على قارئها جعلها موضع نقد وتساؤل، فالدارسة تنم عن تحيز صريح، ونية مسبقة، إذ يتجلى التركيز على تفخيم خطاب المتكلم، في مثل تعليقه على عينة من الاستجابات، كهذا التعليق: «فمثل هذه التعليقات تنطوي على تعطش أصحابها إلى فرسان منابر لا يخشون في الله لومة لائم، ويعملون على تقديم النصح والإرشاد للمسؤول مهما علا منصبه، ودون مجاملة»،[82] وإن أردف ذلك ببعض التعليقات المنتقدة لخطاب المتكلم، إن دراسة الباحث يمكن أن نعدها استجابة لاحقة مستحسنة لخطاب المتكلم وليس تحليلا للاستجابات، وما يؤيد هذه القراءة هو أن لا صلة للمقدمة التي انطلق منها بنتائج تحليل استجاباته.

الخطاب الإعلامي حول قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات، دراسة لغوية في ضوء نظرية بلاغة الجمهور: هدى عبد الغني إبراهيم باز

تناولت الباحثة قضية زواج الشيخ علي يوسف بالسيدة صفية السادات بالتحليل من زاوية بلاغة الجمهور، فعدّت كلام أب الفتاة صفية الراغب في فسخ الزواج متكلما، أنشأ خطابا يبدي فيه عدم الموافقة على الزواج، لأنه تم بدون إذنه، ومن ثم ابتدأت بخطاب المتكلم عبر وسيط الصحيفة المكتوبة، فحددت أفعاله الإنجازية ولازِم أفعاله الكلامية في إطار المقاربة التداولية. ثم انتقلت بعد ذلك إلى رصد بلاغة الجمهور تجاه هذه القضية؛ فقسمت الجمهور إلى ثلاثة أقسام تبعا لرد فعلهم تجاه القضية نفسها. وقد جاءت هذه الأقسام كالآتي: (بلاغة الجمهور المحايد/ بلاغة الجمهور المعارض/ بلاغة الجمهور المؤيد).

---

[81] نفسه، ص:215.

[82] أحمد لعويجي، مجلة العمدة، ص:65.

وتحت عنوان **"الوسائل البلاغية التي وظفها الشيخ علي يوسف لتحقيق التأثير والإقناع"**، رصدت الباحثة التفاعل الجماهيري، فعدّت «مقالات الشيخ علي يوسف خطابات بلاغية جماهيرية؛ حيث إنها أُنتجت واستهلكت في إطار عملية اتصال كان المتلقون فيها طرفا فاعلا؛ حيث أسهمت استجاباتهم المؤيدة لزواجه أو المعارضة له في تشكيل خطابه، وصوغ حججه»،[83]وعلى الرغم من تركيز الباحثة على خطاب المتكلم بشكل كبير، إلا أنها رصدت العلاقة التفاعلية بينه واستجابات الجمهور، كما تتبعت مظاهر تغير خطاب المتكلم تبعا لسلطة الجمهور.

هناك إشارة، تتعلق بتحول شكل التواصل إلى ما يشبه الحوار التفاعلي بين الشيخ يوسف والشيخ السادات، كما أن الجمهور الذي تتبعت الباحثة بلاغته لم يكن جمهورا في فضاء واحد، بل متفرق في أمكنة متعددة ولا يتفاعل بينه كما في جمهور اليوتيوب أو الفيس بوك مثلا، لأنه جمهور الجرائد المكتوبة.

خلاصة ثانية:

- كشف تتبع دراسات باحثي العمل الثاني، على مستوى التنظير، عن محاولة ربط الباحثين حقل بلاغة الجمهور بحقول معرفية أخرى، لأن بلاغة الجمهور لما تؤسس أرضيتها بشكل مستقل يمكن الاطمئنان إليه، ويرتبط توضيح أرض بلاغة الجمهور ضمن الحقول المعرفية الأخرى بما كشف عنه تتبع دراسات الباحثين على المستوى الإجرائي من حاجة بلاغة الجمهور إلى دراسات كبيرة حجما، فالملاحظ أن على الأعمال التي قاربت خطابات متنوعة من زاوية بلاغة الجمهور، كانت كلها أعمالا صغيرة الحجم، ولا نستثني كتاب بلاغة جمهور الخطاب السياسي للباحث عبد الوهاب صديقي،[84] لأنه كتاب مبني على تحليل خطابات قصيرة ومتنوعة كذلك.
- إن التركيز على الجانب اللغوي في استجابات الجمهور، جعل هوية الاستجابات تكاد تمّحي، لأننا نصبح أمام تحليل لخطاب كأنه لمتكلم وليس استجابة له؛ وهذا نتيجة خفوت رصد البعد التواصلي عن طريق مفهوم السلطة خاصة.
- ليست هناك تمايزات تبعا لنوعية الخطابات، فدراسات الباحثين تعاملت مع الخطابات المختلفة بمنهجية واحدة، وبمفاهيم متشابهة.
- هناك شبه غياب للبعد السيميائي في تحليل استجابات الجمهور، لاعتماد أغلب الباحثين في الدراسات التطبيقية على تركيز الاهتمام بالجانب اللغوي.
- قد نعيب على تحليلات الباحثين في بلاغة الجمهور، اقتصارها على تصنيف

---

(83) هدى عبد الغني، مجلة العمدة، ص:121.

(84) عبد الوهاب صديقي، بلاغة جمهور الخطاب السياسي قضايا ونماذج، دار أمجد، ط1، 2018.

الاستجابات وتحليلها، ولكن ما الفرق بين دراسات باحثي بلاغة الجمهور ودراسات باحثي حقول معرفية أخرى، لنأخذ على سبيل المثال البلاغة التقليدية، أليست هي كذلك، تصنف وتصف وتحلل؟ إن مصدر النقص في دراسات بلاغة الجمهور، هو غياب مفاهيم خاصة بها، فالمفاهيم التي نحتها الأستاذ عماد عبد اللطيف -أقصد مفهوم الجمهور والاستجابة والسلطة بمعناها الجديد- هي نفسها التي يركن إليها الباحثون من بعده. وهذه المسألة تجعل الباحثين يهرعون إلى حقول معرفية ليدرسوا استجابات معينة، إذ في هذه الحال نشعر أننا أمام خطابات لا تتضمن خصوصية الطرف الأضعف في العملية التواصلية، وهو الجمهور، لأنها مفاهيم طبقت ولا تزال على خطابات المتكلمين.

- لا يمكن نفي تجاوز الحدود بين الحقول المعرفية في العصر الحاضر بشكل خاص، ولكن استمداد بلاغة الجمهور مفاهيمها كلها من تلك الحقول، سيضيع لا محالة هويتها الجنينية، فمدار الأمر هو رؤية بلاغية تشكل إطارا لا يزال الخواء يعم أركانه جلها؛ ومن ثم فبلاغة الجمهور بحاجة إلى أقلام تبني هذا الصرح المفهومي، انطلاقا من تراكم دراسات تشمل مدونات كبيرة الحجم، تبدأ من قراءة التراث لتصل إلى الحاضر، خاصة أن بلاغة الجمهور تأسست من خلال نقدها للتصور التراثي، ولكنها لم تجرب قراءة ذلك التراث انطلاقا من زاويتها هي. وفي القسم الآتي، سنحاول أن نتتبع جزئية من هذا الطرح، لعلها تصبح منجزا قائم الأوصال في قادم الأيام.

ثالثا: بلاغة جمهور الأدب.. نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية

1 - استجابات جمهور الأدب العربي.. كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني نموذجا

يقتضي التصور العام لمشروع بلاغة الجمهور الإشارة إلى أن هذا المشروع تأسس بداية لدراسة خطابات الحياة اليومية، وارتبط بشكل كبير بالخطاب السياسي، كما ارتبط بوسائط تواصلية تواكب الحياة المعاصرة، من قبيل تعليقات الفيسبوكواليوتيوب، وهذه المادة تساعد بشكل كبير دارسي الاستجابات لما تتيحه هذه الوسائط من إمكانات التفاعل والإحصاء، بل لابد من التأكيد على أن مبررات قيام هذا الحقل البلاغي الجديد كان على أساس تهميش الخطابات اليومية في مقابل إعلاء قيمة النصوص الأدبية، ثم انتقلت الإشارة إلى إمكان دراسة الخطاب الأدبي من خلال العمل الجماعي الأول لبلاغة الجمهور (2017)، وتحديدا في دراسة الباحث عماد عبد اللطيف المعنونة بـ"منهجيات دراسة الجمهور". وكما أشرنا سابقا، فبلاغة الجمهور وإن انتقدت الاهتمام بخطابات النخبة على حساب خطابات العامة، فهي لم تبعد دراسة تلك النصوص من دائرة اشتغالها، وهذا الأمر هو ما نجمله في السؤال الآتي: ألا يمكن لبلاغة الجمهور دراسة الخطابات الأدبية؟ على

نحو يغاير الدارسات الأدبية التي مررنا بها في دراسات العمل الجماعيين (2017) و(2019). فتلك الدراسات اهتمت بالجمهور خارج العمل الأدبي، أما ما نشير إليه هنا، هو دراسة الجمهور داخل المصنفات الأدبية، وهو جمهور حقيقي يعيش بين دفاف الكتب، ولم يدرك وسائل التواصل الاجتماعي، مثل الجمهور الذي نتعرفه في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

تتجلى أهمية دراسة الأدب من هذا المنظور في تعميق دراسة الجوانب التأسيسية لبلاغة الجمهور، فما دامت هذه البلاغة حقلا معرفيا ناشئا يتبنى إبدالا معرفيا جديدا في الفكر البلاغي، فهي مطالبة بتوضيح الرؤية التي يعتمدها هذا الإبدال الجديد القائم على تصور معكوس للبلاغة التقليدية، يتجه من الجمهور صوب المخاطب؛ ولذلك فالخطوة الأولى لتوضيح هذا التصور، هي إعادة كتابة تاريخ البلاغتين العربية والغربية على أساس إبدال بلاغة الجمهور القائم على مفهوم السلطة والصورة العكسية للعلاقة بين طرفي التواصل، أي إعادة قراءة التراث الأدبي وفق تصور بلاغة الجمهور واختبار مفاهيمها واستدعاء مفاهيم أخرى أو إبداعها إذا دعت القراءة ذلك. ومن ثم فأهمية هذا الانفتاح ينتظر أن تتحقق على أربعة مستويات، هي:

أ- إعادة قراءة التراث الأدبي انطلاقا من تصور بلاغة الجمهور.

ب- فحص أدوات بلاغة الجمهور في تلك القراءة فحصا إبستمولوجيا، من خلال الارتباط بوقائع بلاغية معينة.

ج- النزوع ببلاغة الجمهور نحو الخطاب الأدبي، فقد نشأت هذه البلاغة دفاعا عن مشروعية دراسة خطابات الحياة اليومية.

د- الإسهام في البحث عن منهج لبلاغة الجمهور انطلاقا من المعالجة المتفاعلة مع النصوص؛ إذ تتسع دائرة بناء مفاهيمَ لتصبح ضرورة، انطلاقا من مجابهة تلك النصوص التي تنتمي إلى الخطاب الأدبي العربي القديم، بمراعاة كل جوانبها التداولية، وليس إسقاط قواعد جاهزة سلفا.

2 - الدراسات السابقة

تزخر المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات التي تناولت التراث الأدبي العربي على عدة مستويات، إما تأريخا أو نقدا، وكما أشرنا سابقا، فتهميش استجابات جمهور الخطابات الأدبية، انعكس على المكتبة العربية؛ إذ لا نجد مؤلفا يختص بهذا الموضوع، ولكن لابد من التفصيل في أمرين مهمين يتعلقان بالدراسات السابقة في هذا الموضوع، فإذا تناولنا المخاطب في حديثنا عن الأدب العربي، فذلك يستدعي الحديث على مستويين:

أ – المستوى الأول: التأريخ للعلوم العربية

يرتبط الحديث عن المخاطب في هذا المستوى بالتأسيس للعلوم العربية من عَروض ونقد الشعر والبلاغة وغيرها، فما قاله النابغة الذبياني، مثلا في سوق

عكاظ بعد سماعه قصائد الشعراء، أو ما قالته أم جندب زوج امرئ القيس التي حكمت لعلقمة على حساب زوجها، يمكن إدراجه في هذا الإطار الذي نتحدث فيه من حيث إنه رد فعل تجاه شعر مقول، لكنه لا يتجاوز فعل القراءة إلى استجابات مادية ملموسة، فقد بقي في حدود إضفاء معنى على النص، وتجدر الإشارة إلى أن الاستجابات التي تكون قد رافقت تلك القراءات لم تكن موضع دراسة ونقد، وخيرٌ مما تقدم مثالا على ذلك، ما ورد في كتب الأدب من الأجوبة المسكتة، ككتاب "الأجوبة المسكتة" لابن أبي عون، والحوارات المباشرة التي ضمها كتاب "محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء" للراغب الأصفهاني وغيرهما، فأما الاختلاف فظاهر، فبلاغة الجمهور تركز على استجابات مادية ومرئية لجمهور وليس لأفراد، مع أنه يمكن اتخاذ الاستجابات الفردية في معرض المقارنة بينها والاستجابات الجماعية، وحتى في هذه الحال، ستكون بشكل مغاير لما عهدناه في التراث الأدبي والنقدي، لأن النقد العربي ركز على قراءات أشخاص معينين يرى فيهم الكفاءة النقدية، أما ما الاستجابات الفردية فستكون لأشخاص لا يشترط فيهم أي شرط لدراسة استجاباتهم، وبذلك فالاستجابات ستكون مفتوحة على كل المشافهات.

إن استجابات النابغة وما شاكلها، مما دونته كتب الأدب والنقد العربيين أشد ارتباطا بنظرية التلقي من بلاغة الجمهور، فكيف ذلك؟

ب- المستوى الثاني: العلاقة بين "بلاغة الجمهور" و"نظرية التلقي"

يبقى السؤال عن الفرق بين المخاطب في نظرية التلقي وبلاغة الجمهور أكثر ترددا في مثل هذا المسعى، وقد أجاب عماد عبد اللطيف عن هذا الأمر بتوضيح الفروقات بين المجالين، وجملة ما ذكره أن بلاغة الجمهور ونظرية التلقي تشتركان في الاهتمام بمتلقي الخطاب،[85] ولكن هناك فروقات بينهما تتمثل في اختلاف ما ينتجه المتلقي؛ فالمتلقي في نظرية التلقي يرتبط بنشاط القراءة وما ينتج عنه من معانٍ محتملة، تكون مجردة في فضاء فردي أو خاص (تأويل فردي)، أما بلاغة الجمهور فتهتم بالاستماع والفرجة وما يرتبط بهما من استجابات متعلقة بخطابات متنوعة في أفضية عمومية، هذه الاستجابات مادية ملموسة وليست مجردة، كما أنها استجابات لغوية وغير لغوية، ويُضيف الباحث عماد عبد اللطيف إلى ما سبق فارقا حاسما بين بلاغة الجمهور ونظرية التلقي، يجسده السياق، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يأتي:

- **سياق بلاغة الجمهور:** طبيعي وحر، يتعلق باستجابات غير محكومة بضوابط معدة سلفا.
- **سياق نظرية التلقي:** مصنوع، يرتبط بدراسة معان ينتجها أشخاص مختارون يدركون مسبقا ما سيقومون به.

---

[85] يبقى مصطلح المتلقي عاما يشمل المخاطب والقارئوالمستمع في هذا السياق.

كما أن كيفية دراسة هذه الاستجابات لها خصوصياتها؛ ولذلك فدراسة استجابات الجماهير في الأدب العربي في علاقتها بخطاب المتكلم وإنتاجه وأدائه وتداوله، لمَّا يهتمْ بها أحدٌ من الدارسين، وهذا ما جعل عماد عبد اللطيف يقول: «ويمثل تحليل استجابات الجمهور للأدب في سياقات التواصل المباشر القديمة موضوعا مهما من موضوعات البحث في بلاغة الجمهور. وهو موضوع غير مطروق، وليست فيه دراسات عربية أو أجنبية بحسب اطلاعي».[86]

ولتوضيح ما سبق نقتبس مجموعة من الأمثلة من كتاب الأغاني:

المثال الأول:

جاء تحت العنوان الآتي في أخبار الشاعر السيد الحميري: «أنشد لجعفر بن محمد شعرا فبكى:

وذكر التميمي –وهو علي بن إسماعيل- عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيد، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر. ودخل فسلم وجلس. فاستنشده فأنشده قولَه:

أُمْـــرُرْ على جدث الحســـيـــ ـــن فقُـــل لأعظـــمه الزكيّــــه
آ أعظـــــماً لا زلـــتِ مـــــن وَطْفـــــاءَ ساكـبةٍ رويّــــــهْ
وإذا مـــــــــررتَ بقبـــــــره فأطِـــلْ بـه وقـــــفَ المطيّـــــهْ
وابْـكِ المُطـــــهّرَ للـــمـــــــ ـــطهّر والمطهَّـرة النّقيّــــــهْ
كبكــــــاءِ مُعْـــولة أتــــــت يـــوماً لواحدهـــا المنيّــــــــه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك...».[87]

فالاستجابة جماعية، يمثلها بكاء جعفر بن محمد أمام الشاعر وبكاء النسوة وصراخهن من وراء الستر، ويمكن التعبير عن ذلك من خلال الصيغ الآتية:

استجابة لفظية: "حتى أمره بالإمساك فأمسك".

استجابة غير لفظية: بكاء جعفر بن محمد وبكاء حرمه وصراخهن.

المثال الثاني:

جاء في أخبار السيد الحميري كذلك، ما يأتي:« هجا قوما لم ينصتوا لشعره:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال:

جلس السيد يوما إلى قوم، فجعل ينشدهم وهم يلغطون؛ فقال:

قد ضيّع اللهُ ما جمّـعتُ من أدب بين الحـمير وبين الشّـاءِ والبقــر
لا يسمعون إلى قـــول أجـيءُ بـه وكيـــف تستمـــع الأنعام لــبشــر
أقـــــول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا قلــتُ الضفادعُ بين الماء والشجر»[88]

---

[86] عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟، ص:144.

[87] الأغاني، ج7، ص: 175.

[88] الأغاني، ج7، ص: 184.

فالاستجابة الجماعية تجسدت في عدم الإنصات للشاعر (الإعراض)؛ مما دعاه إلى هجائهم.

المثال الثالث:

جاء في أخبار العتابي حين سخر من الناس: «وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا عثمان الوراق، قال:
رأيت العتّابي يأكلُ خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيتَ لو كنّا في دارٍ فيها بقر، كنت تستحيي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقال: لا. قال: فاصبرْ حتى أعلِمَك أنّهم بقر. فقامفوعظ وقصّ ودعا، حتى كثُرَ الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحدٍ، أنّه من بلغ لسانُه أرنبةَ أنفهِ لم يدخل النّار. فما بقي واحدٌ إلا وأخرج لسانَه يومئ به نحو أرنبة أنفِهِ، ويقدِّره حتّى يبلغها أم لا. فلمّا تفرقوا، قال لي العتّابي: ألم أخبرك أنهم بقر؟».[89]

3- الإطار النظري

إن طبيعة موضوع البحث والإشكاليات التي يطرحها، تقتضي تبني مقاربة بلاغة الجمهور تصورا ومفاهيم، لكن دون الاكتفاء بما تتيحه في سبيل البحث، فمن أهداف مثل هذه الدراسة، هي دراسة بلاغة الجمهور في بعدها المفهومي، باعتبارها حقلا معرفيا ناشئا، يوسع دائرة تجريبه على خطابات متنوعة، ولذلك سنتحدث بشكل موجز في قضية الإطار النظري على مستويين:

أ - الرؤية

تتميز بلاغة الجمهور بنظرتها المعكوسة في دراسة استجابات الجمهور، فهي تنطلق من الجمهور إلى المتكلم، عكس المعهود به في البلاغة العربية، إذ يكون الانتقال من المتكلم إلى المخاطب، لأن البلاغة تمد المخاطب بتقنيات يروم بها الهيمنة والسيطرة على المتكلم، ولكن على الرغم من هذه النظرة المعكوسة، فبلاغة الجمهور ليست إقصائية للتصور السائد بقدر ما هي مغنية له، ولذلك تموضع نفسها باعتبارها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، ومن ثم سيتكامل التحليل بين البلاغة التقليدية وبلاغة الجمهور.

ب - المنهج

يقترح الباحث عماد عبد اللطيف للبحث في موضوع الاستجابات الخطوات الآتية:
- جمع بيانات وافية حول سياقات تداول الأدب في التراث القديم، وفي هذه الخطوة ندرج كتاب الأغاني الذي استشهدنا بأمثلة منه.
- تقديم تحليل لسياقات تداول الخطابات الأدبية... وتصنيفها إلى سياقات رسمية أو شعبية، عامة أو خاصة، دينية أو سياسية أو اجتماعية، ذكورية أو نسائية، تعليمية أو ترفيهية...إلخ. ودراسة أثر نوع السياق في الاستجابات المنتجة فيه. كما تدرس المواضعات الاجتماعية التي تحكم سياقات التواصل الأدبي المباشر في

---

[89] الأغاني، ج:13، ص:79.

المجتمعات القديمة (مثل وقوف الشاعر بين يدي الممدوح، وجلوسه بين يدي العامة... إلخ)، وأثر هذه المواضعات في استجابات جمهور الأدب.
- دراسة العلاقة بين النصوص الأدبية والاستجابات التي تنتجها؛ مثل التباين في حدود الاستجابة للخطبة الوعظية مقارنة بالقصّ الديني الشعبي، والتباين في الاستجابة للأشعار الشعبية مقارنة بالأشعار الرسمية ... إلى آخره.
- رسم خريطة لاستجابات الجمهور للأدب في حقب تاريخية متتابعة، وتتبع التغيرات التي طرأت على هذه الاستجابات وتفسيرها.
- مقارنة الاستجابات القديمة للأدب بالاستجابات الراهنة له، وتفسير ملامح التشابه والاختلاف. ومقارنة الاستجابات المختلفة للأدب عبر الثقافات المختلفة؛ بهدف الوصول إلى تحديد دقيق للخصوصيات الثقافية للاستجابات للنصوص الأدبية.[90]

إن الانتقال من خطاب المتكلم مرورا بأدائه وتداول الخطاب واستهلاكه وصولا إلى الاستجابات ومحاولة رصد التفاعل العكسي، يبقى مثل ترسيمة أو خطوط عريضة لا تحدد أدوات المقاربة البلاغية للمشروع. إن بلاغة الجمهور مقاربة مفتوحة على تخصصات أخرى، تجد معها تقاطعات على مستوى التصورات، ومن ثم تستلهم أدواتها الإجرائية، وهذا الأمر يؤكد حقيقة أن بلاغة الجمهور لم تنجز بعد إطارا تحليليا، ولذلك فهي ليست بالفعل منهجا قائم الذات، ولكن هذه الحقيقة هي دافع للاشتغال بهذه البلاغة، قصد الإسهام في بلورة منهج لها، من خلال التفاعل مع مختلف الخطابات، وما يحتاجه ذلك التفاعل من مفاهيم إجرائية من خلال الاشتغال على خطابات متنوعة، كالاشتغال على خطاب التراث الأدبي العربي.

ويرتبط البحث في التراث الأدبي العربي في إطار المنهج بسؤال كبير هو: كيف نقرأ التراث الأدبي العربي؟ وهو سؤال لا بد من الخوض فيه حين الشروع في إنجاز هذا البحث، ولا يخفى ما لهذا السؤال من طرح إبستمولوجي؛ وتبعا لذلك، لا بد من استثمار التحليل الإبستمولوجي الذي سيساعد في قراءة تصور بلاغة الجمهور ومفاهيمها، كما سيساعد على تبين رؤية أبي الفرج، مثلا، في كتابه الأغاني بشكل يقرب من الموضوعية العلمية في تحليل الاستجابات، فالخطاب الإبستمولوجي «يتناول ... التفكير العلمي في مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطوره، ويريد هذا الخطاب أن يظل على وعي بتاريخيته ونسبيته، وألا يقع في خطأ التعميم الواهم للنتائج المحصلة من هذا التحليل التاريخي والنسبي. إن الخطاب الإبستمولوجي إذ يتعلق بالقيم المعرفية لفترة معينة من نمو المعارف الإنسانية لا يريد أن يقع في خطأ إضفاء صبغة الإطلاق على هذه القيم المعرفية»،[91]إن شرط التحليل الإبستمولوجي إذن، هو الوعي بالذات والوعي

---

[90]عماد عبد اللطيف، منهجيات دراسة الجمهور، ص:145.

[91] محمد وقيدي، ما هي الإبستمولوجيا؟، ص:86.

بالموضوع داخل وعي أكبر بحركية الفكر وتاريخيته وقواعده الكلية المؤسسة له.
إننا بهذا التصور ننقل الأدب في كتاب الأغاني من دائرة الفن المطلق إلى دائرة العلم في إطار خطاب بلاغي وصفي؛ لأن كتاب الأغاني ينتقل عبر ثلاثة دوائر هي: اللحن، والشعر، والخبر، وفي ذلك يقول أحمد بوحسن: «اكتسب موضوع الكتاب نوعا من الغنى والثراء المستمد من الألحان وصناعتها والأشعار وصناعتها والأخبار وصناعتها كذلك، **ففن الخبر الذي وصفناه هنا بالصناعة،** كان جنسا من القول مثله مثل الألحان والأشعار يحتاج بدوره إلى معرفة طرق إنتاجه وإلى ثقافة تقوم على المعرفة والدربة والممارسة»،[92] فيجعل، بذلك، كل ما يحويه الكتاب صناعةً.
كما ينفتح البحث في تحليل استجابات جمهور الأدب العربي على النقد الثقافي، لاستخراج الأنساق الثقافية التي تحكم نصوص الأدب واستجاباتها في كتاب الأغاني، وعلى البعد السميائي في التواصل الذي يحكم تلك الاستجابات، بعد الاستفادة من المنهج التاريخي لتأريخ الأحداث، لاسيما أن الأخبار الواردة في كتاب الأغاني لم تأت مرتبة ترتيبا تاريخا، وهو ما صرح به أبو الفرج نفسه قائلا:«ولعل بعض من يتصفّح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غني به من شعر شاعر. والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه عللٌ»،[93] غير أنه يمكننا الاستئناس بما جاء به إحسان النص، إذ فصل بين الشعراء والمغنين، ورتبهم بحسب العصور في اختياراته التي ضمنها كتابه "اختيارات من كتاب الأغاني" ونشره في 6 أجزاء.
يقود الحديث عن بلاغة الجمهور، باعتبارها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، إلى الحديث عن المقاربة التي تتبعها في دراسةِ مِنْطقتِهَا البحثية المتمثلة في استجابات الجماهير في الأفضية العمومية، وعن أدواتها التي تُعْمِلُها في تحليلها؛ فنكون أمام مقاربة بلاغية تجمع مراحل إنتاج النص وإلقائه إلى تلقيه وما يستتبع ذلك من استجابات من شأنها أن تدخل تغييرا على خطاب المتكلم أو أن تكون بمرتبة نص جديد ينشأ في مقام النص الأول، كل ذلك في إطار تداولي لا يقصي البعد التخييلي. ومما يجعل الأمر سهلا على مستويي التنظير والإجراء، هو الطبيعة الامتدادية غير الإقصائية لبلاغة الجمهور مع البلاغة التقليدية.
ويساعد التعامل مع بلاغة الجمهور، على أنها مستوى من مستويات التحليل البلاغي، على تجسير علاقتها بالبلاغة التقليدية، فيقترح لذلك عماد عبد اللطيف المستويات التي تدمج مع بلاغة الجمهور في إطار تصور بحث بلاغي تفصيلي، ومن ثم نتدرج عبر المستويات التحليلية الآتية:

---

(92) أحمد بوحسن، "موضوع كتاب الأغاني"، ص:152. [التشديد من عندنا]
(93) الأغاني، ج1، ص:39.

- مستوى بناء النص البلاغي (ويشمل دراسة الأصوات، والصرف، والتركيب، والمعجم (في النص اللغوي)؛ أو الألوان والمنظور والبؤرة (في الصورة)، ويضاف إليها الحركة (في النص المرئي المتحرك)،
- مستوى الحجج (تقنيات الحجاج والتفنيد)،
- مستوى الصور البلاغية (سواء الصور اللفظية والمرئية)،
- مستوى السياق (دراسة العلاقة بين تشكّلات الكلام وأدائه من ناحية، وسياقه ووظائفه من ناحية أخرى)،
- مستوى استجابة الجمهور (العلاقة بين النص وأدائه واستجابات الجمهور له)[94].

خاتمة البحث:

أحدثت بلاغة الجمهور تغييرا في الفكر البلاغي السائد، باعتمادها إبدالا معرفيا مغايرا لما عهدناه، إذ تبنت على مستوى الرؤية صورة معكوسة تنطلق من منطقة الطرف الذي تراه الأضعف في العملية التواصلية، وهو الجمهور؛ فحددت منطقة اشتغالها فيما ينتجه من استجابات بلاغية، ولكن على الرغم من هذه الثورة المعرفية في الفكر البلاغي المعاصر، إلا أن بلاغة الجمهور تحتاج جهودا لتطويرها، فقد كشفت هذه المراجعة النقدية عن ابتعاد الباحثين عن الخوض في بحث بلاغة الجمهور في ذاتها إلى البحث عما يربطها بحقول معرفية أخرى، تشترك معها أساسا في منطقة الجمهور، وهذا الربط بين بلاغة الجمهور وحقول معرفية أخرى، قد يكون مفيدا في بداية وضع القدم الأولى للمشروع، بل يكون ضرورة حين تحديد منطقة البحث وتحديد الأسئلة المعرفية المرتبطة بها، حتى نأمن اللبس ونتعرف خريطة البحث الجديدة بالتركيز على جانب الجدة، أما الاقتصار على التمايزات في بضعة سطور دون تعميق الرؤية، فإنه يشوش أكثر مما يوضح، وهذه الملاحظة تصدق تقريبا على كل الدراسات النظرية في العملين الجماعيين، أما على مستوى التطبيق، فالحرج بدا واضحا في اقتصار أغلب الدراسات على التجميع والتصنيف، وجوهر المشكل ينبع من اتخاذ بلاغة الجمهور مقاربة لتحليل الخطابات، وتناسي أنها في بداية تكوينها، ومن ثم فهي في اللحظة الراهنة بحاجة إلى من يفيدها ويخدمها أكثر مما يستفيد منها، وتغييب هذا الأمر يؤدي طبعا إلى الاكتفاء بتجميع الاستجابات وتصنيفها، وذلك ما جعل بعض الدراسات تكتفي بقراءة استجابات الجماهير قراءة تَهَجٍّ فقط. يضاف إلى ذلك تناسي الباحثين حقيقة أخرى، ترتبط بكون بلاغة الجمهور بلاغة جزئية، لأنها تشتغل على منطقة الجمهور وتختص بها، ولذلك ينبغي دمج بلاغة الجمهور، بوصفها بلاغة جديدة، بمستويات التحليل البلاغي التي

---

[94] عماد عبد اللطيف، ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ ، ص:34.

تهتم بالمتكلم والخطاب أساسا، أما الأداء والوسيط والمقام فهي جوانب تدخل في صميم دراسة الاستجابات.
إن تطوير بلاغة الجمهور، في نظرنا، لا بد أن يروم مستويين أساسيين هما، المنهج، وذلك بالاشتغال على مدونات كبيرة، حتى يكون الباحث أمام مجموعة من الوقائع البلاغية المتعددة، كما ينبغي تنويع الخطابات المشتغل عليها مع احترام خصوصياتها الفنية، وهو ما يرتبط بمستوى ثان يخص المفاهيم، إذ نلاحظ اتكاء الباحثين على مفاهيم محددة، كمفهوم السلطة والجمهور والاستجابة، دون تعميقها، فالسلطة مثلا هل تختلف باختلاف الخطاب المشتغل عليه؟ وما حدودها في تشكيل الاستجابات؟ وتبقى هذه المفاهيم المذكورة مفاهيم مشتركة، يمكن رصدها في أي خطاب، ولكن في المقابل لابد من إبداع مفاهيم قادرة على رصد خصوصيات كل خطاب على حدة؛ لأن البلاغة بوصفها علما هي قائمة على رصد خصوصيات الخطابات المتنوعة، وخاصة حينما حاولت بلاغة الجمهور الانفتاح على الخطاب الأدبي ذي الطبيعة التخييلية.
وارتباطا بالقضايا الآنفة الذكر، حاولنا أن نوسع الأسئلة فيما يتعلق بانفتاح بلاغة الجمهور على الخطاب الأدبي، بدءا بالتراث، فالرجوع ببلاغة الجمهور إلى التراث ليس معناه النكوص إليه والتقوقع فيه ومجافاة اللحظة الراهنة التي نعيشها، ولكن لمساءلته وإعادة قراءته بزاوية هي مغلقة إلى حدود الآن، فما أحوجنا إلى قراءة التراث من زوايا أنف. وتلك الأسئلة التي طرحناها في القسم الثالث هي جزء من بحث مطول عزمنا على الخوض فيه، والله نسأل أن نوفق في تحقيق المبتغى.

لائحة المراجع(المقالات محصورة بين مزدوجتين)

- أبو الحسن حسن (بهاء الدين): "بلاغة الجمهور بين الفكاهة والعنف اللفظي"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1994.
- أبو الليل (خالد): "السيرة الهلالية والتلقي الشعبي دراسة في أشكال الاستجابة الجماهيرية"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، 2017.
- أبو شهاب (رامي): **"بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، الإشكاليات المعرفية والمنهجية... وحدود التأصيل"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- أرفيس (بلخير): **"بلاغة الجمهور محددات التفاعل ومستويات التحليل"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- البازعي سعد والرويلي ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، 2002.
- بكار (سعيد): "في مفهوم بلاغة الجمهور"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- بوحسن(أحمد): "موضوع كتاب الأغاني"، ضمن كتاب المفاهيم وأشكال التواصل (مائدة مستديرة)، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، سلسلة ندوات ومناظرات رقم92، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ط1، 2001، من ص:156 إلى ص:156.
- تقبايت (حامدة): "بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني –خطاب الفتوى أنموذجا-"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق،2017.
- الجابري (محمد عابد):نحن والتراث.. قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط6، 1993.
- حاوي (صلاح الدين): "بلاغة الجمهور ونظريات التواصل "نظرية التلقي أنموذج التلاقي والاختلاف""، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار-

العراق، ط1، 2017.
- الربيع (بوجلال): **"بلاغة الجمهور من أدب النخبة إلى خطاب العامة"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- صديقي (عبد الوهاب):
  - ✓ "بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
  - ✓ "بلاغة الجمهور والخطاب السياسي المغربي المعاصر في الفضاء الرقمي دراسة في أنماط الاستجابات وبنيتها الحجاجية: قانون مالية 2016 نموذجا". ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
  - ✓ بلاغة جمهور الخطاب السياسي قضايا ونماذج، دار أمجد، ط1، 2018.
- الصمادي (امتنان): **"الخصائص الجمالية لاستجابة الجمهور لشعر محمود درويش"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- عبد الحميد عمر (أحمد): "يسقط يسقط ! بلاغة الجمهور بوصفها ممارسة حجاجية الهجمات الشخصية ضد مبارك نموذجا"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- عبد العزيز (بسمة): "بلاغة المقاومة، الجمهور وخصائص الاستجابة النقدية البليغة لخطاب مؤسسة الحكم"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- عبد الغني (هدى): **"الخطاب الإعلامي حول قضية زواج الشيخ علي يوسف والسيدة صفية السادات، دراسة لغوية في ضوء نظرية بلاغة الجمهور"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- عبد اللطيف (عماد):
  - ✓ "الحجاج والبذاءة مقاربة تداولية بلاغية لتعليقات الجمهور على "اليوتيوب""، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون – تيارت الجزائر، ع 17، مارس 2017.
  - ✓ "بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمشة"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، بني ملال المغرب، ع 7و8.

- ✓ "بلاغة الجمهور ودراسة الخطاب السياسي ملاحظات منهجية"، ضمن كتاب: البلاغة الثائرة خطاب الربيع العربي.. عناصر التشكل ووسائل التأثير، إعداد وتقديم د. سعيد عوادي، دار شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ "بلاغة المخاطب البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن (Power and the role of the Iintellectual) ع 9، س 2005.
- ✓ "بلاغة جمهور كرة القدم، تأسيس نظري ومثال تطبيقي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ✓ "تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع 84/83 خريف/ شتاء 2012-2013.
- ✓ "كيف ندرس التناص في الخطاب السياسي"، ص:281. ضمن كتاب بلاغة الخطاب الديني، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان(الرباط) ومنشورات الاختلاف (الجزائر) ومنشورات ضفاف، ط1، 2015.
- ✓ "ماذا تقدم بلاغة الجمهور للدراسات العربية؟ الإسهام، الهوية المعرفية، النقد"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ "مناهج الدرس البلاغي العربي المعاصر مقاربة نقدية"، كتاب المؤتمر، الندوة الدولية، 1، 2015.
- ✓ "منهجيات دراسة الجمهور..دراسة مقارنة"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- ✓ بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة، دار التنوير، ط1، سنة 2013م.
- ✓ لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين ـ القاهرة، ط1، 2009م.

- العذبة (صيته): **"تنوع استجابات الجمهور في مواقع تقييم الكتب، (قودريدز وأبجد أنموذجا)"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- عماري (عذر الدين): "بلاغة جمهور الخطاب الإشهاري –ومضة إشهارية على الفايسبوكأنموذجا- "، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- غيلوس (صالح): **"مفاهيم اللسانيات العرفنية ومحددات استجابة الجمهور"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد

بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

- فراج النابي (ممدوح): "السلطة الخادعة... والوعي الزائف، جمهور الرواية... رواية الجمهور"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- كينغ (أندريو أ.) A. King Andrew: "البلاغة والسلطة Rhetoric and power"، ترجمة عماد عبد اللطيف، مراجعة مصطفى لبيب، ضمن موسوعة البلاغة، تحرير توماس أ. سلوان، ترجمة نخبة، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف. ج3.
- لعويجي (أحمد): **"بلاغة جمهور الخطاب الديني على وسائل التواصل الاجتماعي (الفايس بوك نموذجا)"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- المجداوي (عادل): **"مفهوم الجمهور بين "البلاغة العامة" و"بلاغة الجمهور""**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- المحجري (محمد عبد الله): **"تمثل السلطة المزدوج النص المخالف للسائد واستجابات الجمهور نصوص الغفوري إلى النبي (ص) أنموذجا، كل منتج إبداعي سلطة وكل سلطة اختراق"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب.
- محمد (ضياء الدين) : "بلاغة جمهور الخطاب الديني في الفضاء الافتراضي دراسة في خصائص الاستجابة وآلياتها"، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: حاوي (صلاح الدين) وصديقي (عبد الوهاب)، شهريار- العراق، ط1، 2017.
- وقيدي محمد، ما هي الإبستمولوجيا؟، مكتبة المعارف- الرباط، ط2، 1987.
- اليازغي (صباح): **"الاستجابة البليغة للرواية، رواية مصائر لربعي المدهون نموذجا"**، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ع6، يناير 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

مرجع إلكتروني:

- ✓ علي سلامة (حيدر): "نقد أيديولوجيا المنهج والنظرية بحث في لغة اللغة لبلاغة الجمهور"، مجلة الكلمة (إلكترونية)، ع126/ أكتوبر – تشرين 2017 ، على الرابط: http://www.alkalimah.net/Articles/Read/19271[2018].
- ✓ https://www.facebook.com/alghafory/posts/1015393704976904

تحليل الخطاب السياسي

مقاربة الخطاب السياسي
قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف

ذ. فضيل ناصري
أكاديمية العيون الساقية الحمراء

مقدمة

نسعى في هذا البحث، إلى استجلاء طرائق تناول "الخطابة السياسية" بحسبانها موضوعة مركزية في مشروع البلاغي المصري؛ الباحث الدكتور عماد عبد اللطيف، الذي غدا واحدا من أهم الباحثين الذين يشار إليهم بالبنان في الساحة النقدية العربية عموما، و البلاغية الحجاجية منها بخاصة.

وتشكل الخطابة السياسية اهتماما أثيرا لدى الباحث، مذ اشتغل في أطروحته لنيل الدكتوراه على نماذج ومختارات من خطب الرئيس الراحل محمد أنور السادات، كما استطاع الباحث، وباقتدار لا تخطئه عين القارئ المتخصص الحصيف، أن يراكم في الموضوع مصنفات وكتبا ومقالات جمة؛ منها: "**بلاغة الحرية**: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة"، و" استراتيجيات الإقناع و التأثير في الخطاب السياسي"، و" لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة و الفن"، و" التأريخ عبر الاستعارة، مصر قبل الثورة في خطب الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات"، و" الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي"، و"حروب بلاغية؛ دراسة في خطابات الربيع العربي"، و"الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور"، وهو الكتاب الذي سنعمد في المقام الأول إلى قراءته قراءة محايثة لصيقة، وقراءة تتكئ على ما يعضدها من خارج الكتاب من منجز الباحث.

ولا غرو أن الخطابة السياسية، تستقطب حقولا ومباحث معرفية وعلوما متنوعة؛ لم تعد اليوم تقف عند حدود القائمة التي حصرها لاندتشير(1998) على ثرائها واختلاف موضوعاتها ومنطلقاتها النظرية و عتادها المفهومي[1]، ونحن إذ نشاطر لاندتشير الرأي و نتفق معه، إلا أننا نستطيع أن نزعم ونحن مطمئنون، أن أهم العلوم التي يمكن أن يتخذها الباحث تكأة له في مقاربة لغة السياسة، بما هي لغة، هي علوم اللغة من بلاغة ومعجم...، وعلوم الاتصال الحديثة.

ومن النافل القول إن الخطابة السياسية كانت معروفة على مر التاريخ، ومذ ساس الإنسان غيره ودبر مجال عيشه، ولكنها كانت تتألق وتطفو على سطح الحيوات

---

[1] عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة ع.7 ، 2008م، ص.25،26.

السياسية للناس، كما كانت تخبو وتأفل و ينحسر دورها، بالنظر إلى عوامل ترتبط بالأسقف المعرفية و الثقافية والسياسية في كل عصر.
وقد توهجت جذوة الخطابة السياسية في العصر الراهن واتقدت، بفعل انتشار الوسائط الإعلامية وبزوغ مفهوم الجماهير[2]، كما أن الدور الذي نهضت به ثورات الربيع العربي في إعادة الخطابة السياسية إلى الحياة، وبحسبانها ممارسة عفوية غير منكر ولا يحتاج إلى كثير إمعان نظر[3]، فتوق الناس إلى الحرية، ومعاينتهم ظواهر سياسية غير مسبوقة، بمفاهيم وأفكار جديدة؛ من قبيل: العدالة الانتقالية، تحصين الثورة، الثورة المضادة، الدولة العميقة، فلول النظام السابق، البلطجية، الشبيحة، الشرعية وغيرها من المفاهيم في كل قطر من أقطار الوطن العربي، جعل الحاجة ماسة وملحة إلى الخطابة السياسية لأجل فهم الأوضاع الجديدة أولا، ولأجل مواجهة الخصوم ومحاججتهم ثانيا[4].
فالخطابة السياسية إذن واحدة من أهم الطرق التي يسلكها الناس إلى المعرفة؛ معرفة رؤى أخرى جديدة، وهي بذلك إن لم تردم الفجوات القائمة بين المختلفين بشكل كلي، فهي تقلصها وتقرب وجهات النظر المتباينة[5]، وتوحد الجماعات على قضايا و اهتمامات مشتركة، بما يجعلها في المحصلة الأخيرة تبني الذات الجمعية الصلبة للناس[6] .
ولا نفشي سرا إن قلنا إن الباحث عماد عبد اللطيف، استطاع بفضل منجزه المتنوع في ما يمت بصلة للخطابة السياسية، وما يسميه ،هو، بلاغة الجمهور، أن يحوز وضعا اعتباريا في صفوف الباحثين الذين اهتموا بدراسة اللغة السياسية و التأليف فيها، بالنظر إلى جملة أمور؛ منها:

- أن الدراسات التي تناولت الخطابة السياسية في المجال التداولي العربي نادرة، وأنها، أغلبها، تنظر إلى الخطب السياسية نظرة دونية، وتخرجها من دائرة ما يمكن أن نخلع عليه توصيف الأدبي والجمالي الحقيق بالدراسة والتناول[7].
- أن عماد عبد اللطيف استطاع أن "يطبع" الخطاب السياسي ويخرجه من منطقة المحرم واللامساس واللامفكر فيه .

---

[2]-عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة،[ع.7]، 2008م، ص.24.

[3]- عبد اللطيف، عماد، ضد البلاغة: الخطابة و السلطة و التضليل عند افلاطون، دار العين للنشر، القاهرة،[ط.1]،1438ه/2017م، ص.197

[4]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.205، 211.

[5]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.205،204.

[6]- عبد اللطيف، عماد، المرجع نفسه، ص.217.

[7]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية، مذكور، ص.43،38.

- أن الباحث تعامل مع الخطاب السياسي بوصفه مادة تشكل اللغة نسغها و سداها ولحمتها الأساسية، بما جعله يحتفي في دراساته بطرائق القول و أنواع استجابات المتكلم إليهم، لا الاكتفاء بالسياقات التاريخية والسياسية للخطب.

لأجل كل الذي ذكرناه اخترنا استكناه تصور الباحث عماد عبد اللطيف للخطابة السياسية، وبيان ما ينصبغ به أسلوبه في دراستها، وذلك وفق خطة منهجية جعلنا بمقتضاها هذا البحث في ثلاثة مطالب بعد المقدمة، انتهينا منها إلى خاتمة أفردناها لما قادنا إليه التحليل من خلاصات و استنتاجات.

ففي المطلب الأول الذي وسمناه ب "تحديدات مفهومية" حاولنا أن نبرز المقصود بمجموعة من المفاهيم والاستعمالات التي تحضر في الكتاب، موضوع الاشتغال، بشكل ملحوظ مستلين معانيها ودلالاتها من الكتاب نفسه. ودعونا المطلب الثاني "مضامين الكتاب"، وفيه بسطنا على وجه الإجمال الموضوعات التي ارتاد المؤلف آفاقها بالدراسة و التحليل. و أما آخر المطالب فسميناه "ملامح التجديد في دراسة الخطابة السياسية لدى عماد عبد اللطيف، وفيه ألمعنا إلى تجليات الإبداع في مشروع الباحث بالاعتماد على مصنفه" الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور".

المطلب الأول: تحديدات مفهومية

إن القارئ لكتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث" بمكنته أن يرصد مجموعة مفاهيم واصطلاحات، هي بنظرنا، مفاتيح أساسية لفهم التصور الذي يصدر عنه الباحث عماد عبد اللطيف في الكتاب، وفي غيره من منجزاته الأخرى التي اتخذت السياسة و لغتها موضوعا لها. وهي مفاهيم جمة؛ بعضها متداول معروف، لكن لابد من بيان المقصود به في الكتاب، وهو ما سنعرض له في هذا المطلب، وبعضها جدده الباحث وألبسه حلة جديدة اتسعت معها، أو ضاقت طاقته الاستيعابية، وأصبح له استعمال مخصوص، ونوع ثالث تبينا، بما لايدع مجالا للشك عندنا، أن الباحث أبدعه وصنعه على عينه البحثية، وهو ما سنرجئ الحديث عنه إلى المطلب الأخير من هذا البحث.

ومن المفاهيم المفاتيح التي لا مندوحة لقارئ الكتاب عن ضرورة ضبطها وتحديد دلالتها أو دلالاتها، نذكر " الخطابة السياسية"، و" الخطبة السياسية"، و" بلاغة الجمهور"، و"الجمهور الغفير"، و"عصر استجابات الجمهور"، وسنورد أدناه، وعلى شكل عوارض، المعاني التي صرفها إليها الباحث عماد عبد اللطيف، كما استخلصناها من الكتاب وغيره من مؤلفات الباحث الأخرى.

- **الخطابة السياسية:** لا نكاد نعثر في الكتاب، موضوع الاشتغال، على تحديد دقيق صارم لمفهوم " الخطابة السياسية"، تدخله إلى باب الاستعمالات الاصطلاحية المخصوصة، وإنما اختار الباحث عماد عبد

اللطيف، أن يعرفه تعريفا عاما ، فالخطابة السياسية هي " أحد أهم أشكال التواصل السياسي في العالم العربي قديما وحديثا"[8]، وهي بعد " أحد أهم أشكال لغة السياسة، و أكثرها تأثيرا، واستقطابا لاهتمام العلماء و الباحثين والسياسيين الممارسين لها عبر التاريخ"[9]. ويظل التعريفان كلاهما تعريفين عامين لا يميزان الخطابة السياسية عن باقي أشكال التواصل تمييزا دقيقا، ولا يجعلانها منمازة عن الأمور و القضايا الأخرى التي استأثرت باهتمام العلماء و الباحثين و السياسيين. ولجوء الباحث إلى التعريف العام المجمل ليس، ألبتة، منقصة تثلب عمله، بالنظر في ما يبدو، إلى أن المفهوم متداول مستهلك يفهمه القارئ / المتلقي العربي، ونستطيع أن نذهب إلى أن الخطابة تدل دلالة واضحة على حدث إلقاء الخطبة واستقبالها.

– **الخطبة السياسية:** هي لدى الباحث عماد عبد اللطيف " كلام شفهي، يلقيه سياسيون أمام جمهور، ويتناولون فيه أمور الحكم وقضاياه" و " وسيلة من وسائل التواصل بين النخب السياسية فيما بينها" و" الأداة المثلى للتأثير في الجماهير وحشدهم في أوقات السلم والحرب على مدار آلاف السنين"[10]. فالخطبة السياسية، إذا انطلقنا من التعريف أعلاه، منصرفة من حيث طبيعتها، وفي المقام الأول لا إلى حدث الإلقاء، و إنما إلى النص الملقى من قبل الخطيب.

هذا من حيث ما يتعلق بما يقترحه الباحث في تعريف استعمالي "خطابة سياسية" و"خطبة سياسية"، وأما إذا ما أردنا أن نتحدث عن موضوع الخطبة والخطابة السياسيتين، فنقول إنه، وكما ألمع إلى ذلك الباحث، هو "أمور الحكم وقضاياه"، وهو تعبير عام جدا، ينسلك بموجبه في موضوعهما كل ما يمكن أن يكون سياسيا؛ من أسئلة الناس في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والدينية، والتاريخية، والتربوية وغيرها[11]، ولعل تشعب موضوعات الخطاب السياسي و تداخلها، هو ما يجعل مقاربته مركبا صعب الركوب عسيرا على كثير من الباحثين ممن لم يؤتوا العدة العلمية و المنهجية اللازمة، فوقفوا بدراساتهم عند حدود الإجابة عن أسئلة العلوم السياسية لا أسئلة البلاغة والحجاج والإقناع[12]، بما جعل المفارقة والهوة بين خطاب التنظير والممارسة فيها سحيقة مهولة[13]، ونفهم

---

[8] عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة،[ط.1]،2015/1436،ص.10.

[9]- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.23.

[10]- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.9.

[11]-عبد اللطيف، عماد، الدراسات السياسية العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.41.

[12]- المرجع نفسه، ص.36.

[13]- المرجع نفسه، ص.36.

مما دبجه عماد عبد اللطيف أن مشروعه في الخطابة السياسية إنما أتى لأجل ردم هذه الهوة في هذه الدراسات، ورأب ما يعتريها من صدوع واختلالات.
وقبل أن نجوز إلى تناول مفهومين آخرين مفتاحين، نومئ إلى أن الباحث تبين أن "الخطابة السياسية" متأثرة لم تزل بالحياة السياسية للمجتمع؛ فإذا كانت فوارة اشتعلت البلاد خطبا سياسية، وإذا كانت راكدة انحسرت الخطابة وتراجعت[14]، وقد ساق عماد عبد اللطيف أمثلة دالة لخطباء نبغوا في مراحل الفورة السياسية، أمثال: الشيخ محمود، أبو العيون، وعلي الغاياتي، ومرقص سرجيوس... وغيرهم، وعد عهد الرئيس محمد حسني مبارك معبرا عن حالة الركود، التي صارت معها خطبه، وهو رئيس الدولة، طقسا شكليا فارغا مملا[15].
ومع استدراك عماد عبد اللطيف على الدراسات التي قاربت الخطابة السياسية في المنهج، فإنه لم يغمط بعضها حقها، وأقر لها بالريادة و السبق؛ كما هو الحال بخصوص دراسة المصري عبد الصبور مرزوق الموسومة ب:" الخطابة السياسية في مصر من الاحتلال البريطاني إلى إعلان الحماية" الصادرة عن دار الكاتب العربي بالقاهرة سنة 1967م، ودراسة المغربي محمد العمري " دائرة الحوار ومزالق العنف: كشف أساليب الإعنات والمغالطة؛ مساهمة في تخليق الخطاب" الصادرة عن دار إفريقيا الشرق بالمغرب سنة 2002م، ودراسة التونسي عبد السلام المسدي " السياسة و سلطة اللغة" الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية للنشر بالقاهرة سنة 2007م[16].
وقد خلص الباحث بعد اشتغاله على الخطابة السياسية العربية إلى أن توجهين يسمان دراسة اللغة و الخطاب السياسيين في التداول العربي؛ أحدهما تقليدي يتكئ بأشكال مختلفة على التراث العربي المعني بدراسة الخطابة، وثانيهما معاصر يمتاح آلياته ويستقيها من النظريات و النماذج المعرفية الغربية؛ كالتداولية و تحليل الخطاب[17]، ونستطيع أن نزعم أن مشروع الباحث بعيد عن التوجه الأول منسلك ضمن التوجه الثاني.
بلاغة الجمهور: يتضح من خلال القراءة العميقة وغير العجلى لكتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث " أن هذا المفهوم يستبطن حمولات دلالية تتصل بمعاني النضال، ومقاومة خطاب السلطة، والتوق إلى الحرية و الانعتاق من ربقة الاستبداد والسيطرة السياسيين؛ وهي بلاغة تتغيا " إمداد الإنسان العادي (...) بمعرفة تمكنه - في حال تعرضه لخطاب ما – من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب [وهو متحيز بالضرورة]، ومبالغاته ومغالطاته ومفارقاته وتناقضاته الداخلية و الأغراض التي يسعى لإنجازها"، إنها بلاغة فريدة في نوعها تتيح

---

[14] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث ...، مذكور، ص.27.
[15] -المرجع نفسه، ص.29،30.
[16] - عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، مذكور، ص.28،31.
[17] - المرجع نفسه، ص.26.

لبسطاء الناس وعامتهم التمييز بين خطاب سلطوي يرمي إلى السيطرة عليهم وخطاب يبتغي تحريرهم[18]، وغاية غايات بلاغة الجمهور، بحسب عماد عبد اللطيف، تدريب الناس على إنتاج استجابات بلاغية فعالة حيال كل ما يتلقاه تمكنه من الفكاك والتخلص من الوقوع ضحية التضليل، ومن كل ما يشوه الفهم والاتصال ويكرس الاستبداد، بما يجعل الجماهير ترتاد مرقى " الاستجابات الرشيدة"[19]. وتظل استجابات الجمهور بنظر "بلاغة الجمهور" المدخل الطبيعي لدراسة العلاقة بين الخطاب و السلطة، وتبين تجليات سلطة الخطاب[20]. ومما يجعل الحديث عن بلاغة توصف ب "بلاغة الجمهور" سائغا مقبولا؛ انتشار وسائل الاتصال الجماهيري بعد أن كانت حكرا على الطبقات الميسورة، من صحف، وإذاعات، وتلفزيون، ولعل أكثر المسوغات مقبولية، بنظرنا، هو الشبكة العنكبوتية التي سمحت للخطبة بأن تكون قنبلة عنقودية غير محدودة الانشطار، حتى إذا ما انبرى زعيم سياسي للخطابة خاطب في الآن نفسه جماهير تتأبى عن الحصر في الزمان والمكان[21].

الجمهور الغفير: يبدو هذا المفهوم إذا عزلناه عن بلاغة الجمهور، بما هي نظرية ونموذج معرفي في البلاغة الحديثة، مفهوما عاديا جدا، لكننا إذا ما حاولنا فهمه وسبر غور حقيقته مستصحبين الخلفية النظرية لبلاغة الجمهور، أيقنا أنه خرج من دائرة الكلمة في أصل وضعها اللغوي، إلى دائرة الاستعمال و الاصطلاح المخصوص؛ فالجمهور الغفير بموجب بلاغة الجمهور لم يعد مجرد مستقبل سلبي لوسائل الإعلام الجبارة، بل أصبح [جمهورا خارقا غير عادي] يستطيع نشر رأيه وموقفه مما قرأه أو سمعه أو شاهده: مفندا، مؤيدا، مستحسنا، مستهجنا في اللحظة نفسها التي تلقى فيها الخطبة[22]، وهذا ما أثمر ما اصطلح عليه عماد عبد اللطيف ب " عصر استجابات الجمهور" وهو الاصطلاح الذي سنضيئه في ما يستقبل من التحليل.

عصر استجابات الجمهور: لقد توفق الباحث في صياغة هذا الاصطلاح، بالنظر إلى أنه لم يكن متاحا للجماهير على مر التاريخ التفاعل اللحظي، وبكثافة عز نظيرها مع ما يلقى من الخطب هنا أو هناك، إذ تمنعها من ذلك قيود الزمان و الجغرافيا و المركز الاجتماعي. أما وقد دخلت عموم الجماهير إلى الفضاء الافتراضي، وصار بمكنتها أن تتلقى، إذا ما هي رغبت في ذلك، أي خطبة سياسية يلقيها أي زعيم في أي بقعة من العالم، فيصح أن ندعي دونما تلكؤ أن الخطب السياسية في العصر الراهن شبت عن طوق الساحات الشعبية، وقاعات

---

[18] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.68.

[19] - المرجع نفسه، ص.69.

[20] - المرجع نفسه، ص.55.

[21] -المرجع نفسه، ص.58.

[22] - المرجع نفسه، ص.63.

البرلمانات، ودلفت بغير استئذان إلى بيوتات دهماء الناس وعامتهم، بما جعل جماهيرها غفيرة، وأدخل الخطبة فضاء رحبا يسمه " التواصل الحي "[23] المنفتح على الاستجابات الآنية الضخمة و المنفلتة من الرقابة، واللانهائية السرمدية[24].

المطلب الثاني: مضامين الكتاب

يقع كتاب " الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور" لصاحبه الدكتور عماد عبد اللطيف في ثلاثة فصول تصدرتها مقدمة، وذيلت بملحق ضمنه المؤلف مختارات من خطب سياسية تناولها بالدرس و التحليل في هذا الكتاب أو في غيره. وسنعمد في هذا المطلب إلى المزج في قراءة مضامين الكتاب بين القراءة الخطية التي تستهدف العرض و التلخيص، والقراءة التركيبية الناقدة مستفرغين وسعنا في ذلك.

لعل أول ما يلفت نظر القارئ لهذا المنجز النصي، هو أن الباحث صب في الكتاب عصارة سنوات من التفكر و إعمال الذهن في الخطابة بوجه عام، والسياسية المصرية منها على وجه الخصوص، بما يجعل جهده وازنا ومعتبرا، لا تسعف في فهمه إلا القراءات الوئيدة لا القراءات المتعجلة، وذلك لأن الباحث استطاع أن يصهر في كتابه التاريخ السياسي الحديث و المعاصر لمصر؛ من خلال العرض لموجز الخطابة السياسية في مصر في القرن العشرين و أوائل القرن الحادي و العشرين، عاقدا المقارنات اللازمة لتبين أوجه الاتفاق و الاختلاف بين مصر الملكية ومصر الجمهورية[25]، مبرزا العلاقات المنعقدة بين الخطابة و الحياة السياسية للمصريين.

لقد عنون الباحث الفصل الأول من الكتاب ب" جمهور الخطابة السياسية من الصحيفة إلى اليوتيوب؛ مصر نموذجا"، وهو عنوان دال يلخص بشكل جيد التحولات التي شهدتها الخطابة السياسية في مصر بين أواخر القرن التاسع عشر مرورا بأوائل القرن العشرين ووصولا إلى القرن الحادي و العشرين. وفي هذا الفصل عمد عماد عبد اللطيف إلى بيان الأدوار الخطيرة التي كانت تضطلع بها الخطابة السياسية، ممثلة في التأثير الشديد الذي كان يحدثه خطباؤها[26] في متلقيها من أفراد المجتمع المصري.

وبالرغم من أن الخطابة السياسية مزدهرة في مصر في ثلاثينيات القرن الماضي، ولها جماهيرها المختلفة، لكنها تظل محدودة الانتشار، بالنظر إلى أنها كانت تلقى شفاهة ، وبالاعتماد على مكبرات الصوت، إن وجدت، في جماهير محدودة العدد، وتعوزها تكنولوجيا الاتصال الحديثة؛ من إذاعات وفضائيات و أنترنت، ويزيدها محدودية انتشار الأمية، وفشو الطبقية الفاحشة بين مكونات

---

[23] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.81.

[24] - المرجع نفسه، ص.79،65،64.

[25] - المرجع نفسه، ص.11.

[26] - أمثال عبد الله النديم، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، انظر المرجع نفسه، ص.16 .

المجتمع المصري آنذاك؛ إذ من المصريين من لا يملك مذياعا في بيته[27]، وقد كان هذا حاصلا في مصر الملكية، أما مصر الجمهورية فقد عرفت تحولا مس الخطابة السياسية ومتلقيها يمكننا أن ننعته بالطفرة؛ إذ أصبحت الخطابة السياسية في متناول الجميع بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال، بما جعل أجهزة المذياع بخسة الثمن، وانتشر التلفزيون في بيوت الطبقتين الوسطى و العليا، وارتفع منسوب التعليم و الوعي في صفوف المصريين، فعبرت الخطابة السياسية المصرية من عصر الجماهير المحدودة إلى عصر الجماهير الحاشدة[28].

ومرد هذه التطورات إلى ما حصل بين القوى السياسية المصرية من تفاعل وصراع وتدافع؛ فاستقل كل تيار بخطابة ولغة سياسيتين دالتين عليه دون غيره، فخطابة حزب الوفد تستند على قاموس يتشكل معماره من مفردات المواطنة والمساواة، وتتكئ على الحجاج العقلي لا النصي طريقا للإقناع، ويتكلم خطباء الحزب لغة المصالح لا لغة الترهيب و الترغيب[29].

ويظل الزعيم سعد زغلول أيقونة الخطابة السياسية الوفدية و المصرية على حد السواء، وقد انتهضت خطابة حزب الوفد بدور مركزي ووازن في تحقيق هدفي الاستقلال و التحديث[30]، ونحتج لمكانة المحامي سعد زغلول في تاريخ الخطابة السياسية المصرية بما تركه من تراث ثري، يحفل بالخطبة السياسية، والمذكرات الشخصية، والمقال الصحافي، والرسائل الرسمية وغيرها من أفانين القول و أجناسه، حتى إن بعض العبارات التي سكها مازالت متداولة في الشارع المصري حتى اليوم؛ من قبيل عبارته "الحق فوق القوة، والأمة فوق القانون" والتي تصدر بها جريدة الوفد إلى يوم الناس هذا، وكعبارته الساخرة سخرية سوداء " مافيش فايدة"[31].

وقد ألمع الباحث إلى ما يميز الخطابة السياسية لدى تيارات أخرى؛ فبلاغة حركة الإخوان المسلمين تستند إلى التراث الديني، وتحاج خصومها السياسيين بالنصوص المقدسة، وتثوي في خطابتهم دعوى امتلاك الحقيقة، وتطبعها نبرة اليقين و الوثوق[32]. وإلى جانب خطابة تيار الإخوان هناك لغة الخطاب الناصري بعد يوليو 1952، والتي توظف معجما يساريا قوميا مفارقا لما توظفه التنظيمات اليسارية المفعمة خطاباتها بالمفردات الثورية الاشتراكية، لكن يعاب عليها حجاجها المتأسس على نصوص لم يحل نقدهم لها دون تقديسها[33]. ويعد الباحث

---

[27] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.16،17.

[28] - المرجع نفسه، ص.18.

[29] - المرجع نفسه، ص.22.

[30] - المرجع نفسه، ص.24.

[31] - المرجع نفسه، ص.38،40.

[32] - المرجع نفسه،ص.21.

[33] - المرجع نفسه،ص.22،23.

موفقا في خلعه توصيف " عصر الرئيس الخطيب" على العهد الناصري، إذ صارت الخطابة السياسية عملا من أعمال رئاسة الدولة وحكرا عليها، بما جعل "لغة الخطاب الناصري" صوتا مهيمنا على الساحة السياسية[34] .
وأما أهم تحول عرفته الخطابة السياسية في مصر، فقد حصل مع ثورة 25 يناير؛ إذ عاد الألق للخطب السياسة، واكتست الكلمة قيمة كبيرة[35]، بعد أن لم تعد حلبة الخطب السياسية مقصورة على نظام مبارك، وغدت حلبة تسعه وتسع الثورة بخطبائها الذين نازعوه في كل الميادين وبخاصة في ميدان التحرير[36]، ولأن نظام مبارك عرف أهمية الصراع والحجاج بالخطابة، التجأ إليها وناور باللغة، حتى كادت خطبته الثانية، تحديدا، و بعيد اندلاع الثورة تعصف بالثورة وتجهضها، لأنه استطاع أن يستميل بلغة توظف بلاغة أبوية فئة غير هينة من الشعب المصري، ويكسب تعاطفها[37].
وفي ثاني فصول الكتاب الذي استهله الباحث بمهاد نظري، تحدث فيه عن تحليل الخطاب والتطورات التي شهدها والحقول المعرفية التي انفتح عليها، وثنى بمقترح عملي يجمع فيه بين التحليل النقدي للخطاب وبلاغة الجمهور[38]، عبر مستويات ثلاثة؛ تبدأ بتحليل نص الخطاب ودراسة بنيته اللغوية، ثم تجوز إلى ربطه بحسبانهشيئا ينتج ويوزع ويستهلك بسياقه، وتنتهي إلى مستوى ثالث تحلل فيه التأثيرات الإيديولوجية وعمليات الهيمنة التي يعد الخطاب مظهرا لها. ويستدعي الباحث بهذا فان ديك والنموذج التحليلي لنورمان فيركليف، ويستدرك على نموذج فيركليف، ويرصد فيه غياب بعد العلاقة بين الخطاب و الاستجابات الفعلية للجمهور الذي يتلقاه[39].
وفي الجانب التطبيقي من الكتاب الذي حواه الفصل الثاني، أفرده لدراسة استجابات جماهير المعلقين في الفضاء الافتراضي لخطاب الرئيس الأمريكي أوباما إلى العالم الإسلامي، منطلقا من جملة عوامل أهمها:

- أن خطبة أوباما التي ألقيت في الرابع من يونيو 2009 حصدت قدرا هائلا من الاهتمام على المستوى العربي و الدولي[40].
- أن منهج تحليل الخطاب وبلاغة الجمهور يحتفيان بجميع الخطابات، والاستجابات التي تحدثها، وهي هنا 147 تعليقا توزعت على سبع صفحات على النت، ويدرسانها في علاقتها بتداولها.

---

[34] - عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.22،23،25.
[35] - المرجع نفسه،ص.32،33،41.
[36] - المرجع نفسه، ص.34.
[37] - المرجع نفسه،ص.34.
[38] - المرجع نفسه، ص.53.
[39] - المرجع نفسه،ص.54.
[40] - المرجع نفسه،ص.56.

وفي الفصل الثالث الموسوم ب" الخطابة السياسية؛ معضلة الكاتب الخفي"، حلق الباحث في فضاءات فسيحة رحبة، ساق فيها كما هائلا من المعلومات والمعارف عن تقاليد كتابة الخطب السياسية في أمريكا، والتي تقوم على جيش عرمرم من المستشارين ومراكز الأبحاث و العلماء ذوي الاختصاصات المختلفة، بما جعل مهنة كتابة الخطب السياسية مهنة عادية طبيعية، لا تثلب فصاحة الزعيم السياسي[41].

وأشار الباحث أن الثقافة السياسية العربية لم تقطع بعد مع "الكاتب الخفي" الفرد لا الفريق، والذي يجب أن يظل كذلك إلى أن يموت الزعيم، أو يتنحى، أو يشير هذا الكاتب، إشارات طفيفة في سيرته، أو مذكراته الشخصية، إلى أنه كان كاتب خطب الزعيم، لأن المهمة سرية لا يجوز الكشف عنها[42]، وهو ما حصل مع كل من محمد حسنين هيكل[43] كاتب خطب عبد الناصر و السادات، ومحمد عبد السلام الزيات، وموسى صبري، و أحمد بهاء الدين الذين دبجوا خطب السادات، وأسامة الباز، ومصطفى الفقي، ومكرم محمد أحمد، وعبد اللطيف المناوي الذين كتبوا لمحمد حسني مبارك.

وأبرز عماد عبد اللطيف، بالاعتماد على أدب المذكرات، أن مراحل كتابة الخطب السياسية أربع هي: التجهيز للكتابة، وإعداد الكاتب لمشروع الخطبة، ومراجعة مشروعها من قبل الرئيس، وإلقاؤه لها في المرحلة الرابعة[44]. وخلال هذه المراحل كلها قد يحصل تضارب في المصالح والرؤى، وتحصل توافقات بين الكاتب و الزعيم.

المطلب الثالث: ملامح التجديد في دراسة الخطابة السياسية لدى عماد عبد اللطيف

يحزر القارئ من خلال تصريحات الباحث عماد عبد اللطيف في كتابه " الخطابة السياسية..."، أن انبراءه للكتابة في موضوع الخطابة السياسية، جاء ليغني المكتبة العربية، وليقدم مساهمة " تعد استجابة" لبعض التحولات التي عرفها تحليل الخطاب، كما تعد "إضافة" لها في الوقت ذاته، الإضافة الواعية بالتداخل المتعاظم الحاصل بين تحليل الخطاب و العلوم الإنسانية والمدركة له، وقد سمى الباحث إضافته بالتضافر المنهجي الذي يجب أن يحصل بين التحليل النقدي للخطاب كما نظر له نورمان فيركليف، وبلاغة الجمهور[45] ، وهو ما سعى جاهدا إلى تطبيقه على استجابات جماهير الفضاء الافتراضي لخطاب أوباما، وطبقه على بيانات عديدة أخرى؛ فكتب دراسته المطولة عن استجابة التصفيق في

---

[41] -الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.90،91.

[42] - المرجع نفسه،ص.92.

[43] - وأشهر ما كتبه هو "بيان التنحي" الذي ألقاه عبد الناصر بعيد هزيمة يونيو 1967م.

[44] - الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.105.

[45] -المرجع نفسه، ص.50.

الخطب السياسية المصرية في كتاب :" لماذا يصفق المصريون؟"، وطبقه على تعليقات الجمهور على المناظرة الشهيرة بين مرشحي الرئاسة المصرية: عمرو موسى وعبد المنعم أبو الفتوح، وعلى بيان التنحي لجمال عبد الناصر.
فإلى جانب هذه الجدة التي رصدناها في أساليب دراسة الخطب السياسية وتناولها، استطاع الباحث، أن يبدع جهازا مصطلحيا خاصا به، يشكل، بنظرنا، آليات ضرورية لا مناص للمشتغلين ببلاغة الجمهور وعليها عنها، وسنورد نماذج منها أسفله على شكل عوارض باقتضاب و إيجاز شديدين:

- الكاتب الخفي: يثير هذا الاصطلاح جدلا كبيرا، تنتسف معه مقولة " الأسلوب هو الرجل" ويصعب معه تمييز أسلوب الزعيم من أسلوب " كاتبه الخفي". ويستتبع هذا المصطلح اصطلاحات أخرى ترتبط به ارتباطا وثيقا غير منفصم من قبيل: "كتابة الذات"[46] الدال على هامش الحرية الذي يتحرك فيه الكاتب الخفي، والذي يمكن أن يتطور إلى " حجاج المصالح"[47] بوصفه الآلية المعتمدة في ثني الحاكم عن إلقاء خطاب مان أو تشجيعه عليه، أو على بعضه (حالة أحمد بهاء الدين مع السادات) ، ويمكن أن ينزل إلى " صمت الذات "، ذات الكاتب الخفي، وانسحابها إذا كانت الخلافات جذرية بينها وبين الحاكم. و يستدعي اصطلاح الكاتب الخفي اصطلاحا آخر دعاه الباحث "كتابة القناع" وهي كتابة يتماهى بمقتضاها الكاتب الخفي مع ذات الحاكم ويذوب فيها، لا يرى من الصلاح إلا ما يراه الحاكم، فيحاذيه حذو النعل للنعل، ولا يحيد عن رأيه واختياراته[48].
- التلطيف اللفظي: ويقصد به عماد عبد اللطيف استعمال الخطيب السياسي تعابير مخففة أو غامضة وغير مباشرة، للإشارة إلى ظاهرة أو سلوك أو حدث ما، بغية توجيه استجابات الجماهير وجهة ما وضبطها، بما يخدم مصلحته. ويعمد الخطيب/ الزعيم إلى التلطيف في حالة وجود أكثر من تعبير وتسمية لشيء واحد، أحدها يقدم الشيء كما هو وبشكل مباشر تقريرين والثاني يقدمه "ملطفا"، والثالث يقدمه مهولا، ومن أمثلة ذلك اقتناع جمال عبد الناصر باستعمال لفظ " نكسة" بدل هزيمة مروعة، وباستعمال "التنحي" بدل "الاستقالة"، وباستعمال لفظ "عدوان" على سيناء بدل "غزو" و "احتلال"[49]. ويتساوق مع اصطلاح التلطيف اللفظي اصطلاحان اثنان آخران نحتهما الباحث هما: "استراتيجية التهوين اللفظي" و" استراتيجية

---

[46]-عبداللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.121.
[47]- المرجع نفسه، ص.112.
[48]-المرجع نفسه، ص.122.
49-عبد اللطيف، عماد، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، في مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، [ع.30]، 2010م، ص.151.

التهويل اللفظي"[50] ، و" استراتيجية التضامن و المراوغة" في استخدام الضمائر[51] وكلها اصطلاحات تومئ إلى وجود مسكوت عنه ومساحات صمت ورغبات دفينة في التنصل من المسؤولية.

- الخطابة الدين – سياسية: لقد سك الباحث عماد عبد اللطيف هذا المصطلح ليصف به خطاب حركة الإخوان المسلمين[52] .
- الجمهور المشارك: وهو الذي يحضر الخطبة ويتلقاها بشكل مباشر، من غير وسيط إعلامي، ويستطيع نقل استجاباته للخطيب بشكل مباشر أيضا عبر التصفيق أو الصوت، ووصف بالمشارك لأن له دورا غير منكر في إنتاج الحدث الخطابي، واستجاباته تعد جزءا من خطاب المتكلم ذاته، خاصة إذا كان كله من أنصار و مؤيدي الخطيب.
- الجمهور غير المشارك: وهو الذي يتلقى الخطبة من خلال وسيط إعلامي (إذاعة، تلفاز، حاسوب، شاشة عملاقة، هاتف ذكي...)، ولأنه غير مشارك ولا يحضر لحظة إلقاء الخطبة، فاستجاباته غير مباشرة، ولا تدمج في خطاب المتكلم، وهو جمهور أكثر عددا من الأول[53]. كما يمكننا أن نستنتج اصطلاحا آخر فريدا هو " شيخوخة الخطب"[54] من خلال قول الكاتب وهو يتحدث عن نظام مبارك بعيد ثورة 25 يناير :" كانت الشيخوخة تضرب بجذورها، ليس في قلب النظام فحسب، ولكن في روح الخطب أيضا".

خاتمة:

ننتهي من خلال قراءتنا كتاب "الخطابة السياسية في العصر الحديث؛ المؤلف، الوسيط، الجمهور" إلى الخلاصات الآتية:

- أن الكتاب يعد لبنة أساسية في صرح الدراسات العربية التي اهتمت ببلاغة الخطاب السياسي.
- أن الطفرة التي عرفتها تكنولوجيا الإعلام والتواصل تعد مسوغا مقبولا للاشتغال ببلاغة الجمهور، وتطبيقها على خطابات غير سياسية.
- أن الباحث عماد عبد اللطيف استطاع و باقتدار أن يسلط الضوء على تعليقات تحبل بالمعلق المثقف، والأمي بضرب من التأول، والساخر، والعنصري، والإقصائي، من خلال دراسته وتحليله لخطاب الرئيس الأمريكي أوباما إلى العالم الإسلامي.

---

[50] -المرجع نفسه، ص.154، 155.

[51] - المرجع نفسه،ص.161، 162.

[52] - عبد اللطيف عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.20.

[53] -عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث...، مذكور، ص.82.

[54] - المرجع نفسه، ص.32.

- أن الخطابة السياسية بحسبانها تضطلع بأدوار خطيرة في حياة الناس يجب أن " تطبع" وتفتك من إسار الطابو والمحرم.
- أن تاريخ الخطابة السياسية في أمس الحاجة إلى الجمع والتدوين.
- أن الثورات وغليان الشعوب يذكي جذوة الخطابة السياسية.
- أن دراسة الخطابة السياسية يفترض فيها أن تجيب عن أسئلة اللغة ذات الصلة بالإقناع و الحجاج وتدافع الأفكار.
- أن الباحث عماد عبد اللطيف أسهم في تجديد البلاغة العربية على مستوى منهج التناول والاصطلاح.

قائمة المصادر و المراجع

1- عبد اللطيف، عماد، بيان التنحي وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، في مجلة ألف،الجامعة الأمريكية، ع.30، 2010م.
2- عبد اللطيف، عماد، الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور، دار العين للنشر، القاهرة، ط.1 1436ه/2015م.
3- عبد اللطيف، عماد، الدراسات العربية حول الخطابة السياسية؛ عرض نقدي، في مجلة اللغة، ع.7، 2008م.
4- عبد اللطيف، عماد، ضد البلاغة: الخطابة و السلطة و التضليل عند افلاطون، دار العين للنشر، القاهرة، ط.1438،1ه/2017م.

وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي
من منظور الدكتور عماد عبد اللطيف

د / بلخير شنين
جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

تقديم

تعدّ الاستعارة قضيّة مهمّة حيّرت العلماء عبر الزمن، فقد اهتم بها المفكرون على مرّ العصور؛ إذ تحدث عنها الإغريق، واشتغل بها الفكر العربي والإسلامي بعد نزول الكتاب المعجز(القرآن الكريم)، ولا تزال مصدر بحث، وستبقى ما دام البحث في لغة الإنسان قائماً، ولا شكّ أنّ للاستعارة وظائف كثيرة ومتنوعة يستعملها الخطيب والسياسي، ليؤثر في مستمعيه، هذا ما جعل الكتّاب قديماً وحديثاً يدرسونها، ومن هؤلاء الدكتور عماد عبد اللطيف من خلال كتابه:استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، ويروم هذا المقال البحث في أعماله الأكاديمية، ليستخرج أقواله حول وظائف الاستعارة، فسمي بـ (وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور الدكتور عماد عبد اللطيف)،منطلقاً من إشكال مفاده: ما وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي كما قدمها عماد عبد اللطيف؟ وتفرعت عنه تساؤلات أخرى، منها: ما هي الوظيفة؟ وما الاستعارة؟ وما الخطاب السياسي؟ وكيف قدمها الدكتور عماد عبد اللطيف؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، كانت الخطة كالآتي: التعريف بالوظيفة والاستعارة، ثمّ الحديث عن الخطاب السياسي، ثمّ يتم التطرق إلى نظرة الكاتب عماد عبد اللطيف إلى وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من خلال أحد كتبه، ويُختم البحث بأهمّ النتائج المتوصل إليها، فما هي الوظيفة؟

حد الوظيفة:

الوظيفة لغة: جاء في لسان العرب:« الوظيفة من كلّ شيء: ما يُقدّر له في كل من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف، والوُظُف»[1]،ومنه نقول:إنّ الوظيفة هي الشيء الذي يعينه الله للإنسان، أو الحيوان من الرزق، أو غيره، وكأنّ الوظيفة ضرورية لا يُستغنى عنها، ومنها وظيفة الإنسان في الحياة اليومية. هذا عن الوظيفة، فما الاستعارة؟

حد الاستعارة:

أما الاستعارة فهي من الجذر(عور)، وقيل عنها: استعار: طلب العارية، واستعاره الشيء، واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه »[2]، فالاستعارة لغة هي:

---

[1] - ابن منظور،د،ت، ص4879.

[2] - ابن منظور،د،ت، ص4879.

نقل الشيء من شخص يملكه إلى شخص آخر طلبه، أما في الاصطلاح فهي:« إدعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك: لقيت أسداً وأنت تعني به الرجل الشجاع»[3]، وعرفت أيضاً بـ« الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ أصيل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية»[4]، فالاستعارة اصطلاحا هي:نقل لفظ من معناه الأصلي إلى معنى فرعي من أجل المبالغة في التشبيه. هذا عن الاستعارة، فما هو الخطاب السياسي؟

حد الخطاب:

الخطاب لغة: ورد في اللسان:« الخِطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخِطاباً، ... خطبت على المنبر خطبة...»[5]، فالخطاب لغة هو الكلام المنقول إلى الغير مشافهة، أما اصطلاحاً فهو:« اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام مَن هو متهيئ لفهمه »[6]، وقيل عنه، هو:«القول الموجه المقصود من المتكلّم(أنا نحن)إلى المتلقي(المخاطب)...لإفهام قصده من الخطاب صريحا مباشراً، أو كناية، أو تعريضاً في سياق التخاطب التواصلي»[7]،وهو:« مجموعة من الملفوظات مأخوذة في بُعدها التفاعلي،وقدرتها على التأثير في الآخر وانخراطها في وضعية تلفظية خاصة »[8]، فالخطاب هو ذلك القول الموجه إلى المتلقي لإفهامه رسالة مقصودة ومعينة.

أما الخطاب السياسي فهو:الذي يراد به السلطة الحاكمة، وهو الخطاب الموجه إلى متلق مقصود بقصد التأثير فيه، وإقناعه بمضمون الخطاب، ويحمل أفكاراً سياسية[9].

بعدما تعرفنا على الاستعارة والخطاب السياسي في الجانب النظري للبحث، سنتطرق إلى الجانب التطبيقي الذي نتحدث فيه عن وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي كما كتب عنها عماد عبد اللطيف في كتابه: استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي.

لقد استهلّ عماد عبد اللطيف الفصل الذي خصصه للحديث عن الاستعارة الذي عنونها بـ(الاستعارة والفعل السياسي) بمقدمة موجزة ذكر فيها: أنّ الاستعارة ظاهرة لغوية متجذرة في النشاط اللفظي البشري، وأنها أخذت حيّزاً واسعاً في الدراسات الغربية في ميادين مختلفة، ولكنّها عند العرب ما زالت تدرس بوصفها

---

[3] - الجرجاني،1991، ص37.

[4] - الجرجاني،1998، ص31.

[5] - ابن منظور،د،ت، ص1194.

[6] - الكفوي، 1998م، ص419.

[7] - عكاشة،2013، ص17 .

[8] - ميشال،2014م،ص163.

[9] - ينظر عكاشة، 2005م، ص45.

جمالية زخرفية فقط[10]. ثمّ قدّم مفهوماً للاستعارة يتبنى فيه رؤية اللغويات المعرفية، وهو:الاستعارة هي الكلام أو التفكير في شيء ما بمفردات تنتمي إلى شيء آخر[11]. ثمّ تطرق إلى وظائف الاستعارات السياسية كما درسها الغربيون، وذكر بأنّه سيطبقها على خطب الرئيس السادات[12]، وأجمل هذه الوظائف في أربع، كما رأتها الباحثة الغربية(إيلينا سامينو)(**Elena Samino**)،وهي كالآتي:

وظائف الاستعارة:

1- تتيح الاستعارة التفكير والكلام عن مناطق الخبرات المجردة والمعقدة والذاتية، وغير المحددة بوضوح[13]، فالاستعارة بهذا المفهوم عنصر أساسي في حياتنا، فهي جزء من إبداع المستعمل لها، بواسطتها يؤثر في غيره، لهذا حظيت باهتمام الغربيين.

2- تُستخدم في الإقناع والتعليل والتقييم والشرح والتنظير، وعرض مفاهيم جديدة للواقع[14].

3- تفيد في بناء العلاقات الشخصية والتفاوض بشأنها[15]، وهذا عندما تعبّر عن المشاعر والاتجاهات، أو تستخدم في التسلية.

4- تمكّن من تقديم ملخص النص، أو جذب انتباه المستمعين إلى أجزاء محددة من الخطاب[16]، فهي تحمل معاني كثيرة بعبارات صغيرة، وترغم المستمع على المتابعة لما فيها من تأثير. ثم قدّم نظرة علماء آخرين حول وظائف الاستعارة السياسية، لا تبتعد كثيراً عن التي ذكرها، وأوجزها في:أنّ الوظيفة الأساسية للاستعارات السياسية،هي:الإقناع، وتدعيم مصداقية المتكلّم، والتواصل[17]، بعد تقديم وظائف الاستعارة تحدّث عن كيفية توظيف هذه الاستعارات في الخطاب السياسي، ولخصها في ثلاثة عناصر، بدأها بتساؤل مفاده: كيف تفعل الاستعارات السياسية؟ وأجاب عنه، بقوله:«توجد عدة نظريات تفسّر الطريقة التي تعمل بها الاستعارات السياسية سوف نناقشها فيما يأتي»[18]، وقدّم لنا هذه النظريات، وهي:

الاستعارة التوليدية(Generalive metaphor):القفز من(يكون)إلى(يجب)، ونظرية الاستعارات المفهومية: القفز من(الاستعارة) إلى(الإدراك)، ونظرية المزج الاستعاري، وشرح الاستعارة التوليدية بالتصور الذي قدّمه الباحث

---

10 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص117.

11 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص118.

12 - رئيس مصر السابق في الفترة(1981-1971م).

13 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص119

14 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص119.

15 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص119.

16 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص120.

17 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص120.

18 - عبد اللطيف، 2012، ص121.

الغربي(دونالد شون)(**Donald Sean**)لها، وهي التي تقدم وصفاً لمسألة أو مشكلة مع اقتراح الحلول لها موضحا لها بمثال مؤداه: أنّ السياسي إذا وصف الأحزاب المعارضة في بلد ما باستعارة(خراج في جسم الوطن)، هذا فحواه أنّ الاستعارة توجه المستمع إلى التعامل مع هذه الأحزاب بالرفض والاستئصال، أما إذا تمّ تصويرها باستعارة(ضمير الوطن)، فإنّ هذا يعني الدفاع عن وجودها، والحرص على القيام بمهامها، أي من الوصف إلى التوصيات والحقائق، أي من يكون إلى يجب[19].

أما عن **نظرية الاستعارات المفهومية(Conceptual metaphor**)، ففسّرها وفق منظور الباحث الغربي(جورج لا كوف)(**George lakoff**) الذي يعرّف هذه الاستعارات بأنّها:« انتقال المفاهيم من حقل إلى آخر، بما يتيح استخدام أشكال من التفكير، والمفردات الموجودة في حقل ما وتوظيفها في حقل آخر»[20]، وأوضح الدكتور عماد بأنّ هذه الاستعارات تقوم بتفسير الطريقة التي تعمل بها من خلال اقتراح أنّها تتيح التفكير في شيء والتكلّم عنه بمفردات شيء آخر بواسطة عملية الربط، ومثلها بالاستعارة التي قدمها(لاكوف)، وهي(الأمة أسرة) في لغة السياسة الأمريكية المعاصرة[21]، وفسّرها بقوله: إنّ هذه الاستعارة تقوم بتأطير إدراكنا وفهمنا للأمة التي هي(الهدف) بواسطة الربط بينها وبين المعلومات التي لدينا عن الأسرة(المصدر)، وهذا يعني أنّنا نستخدم النسق المعرفي الذي يحكم إدراكنا للأسرة في إدراكنا للوطن[22]، وبعد الحديث عنها توصّل الدكتور إلى أنّ هذه الاستعارة« ليست مجرد سمة بلاغية، أو حلية تزيينية، بل أداة لإنجاز أفعال، ووسيلة لصياغة معتقدات واتجاهات »[23]. وثالث هذه النظريات التي قدمها هي:

(نظرية المزج الاستعاري)(Conceptual metaphorical blending theory)،وبدأها بالتعريف، قائلا: بأنها نظرية معرفية صاغ أركانها العالمان الغربيان(مارك تيرنر)(**Mark Turner**) و(جيل فوكونير)(**Jill Fauconer**)، و« تهدف النظرة إلى وصف كيف يمكن أن تُبنى معان جديدة بالاعتماد على بنى المعرفة الموجودة لدى الفرد»[24]، ويذكر بأنّها تحاول أن تكشف عما يحدث عندما يقوم البشر بمعالجة الاستعارة، وما يتضمنه ذلك من عمليات الاستدلال التي يقومون بها بواسطة نموذج ما[25]، فيشرح الدكتور عماد النظرية بكونها تستخدم مفهوم الفضاء(space) بدلاً من مفهوم المجال، وتحمل

---

[19] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص121-122.
[20] - عبد اللطيف، 2012، ص122.
[21] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص123.
[22] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص123.
[23] - عبد اللطيف، 2012، ص124.
[24] - عبد اللطيف، 2012، ص125.
[25] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص125.

أربعة فضاءات: الأول والثاني فضاءان مغذيان، وهما في مقابل المصدر والهدف بمصطلحات لا كوف، والفضاء الثالث هو الفضاء التوليدي(generic space)، والرابع هو فضاء المزج(blena space)، ويمثل لها باستعارة(الدولة عائلة)، ففضاء التغذية(Input space) الأول هو الذي يحتوي على مكونات مفهوم العائلة والعلاقات التي توجد بين أفرادها، وفضاء التغذية الثاني يحتوي على مكونات مفهوم الدولة والعلاقات التي توجد بين عناصرها، أما الفضاء التوليدي فيتضمن العناصر التي تشترك فيها مفهوم الدولة ومفهوم العائلة، ويأتي فضاء المزج الذي تمتزج فيه مكونات الفضاءات الثلاثة الأخرى، ويصفها بأنّها الأكثر قابلية للتوظيف في دراسة استعارات الخطب، لأنها استعارات فردية أُنتجت في سياقات اجتماعية وسياسية[26].

بعدما قدّم عماد عبد اللطيف وظائف الاستعارة والنظريات التي توضح كيف تعمل من منظور علماء الغرب والبلاغة الحديثة، طبق هذه الدراسة على خطب الرئيس السادات، وعنونها بـ« طرق دراسة الاستعارة في خطب السادات»[27]،وبعد أن تحدث عن طرق دراسة الاستعارة في الخطاب السياسي، وحددها في طريقتين: الأولى هي البدء من مفهوم استعاري، ودراسة تجلياته ووظائفه وتأثيراته، والثانية هي البدء من موضوع ما ودراسة المفاهيم الاستعارية المستخدمة في تأطيره ودلالتها ووظائفها، شرع يدرس هذه الاستعارة، ووسمها بـ: البلاغة الأبوية(استعارة:عائلة مصر)[28]، وصدّرها بمقدمة تحدّث فيها عن استعارات الحكم في الخطاب السياسي العربي الذي تعددت فيه هذه الاستعارات التي تستخدم لصياغة العلاقة بين الحاكم والمحكومين، ثمّ فسّر بعدها استعارة(عائلة مصر) المذكورة في خطب السادات، وبيّن بأنّ هذه الاستعارة تصوّر الدولة بوصفها عائلة، يحتفظ الحاكم فيها لنفسه بدور الأب، في حين يفرض على المواطنين القيام بدور الأبناء، ويصبح الوطن فيها هو الزوجة، فهذه الاستعارة تنطوي على ربط حقل مجرد الذي هو الدولة بمفاهيم حقل مادي الذي هو العائلة، وتكون لها تجليات ووظائف حسب سياقات استخدامها والغرض منها، فاستخدام(مصر عائلة) في لغة السادات تختلف بشكل جذري في أهدافه وصياغته عن استخدام استعارة(أمريكا أسرة) في الخطاب الأمريكي، وهذا يعود إلى اختلاف العناصر التي تربط بين مجالي الهدف والمصدر، لأنّ هذه الأخيرة تربط بين مسؤولية الحاكم وتوفير الرعاية للمواطن الأمريكي ومسؤولية الأب وتوفير الرعاية للأبناء، أما استعارة(عائلة مصر) فهي تقوم بالربط بين شروط الأب والابن في الريف المصري وشروط التواصل بين الرئيس والمواطن بفرض القيم

---

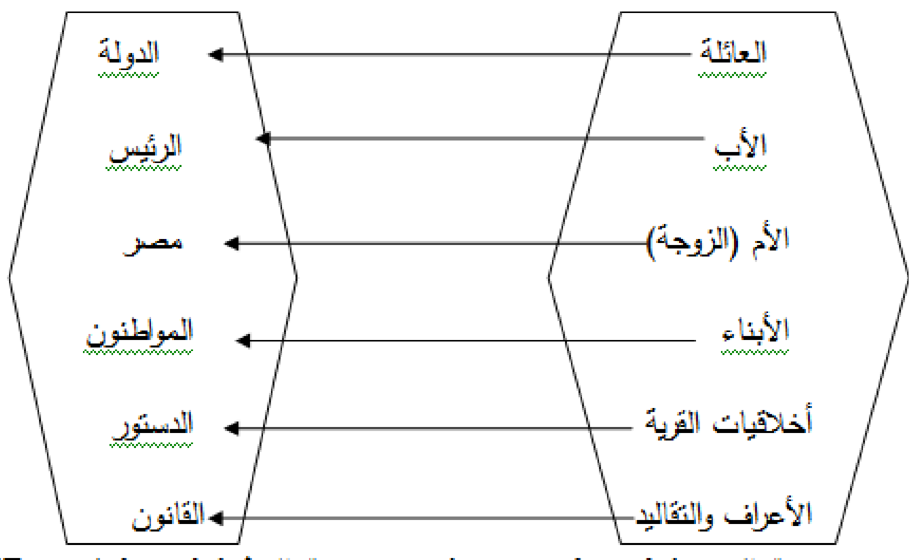
[26] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص126.

[27] - عبد اللطيف، 2012، ص126.

[28] - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص128

الأبوية في الحوار على أشكال التفاعل اللفظي بين أفراد الشعب ومؤسسة الحكم، هذا من جهة، كما يعود الاختلاف إلى تباين طبيعة الأسرة والعائلة في المجتمعين[29]، ويشرح استعارة(عائلة مصر) في خطب السادات من منظور نظرية الاستعارة المفاهمية، ونظرية المزج الاستعاري، مقدماً شكلين توضيحين، فللنظرية الأولى، يقدّم المخطط الآتي:

مخطط استعارة(مصر عائلة) من منظور نظرية الاستعارة المفهومية 30



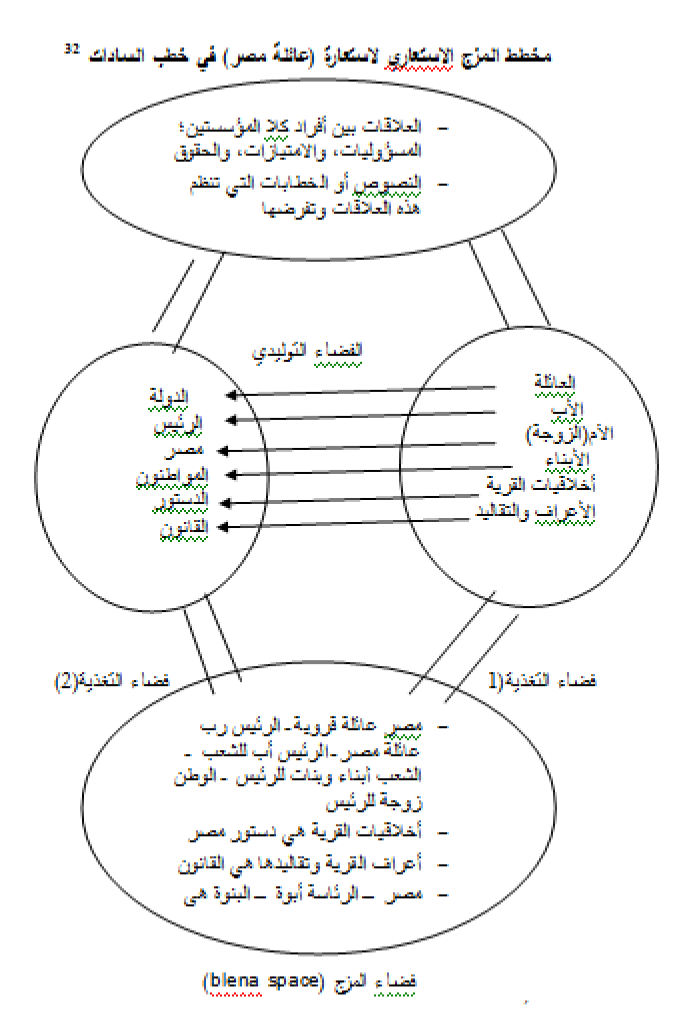
ويذكر بأنّ هذا الشكل الذي يربط بين مجال المصدر ومجال الهدف، يربط الدولة وخصائصها بالعائلة المصرية وخصائصها، والسهم يشير إلى هذه العملية التي يتم من خلالها ربط صفات مجال المصدر وخصائصه بمجال الهدف، ولكنّه يقرّ بأنّ هذا المخطط لا يتضمن عناصر السياق الاجتماعي[30]، ولهذا يقدّم المخطط الثاني الذي يمثّل نظرية المزج الاستعاري، وهو كما يأتي:

---

29 - ينظر عبد اللطيف، 2012،ص128-131 .

30 - ينظر عبد اللطيف، 2012، ص132.

مخطط المزج الإستعاري لاستعارة (عائلة مصر) في خطب السادات [32]



وفسّر المخطط بأنّ هذه الاستعارة(مصر عائلة) تتكون من خلال المزج بين المعارف المتعارف عليها بين المجتمع المصري التي تربط بين حقل الدولة وحقل العائلة ضمن العلاقات التي تجعل الأطر الثقافية، والاجتماعية في شكل أخلاقيات وعادات، وتقاليد، وبين مكوّنات كل منهما وهذا يعني الأبوية المستحدثة[31].

وانطلق عماد عبد اللطيف في توضيح هذه الاستعارة(عائلة مصر) في خطاب السادات من مصطلح (الأبوية المستحدثة والبلاغة الأبوية)، ونسب هذا المصطلح إلى المفكر العربي(هشام شرابي)، وقسم هذا التوضيح على أربع نقاط، هي: علاقة السلطة داخل العائلة الأبوية، وخصائص خطاب السادات الأبوي، ونقد لغة

---

[31] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص134.

الخطاب الأبوي المستحدث، ودور الاستعارة في تشكيل خطاب الأبوي المستحدث، وسنصف كل نقطة بما قاله الدكتور عماد باختصار.

1- **علاقة السلطة داخل العائلة الأبوية**: قدم عماد عبد اللطيف تعريفاً للعائلة الأبوية، وجعلها هي المدخل المناسب لفهم علاقات هذه السلطة، وقال: بأنّ الأب في العائلة الأبوية هو أداة القمع الأساسية، وقوته ونفوذه يقومان على العقاب، وعلاقة الابن بالأب تقوم على التبعية والاحترام الأحادي الذي يولد الخضوع، وبهذا يكون الابن(المواطن) مسلوباً لحقوقه وإرادته، ومنه تكون العائلة الأبوية أيقونة للدولة الأبوية، وبها يُصبح الرئيس مستأثراً بالسلطة شرعاً أو جوراً، ويمثّل الدولة العميقة الذي يستمد شرعيتها ليس من القانون أو الدستور، ولكن من واقع القوة والتفرد، ويُصبح المواطن فاقداً لحقوقه الإنسانية والمدنية[32].

2- **خصائص خطاب السادات الأبوي المستحدث**: أجمل الكاتب هذه الخصائص في ست نقاط، وهي:

أ_ **لغة الخطاب التي هي اللغة العربية المخلوطة بالعامية المصرية**، لغة الحياة اليومية لأنّها تستهدف فئة عامة الناس، مثل: العمال والفلاحين والصيادين،ولا تستهدف المثقفين[33].

ب_ **خطاب أحادي قائم على مجابهة الفهم والنقد**، ونبذ التساؤل، وعدم إبداء التردد، أو الشك، لأنّه لا يريد أي حوار أو نقاش، فهو صادر من الرئيس الذي يعرف كلّ شيء، وأقواله تُقبل من دون تردد[34].

ج_ **غرضه ليس التنوير، بل تثبيط الهمة**، فالمستمع ليس أمامه إلاّ الصمت أو السرية[35].

د_ **خطاب يتجاهل الواقع التجريبي، ويستبدل الإقناع بالحكي**[36].

ه_ **الاتصاف بالغموض**: ويتجلى غموضه في عدم تحديد دلالات مفرداته وتعابيره، مثل: جو العائلة المصرية، روح العائلة المصرية، كبير العائلة المصرية، الخروج من العائلة، فهم العائلة المصرية، العيب، قلة الحياء، هذه التعابير التي لا تحدد مفاهيم لها، هذا الغموض هدفه هو مجابهة الفهم والنقد، وكذلك ليكون الخطيب وحده مالكاً لحق التأويل، ومنه يصيح للاستعارة دور جذري في تفعيل الغموض، وبه تضع قيوداً على الفهم الدقيق[37].

---

[32] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص135-136.
[33] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص136-138.
[34] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص136-137.
[35] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص137.
[36] - ينظر عبد اللطيف،2012 ، ص137.
[37] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص139.

و_ **خطاب يتأسس على الثنائيات المتناقضة بشكل مطلق**: فكل شيء إما أبيض أو أسود، إما يمثّل الحب أو الحقد، حتى يحتفظ الخطيب لنفسه باللون الأبيض، ويترك الأسود لمعارضه، وهذه التناقضات تنطوي على تزييف الواقع المعيش[38].

3- **نقد لغة الخطاب الأبوي المستحدث**: صرح عماد عبد اللطيف بأنّ خطاب الأبوية المستحدث لم يُعالج إلى حدّ الآن من وجهة نظر لغوية نقدية، ووصل إلى أنّ هذا التحليل النقدي قد يؤدي إلى مقاومة الأبوية المستحدثة، لأنّه يؤدي إلى مستوى الوعي، ويكشف عن الأدوات التي يتم توظيفها لتصل إلى القبول الطوعي للسلطة[39].

4- **دور الاستعارة في تشكيل خطاب الأبوية المستحدثة**: أما عن هذه النقطة، فإنّ الدكتور عماد بدأ تفسيرها بالحديث عن أهمية الاستعارة فيها قائلاً:«الاستعارة هي الأداة الأساسية لتشكيل خطاب الأبوية المستحدثة»[40]، فالأبوية هي نتاج لعملية تحديث، إذ يظهر المجتمع فيها بأنّه يحمل اسم الدولة ولديه دستور ومؤسسات، غير أنّه في الحقيقة ما هو إلاّ مجتمع القبيلة والعائلة التقليدي، فإنّ استخدام المفردات التي تنتمي إلى حقل العائلة تستعمل في الحديث عن حقل الدولة، والعكس صحيح، وفي كلتا الحالتين فإنّ الاستعارة تُنتَج لاستخدام مفردات تنتمي إلى حقل معيّن في التفكير عن حقل آخر والكلام عنه، وفي هذا المجال قدّم الدكتور مثالاً وضّح به هذه الحقيقة، وهو استعارة(الدولة عائلة)، وهذه تُعدّ بالغة الأهمية لأنّها تصوّغ طبيعة العلاقة بين المواطن ونظام الحكم السياسي في إطار(الأبوية المستحدثة)، إذ هي الشريحة الأكثر استفادة منها، ومن ثمّ فهي الأكثر حرصاً على استمرارها، وتملك الوسائل الإعلامية لنشرها، وكذلك لأنّ هذه الاستعارة تمثّل مظلة كبرى لاستعارات جزئية، مثل: الحزب عائلة، والشركة عائلة، وأصحاب المهنة الواحدة عائلة، وتنضوي فيها العلاقات بين أفراد هذا المجتمع، فيُصبح المواطن ابناً، والحاكم أباً، والوطن أماً للمواطن وزوجة للرئيس، وهذه العلاقة تُنتج للحاكم أقصى أشكال السيطرة، تُحرِّم الاعتراض على ما يفعله الأب(الرئيس)[41].

بعدما قدّم عماد عبد اللطيف الجانب النظري لوظائف الاستعارة، ودورها في الخطاب السياسي، ووضح الاستعارات التي قدمها الرئيس السادات مع ذكر البلاغة الأبوية، وخصائص خطابه الأبوي، طبق هذه النظرة على إحدى استعارات السادات، وهي(عائلة مصر) التي ذكرها في التنظير منطلقاً من عدّة تساؤلات، وهي كالآتي: ما خصوصية استخدام استعارة(عائلة مصر) في المجتمع المصري؟ ما علّة تنامي استخدام هذه الاستعارة في الفترة الثانية من

[38] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص140.
[39] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص141.
[40] - عبد اللطيف،2012، ص141.
[41] - ينظر عبد اللطيف،2012 ، ص141-143.

حكم السادات؟ ما الوظائف التي يُحتمل أنّها تسعى لتحقيقها في السياقات التي وردت فيها؟ كيف تنجز الاستعارة هذه الوظائف؟ مَن المستهدف باستعارة(عائلة مصر)؟ وغيرها من الأسئلة[42]. وللإجابة عن هذه التساؤلات قدّم خطة عمل، والعينة التي درسها، ليصل إلى النتائج المرجوة، ولكنّ المجال لا يتسع لنذكرها كلّها، ولهذا سنقتصر على بعضها، منها تجليات استعارة(مصر عائلة)، ووظائفها، وآليات عملها، وتحديد سماتها في البلاغة الأبوية للسادات، وتحديد خصائص خطابه الأبوي، ودور استعارة(مصر عائلة) في تشكيله، وحدد عينة الدراسة في الخطب التي تبدأ بصيغ استهلال أبوية، وهي الفترة من 1977 حتى 1981م، هذه المدونة التي وردت فيها الاستعارة المقصودة، وتندرج تحتها الاستعارات الجزئية المذكرة سابقاً، وبدأ بتفسير طبيعة علاقات القوى في العائلة القروية، وتجلياتها الخطابية، وذكر بأنّ هذه القرية كانت مجتمعاً زراعياً، تقوم على العائلة الكبيرة التي تتكوّن من الجد والأب والأبناء وزوجاتهم، وكانت هذه القيّم التي تسود فيه، تتأسس على هيمنة الجد أو الأب، فهو المالك الحقيقي للأرض، ويمثّل الدخل الوحيد الأساسي لمعظم العائلة، وليس للأبناء استقلال اقتصادي خارج دائرة الجد أو الأب، ويندرج تحت هذه العلاقة أخلاقيات يكون كبير العائلة هو المهيّمن على كلّ شيء حتّى الحديث، أو الأمر والنهي، وعلى الأبناء تنفيذ الأوامر دون مناقشة أو معارضة[43].

بعد هذا التقديم شرع يتحدّث عن هذه الوظائف، وعنونها بـ: وظائف استعارة(عائلة مصر) في خطب السادات، وآليات عملها[44]، وبدأ بتقديم تفسيرات بعض الباحثين لتحليل خطب السادات، منها: دراسة فؤاد زكريا سنة(1982)، ودراسة عبد العليم محمد سنة(1990)، ودراسة إمام عبد الفتاح إمام سنة(1994)، وذيلها بقوله:« لم يتم الربط بين استعارة(عائلة مصر) والوظائف الثلاث السابقة في دراسات هؤلاء الكتّاب، ومع ذلك فإنّ هذه الاستعارة لا تمكّننا فحسب من الكشف عن وظائف أخرى... وسوف نستكشف فيما يأتي الوظائف التي استهدفت هذه الاستعارة إنجازَها بالإضافة إلى الوظائف السابقة»[45]، فهو يؤكد بأنّ هذه الدراسات لم تعط توضيحات كبيرة لوظائف الاستعارة المقصودة، وصرّح بأنّه سيكشف عن ما استهدفته هذه الاستعارة، وأجملها في ثلاث نقاط، مبتدئاً بـ:

1- تصوير العلاقة بين الرئيس والمواطنين في سياق التخاطب بوصفها علاقة أب بأبنائه وبناته، ثمّ شرح هذه الوظيفة: بأنها أُنجزت باستخدام صيغ استهلال أبوية في الخطب، حيث إنّ الصيغ التي أُفتتحت بها هذه الخطب

---

[42] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص145.
[43] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص148- 153.
[44] - عبد اللطيف،2012، ص154.
[45] - عبد اللطيف،2012، ص155.

تنوعت، منها: أبنائي وبناتي، الأخوة والأبناء،أخواتي وبناتي، وغيرها، ثمّ قدّم لها جدولاً، وضح فيه عدد تكرارات هذه الصيغ في مفتتح الخطب والسنوات التي قيلت فيها، ثمّ شرح هذا الجدول وفسره، وأنهى هذا الشرح، بقوله:«فالمخاطبون يتشاركون في كونهم أبناء للرئيس، ويتم تأكيد هذه التبعية من خلال استخدام ضمير الإضافة(ي) الذي ينجز فعلي التبعية والامتلاك»[46]. ويقول أيضاً:« تقوم صيغة المخاطبة بمحاولة فرض إطار يتقيّد به المخاطبون الذين يتلقوْن الخطبة؛ خصوصاً فيما يتعلّق باستجاباتهم المحتملة لها»[47].

أما عن الوظيفة الثانية التي سماها:

2- **استعارة(مصر عائلة) وسيلة للإقناع**[48]: فأوضح فيها بأنّ السادات استخدم هذه الاستعارة كاستراتيجية إقناع في الخطب الموجهة للشعب المصري خاصة في السنوات الأخيرة من حكمه، التي تتصل بأخطر القرارات التي تخص الشأن الداخلي والخارجي، مثل: الاستفتاء على إصدار منظومة القوانين، أو الاستفتاء على توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل، وغيرها، وقدّم مثالاً لذلك خطبة 21مارس 1981م، عندما استخدم استعارة(كبير العائلة)، قال السادات:«لا تصدقوا أبداً البلبلة والإشاعات اللي بتحاول أنّها تأخذ من أي إجراء أو همسة... أنّه طالما أنا في موقعي هذا كبير للعائلة المصرية اللي باعتز به مش رئيس جمهورية باعتز بكبير العائلة إزاي أبقى كبير للعائلة، ويبقى فيه خصومة بيني وبين واحد من عائلتي لا يمشي الكلام دا عندي أبداً...»[49]، وبعد الشرح والتفسير لهذه الاستعارة، ينهي الدكتور هذه الوظيفة، بقوله: تكمن القوة الإقناعية لاستعارة(عائلة مصر) في أنها: تصلح للاستخدام في كل السياقات، والمناسبات:- لا تحتاج إلى أدلة من الواقع الخارجي، حيث يستطيع مستخدمها صياغة مفهومها بحسب الأغراض التي يسعى لتحقيقها. - تنطوي على قدرة ردع داخلية، لأنّ عدم الاقتناع بها ومقاومتها، يمكن أن يُصوّر بوصفه خروجاً عن العائلة[50]. وسمى الوظيفة الثالثة:

3- **استعارة(العائلة المصرية) أداة لصياغة هوية الشعب المصري**[51]: وشرحها بقوله: إنّ هذه الأخيرة وُظفت لإعادة صياغة هوية الشعب المصري، وأنّ الذي يلتزم بقيّم وأخلاقيات هذه العائلة، فهو ينتمي إليها، والذي لا يلتزم بهذه القيم فهو خارج عنها، وذكر قيمتين أُستخدمتا في المدونة المدروسة من الخطب،

---

[46] - عبد اللطيف،2012، ص 158.
[47] - عبد اللطيف،2012، ص159.
[48] - عبد اللطيف،2012، ص159.
[49] - عبد اللطيف،2012، ص160.
[50] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص161.
[51] - عبد اللطيف،2012، ص161.

يُعرف بهما الذي يحقّ له أن ينتمي إلى هذه العائلة، وهما:أنها تعرف العيب، وتعرف الحب لا الحقد. وشرح كلّ واحدة منها بالتفصيل، فقال:

أ- **أنّها تعرف العيب:** فسر الدكتور عماد هذا العنصر، وجعل كلمة (العيب) على رأس المفردات المتلازمة لكلمة(العائلة) في الخطب المدروسة، وأكدّ بأنّها وردت في سياقات نقد الكتابات التي وردت في نقد ممارسات النظام الحاكم، وأعطى أمثلة من الخطب، ففي خطبة 1/10 /1980م، قال السادات:«...القاعدة الشعبية العريضة اللي فوق التسعين في الميّة ولاد البلد اللي بيعرفوا العيب، وبيعرفوا الأصول لغاية النهار ده ... اللي نسي الأصول والعيب مهماش ولاد البلد أبداً ولا القرية، ولا الفلاحين...أنا عايز ذات مصونة لمصر مش ليه؛ أنا مش عايز حاجة. علشان كده وأنتوا بتشيلوا المسؤولية تبصروا هؤلاء وفي خط السير والممارسة الديمقراطية اللي جاية علينا...»[52]، ويعطي أدلة من خطب كثيرة السادات يكرر فيها مفردة(العيب) ضد المعارضين لحكمه، ويخرجهم من دائرة العائلة المصرية التي يعتبرها رمزاً للمواطنة[53]، هذا الذي قدمته يمثّل جزءاً يسيراً ممّا تحدّث عنه الدكتور.

أما عن القيمة الثانية، فهي:

ب- **عائلة مصر تعرف الحب لا الحقد:** فقد بدأ عماد عبد اللطيف توضيح هذا العنصر، بقوله:« الحقد والحب مفردتان شائعتان في المدونة المدروسة، وغالباً ما يَرِد ذكرهما في سياقات تتناول طبيعة العائلة المصرية وسماتها، وخصائص المعارضة السياسية في مصر...»[54]، ويشرح العنصر بقوله: إنّ كلمة(الحقد) كانت تُلصق بالمعارضين الذين وقفوا ضد حكم السادات، خاصة الناصريين، ويعطي أمثلة من خطب السادات، نذكر منها، خطبة 11/04/ 1979م التي وجهها للأمة:« حقيقة إنّه أريد لهذا البلد أنّه يعيش بالحقد وليس بالحب، والحراسات والمصادرات والصغار، ومذاهب ومبادئ نستوردها من الاتحاد السوفيتي، أو من غير الاتحاد السوفيتي... وأمور كلّها كانت ضد ما نشأ عليه شعبنا، وضد الحب اللي يؤمن به شعبنا، والتضامن الاجتماعي اللي بنشوفه في القرية المصرية والسماحة اللي في القرية المصرية... والإيمان اللي في القرية المصرية...»[55]، ومثالاً آخر قاله السادات في خطابه ضد انتفاضة الجوعى في يناير 1977م، هو:« وأن الحقد هو السبب الحقيقي وراء انتفاضة الحرامية، يقول: أما بأعُدّ شعبنا إنه لن يتكرر هذا(يشير إلى الانتفاضة) بس بأطلب من شعبنا كلّه إنّه يكون صاحي معي، ومن بعدي أيضاً، ليه؟ هذه المخططات لن تتوقف؛ لأنّه حقد لن يتوقف، وأنتم سمعتموني قبل كده قلت كلّ ما ورثته من تركة قدرت

---

52 - عبد اللطيف،2012، ص 161-162.

53 - ينظر عبد اللطيف،2012، ص161- 162.

54 - عبد اللطيف،2012، ص166.

55 - عبد اللطيف،2012، ص 166-167.

أحلّه اقتصاديا وعسكرياً، وسياسياً، كلّ شيء إلاّ الحقد مش قادر أحلّه أبداً. النهار ده فيه حقد رهيب لكن إحنا كشعب كفيلين بأن نقضي عليه في مهده»[56]. ويعطي مثالاً ثالثاً عن الحقد، كان من الخطبة التي قالها السادات عند انتقاد المفكرين المصريين لتحويل مدينة بور سعيد إلى مدينة مفتوحة على التجارة الخارجية[57]، وأنهى الدكتور عماد العنصر، بقوله:« تلح الخطب على أنّ الحقد يهدد العائلة المصرية، ومن ثمّ فهي تُحرِّض الشعب ضد كل من يمارسه، أو يدعو إليه»[58]، والحقد المقصود في هذه الخطب هو كلّ من عارض سياسة الرئيس.

أما الوظيفة الرابعة التي استعملها الدكتور عماد في دراسته، في التي عنونها بـ:

4- **استعارة(العائلة المصرية) أداة إقصاء اجتماعي للمعارضة**[59]: وشرحها بقوله:« فقد استخدمت استعارة(العائلة المصرية) على نحو متكرر بهدف إقصاء أفراد أو جماعات أو فئات اجتماعية، أو ساكني أقاليم جغرافية معيّنة من دائرة الانتماء للعائلة المصرية، وتُعدّ هذه الوظيفة هي الأبرز والأخطر من بين الوظائف التي استخدمت الاستعارة لإنجازها»[60]، وأوضح عماد عبد اللطيف أنّ الذين استخدمت الاستعارة من إقصائهم، هم سكان المدن، وعلى رأسهم سكان القاهرة، ومثّل لذلك بمقولة السادات:« وبعض أفنديات القاهرة مش حيعجبهم هذا لكن ذا واقع... كانت الحقوق للخمسة في المائة اللي عايشين في القاهرة، ولأبناء البهوات والباشوات، وما إلى غيرهم»[61]، وأوضح كذلك أنّ سكان المدن هم الذين يعارضون سياسة الحكم، فتهدف الاستعارة إلى إقصائهم، ويختم هذا الشرح بقوله:« والنصّ يقول بوضوح متناه أنّ القاهرة التي يهاجمها السادات هي المكان الذي يجمع معارضيه وناقديه»[62]. ولأنّ سكان القاهرة من المثقفين والعلماء والصحفيين، فإنّ استعارة السادات تستهدفهم، وتصفهم بالعيب وقلة الحياء، ليحق عليهم الطرد من دائرة العائلة المصرية.

كما يخصص الدكتور عماد عنصراً آخر يتحدّث فيه عن المشاركين في مظاهرات الطعام، والمعارضين لاتفاقية كامب ديفيد، والمصوتين ضد استفتاء سبتمبر 1981م الذين استخدمت الاستعارة لإقصائهم، ويشرح هذا العنصر بقوله:« استخدمت استعارة(روح العائلة) في إقصاء من شاركوا في مظاهرات الطعام في يناير 1977م من العائلة المصرية»[63]، ويدلل بمقطع من خطاب

---

[56] - عبد اللطيف،2012، ص167.
[57] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص169.
[58] - عبد اللطيف،2012، ص170.
[59] - عبد اللطيف،2012، ص171.
[60] - عبد اللطيف،2012، ص171.
[61] - عبد اللطيف،2012، ص173.
[62] - عبد اللطيف،2012، ص173.
[63] - عبد اللطيف،2012، ص174.

السادات الذي ألقاه في 20 يناير 1977م، يقول الرئيس:« الأوّل بنينا العائلة... رجعنا للعائلة سواء...رجعنا لروح العائلة... هذه كانت انتفاضة الحرامية... وانتفاضة الحقد، الحقد والتمزق اللي حطوه لنا في العائلة المصرية»[64]، كما قدّم مقطعاً من خطبة ليقصي بها المعارضين لمعاهدة كامب ديفيد ألقاها في مايو 2079م، وكذلك الخطبة التي ألقاها السادات من أجل إقصاء المواطنين الذين صوتوا ب(لا) على بنود الاستفتاء الذي عُرف بأحداث سبتمبر 1981م[65]، ويختم هذه الوظائف بقوله:« تتكوّن استعارتا(روح العائلة) و(جو العائلة) من المزج بين مفهومين ينتميان إلى حقلين مختلفين للخبرة الإنسانية، فالاستعارة الأولى تتكون من مزج مفهومين، أولهما هو(الروح)، وهو مفهوم مجرد وإشكالي، يفترض وجود جوهر مفارق للشيء، يختلف عن وجوده المادي، يكون هو الأصل، والمفهوم الثاني(العائلة) مفهوم مادي متعيّن لكنّه في المثال الحالي يُستخدم كمفهوم مجرد كناية عن الشعب...»[66]، ويشرح الاستعارة الثانية بنفس الكيفية، وينهي هذا الشرح بتأكيد حقيقة مفادها: بهذا يقصي هذه الشريحة من الموطنين من العائلة المصرية استناداً إلى خروجها عن مفهومي(روح العائلة وجوّها) الذي لا يملك تعريفهما إلاّ الخطيب(الرئيس)، ويقول الدكتور:« وإذا أضفنا إلى ذلك حقيقة أنّ العائلة المصرية هي مفهوم استعاري بذاته، يُصبح لدينا استعارة مركبة، ويختفي المفهوم الحرفي للمجتمع»[67].

كما تحدّث عماد عبد اللطيف عن هذه الاستعارة بعناوين مختلفة لا يتسع المجال لذكرها كلّها، لأنّ البحث محدد بعدد معيّن من الصفحات، فمَن أراد الاستزادة فعليه بالكتاب محلّ الدراسة، وفي الختام نقول: إنّ هذه الدراسة لا تحيط بموضوع الاستعارة كلّه التي وردت في هذا الكتاب، ولكنّها حسبها أنّها خصصت الدراسة لوظائف الاستعارة في الخطاب السياسي كما قدّمها الباحث الدكتور عماد عبد اللطيف باختصار، أما عن خاتمة البحث، فهي:

خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية في دراسة وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور الدكتور عبد اللطيف، نخلص إلى جملة من النتائج، نذكر أهمّها في النقاط الآتية:

1- طبق عماد عبد اللطيف في دراسته النظرة الغربية للبلاغة الحديثة خاصة الاستعارة، ووظف نظرة العالمة الغربية(إيلينا سامينو) على الخطاب السياسي، وهي أربع وظائف: - الاستعارة تتيح التفكير والكلام عن مناطق الخبرات المجردة والمعقدة. – تُستخدم الاستعارة للإقناع والتعليل والتقييم

[64] - عبد اللطيف،2012، ص174.
[65] - ينظر عبد اللطيف،2012، ص174-175.
[66] - عبد اللطيف،2012، ص175.
[67] - عبد اللطيف،2012، ص175.

والشرح.- تفيد في بناء العلاقات الشخصية والتفاوض بشأنها - تُمكّن الاستعارة من تقديم ملخص النص.

2- عندما طبق هذه الوظائف تحدّث الدكتور عن كيفية توظيفها في الخطاب السياسي، وذكر عدة نظريات غربية فسرت الطريقة التي تعمل بها الاستعارة، منها: الاستعارة التوليدية، والاستعارات المفهومية، ونظرية المزج الاستعاري.

3- وعند تطبيقه لهذه الوظائف على الخطاب السياسي انطلق من مصطلح(الأبوية المستحدثة)، ووظّفه على خطب الرئيس السادات.

4- استعمل الدكتور عماد هذه النظريات على خطب السادات، واستخرج منها أربع وظائف، وأوضح بالأدلة من المدونة المدروسة، وهي: - تصوير العلاقة بين الرئيس والمواطنين في سياق التخاطب بوصف علاقة الأب بالأبناء. – استعارة(مصر عائلة) وسيلة للإقناع. -استعارة(العائلة المصرية) أداة لصياغة هوية الشعب المصري.- استعارة(العائلة المصرية) أداة إقصاء اجتماعي للمعارضة.

وفي الختام نرجو أن نكون قدمنا فكرة على وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي التي تبيّن أنّ الاستعارة ليست لزخرفة الكلام وتجميله فقط، ونكون قد فتحنا باباً للاهتمام بالبلاغة العربية لتدرس بمنظور جديد، يفيد اللغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع

1- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة1998م.

2- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد الاسكندراني، ومحمد بمسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة1998.

3- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح: محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة،ط1، سنة 1991م.

4- عماد عبد اللطيف، استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي، خطب الرئيس السادات نموذجاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط1، سنة2014م.

6- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، سنة2013م.

7- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، سنة2005م.

8- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار العارف، القاهرة، د، ط، د، ت.

تحليل الخطاب السياسي
قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف

د. فؤاد أعلوان
أستاذ القانون العام بكلية الحقوق بفاس - المغرب

مقدمة

يأتي التطرق لموضوع دراسة وتحليل الخطابالسياسي في سياق تنامي الاهتمام الدولي والعربي بالخطاب السياسي، خاصة بعد ظهور وسائل الإعلام الحديثة والتطور الكبير الذي عرفه مجال الاتصالات، إضافة إلى بزوغ "عصر الجماهير" بعد الأحداث الهامة والتغيرات السياسية الكبيرة التي رافقت ثورات الربيع العربي، وهو ما أدى في النهاية إلى إغناء الدراسات المهتمة بتحليل الخطاب السياسي.

ومما لا شك فيه أن الدكتور عماد عبد اللطيف يشكل علامة بارزة في مجال تحليل الخطاب السياسي، ليس فقط لغزارة أعماله ومؤلفاته؛ بل أيضا لجودة مضمونها ومنهجيتها العلمية وجدتها المعرفية. وهو يمثل نقطة ضوء في مجال الدراسات العربية المهتمة بالخطاب السياسي، التي تبقى متواضعة كما وكيفا مقارنة مع نظيرتها بالدراسات الأجنبية، سواء التي اختصت بتحليل الخطاب في مضمونه العام أو حتى تلك التي اهتمت بدراسة الخطاب السياسي العربي. ومرد ذلك التأثير الكبير للقوى "غير الأكاديمية" المهيمنة على المجتمع، "فعلى مدار قرون طويلة كان البحث في لغة السياسيين العرب طريقا محفوفا بالمخاطر"[1]. ولا يزال تحليل الخطاب السياسي يعد من الطابوهات في بعض الأنظمة العربية الاستبدادية، ومجال البحث الأكاديمي فيه مجال غير آمن خاصة إذا تم التطرق إليه من زاوية نقدية.

يتميز عماد عبد اللطيف عن غيره في مجال دراسة الخطاب السياسي باهتمامه البالغ بالتحليل النقدي للخطاب السياسي و"نقد البلاغة" ودراستها وفق منهجية علمية رصينة وصارمة، اعتبارا لكون تحليل الخطاب السياسي يعد فرعا معرفيا مهما يندرج في إطار دراسة "القوة الناعمة"، بعد أن كان النزاع حول السلطة يحسم عادة قبل العصر الحديث بواسطة "القوة الصلبة" [2].

سنتطرق من خلال قراءة أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف لمجموعة من الموضوعات، على غرار نقد الكتابات العربية التي لا تؤسس لتحليل علمي حقيقي للخطاب السياسي، المقاربات الحديثة التي يتبناها عماد عبد اللطيف في تحليل

---

[1] عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق"، البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 6، 2015، ص.124.

[2] نفسه: 117.

الخطاب السياسي، ومستقبل الخطاب السياسي في العالم العربي. وسنحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة من قبيل:ما هي خصائص الخطيب السياسي الناجح؟ كيف توظف الخطابات السياسيةالأبعاد المجازية للغة ومهارات التواصل في الدعاية والإقناع وخدمة الحقيقة؟ ألا يتم توظيف البلاغة السياسية لتوجيه الحياة السياسية وإخضاع الشعوب والسيطرة عليها؟ هل تعيش المجتمعات العربية أزمة خطاب سياسي وديني؟ثم هل يمكن أن نأمل فعلا بانبثاق خطاب سياسي أخلاقي؟

أولا- مفهوم الخطاب السياسي

يعرف الخطاب السياسي في موضوع معين على أنه "سلسلة من التلفظات" تتجاوز الوحدات اللغوية مثل الجملة وشبه الجملة المجردة والمفصولة عن السياق، ولاتتطلب الالتزام بأي وحدة زمنية أو مكانية.هكذا يتبنى هذا التعريف تأويلا واسعا، فمثلا تعد خطبة للرئيس المصري حسني مبارك سنة 1999، ومقابلة أخرى كان قد أجراها قبل ذلك بسنة، جزءا من خطابه حول الديمقراطية.[3]

ويتوزع الخطاب السياسي على عدة ألوان، من بينها: الأكاديمي التعليمي الذي يعرض نفسه بوصفه خطاباً محايداً نزيهاً، والخطاب السياسيالجماهيري، الذي يعتبر محور دراسات عماد عبد اللطيف والذي ينطوي على نصّ دعائي، وقد يكون خطبة أو خبراً أو شعاراً أو أغنية أو طرفة، يسعى إلى أداء وظيفة ما بحسب قصد منتجه، وفي هذا اللون من الخطاب تنتعش المجازات وتؤدي وظائفها في الجذب والإغراء والإقناع[4].

ويهتم الخطاب السياسي بدراسة التواصل السياسي بجميع أشكاله: الكلام (برامج سياسية، شعارات، خطابات)، النصوص (مقالات، لافتات)، الصور، الإشارات، الشعر، الغناء. ويهدف تحليل الخطاب السياسي إلى فهم كيفية عمل الخطاب السياسي وكيفية سعيه لانجاز وظائفه المتمثلة بالخصوص في الحصول على السلطة وإضفاء الشرعية عليها والمحافظة عليها.[5]

وباعتباره ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد فإن تحليل الخطاب السياسي لا يمكن أن يتم بمعزل عن مجموعة من الحقول المعرفية مثل: علم السياسة، علم التواصل، علم الاجتماع، علم النفس، علم البلاغة،..ورغم أن الدراسات التأريخية لا تقدمعادة تحليلا معمقا للنصوص التي تدرسها، فإنها تدخل في خانة الدراسات المختصة بتحليل الخطاب السياسي؛ خاصة وأنها ترسم العلاقة بين الظروف

[3] ميشيل دوريتشر دون، الديمقراطية في الخطاب السياسي المصري المعاصر، ترجمة عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص.23-24.

[4]عمار علي حسن، "كيف وظف الخطاب السياسي العربي الدين والبلاغة؟"، حفريات، 7 غشت 2018.(02/10/2019) <https://www.hafryat.com/ar/>

[5] عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق":111.

التاريخية والاجتماعية من جهة، وبين نصوص الخطاب السياسي من جهة أخرى.[6]

ولعل أهم ما يميز الخطاب السياسي هو اهتمامه البالغ بعناصر الصياغة والشكل والآداء، يوازي أو يتجاوز اهتمامه بمضمون الأفكار والأطروحات، وذلك لأن مهارات القول والآداء تلعب دورا أساسيا في بلوغ القول لغاياته وتحقيقه لأهدافه. ففحوى القول تتجلى أوضح ما يكون في شكل القول وآدائه، أو بعبارة أخرى فان الشكل والآداء هو ذاته جوهر المحتوى.[7]

ويلعب المجاز دوراً بارزاً في فصاحة الخطاب السياسي، حيث تحضر كل ألوانه وأشكاله، لتؤدي وظائف مهمة في صناعة المعنى، وجلب الإقناع، فالجمهور ينتظر من الساسة -إلى جانب الحقائق التي قد تعبّر عنها الوقائع والأرقام- أن يمتلكوا فصاحة في الإلقاء، لكنهم ينفرون منهم إن لم يكن لديهم سوى الكلام المرصع، والرطانة الجوفاء.فهناك فارق بين خطاب سياسي فصيح يوظف بوعي الأساليب البلاغية من استعارات وكنايات وتوريات، ويعرف بدقة وقت الإظهار والإضمار، وخطاب آخر غارق في الرطانة، التي تبني تلاً من الكلمات ذات الإيقاع الصاخب، يظن معه صاحبه أو يتوهّم، أنّ الصوت الزاعق بوسعه أن يداري أوجه القصور[8].

وقد حدد عماد عبد اللطيف مواصفات متعلقة بالمهارات اللغوية والتواصلية تعد من المتطلبات الأساسية للحوار الناجح. وذلك من قبيل أن يكون الخطيب أو المحاور (البرامج السياسية الحوارية والمقابلات والمناظرات الوطنية والانتخابية الرئاسية) بارعا في التواصل مع الآخرين، بليغا في التعبير عن أفكاره وآرائه، قادرا على الاستحواذ على اهتمام الآخرين والتأثير عليهم[9].

في هذا الإطار يمكن القول أن سياسيين مثل: جمال عبد الناصر، صدام حسين، الحبيب بورقيبة، هواري بومدين عززوا شعبيتهم الوطنية والدولية بواسطة الصورة الجماهيرية التي تشكلت لهم بوصفهم خطباء مفوهين على درجة عالية من إتقان المهارات اللغوية والتواصلية[10].

ثانيا- الخطاب السياسي العربي: غياب المقاربات النقدية

تحمل الخطابة في التراث العربي معنى إيجابيا يختلف تماما عن ذلك الذي حاول أفلاطون إلصاقه بها. تحتل مصطلحات البلاغة والخطابة والبيان مكانة مهمة عند العرب إضافة إلى المفاهيم والعلوم المرتبطة بها، وهو ما ينطبق كذلك

---

[6] المرجع نفسه، ص ص.111،123.

[7] المرجع نفسه، ص.111.

[8] عمار علي حسن، مرجع سابق.

[9] عماد عبد اللطيف، *البلاغة والتواصل عبر الثقافات*، سلسلة كتابات نقدية، رقم 208، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012، ص.151.

[10] عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق": 123.

على الأشخاص الممارسين للخطابة أو المتصفين بها أي البلاغي أو الخطيب. ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع ارتباط البيان والبلاغة بنصوص عربية مقدسة ممثلة في "القرآن الكريم" و"الأحاديث النبوية الشريفة" . ومن نتائج تقديس العرب للبلاغة غياب أية محاولات علمية في نقد الخطاب السياسي في التراث العربي القديم، تقوم بفحص حقيقي لوظائف هذه البلاغة وآثارها[11].

وقد حاول الجاحظ أثناء وصفه للحدث الخطابي في كتابه البيان والتبيين تحديد سمات المخاطب الناجح (شكل الآداء، تقنيات البلاغة، جهارة أو ضآلة الصوت..).[12] وقد ناقش الجاحظ سمات الأسلوب الخطابي مثل تجنب الإفراط في الكلام وتكراره، وتطرق للعلاقة بين مناسبة الخطاب وموضوعه والزمن المخصص له. كما خصص حيزا هاما لتقنيات الآداء الخطابي: الارتجال، الإعداد المسبق، النظر إلى عيون الجمهور، وخص كذلك بالدراسة تأثير الظواهر النفسية والفيزيولوجية مثل الارتعاش والعرق والحاجة لشرب الماء على كفاءة الآداء. وقد أعطى الجاحظ أهمية للظروف التي يتعين على المتكلم فيها الصمت عن الكلام، ولضرورة مراعاة حال الجمهور ووضعية المستمع في السلم الاجتماعي ودرجته العلمية، وكذا مراقبته لمدى استعداد الجمهور للاستماع أو ملله[13].

إلا أن مقاربة الجاحظ لا تؤسس لمعرفة علمية منهجية حقيقية لأنها جاءت في شكل ملاحظات "جزئية متناثرة" تؤسس "لخطابة نموذجية" من خلال اكتساب مهارات الخطابة، دون التطرق لنقد مضمونها كما هو الحال بالنسبة لمعالجة أرسطو وأفلاطون. وفي الواقع فان الكتابات العربية بما فيها محاولات الجاحظ لا تقدم أدوات لتحليل الخطاب، ويمكن القول أن منهجية تحليل الخطاب شبه غائبة، ويعد ذلك من أكثر العيوب في هذه الكتابات.

ويمكن القول أن أغلب المقاربات في التراث العربي كانت وصفية معيارية وليست نقدية، اعتبارا لكون الخطاب السياسي هو أداة للهيمنة والسيطرة باستخدام أساليب تنطوي على التلاعب للتغطية على فجوة المصداقية. وربما يعود الأمر لغياب القدر الكافي من الحرية لممارسة هذا النقد وسيادة الأنظمة الملكية الأوتوقراطية. وإجمالا فان الدراسات العربية للخطاب السياسي تعد أقل تنوعا واتساعا من مثيلتها الغربية وتهيمن عليها المقاربات غير اللغوية.[14]

---

[11]عماد عبد اللطيف، "موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس" و"فيدروس" "، *مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية*، المجلد 5، عدد 3، أكتوبر 2008، ص ص.239-240.

[12]في نفس الاطار حصر العالم عبد العزيز التويجري أهم الخصائص الأخلاقية والمعرفية للخطيب أو المحاور الناجح في أن يكون حكيما، خبيرا، عالما بالعصر، فقيها بقضاياه ومشكلاته، مستقيما، مدركا لرسالته، متفتح العقل، واسع الأفق.

[13]عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب التراثي: إطار نظري ونموذج تطبيقي"، *مجلة الخطاب*، عدد 14، 2014، ص ص.188-190.

[14]عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق"، مرجع سابق، ص ص.115،117،119.

هكذا تحول السلطة في عالمنا العربي دون تعرية كلماتها، فكما تحصن الساسة داخل القلاع والقصور، وحرسوا كراسيهم بالخنجر والدينار، أحاطوا كلماتهم بسياج التقديس، وسعوا لحمايتها من النقد، والتفنيد. ولم يكن غريبًا في عالمنا العربي ألا يتبلور تيار معرفي لنقد الخطاب السياسي، وهو ما يبدو منطقيا إذ لايجتمعا لاستبداد والحرية المعرفيّة في مكان واحد[15].

ثالثا- المقاربات الحديثة في دراسة الخطاب السياسي عند عماد عبد اللطيف

شهد النصف الثاني من القرن 20 تطورا كبيرا في مناهج تحليل الخطاب السياسي وموضوعاته وأهدافه. وتزامن الاهتمام الأكاديمي المتزايد بالخطاب السياسي مع الانتشار الكبير الذي عرفته وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، ما أدى إلى اتساع رقعة تأثير الخطاب السياسي.[16] وقد أعد عماد عبد اللطيف مؤلفاته ودراساته في مجال الخطاب السياسي وفق مناهج ومقاربات وتصورات حديثة تنسجم تماما مع قناعاته المعرفية ومنهجيته العلمية الرصينة. وقد قمنا بحصر أبرز المقاربات الحديثة في دراسة الخطاب السياسي في ما يلي:

1. المقاربات البلاغية

ينظر الفيلسوف اليوناني أفلاطون إلى البلاغة أو الخطابة علىأنهاالكلامالجماهيريالمولعبإنجازالسيطرة،وحيازةالسلطةعبر استخدام أدوات تتمثل أساسا فيالتلاعبباللغةوالأداء.[17]ويتفق الكثير من الدارسين على أن الدلالات السلبية للبلاغة التي لازالت مستمرة إلى وقتنا الحالي تعود إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون الذي رسم صورة قاتمة عن البلاغة السائدة في عصره: "بلاغة السفسطائيين" ، وذلك من خلال محاورته الأولى "جورجياس" التي وجه فيها نقدا قاسيا للبلاغة إلى درجة أن هناك من اقترح تغيير عنوانها الفرعي "عن البلاغة" إلى عنوان أكثر تعبيرا "ضد البلاغة"، ثم من خلال محاورته الثانية "فيدروس" التي تضمنت نقدا مخففا للبلاغة واهتمت بالخصوص بوضع قواعد وأسس بلاغة جديدة.[18]

ويعتبر أرسطو البلاغة بمثابة القوة التي تتطلب "الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة".[19] أما جورجياس فانه يرى بأنها تمثل "القدرة على

---

[15] عمادعبداللطيف، تحليلالخطابالسياسي: البلاغة،السلطة،المقاومة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2020، ص.14.

[16]عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق":118.

[17] عماد عبد اللطيف، ضد البلاغة: الخطابة والسلطة والتضليل عند أفلاطون، دار العين للنشر، القاهرة، 2017، ص ص.9-10.

[18]عماد عبد اللطيف، " موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس" و"فيدروس" "، مرجع سابق، ص ص. 227-228-229.

[19] أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، 1979، ص.9.

إقناع الناس بواسطة الحديث"[20]، ويحدد هدفها في السيطرة على هؤلاء المخاطبين وتسخيرهم لمصلحة حائز هذه البلاغة. ويساير كاليكاليس جورجياس في رأيه حين يعتقد أن " الخطابة هي التي تضمن إخضاع الضعفاء لسيطرة الأقوياء" (كاليكاليس هو الذي كان طرفا في المحاورة الثالثة من محاورة "جورجياس" الى جانب سقراط). وفي محاورة "فيدروس" تم تعريف البلاغة أو الخطابة على أنها "فن قيادة النفوس بواسطة الأحاديث".[21]

ويرى الدكتور عماد عبد اللطيف أن مفهوم البلاغة التي ينتقدها أفلاطون في محاورتي "جورجياس" و "فيدروس"، أو كما يعبر عنها بموقف أفلاطون العدائي من البلاغة، يخص البلاغة السياسية وبعض أشكال البلاغة القضائية فقط. هكذا يعتبر نقد أفلاطون للبلاغة نقدا للخطابات السياسية التي ترمي إلى السيطرة على الشعوب بواسطة استخدام "تقنيات التضليل اللغوية".[22]

وفي هذا الإطار يندرج وصف عماد عبد اللطيف "البلاغة الشريرة" للتعبير عن الممارسات الرامية لاستخدام حيل لغوية وبلاغية بهدف خداع المستمع وتضليله، لأجل إخضاعه لسلطة المستمع وتحقيق أهدافه الخاصة التي كثيرا ما تتعارض مع أهداف المستمع. ويصير هذا الوصف معبرا أكثر حينما تستخدم البلاغة أو الخطابة لتهديد مصلحة الوطن، حيث يصبح المستمع الذي تم خداعه هو "الشعب".[23]

وقد اكتسبت البلاغة سمعة سيئة في أواخر القرن التاسع عشر إلى حد إلغاء تدريسها في المؤسسات التعليمية الأوروبية، بعد أن أصبحت كلمة بلاغة محملة بدلالة إزدرائية، ومرتبطة بالحيل والأكاذيب والمكر والخداع و التعبير الأجوف. بل وصل الأمر إلى اعتبار كونك بلاغيا يعني أنك طنان.

وبعد أن كانت البلاغة ممارسة أكاديمية شبه منعزلة عن سياقات إنتاجها الاجتماعية والسياسية، حيث كانت منشغلة فقط بالخطابات العليا مثل الشعر والنثر الأدبي، تطورت البلاغة في العقود الأخيرة ، وتنامى بشكل كبير كم ونوع الدراسات البلاغية، فقد ارتادت آفاقا لم تلجها من قبل كما استطاعت أن تقيم "تحالفات معرفية" مع حقول جديدة مثل التواصل وتحليل الخطاب.[24]

وقد أصبحت البلاغة الحقل المعرفي الأكثر اهتماما بدراسة الخطاب السياسي.[25] واحتفظت بدراسته قرونا طويلة، فقامت بوصف سياقات الخطب

---

[20]يفضل الدكتور عماد عبد اللطيف استخدام مصطلح البلاغة عوض مصطلح الخطابة لأن دلالة الأول أوسع من المفهوم الذي يؤديه الثاني.

[21]عماد عبد اللطيف، " موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس" و"فيدروس" "، مرجع سابق، ص ص.241،230.

[22]المرجع نفسه، ص.227.

[23]المرجع نفسه، ص.238.

[24]عماد عبد اللطيف، *البلاغة والتواصل عبر الثقافات*، مرجع سابق، ص ص.31-32.

[25]عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق":119.

السياسية، وخصائصها اللغوية والبلاغية، وقدمت اقتراحات تساعد على بلورة خطاب سياسي مؤثر. وتتزايد باستمرار الدراسات التي تستخدم مقاربات بلاغية لتحليل خطابات سياسية عربية.

وتهتم الدراسات البلاغية بتحليل الأبعاد المجازية للغة، ويعد موضوع "المجاز السياسي" أحد أكثر المواضيع التي تحظى بأهمية خاصة لدى الدارسين. حتى أن عماد عبد اللطيف يتصور البلاغة والسياسة كمدينتين متجاورتين، ظهرت إلى الوجو دفي زمن متقارب، وفوق تخوم العلمين المتداخلة (البلاغة والسياسة) ولدت "البلاغة السياسية" لتكون حيز التقائهما، تصف الكلام الذي يحقق الإقناع والتأثير في التواصل السياسي وتدرسه.[26]

وفي هذا الإطار تندرج مجموعة من أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف مثل الدراسة التي قام بها سنة 2012 للاستعارات المفاهيمية في الخطاب الأبوي الساداتي وسياقاته وآثاره، وذلك من خلال كتابه المعنون: "استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي: خطب الرئيس السادات نموذجا".

وقد حلل عماد عبد اللطيف نماذج من خطب الرئيس المصري الراحل أنور السادات، لاسيما استعاراته المفهومية عن "العائلة المصرية" التي أعلن نفسه كبيراً لها، واستعاراته التي ضاهى فيها بين زمن الجاهلية قبل الإسلام وعهد ما قبل يوليوز 1952 في مصر، حيث أصبحت فيها أحزاب ما قبل يوليوز"وحوشاً مفترسة"، علاوة على توظيفه المفاهيم والتصورات الدينية في خطابه السياسي، بغية خدمة التحولات الأيديولوجية التي كانت تنزع مصر تدريجياً عن الاشتراكية التي طبقها سلفه جمال عبد الناصر. وقد تكررت مثل هذه الاستعارة التي تسحب الرؤى الدينية بتاريخيتها الحاضرة في الواقع إلى عالم السياسة، في خطابات كثيرة من الساسة العرب[27].

ودائما في مجال الدراسات البلاغية، فان الدكتور عماد عبد اللطيف يعد من أبرز الدارسين عربيا وعالميا للبلاغة النقدية التي تعد بمثابة رد فعل على موقف أفلاطون السلبي من البلاغة، فقد عرف العصر الحديث تطورا هائلا في هذا المجال من خلال بروز "مشروع البلاغة النقدية" الذي يرمي إلى تغيير طبيعة الممارسة البلاغية ووظيفتها. هكذا إذا كانت وظيفة البلاغة التي ينتقدها أفلاطون تتلخص في كونها "بوابة للوصول للسلطة"، فان وظيفة البلاغة التي يقدمها هذا المشروع تتلخص في كونها "مقاومة لهذه السلطة". وقد خصص عماد عبد اللطيف لهذا المشروع دراسة ضمن أعمال المؤتمر الدولي الرابع لجمعية النقد الأدبي بعنوان "البلاغة والدراسات البلاغية" الذي انعقد في القاهرة، وكان موضوع مداخلته: "البلاغة النقدية: مشروع بلاغي في نقد الخطاب"، كما تطرق

---

[26] عمادعبداللطيف، *تحليلالخطابالسياسي: البلاغة،السلطة،المقاومة*، مرجع سابق، ص ص.9-10.

[27]عمار علي حسن، مرجع سابق.

له أيضا في القسم الأول من مؤلفه الجديد "تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة"، حيث تناول نقد البلاغة من منظورين روائي وفلسفي.

2. التحليل النقدي للخطاب السياسي

يعتبر التحليل النقدي للخطا حقلا معرفيا راهنا يحظى باهتمام أكاديميّ واسع[28]. وهو يمثل منظورا ومقاربة نقدية للخطاب ذات منطلقات إنسانية [29]، يعبر عنها عماد عبد اللطيف كالتالي: "إذا كانت البلاغة السياسية تفترس الحقيقة، فإن التحليل النقدي للخطاب -عبر أدواته المعرفية- يرفع سيفه بوجهها، محاولا تعريتها وترويضها غير آبه بالخوف المهيمن"[30].

ويمكن القول أنه بانتهاء أسطورة الموضوعية العلمية التامة، والحياد الأكاديميا لمطلق، واكتساب التحيز درجة من مشروعية الوجود في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، بات مقبولا أن يفرض التحليل النقدي للخطاب السياسي شكلا من أشكال التحيز المبدئي لصالح من يخضعون لأنواع من الظلم الاجتماعي والهيمنة. فالتحليل النقدي للخطاب السياسي يدرس أساسا العلاقة بين الخطاب والسلطة بهدف تعرية التلاعُب والسيطرة والتمييزوالظلم الاجتماعي الذي يمارس بواسطة الخطاب.[31]

ويمكن القول أن التحليل النقدي للخطابات السياسية العربية قد ازدهر منذ بداية القرن الواحد والعشرين، وخاصة منذ بداية الربيع العربي سنة 2011. من خلال تزايد الدراسات التي تهتم بالعلاقة التي تربط الخطاب السياسي بالسلطة في الدول العربية، أو بالأحرى بتوظيف هذه السلطة للخطاب السياسي لترسيخ قيم اللامساواة الاجتماعية والهيمنة، وذلك عبر استخدامه لتقنيات وأساليب "التلاعب والخداع"[32]. وفي هذا الإطار تندرج دراسات الدكتور عماد عبد اللطيف سنة 2012، التي تطرق خلالها لكيفية تلاعب الخطابات السياسية بالجمهور في فترة بداية الربيع العربي.

وفي أحدث كتاب له "تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة"، تطرق عماد عبد اللطيف إلى تحليل خطاب الاستحواذ على السلطة، وكذا لعلاقة الخطابة بالثورة من خلال اعتماد ثورة يناير 2011 نموذجا، إضافة لدراسته لاستخدام الخطاب الديني لدعم السلطة وتثبيتها وهو ما سماه "بلاغة دعم

---

28 عماد عبد اللطيف، الأزهروالسلطة: تحليل الخطابالسياسيفيزمنالأزمة (مقدمة كتاب). في:بسمة عبد العزيز،سطوة النص: خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، الجيزة، 2016، ص.13.

29 عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق"، مرجع سابق، ص.122.

30 عمادعبداللطيف، تحليلالخطابالسياسي: البلاغة،السلطة،المقاومة، مرجع سابق، ص.15.

31 عماد عبد اللطيف، الأزهر والسلطة: تحليلالخطاب السياسي في زمن الأزمة. مرجع سابق، ص.20.

32 عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق": ص.121.

السلطة"، حيث تعتلي "السياسة الشريرة "ظهرالبلاغة لتمنح بعض البشر سلطة السيطرة على العقول، وتفرض الصمت، وتحتكر القوة، وترسخ الظلم.[33]

3. دراسات التواصل

أصبحت الخطابات السياسية الحديثة توزع عبر وسائط تواصل عديدة، وقد صنعت وسائل الإعلام الجديدة خاصة مواقع التواصل الاجتماعي فضاءات جديدة في الخطاب السياسي. كما أحدثت تكنولوجيا الاتصال تغييرا كبيرا في دور الجمهور، فأصبحنا نتحدث عن "التلقي النشط" وخطابات الجماهير المضادة والاستجابات البلاغية.[34] وهو ما أدى في النهاية إلى ازدهار المقاربة التواصلية لتحليل الخطاب السياسي.

ويؤمن الدكتور عماد عبد اللطيف بأن البحث العلمي في مجالات البلاغة وتحليل الخطاب السياسي يجب أن يكون وثيق الصلة بالحياة اليومية للأفراد. وهو يدافع بقوة عن دراسة نصوص الحياة اليومية وخطاباتها،موجها اهتمامه للمنتوجات الخطابية للجماعات المهمشة، ومحاولافي الآن ذاته تطوير توجه علمي مخصص لدراسة استجابات الجمهور في سياقات التواصل العمومي.[35]

وفي إطار دراسة استجابة الجمهور اللفظية وغير اللفظية التي تعتبر حسب عماد عبد اللطيف منطقة تقاطع بين حقلين معرفيين هما دراسة الخطاب ودراسة التواصل، قام هذا الأخير سنة 2009 من خلال مؤلفه: "لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن"، بدراسة الهتاف والتصفيق في خمس وأربعين خطبة مصرية، كما قام بفحص العلاقة بين الخصائص البلاغية والآدائية للخطب من جهة، واستجابات الجمهور بعد تلقيها من جهة ثانية.

وقد أتت دراسته تثمينا للأهمية البالغة التي أصبح يحظى بها التصفيق في العصر الحالي، باعتباره ممارسة مهمة في التواصل السياسي المعاصر ومكونا أساسيا من مكونات الخطابة السياسية في جل ثقافات العالم، إلى درجة أنه يشغل مساحة زمنية لا تقل كثيرا عن المدة الزمنية المخصصة لكلام الخطيب. ويكشف "توغل" التصفيق في الخطابات السياسية عن الطابع التفاعلي لهذه الخطب، مقارنة مع غيرها من أشكال التواصل السياسي. وتتضمن هذه الدراسة مواضيع في غاية الأهمية، ناقشها عماد عبد اللطيف بعمق كبير، مثل ثنائيات التصفيق الحر والتصفيق الإجباري، والتصفيق التلقائي والتصفيق المعد سلفا، والتصفيق المجاني والتصفيق المأجور.[36]

---

[33] عمادعبداللطيف، تحليلالخطابالسياسي: البلاغة،السلطة،المقاومة، مرجع سابق، ص.11.

[34] عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق":120.

[35] عماد عبد اللطيف، **"المزج السلبي بين الخطابين الديني والسياسي مسؤول عن كثير من أزماتنا السياسية الراهنة"**، حوار أنجزه الدكتور مصطفى شميعة، الاتحاد الاشتراكي، 26 أبريل 2019.

[36] **عماد عبد اللطيف**، *لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن*، دار العين للنشر، القاهرة، 2009، ص ص. 9-95،34-96.

رابعا- تصور عماد عبد اللطيف لمستقبل تحليل الخطاب السياسي العربي

يعتقد الدكتور عماد عبد اللطيف أنه يصعب التكهن بمستقبل دراسة وتحليل الخطاب السياسي في الوطن العربي في السنوات المقبلة، وذلك بالرغم من ظهور مؤشرات ايجابية تتمثل أولا في تزايد الاهتمام بمناهج دراسة الخطاب السياسي، خاصة ما تعلق بالدراسات النقدية للخطاب ودراسات الصورة والبلاغة المرئية، وثانيا في الاهتمام على نطاق واسع بالدراسات الإنسانية خاصة المتعلقة بالعلوم السياسية وعلوم اللسانيات.

لكن عماد عبد اللطيف يظل متشائما بشكل عام؛ خاصة مع ما يسميه "الخوف الأكاديمي" الذي يسيطر على مجموعة من الأكاديميين والباحثين، خاصة بعد حالات الاغتيال العديدة التي تعرض لها عدد منهم خاصة في العراق وليبيا، وكذا حالات الفصل من العمل، والمضايقات التي تصل حد تلفيق التهم والزج بهم في السجون في دول أخرى، ما يجعل عددا منهم يحجم عن تحليل الخطاب السياسي العربي خاصة من الزاوية النقدية. وما يزيد من هذه النظرة هو التراجع النسبي لمكانة الخطاب السياسي في مجموعة من الدول العربية وقدرته على حسم الصراعات السياسية، خاصة بعد أن أصبحت البندقية هي لغة التواصل الأولى وليست الكلمة، وذلك بعد سيطرة أنظمة عسكرية أو شبه عسكرية على مقاليد السلطة في بعض الدول[37]، وعودة الممارسات الأوتوقراطية التي اختفت خلال السنوات الأولى للربيع العربي.

ويترتب عن غياب الحريات الأكاديمية وتجنب الكثير من الباحثين في الجامعات العربية دراسة وتحليل الخطاب السياسي العربي تحليلا نقديا، انغماس الخطاب السياسي العربي في الرطانة والإطناب، وترسيخ صورته كخطاب "ميتافيزيقي" بالمعنى الكانتي للمفهوم، أي خطاب يقارب موضوعه بالتصور المجرد، إنّ الخطاب السياسي العربي المعاصر يكبت الفعل لصالح القول[38].

وفي هذا الصدد يتفق عماد عبد اللطيف مع دراسات انتهت إلى أن قداسة اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم، وامتلاكها لتأثير عاطفي خاص، واستعانتها بالحجج اللغوية والقيمية والتاريخية لجذب انتباه الجماهير وكسب تعاطفهم، أمور ساهمت في جعلالخطاب السياسيالعربي الحديث مشبعاً بألوان من المجاز والتشبيه والطباق والميل إلى التكرار والتعقيد، وتفضيل الرموز وضرب الأمثلة، وعقد المقارنات بين ما يجري الآن وما وقع في التاريخ الإسلامي[39].

وبعد كل هذا يصل الدكتور عماد عبد اللطيف إلى قناعة مفادها أن المجتمعات العربية تعيش أزمة خطاب سياسي وديني وثقافي، تكمن أهم أسبابها

[37]عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق": ص.126.

[38]عمار علي حسن، مرجع سابق.

[39] المرجع نفسه.

في نوع التعليم الذي يخضع له الدارسون في العالم العربي، الذي لا يطور فيهم قدرات التفكير الناقد التي تمكن من المراجعة والتحليل والمساءلة والتقييم. فيسهل التلاعب بأفكارهم وعقولهم بواسطة الخطابات العمومية، بهدف إخضاعهم بشكل طوعي لهيمنة الأنظمة الاستبدادية، خاصة تلك التي هبت عليها نسائم الربيع العربي، ثم تحولت هذه النسائم إلى رياح جليدية.

ويؤكد عماد عبد اللطيف على أن اعتماد الخطابة العربية على المرجع الديني كأداة للإقناع السياسي يعد من الأسباب الرئيسية لأزمة الخطاب السياسي العربي،وهو ما يطرح إشكالية حقيقية تتعلق باستمرار المرجع الديني كمكون أساسي للخطاب السياسي منذ بداية الدولة الإسلاميةإلى الآن. فالعلاقة بين الخطابين الديني والسياسي متجذرة في مجتمعاتنا العربية منذ آلاف السنين،حتى أن فكرة الحاكم الإله تمتد بجذورها في حضارات بلاد الرافدين ومصر القديمة إلى أكثر من ستة آلاف عام. ويدرك السياسيين العرب جيدا أن الخطاب الديني يمنحهم قدرات هائلة للتأثير على الناس، أهمها القدرة على فرض الصمت. ونادرًا ما تستدعي خطاباتهم الدينية القيم الإيجابية في الدين، بقدر ما تستهدف بناء صورة رمزية للحاكم تجعله «ظلاً» للإله على الأرض[40].

لكن عماد عبد اللطيف يظل مع ذلك متمسكا بالأمل فيإمكانية ظهور دراسات نقدية جدية للخطاب السياسي العربي، تتميز بجدتها ومنهجيتها العلمية الرصينة، وهو ما سيساهم مستقبلا في ظهور خطابات سياسية عربية واعية تراعي الوازع الأخلاقي وتستهدف الإنسان كغاية وليس كوسيلة لتحقيق مصالح سياسية ضيقة. وفي هذا الإطار فانه بإمكان الساسة العرب الإقتداء برئيسةوزراء نيوزيلندا جاسيندا أرديرن التي ألقت سنة 2019 خطابا إنسانيا مناهضا للعنصرية والتطرف[41].

خاتمة

يمثل الدكتور عماد عبد اللطيف بأعماله ومؤلفاته الغزيرة والقيمة فخرا كبيرا لكل الدارسين العرب للخطاب السياسي، وقد أهلته ثقافته السياسية العميقة ودرايته الكبيرة بمجالي الدين والتاريخ ليكون متميزا عن غيره من المهتمين بتحليل الخطاب السياسي، خاصة في ظل منهجيته العلمية الرصينة وحسه النقدي المتميز.

وقد ساهمت مؤلفاته في ترسيخ مقاربة علمية نقدية للخطاب السياسي العربي، كما حاولت أعماله تطوير البلاغة من خلال مشروع البلاغة النقدية، ويمكن القول بدون مبالغة أن عماد عبد اللطيف قد أسس حقلا معرفيا في مجال

---

[40] عماد عبد اللطيف، **"المزج السلبي بين الخطابين الديني والسياسي مسؤول عن كثير من أزماتنا السياسية الراهنة"، مرجع سابق.**

[41] عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق، ص.14.

دراسات التواصل هو "بلاغة الجمهور"، يختص بدراسة العلاقة بين تشكل الخطاب السياسي وآدائه وتداوله من جهة، وبين استجابات الجمهور من جهة أخرى.

ومن خلال مجموعة من أعماله يدافع عماد عبد اللطيف عن "البلاغة الواعية" التي تؤسس لخطاب سياسي يتميز بالمصداقية ويستحضر الجانب الإنساني والأخلاقي. كما يؤكد على أن "الصناعة اللغوية"تعد مكونا أساسيا من مكوناتالخطاب السياسي، حيثيستحيل عزل السلطة السياسية عن السلطة اللغوية، ويصعبتحقيق أهداف الخطاب السياسي المتمثلة في إقناع الجمهور والتأثير فيه دون توظيف اللغة.

في النهاية يمكن القول أن الدكتور عماد عبد اللطيف يأمل من خلال مؤلفاته أن تمد الجسور بين "البلاغة السياسية" وبين الحقيقة، حتى لا تبقى البلاغة أسيرة أنظمة سياسية فاسدة وأداة في يد رجال الدولة تخضع لهواهم ورغباتهم. وينادي في هذا الإطار ببلورة "خطابات سياسية أخلاقية" تعوض الخطابات السياسية التضليلية التي تعبد الطريق أمام المدافع والصواريخ والدبابات. كما يتمنى أن يتوقف الخطاب السياسي عامة والعربي بالخصوص عن تبرير القسوة وتزييف الكلمات.

المراجع والمصادر

- أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات ودار القلم، بيروت، 1979.
- عمادعبداللطيف، تحليلالخطابالسياسي: البلاغة،السلطة،المقاومة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2020.
- عماد عبد اللطيف، ضد البلاغة: الخطابة والسلطة والتضليل عند أفلاطون، دار العين للنشر، القاهرة، 2017.
- عماد عبد اللطيف، البلاغة والتواصل عبر الثقافات، سلسلة كتابات نقدية، رقم 208، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2012.
- **عماد عبد اللطيف،** لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن، دار العين للنشر، القاهرة، 2009.
- عماد عبد اللطيف، الأزهروالسلطة: تحليل الخطابالسياسيفيزمنالأزمة (مقدمة كتاب). في:بسمة عبد العزيز،سطوة النص: خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، الجيزة، 2016.
- عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي: التاريخ والمناهج والآفاق"، البلاغة وتحليل الخطاب، عدد 6، 2015.

- عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب التراثي: إطار نظري ونموذج تطبيقي"، مجلة الخطاب، عدد 14، 2014.
- عماد عبد اللطيف، " موقف أفلاطون من البلاغة من خلال محاورتي "جورجياس" و"فيدروس" "،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 5، عدد 3، أكتوبر 2008.
- عماد عبد اللطيف، **"المزج السلبي بين الخطابين الديني والسياسي مسؤول عن كثير من أزماتنا السياسية الراهنة"**، حوار أنجزه الدكتور مصطفى شميعة،الاتحاد الاشتراكي، 26 أبريل 2019.
- عمار علي حسن، "كيف وظف الخطاب السياسي العربي الدين والبلاغة؟"، حفريات، 7 غشت 2018.<https://www.hafryat.com/ar/>(02/10/2019)
- ميشيل دوريتشر دون، الديمقراطية في الخطاب السياسي المصري المعاصر، ترجمة عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

إشكالية تدريس البلاغة العربية

الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية
ـ عماد عبد اللطيف أنموذجا ـ

نصيرة شيادي
جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان ـ

توطئة:

إنّ الحديث عن البلاغة العربية هو حديث عن الأدب والجمال والذوق والحس المرهف، وبراعة الأسلوب. والرهان الذي يجب ربحه في تدريسها في جامعاتنا ومدارسنا هو إيجاد الطرق والوسائل التي تسمح وتُحفّز المتمدرس على تعزيز مهارات النقد والإبداع والتواصل؛ ولذلك تسعى الجامعة ومعاهد اللغة العربية إلى تطوير طرق التدريس، وقد حظيت الجامعة في الدول العربية بهذا السبق خاصة بتطبيق نظام (ل.م.دL.M.D) الذي يهدف إلى التماشي مع الحاجات العلمية والعملية للطالب وتكوينه تكوينا يحقق الكفاءة والإبداع والتواصل.

وتأسيسا على ما سبق تهدف هذه الدراسة إلى التطرق إلى تعليمية البلاغة العربية في الجامعة العربية بطريقة جديدة ابتكرها الدكتور عماد عبد اللطيف بعدما سار وجال في كتب تراثية ومعاصرة تطرّقت لموضوع تدريس البلاغة العربية.

تفحّص عماد عبد اللطيف طُرق تدريس البلاغة العربية للطلبة حاليا ووجد أنها طرق توصف بالنمطية والتقيد بالقوالب الجاهزة فحاول مواكبة التقنيات التعليمية الحديثة في سياق البلاغة الجديدة Nouvelle Rhétorique التي تعرف عند الديداكتيكيين الإنجليز بالبلاغة الإنتاجية Rhétorique de la productivité التي تمكّن الطالب من تمرّس وتذوّق فنون البيان وتفعيله تفعيلا دامجا Activate incorporatin بوصفها أحد مرتكزات الفكر النقدي والحس الأدبي، وإتقان الهندسة البلاغية Ingénierie rhétorique ومن ثمّ إنتاج نصوص أدبية محكمة في معمارها، بليغة في أساليبها وتعابيرها، غنية في معانيها وبذلك تتحقق الكفاءة التوصيلية الإنتاجية التي تهدف إليها العملية التكوينية في الجامعة.

لقد شغل حُلم تطوير البلاغة العربية مساحة رحبة من وعي أجيال متواصلة من الباحثين العرب؛ بداية من محاولات تحديث دروس البلاغة التعليمية في الأزهر الشريف على يد الإمام محمد عبده مرورا بتحديث مسائل العلم ومنظوراته، كما تجلّت في كتابات أحمد ضيف وأمين الخولي وسلامة موسى وصولا إلى مُحاولات تحديث البلاغة بواسطة دمجها مع النقد الأدبي وعلم الأسلوب وعلوم الاتصال والتأويليات في السبعينيات والثمانينيات والتداولية والسيميوطيقا وعلم النص وتحليل الخطاب في تسعينيات القرن العشرين والعقد الأول من قرننا الحالي، وهي علوم أتاحت للبلاغة أن ترفل في بريق الموضة الأكاديمية الذي يجذب الأبصار ويُغوي العقول.

كان طموح تحديث البلاغة يستند إلى وصفة تقليدية للتحديث صاغها أمين الخولي في عبارة (أوّل التجديد قَتْلُ القديم فهما) غير أنّ معايشة القديم شيء وإعاشته شيء آخر فنظرة سريعة على الإسهامات المهمة في البلاغة العربية على مدار القرن الماضي تُبرهن أنّ وصفة (قتل القديم فهما) لا تفلح ـ بمفردها ـ في إحيائه ولا تنجز ـ وحدها ـ تحديثه وبوحي من عبارة أمين الخولي يُمكن استكمال التحديث عبر فعل آخر هو امتلاك الجديد نقدا.[1]

1 ـ ماهية البلاغة:

إنّ البلاغة العربية هي ذلك العلم المعياري الذي" يرسم الأحكام التقييمية ويرمي إلى تعليم مادته، وموضوعه بلاغة البيان"[2]، وقد تحدّث الأستاذ عشير عن البلاغة حديثا راقيا، فقال" لقد عادت البلاغة اليوم، وتباينت وجهات نظر المشتغلين بقضاياها كما حفل تاريخها الطويل بالصراع المحتد باعتبارها فنا للتعبير أو فنا للإقناع، تجاذباها بشكل مستمر وحاد، فحين يتسع مجال النقاش الديمقراطي يهيمن كفن الإقناع (أرسطو محاكم أثينا، ومجالس الشعب) وحين يتقلص مجال الحريات ترتكن في الأديرة والمعابد كفنا للتعبير والإعجاز(البلاغة العربية والبلاغة الكلاسيكية في عهد سلطة الدين (كاثوليكية)"[3]

وبالتالي، البلاغة نشاط يجمع بين العلمية والفنية ولذلك لا يعقل أن تدرّس على أساس أنها مجموعة من القواعد الصارمة يجب أن يتبعها المتمدرس فيكون بذلك استوفى درس البلاغة وأتقنه، وإنّ هدف علم البلاغة يتمثل في خلق الإبداع إذ يعتبر الكفيل الوحيد لعملية الإخراج الفني بحيث يعمل على" طبع الكلام بطابع الإحساس الجمالي الذي لا يغيب أثره عن الإنتاج الذي يتوخّى منه صاحبه أن يكون إنتاجا فنيا، فلا يكون الكلام بليغا إلا إذا أخذ من الألوان البلاغية ما يحصل به مقاصده الفنية التعبيرية والنفسية والاجتماعية وما إلى ذلك."[4]

2 ـ تدريس البلاغة:

أ ـ ماهية التدريس:

إنّ التدريس هو عملية تواصل بين المعلم والمتعلم، ويعني الانتقال من حالة عقلية إلى حالة عقلية أخرى حيث يتمّ نموّ المتعلم بين لحظة وأخرى نتيجة تفاعله مع مجموعة من الحوادث التعليمية التي تؤثر فيه، فهو بحدّ ذاته نشاط وعلاقات إنسانية متبادلة بين المدرس والطالب تحدث داخل الصف من خلال طرح الآراء ووجهات النظر، وبالتالي الوصول إلى الأهداف المطلوبة لإنجاح

1ـ توماس أ.سلوان، موسوعة البلاغة: تحرير، ترجمة: نخبة، إشراف وتقديم: عماد عبد اللطيف، مصطفى لبيب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016م، 1/ 11 - 12.

2ـ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية: الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1977م، ص53.

3ـ عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج مقاربة تداولية معرفية: رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، 2000م،ص14.

4ـ الطاهر قطبي، التوجيه النحوي للقراءات النحوية في سورة البقرة: ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1991م، ص2.

عملية التعلم، ونجاح التدريس يعتمد على الأسلوب التعليمي المتّبع إلى جانب اعتماده على محتوى المادة الدراسية وأهمية الأسلوب لا تقلّ عن أهمية محتوى المادة الدراسية.[5]

ب ـ تدريس البلاغة:

لا يقلّ تدريس البلاغة أهمية عن تدريس الأدب، فالدرس الذوقي للبلاغة أمر له خطره فإن لم يكن للمدرس إحساس متوقد بجمال النصوص يشعّ بحرارته على فهم طلبته وذوقهم يُصبح الدرس البلاغي جامدا يتوقف عند استيعاب المصطلح البلاغي. وإذا ما كانت للبلاغة من وظيفة فهي الإمتاع والإقناع وترقيق الوجدان وتهذيب السلوك، ولكي يتذوق الطالب الجمال في العمل الأدبي تذوقا كاملا ويُحسّ بكل ما أراد الأديب أن ينقله إليه من عواطف وأفكار ودلالات يجب أن يعرف الوسائل التي هيأت للأديب ذلك والبلاغة هي العلم الذي يزوده بالمعرفة هذه الوسائل التي يستعين بها الأديب في تعبيره، وتساعده على أن يتذوق العمل الأدبي أو يتجه نحوه إذا ما توافرت له القدرة الفنية التي تهيأت للأديب.

والبلاغة وسيلة عقلانية للإقناع الفكري، فهي لا تنفصل بين العقل والذوق، ولا بين الفكرة والكلمة، ولا بين المضمون والشكل، فالكلام كائن حي روحه المعنى وجسمه اللفظ، فإذا فصلنا بينهما أصبح الروح نفسا لا يتمثل والجسم جامدا لا يحس.[6]

لقد حاول الدكتور عماد عبد اللطيف استكشاف تاريخ تدريس البلاغة في أقطار العالم العربي، وفحص واقعه، كما اقترح خطّة مستقبلية لتجاوز مشكلاته فركز على جملة الأسئلة التالية من نحو كيف درّست البلاغة قديما وحديثا؟ وما توجّهات البحث في تدريسها؟ وما واقع تدريسها في الوقت الراهن؟ وما المقترحات التي يمكن أن تؤدي إلى تطوير تدريسها؟[7]

أولا: إطلالة تاريخية حول تدريس البلاغة:

يؤكد الدكتور عماد عبد اللطيف أنّ أخبارا متنوعة وصلت بشأن كيفية تدريس علم البلاغة في الحضارات القديمة ويُقرّ أنّ المعلومات ثرية تتّسم بالاختزال والعمومية فيما يتعلق بتدريس البلاغة في مصر والصين القديمتين على خلاف المعلومات التفصيلية المدققة التي وصلت بشأن تعليم البلاغة اليونانية القديمة.

وبعد بحث مستفيض مقرون بنصوص وشواهد يُقرّ الدكتور عماد عبد اللطيف أنّ المعلومات المهمة التي وردت بشأن تدريس البلاغتين المصرية والصينية لا تقدم أيّ صورة واضحة لتدريس هذا العلم وعلى خلاف ذلك تركت

---

[5]ـ سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق: دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص 39.

[6]ـ المرجع نفسه: ص 46 - 47.

[7]ـ عالم الفكر، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، عماد عبد اللطيف:8.

الحضارة اليونانية تسجيلا شاملا لتدريس علم البلاغة. ويعلل الدكتور عماد إلى أمرين: أولهما قربُ العهد نسبيا بهذه الحضارة التي نشأت بعد أن قدّمت الحضارة المصرية أهم منجزاتها والثاني هو المكانة المحورية التي شغلها علم البلاغة في بنية المعارف اليونانية القديمة.

وهنا يُقرّ الدكتور عماد عبد اللطيف أنّ البلاغيين اليونانيين أولوا جزءا من اهتمامهم لتأمل ممارسات تدريس علم البلاغة فاعتمدوا طرق تدريس مختلفة لبلاغات مختلفة،[8] كما وتوصّل البلاغي عماد عبد اللطيف إلى أمرين بخصوص تدريس البلاغة عند اليونانيين:

- الأول: أنّ تدريس البلاغة اليونانية منذ نشأتها كان مدفوعا بأغراض عملية حياتية مباشرة ولم يكن نشاطا متعاليا، أو مفارقا للواقع وعلى الرغم من ضرورة الوعي بالمشكلات المترتبة على الطبيعة النفعية للبلاغة فإنّ استعادة هذا البعد العملي لعلم البلاغة ضرورة في زمن يشهدُ نزوعا متواصلا نحو سدّ الفجوة بين المعارف التي يتعلمها البشر وحاجات المجتمعات التي يعيشون فيها.

- الثاني: أنّ طريقة تدريس السفسطائيين البلاغية قديما كانت تقوم على بناء نموذج تعليمي يُحاكي ظروف الواقع المستهدف من تعلم البلاغة، فمتعلّموا الخطابة القضائية كانوا يخوضون تجربة تقاضي مماثلة لوقائع التقاضي الفعلية، ومن الجليّ أنّ مثل هذه الصلات بين البلاغة والواقع في حاجة إلى استعادة شاملة.[9]

وفي وقت لاحق التحم بهذا البعد العملي التداولي للبلاغة بُعد جمالي يُقرن البلاغة بالأدب، فأنشأت مدارس مستقلة لعلمي النحو والبلاغة، وكان التحاق التلاميذ بالمدرستين يتمّ وفقا لتتابع زمني إذ يقضون سنواتهم المبكرة في مدارس النحو، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى مدارس البلاغة. ويصف الجنيدي دراسة التلاميذ في المدرستين على النحو الآتي" بعد أن يتعلّم الطفل القراءة ينتقل إلى مدرسة النحويين بهدف التعمق في دراسة اللغة والأدب... وينقسم التدريس عادة إلى ستة أجزاء: القراءة الجهرية وتشمل فهم العروض الشعري والتعرف على الصور البلاغية في النص وشرح معنى الكلمات نادرة الاستعمال والإشارات التاريخية، وبناء أصول الكلمات، والتدرب على روابط الأفعال، ونقد الشعراء وأشعارهم من منظور النحويين"[10].

وكان التلاميذ ينتقلون إلى مدارس البلاغة ليدرسوا تقنيات كتابة النثر، والحجاج، والإسهاب، والمحسنات البلاغية بما فيها الصور البلاغية. واختصّت مدارس البلاغة بتعليم الطلاب أسس النظرية البلاغية، وتفاوتت طرق التدريس

---

8 تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، عماد عبد اللطيف، ص 10.

9ـ المرجع نفسه: ص 12.

10نفسه، ص 12نقلا عن: Kennedy,G.A.A new history of classical rhetoric, princeton university press, P 27-28.

بين الاعتماد على كتاب مدرسي أو تقديم محاضرات شفهية، وترك الطلاب يدونون ملاحظات بشأنها،[11] . وكان المعلمون يطلبون من التلاميذ ممارسة الخبرات التي اكتسبوها في الصف؛ كأن يُطلب منهم كتابة خُطب في موضوعات محددة وعرضها على الأساتذة لتصحيحها ثم حفظها عن ظهر قلب لإلقائها في الفصل.[12] .أمّا بخصوص تدريس علم البلاغة في التراث العربي يقرّ عماد عبد اللطيف بعدم وصول معلومات دقيقة بشأن كيفية تدريسها، فقد عرف العرب أشكالا من المدارس النظامية في دمشق، وبغداد، والقاهرة، وفاس، وغيرها من الحواضر العربية، وكانت البلاغة علما من علوم العربية، وعلم آلة من علوم القرآن، ومبحثا من مباحث الفلسفة وعلم الكلام؛ أي أنها كانت إحدى أكثر المعارف استحواذا على اهتمام الباحثين في عصر ازدهار الحضارة العربية، ومع ذلك فإنّ كيفية تدريسها للطلاب لم تكن موضوعا للبحث والاستقصاء[13].

إنّ العرب قبل اختراع علم البلاغة بزمن طويل أنشدوا شطرا من أجمل قصائدهم، وألقوا بعض أروع خطبهم، وأوعظ وصاياهم، وحكمهم وفي مرحلة لاحقة كان الطلاب يدرسون أدقّ وأشمل تصور للبلاغة العربية القديمة ممثلا في بلاغة السكاكي(626هـ) لكنهم لم يُنتجُوا إلاّ أكثر النصوص ضحالة وتكلّفا[14] ولكن هذا لا يمنعنا من القول إنّ التراث العربي لا يعدم من وجود إشارات إلى تعليم المهارات البلاغية؛ ذلك أنّ المتكلمين هم أول من وضعوا أصول علم البلاغة، وتركوا كتبا في تعليم طرق الحجاج والجدل، غير أنها لم تدخل في التراث الرسمي لعلم البلاغة كونها كانت دروسا شفهية، ولم تؤسس تقاليد تعليمية.

وهنا يتوصل الدكتور عماد عبد اللطيف إلى حقيقة مفاذها أنّ علم البلاغة ـ وهو أحد أكثر العلوم معيارية في التراث العربي ـ لم ينظّر له معياريّا لتدريسه في عصره الذهبي القديم، والتراث العربي لا يكشف أنّ البلاغيين العرب أولوا موضوع تدريس البلاغة عناية كبرى، فلم يكتبوا عن ممارسات تدريسها، وإن عنوا في مفتتح كُتبهم دوما بغاية تدريسها وعلى خلاف ذلك فإنّ العرب المحدثين اهتموا بقضايا تدريس البلاغة[15].

ثانيا: تعليم البلاغة في العصر الحديث

لقد قُدّمت مراجعة نقدية لمحتوى البلاغة ومناهجها في دول المشرق العربي؛ وذلك تحت وطأة الصدمة الحضارية التي عاشها العرب منذ أواخر القرن الثامن عشر، لكن نقد طرق تدريس البلاغة لم يحظ بعناية مماثلة،وفي هذا الصدد

---

[11] تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل: 12 - 13نقلا عن: Kennedy,G.A.A new history of classical rhetoric, , P 27-28.

[12]ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[13]ـ المرجع نفسه، ص13.

[14]_ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[15]ـ المرجع نفسه،ص 15 - 16.

يميّز الدكتور عماد عبد اللطيف بين نوعين من البحوث المعنية بتدريس البلاغة في الوقت الراهن، الأول بحوث تعالج تدريس البلاغة فيما قبل الجامعة والثاني بحوث تخصّ تدريس البلاغة في المرحلة الجامعية[16].

قدّم عماد عبد اللطيف مراجعة نقدية للمنجزين، وعلى إثر هذه المراجعة قدّم دراسة ميدانية تعكسُ واقع تدريس البلاغة العربية والتي على أساسها قدّم رؤية حداثية لتدريس البلاغة العربية.

بعد الدراسة الميدانية التي أجراها الدكتور عماد عبد اللطيف حول ما يُدرّس في مقرر البلاغة في الجامعة توصّل إلى أنّ شطرا من تدريس البلاغة العربية لا يزال يُنجز عبر النصوص القديمة من دون معالجة وسيطة. يقول" ما يلفت الانتباه ـ فيما يتعلق بالمقررات التي تدرّس في مقرر البلاغة ـ أنّ البلاغة تدرّس من خلال كتيبات حول علوم المعاني والبيان والبديع من تأليف الأساتذة، وهو ما يعني أنّ هناك توسّعا في الاعتماد على الكتب التعليمية التي يعدّها الأساتذة والتي تتضمّنُ عادة صيغا مختزلة من كتاب الإيضاح للقزويني..."[17]

وعن حضور البلاغة الحديثة والمعاصرة يذكر الدكتور عماد عبد اللطيف أنّ ما تمخّض عنه الاستبيان الذي أجراه محدودية حضورها قياسا إلى البلاغة التراثية القديمة. فالنصوص الأدبية تغلب على تدريس البلاغة، كما وتحظى النصوص المقدسة(القرآن الكريم، والحديث النبوي) بنصيب في تدريسها في حين تقتصر نسبة النصوص الاجتماعية والسياسية والقانونية على نسبة ضئيلة جدا مما يُفضي إلى ارتباط تدريس البلاغة وعلى نحو مباشر بالنصوص الدينية والأدبية ـ النصوص العليا ـ يقول" وعلى الرغم من أنّ البحوث البلاغية المعاصرة تشهد اهتماما متزايدا بالأبعاد التداولية للبلاغة، وتنفتح شيئا فشيئا على خطابات الحياة اليومية فإنّ التحول في مدونة البحث لم ينعكس على مدونة التدريس بالقدر الكافي."[18]

وفي إطار تحديد طرق تدريس البلاغة في الجامعة توصل الدكتور عماد عبد اللطيف إلى أنّ المحاضرات الشفهية هي الوسيلة المستعملة لتدريس البلاغة، وثمة ثلاثة توجهات نحو تدريسها، يتبنى أولها تدريس البلاغة القديمة بقضها وقضيضها من مصادرها المباشرة لتكون عملية التدريس أشبه بحاشية جديدة على النص القديم في حين يتبنى الثاني تقديم متن البلاغة القديمة بعد تحريره، ويتجلى في أعمال حافظت على مسائل البلاغة القديمة، وسعت إلى إحداث تغييرات في طريقة تقديمها إلى القراء المحدثين بهدف تيسيرها، وتبسيطها وقدمت مقترحات لإنجاز هذا التيسير والتبسيط تتصل بتقليص المحتوى البلاغي أو التعبير عنه بلغة

---

16 تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 16 ـ 17.

17ـ المرجع نفسه : ص22.

18ـ المرجع نفسه: ص 23.

شارحة مبسّطة وفي مقابل ذلك يُجري أصحاب التوجه الثالث تغييرات جذرية على متن البلاغة القديمة، وإن كان يحافظ على جوهرها الأساسي، وعادة ما تأتي أعمال هذا الفريق في إطار مشاريع تحديث البلاغة مثلما يتجلى في أعمال أمين الخولي، ومحمد العمري.

ولكن رغم التأثير الهائل الذي أحدثه مشروع الخولي إلاّ أنّ مآل مشروعه مع طلابه كان عصيا على الفهم، إذ سرعان ما ارتدّ تلامذته ممّن درّسوا البلاغة من بعده إلى تدريس الإيضاح مرة أخرى[19].

<u>3 ـ رؤية مستقبلية لتدريس البلاغة العربية الإنتاجية وتنمية الذائقة الجمالية:</u>

إنّ لتدريس البلاغة العربية أهمية كبيرة فهي تعلّم المتعلّم الأداء الرفيع وصناعة الأدب، وتُسهم في تكوين الذوق الأدبي وتنميته كما أنها تبصر بالصفات التي تكسب النص الأدبي رفعة وسُموّا إذ تشكل الجانب الموضوعي في عملية النقد.[20]

وفي السياق نفسه يقول عبد المنعم سيد عبد العال" دراسة البلاغة في قواعد وتعاريف بأسلوب علمي نظري انحراف عن الهدف الأساسي من دراستها، وهو إدراك ما في النصوص الأدبية من أساليب توضح انعكاس الأحداث في الأديب ولذلك يجب أن تربط عند دراستها بالأدب، وأن يتّخذ الجيد من مختارات الشعر والنثر أساسا التي يعتمد عليها في معرفة أوجه البلاغة"[21]

وفي هذا الصدد يقترح الدكتور عماد عبد اللطيف مقترحا يخصّ تدريس البلاغة للطلاب الجامعيين في أقسام اللغة العربية أو ما يوازيها وهو لا يصلح لتدريس طلاب ما قبل الجامعة، وهذا المقترح أدلى به بعدما بحث في تاريخ تعليمية البلاغة العربية، وكشف عن نمطية امتدّت مناهجها وطرقها وحدود تعليمها إلى مناهجنا التعليمية الحالية ولذلك رأى من الضرورة بمكان مراجعة المناهج والنظر فيها بعين المتفحّص المراجع والمحاول المجدّد.

لقد رُصدت عدة محاولات لتحديث الدرس البلاغي منذ مطلع القرن العشرين، فقد تبنى هذه المحاولة محمد عبده حيث سعى إلى التجديد والاجتهاد فوق ما توصل إليه السكاكي(6هـ) الذي نحا بالبلاغة إلى رياضة عقلية، فراح يقدم دروسه في الأزهر[22]، كما نجد جهود عبد العزيز البشري وأمين الخولي الذين اجتهدوا في تحديث الدرس البلاغي من خلال ابتكار طرق منهجية للخروج من النمطية القديمة واقتراح طرق تتماشى مع روح العصر، وتطلب روح الأدب.

---

[19] تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل،ص 24 - 36.

[20]ـ إبراهيم محمد عطاء، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية: دار النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1986م، ص29.

[21]ـ عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب، القاهرة، دط،، ص 141.

[22]ـ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ص 12.

رغم تطور المناهج وطرق التدريس واستحداث مقاربات جديدة تعتمد على البعد الوظيفي المقرر في الوثائق الرسمية والممنوحة للأساتذة إلاّ أنّ الدرس البلاغي القديم بقي يمارسُ سلطته في دور التعليم ولم يتخلص من نمطية معهودة مكرسة، وإن اختلفت الواجهة أو الملامح فالمضمون النمطي حاضر مشخصا في هذه الطرق الموظفة حاليا في قاعات جامعاتنا شكلا ومضمونا وممارسة خاصة في قسم اللغة العربية وآدابها، إذ ما زال الأستاذ يتّبع الطريق نفسها التعريف بالفن البلاغي وأقسامه ثم الأمثلة واستنتاج القاعدة وإعطاء تطبيقات جافة تعتمد على التكرار وتكرار المعهود دون إثارة الجوانب التذوقية والإبداعية لدى الطالب، وكشف شخصية المبدع فيه من خلال دفعه إلى إنتاج الفقرات والمعاني البلاغية والاقتداء بالفنون البلاغية المدروسة.[23]

وتزيد المشكلة تفاقما لارتباط الدرس البلاغي في جامعاتنا بمقاربة النصوص الأدبية وتفحصها ونقدها، إذ من الوسائل والآليات التي لا بد أن يمتلكها الطالب العدّة البلاغية وهذا ما دعا له الدكتور عماد عبد اللطيف فلهذه الأخيرة وظيفة مهمة لا غنى عنها أبدا في منظومة النقد ومفاهيمه. فالطالب لا يمارس البلاغة بل يلقّن البلاغة، فسرعان ما ينقضي ويزول أثر هذا التلقين إذا أراد ممارسة العملية النقدية؛ لذلك تطرح منهجية حديثة في تدريس البلاغة تسمى بالبلاغة الإنتاجيةRhétorique de la productivité التي تُمكّن الطالب من تمرّس وتذوّق فنون البيان وتفعيله تفعيلا دامجا بوصفها أحد مرتكزات فكره النقدي وحسّه الأدبي وإتقان فن الهندسة البلاغية ومن ثمّ إنتاج نصوص أدبية محكمة في معمارها، بليغة في أساليبها وتعابيرها، غنية في معانيها، وبذلك تحقيق الكفاءة التواصلية التي تهدف إليها العملية التكوينية في جامعاتنا.

إنّ الرؤية الحداثية التي يقترحها عماد عبد اللطيف لتدريس البلاغة العربية في الجامعة تجعل الطالب ينتج كلاما بليغا اعتمادا على ما درسه ثم مطالبته بإنتاج فقرات وتقديم عروض شفهية على غرار ما أخذ كمرحلة أولى وإذا تمّت بنجاح يطالب الطالب بتحليل النصوص البلاغية ويتدرب على مهارات تقييم النصوص من خلال النقد البناء المستند على معايير الإنتاج والتحليل والتقييم.

الدكتور عماد عبد اللطيف قبل أن يقدّم مقترحه الخاص بتدريس البلاغة العربية يحيلنا إلى المرجع الأساسي الذي استند عليه في بناء مقترحه ألا وهو كتاب (ما البلاغة؟) لمجدي توفيق هذا الأخير الذي يقدم مدخلا متميزا لدراسة البلاغة في المستوى الجامعي ولكنه لم يناقش سُبل التعامل مع صعوبات المحتوى البلاغي، ولم يتطرق المؤلف أيضا إلى الصعوبات الخاصة بتدريس علم البلاغة أو تقييمه أو السياق التعليمي، أو العلاقة بين العلم والواقع.[24]

---

[23]- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1988م، ص25.

[24] تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 37.

أ ـ أهداف المقرر:

يقول الدكتور عماد عبد اللطيف إنّ هذا المقرر يسعى إلى تجسير الفجوات القائمة في المقررات الراهنة في تعليم البلاغة وذلك بواسطة:[25]

ـ إعادة صياغة هوية علم البلاغة بوصفه علما يوفر مقاربات، ومناهج لتحليل الإقناع، والتأثير والجمال في النصوص والخطابات العليا والحياتية ونقدها، ويوفر تدريبات عملية لتعزيز القدرة على إنتاج خطابات ونصوص تتمتع بالإقناع، والتأثير، والجمال.

ـ إبراز البعد التاريخي لعلم البلاغة من خلال رصد مراحل تطوره منذ الألفيات السابقة على الميلاد حتى الوقت الراهن.

ـ إبراز البعد الثقافي والاجتماعي لعلم البلاغة من خلال ربط مسائله وقضاياه ومنهجياته بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهرت فيه.

ـ إبراز الطابع المهاري لتدريس البلاغة بواسطة الاهتمام بإكساب الطلاب حزمة من المهارات البلاغية وثيقة الصلة.

ـ تدريس البلاغة بوصفها معرفة عبر تخصصية ترتبط بعلاقات وثيقة مع علوم التواصل، واللغة، والأدب، وعلم النفس، والاجتماع، وغيرها.

ـ الاحتفاء بالتعدد العلاماتي للرسائل البلاغية، ودراسة الأبعاد البلاغية للصور، والألوان، والأصوات، وغيرها.

ـ الاحتفاء بتعدد المقاربات لتشمل المقاربة المعيارية، والنقدية، والوصفية.

ـ إدراج نصوص الحياة اليومية وخطاباتها في مدونة التدريس سواء في مستوى استنباط القواعد أو الاستشهاد عليها.

ب ـ وصف المقرر:

يقول الدكتور عماد عبد اللطيف إنّ مقرر البلاغة المقترح يسعى إلى إكساب الطالب معرفة نظرية أساسية بعلم البلاغة في تطوره التاريخي، وتعدده الثقافي، ووظائفه المتنوعة، ويُعنى المقرر بصقل مهارات الطلاب البلاغية، ويشمل:[26]

ـ مهارات إنتاج الخطابات البليغة بواسطة التدرب على تأليف نصوص بلاغية قادرة على إنجاز الإقناع والتأثير، وأدائها بفعالية.

ـ مهارات تحليل النصوص تحليلا بلاغيا بواسطة التدرب على إنجاز تحليلات دقيقة للظواهر البلاغية في مجموعة متنوعة من النصوص الأدبية، والدينية، وخطابات الحياة اليومية.

ـ مهارات التقييم النقدي للنصوص البلاغية بواسطة التدرب على الكشف عن طرق إنجاز الإقناع والتأثير، وآليات التلاعب البلاغي.

---

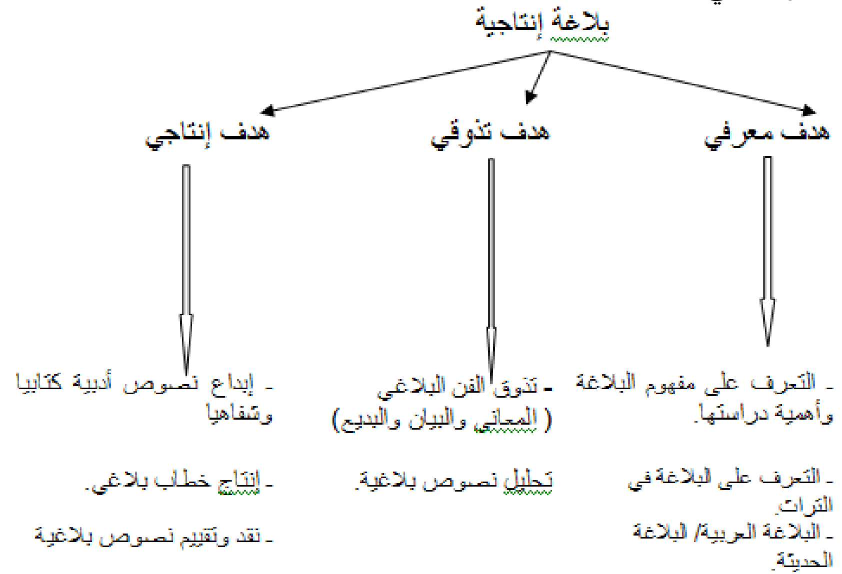
[25] نفسه، ص 38 - 39.

[26] نفسه 39.

ـ المقرر ينقسم إلى قسمين: الأول يغلب عليه الطابع النظري والقسم الثاني تطبيقي يقدم مهارات متنوعة في إنتاج الكلام البليغ وتحليله ونقده.

ج ـ جدول توزيع الوحدات والمهارات الدراسية:[27]

وبعد اطّلاعنا على محتوى المادة الدراسية الذي يقترحه الدكتور عماد عبد اللطيف يمكننا تلخيص ما يرمي إليه من خلال رؤيته الحداثية لتدريس البلاغة العربية في هذا المخطط:



باستطاعتنا القول إنّ هذا النمط من التعليم المقترح لتدريس البلاغة العربية المقترح من لدن الدكتور عماد عبد اللطيف يوجّه الطالب إلى الاهتمام بالدرس البلاغي ويتمتع بفنونه، ويلقى عنده القبول ويتشوق لمعرفة المزيد عنه بل يدفعه إلى المطالعة واستكشاف هذه الفنون وجمالية توظيفها ومن ثمّ تقليدها ومحاولة ابتكار نصوص مقاربة لها، كما تساعد على تنمية الحس النقدي الواجب توافره عند طالب الأدب العربي.

على ضوء ما قدمه الدكتور عماد عبد اللطيف نتوصل إلى الاقتراحات الإجرائية التالية بُغية تدريس البلاغة العربية بمنهجية حداثية:

ـ وضع الدرس البلاغي لمقاربة النصوص وإنتاجها.

ـ دمج الممارسة النقدية بالقضايا البلاغية.

ـ عدم الاقتصار على النصوص التراثية القديمة التي تحصر المتعلم في نمطية معينة بل يجب التطبيق على الأدب الحديث، ونصوص الحياة اليومية.

---

[27] انظر مجلة عالم الفكر من مقال بعنوان: تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 40 ـ 41.

ـ تحفيز الطالب على امتلاك الأدوات الحديثة التي من شأنها تحليل نصوص مختلفة.
ـ لابد أن يكون المحور الأول والأخير عند تدريس بلاغة النص الأدبي بما يحمل من براعة في الأداء وجمال في الصورة التعبيرية أن يكون تدريس البلاغة متصلا بالأدب؟ ذلك أنّ وصل دروس البلاغة بالأدب يصحح لنا طريقة تدريسها، ويجنبنا الوقوع في كثير من الأخطاء، فنحن مخطئون أشد الخطأ حيث نعتبر البلاغة من العلوم الآلية كقواعد النحو والصرف ونعُدّها غاية في حين هي وسيلة تعمل على تكوين الذوق الأدبي لا قواعد أو مباحث يُختبرُ فيها العقل، فالأدب والبلاغة يُستخدمان عمليا في توجيه أفكار الطالب وأعماله اتجاه تحقيق الكتابة الجيدة والخطابة البليغة.

لائحة المصادر والمراجع:

1 ـ إبراهيم محمد عطاء، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية: دار النهضة المصرية، القاهرة، دط، 1986م.
2 ـ الطاهر قطبي، التوجيه النحوي للقراءات النحوية في سورة البقرة: ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1991م.
3 ـ توماس أ.سلوان، موسوعة البلاغة، إشراف وتقديم عماد عبد اللطيف، مراجعة: عماد عبد اللطيف، مصطفى لبيب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016م، 1/ 11 ـ 12.
4 ـ رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، 1988م.
5 ـ سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق: دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004م.
6 ـ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس،1977م.
7 ـ عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج مقاربة تداولية معرفية:رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، 2000م.
8 ـ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي: دار نهضة مصر، القاهرة،
9 ـ عبد المنعم سيد عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، دط، دت.
عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ، عالم الفكر، العدد176، أكتوبر، ديسمبر، 2018م.

تدريسية البلاغة العربية

قراءة وتعقيب على مقال" **تدريس البلاغة العربية... التاريخ، الحاضر، المستقبل"**

أيوب الظهراوي[1]

لا شك أن البلاغة العربية، اليوم، بلاغة تتعافى من أزمتها التي عمرت قرونا طويلة، منذ بداية شرح مفتاح السكاكي إلى منتصف القرن العشرين، وهو تعافي يدين في جزء كبير منه إلى الجهود البلاغية الحديثة والمعاصرة التي تحاول جاهدة تجديد الدرس البلاغي، وإعادة البلاغة إلى الحياة اليومية؛ حيث تنتعش وتتطور وتفيد. غير أن هذا التعافي سيظل، لا محالة، رهينا بالكتابات النظرية الأكاديمية، ولن يجد له طريقا إلى مختلف الباحثين بالعالم العربي إلا عبر المدرسة بمختلف أسلاكها (الابتدائية – الثانوية الإعدادية – الثانوية التأهيلية - الجامعة)، فمدخل محاربة التقليد وتسييد الحداثة في أي مجتمع لا يمكنه إلا أن يمر عبر قناة المدرسة.

ولا شك أن التجديد على مستوى الدرس الجامعي يختلف كثيرا عن التجديد النظري خارج أسوار الجامعة، ذلك أن للدرس بصفة عامة، إكراهاته الزمنية، والبيداغوجية، والديداكتيكية، فالتنظير للبلاغة، ومحاولة تجديدها شيء، وتدريسها بمؤسسات التعليم شيء آخر. كما أن الشروط البيداغوجية تحضر بقوة موزعة دروس البلاغة إلى حصص مضبوطة، وتوزع هذه الحصص على زمن دراسي معلوم ومحدد لا يمكن تجاوزه. ومن ثم فإن تدريس البلاغة رهان يلزمه تضافر كبير للجهود، سواء على مستوى مضمون التدريس، أو على مستوى وعي المدرسين بصفة عامة.

في هذا السياق رصد الباحث عماد عبد اللطيف أزمة البلاغة في الجامعة العربية، محاولا أن يقدم وصفة أولية لعلاج هذه الأزمة، وصفة انطلقت من تشخيص دقيق، عبر استمارات علمية، وتقصي تاريخي لتطور تدريس البلاغة في العصور القديمة. لتقدم في الأخير مقترحا لتدريس البلاغة في الجامعات العربية، من خلال مقاله الموسوم ب" تدريس البلاغة العربية.... التاريخ، الحاضر، المستقبل.

سنحاول في هذه الورقة مساءلة مقترحات عماد عبد اللطيف، وتعميق النقاش فيها، والبحث عن مسارات جديدة تمكننا من تجديد الدرس البلاغي العربي. قبل أن نشرع فيا لمناقشة والتفاعل مع مقال الدكتور عماد عبد اللطيف، وجب أن نقدم للقارئ تلخيصا عاما لخطته في رصد الأزمة، ومبررات اختياره للمقترحات المقدمة نهاية المقال.

[1] **باحث في البلاغة وتحليل الخطاب/ جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال/ المغرب**

يحاول مقال الدكتور عماد عبد اللطيف أن يجيب عن سؤالين محوريين أهملا زمنا طويلا، وهما: كيف ندرس البلاغة؟ وما حاجات الطالب الذي يدرُس البلاغة؟ وما إمكانياته؟"[2]

للإجابة عن هذين السؤالين المركزين، انتهج الدكتور عماد عبد اللطيف خطة انطلقت من تتبع طرق تدريس البلاغة في الماضي (مصر القديمة – الصين- اليونان- العرب)، ثم تيشخيص وضعها خلال الزمن الحديث خالصا إلى أنها بلاغة جامدة ولا تستجيب لحاجيات الطلاب والعصر، ليقترح في الأخير خطة مستقبلية لتدريس البلاغة العربية في الجامعة.

إن أفضل قراءة لمقال الدكتور عماد عبد اللطيف هي القراءة الناقدة التي تسعى إلى مساءلة بعض مقترحاته، واقتراح بدائل تطور عمله، وتقطع خطوة إضافية في سياق محاولة تجديد الدرس البلاغي في الجامعات العربية. غير أننا لن نقتصر على تدريس البلاغة العربية بالجامعات فقط، بل سنشير في بعض الأحيان إلى بعض المقترحات العامة لتدريسها بالأسلاك الثانوية.

يحكم التصور الذي سنقدمه، افتراضان:

1: عاشت البلاغة أزمتها انطلاقا من انفصالها عن الإنشاء لتسكن التحليل.

2 : إعادة قراءة البلاغة والتأصيل لمفاهيم حديثة تستقي من القديم، وتؤسس للجديد، هي المدخل المركزي لتجديد الدرس البلاغي بالمؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها.

يتفق الدكتور عماد عبد اللطيف مع الصيغة التي درس بها السوفسطائيون البلاغة قديما، معتبرا أن الوجه المشرق فيها هو ارتباطها بالحياة اليومية، ف"تدريس البلاغة اليونانية، منذ نشأتها، كان مدفوعا بأغراض عملية حياتية مباشرة، ولم يكن نشاطا متعاليا، أو مفارقا للواقع..."[3]هذا المقترح الذي ثمنه الدكتور عماد عبد اللطيف حصر للبلاغة في دائرة النفعي، ولعله قد تنبه للإشكالات التي يطرحها تغليب النفعي على الدرس البلاغي، وهي إشكالات تبعد البلاغة عن الجمال، وقد تسوقها عبر مساقات غير أخلاقية على المستوى العملي. إضافة إلى ذلك نرى أن هذا التغليب رهين بقتل بلاغة التخييل، باعتبارها جزءا من البلاغة العامة. إن حصر البلاغة في المواقف اليومية الحياتية اختزال لها، وإعادة لخطوات قتل بلاغة الحجاج خلال عصور الانحطاط. ومن أجل ذلك وجب الحفاظ على التوازن بين جناح التخييل، وجناح التداول، كي تواصل البلاغة تحليقها خلال العصر المعاصر وما سيليه.

---

[2] : عماد عبد اللطيف، (تدريس البلاغة العربية: التاريخ، الحاضر، المستقبل)، عالم الفكر، عدد 167، أكتوبر- ديسمبر 2018 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص 7.

[3] : نفسه، ص 12

في نفس السياق يعتبر الدكتور عماد عبد اللطيف "أن طريقة تدريس السوفسطائيين للمهارة البلاغية قديما كانت تقوم على بناء نموذج تعليمي يحاكي ظروف الواقع المستهدف من تعلم البلاغة؛ فمتعلمو الخطابة القضائية كانوا يخوضون تجربة تقاضي مماثلة لواقع التقاضي الفعلية، ومن الجلي أن مثل هذه الصلات بين البلاغة والواقع في حاجة إلى استعادة شاملة"[4]. ولعل المتأمل في هذه الطريقة سيكشف أنها طريقة قابلة للتعميم، عبر توزيع دروس البلاغة بين لحظتين غير منفصلتين؛ لحظة التنظير ولحظة التطبيق، غير أن الأمر ليس بالسهولة التي نتصور، إذ يلزمنا مجموعة من المدرسين المتخصصين في تعليم إنشاء الخطابة القانونية، وإنشاء الخطابة السياسية، وإنشاء الشعر، والمسرح .... وهذا أمر صعب التحقق على المستوى العملي، لكن يمكن تجاوز هذا الإشكال بجعل الخطابات المدرسة موزعة على مختلف الأسلاك التعليمية، فمثلا خلال السلك الثانوي التأهيلي يمكن التركيز على تدريس بلاغة الشعر وبلاغة الخطابة خلال السنة الأولى، وبلاغة السرد مع بلاغة المناظرة خلال السنة الثانية، وهكذا دواليك وصولا إلى نهاية السلك الجامعي، مع أن هذا المقترح بحاجة إلى تدقيق آخر، إذ يمكن لقارئه أن يتساءل حول مصير الطلبة الذين سيتخصصون في أسلاك أخرى غير الدراسات العربية، فهذه الفئة ستحرم من استكمال تكوينها البلاغي. وهنا وجب التنبيه إلى أن درس البلاغة يجب أن يكون معمما على جميع الشعب والتكوينات، حتى نضمن حياة أخرى للبلاغة في مختلف الحقول المعرفية، وهو ما سيمنحنا خروجا من الاختزال المفروض من قبل نظام التخصصات. وكما قلنا سابقا يحضر الهم الديداكتيكي باعتباره عنصرا متحكما في تدريس المضامين البلاغية، لذلك أقترح اعتماد بيداغوجيا الوضعية المشكلة في توجيه المتعلمين إلى إنتاج النصوص؛ إن تخييلا أو تداولا، كما يجب أن تكون الوضعية البدئية وضعية معيشية بامتياز، وهنا يترك المجال للمدرس لاقتراح وضعيات يراها مناسبة لسن المتعلمين ومحققة للكفايات المرجوة من الدرس، إضافة إلى ذلك يمكن العمل ببيداغوجيا المجموعات على مستوى تفكيك النصوص وكشف نقط قوتها وضعفها، وفي هذا السياق ينبغي أن نقول بأن لحظة تعليم المفاهيم البلاغية لا يجب أن تنفصل عن التطبيق؛ فمثلا يمكن تقديم نص للمتعلم كنموذج للخطاب المرجو تدريسه، ونطلب منه الكشف عن نقط قوته وضعفه إن كان حجاجيا، ومواطن جماله إن كان تخييليا، ثم بعد ذلك ننطلق إلى تسمية ما استخرجه المتعلم، لتتلو ذلك لحظة مطالبته بإنتاج نص شبيه به في مرحلة أولى، وإنتاج نص جديد في مرحلة ثانية.

أما على مستوى تشخيص تدريس البلاغة العربية خلال مرحلة ما قبل الجامعي فقد أكد الدكتور عماد عبد اللطيف على "ضعف إقبال الطلاب على

[4] : عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، ص 12

تعلمها، وضعف مهاراتهم في التذوق الأدبي، وقلة الأمثلة، وجفاف المادة وجمودها، وندرة استعمال الوسائل التعليمية في تدريسها، وضعف مستوى توظيف ما يتعلمه الطلاب في حياتهم العملية "[5]. وهذا هو جوهر الإشكال، فبتأمل غير دقيق للوضع التعليمي نرى فاصلا كبيرا بين ما تعلمه المدرسة وبين ما هو موجود في الحياة اليومية، ومعنى ذلك أن المدرسة انفصلت عن المجتمع، أو أنها بطيئة في التأقلم مع محيطها. بل أكثر من ذلك فإن المدرسة اليوم أصبحت تحارب الأشكال التواصلية الحديثة، مثل لغة التواصل الافتراضي، وكأنها أصبحت محاربة لكل تطور وليست موجها له، ولا صانعة. وللخروج من هذه الأزمة نقترح إدراج محاور، بالسلكين الثانوي الإعدادي والتأهيلي، خاصين بتدريس طرق التعامل مع الخطابات المتنوعة على شبكات التواصل الاجتماعي، وطرق تقييمها، وكشف قوتها وضعفها، وبهذا نستطيع أن نضمن استمرار المحيط في المدرسة، وتوجيه هذه الأخيرة للمحيط بما يتناسب مع القيم الإيجابية التي تسعى إلى تحقيق كفاياتها لدى المتعلمين.

كما خلص الباحث إلى أن "النصوص الأدبية تغلب على تدريس البلاغة بنسبة 66 فالمائة. "[6] والحل أمام هذا الإشكال هو المزاوجة بين النصين التخييلي والتداولي تنظيرا وتطبيقا، غير أن غلبة النص الأدبي على باقي النصوص في المدرسة خاص بمهارات القراءة والتحليل، لكن إذا تأملنا المستويات الكتابية (التعبير والإنشاء) سنلاحظ غلبة مطالب الإنتاج الحجاجي على الإنتاج الأدبي، سواء في مستوى التعليم الإعدادي أو التأهيلي، فبتتبع مهارات التعبير والإنشاء بهذين المستويين التعليمين، سندرك بسرعة أن مطالب إنتاج نص حجاجي محصورة بالجدع المشترك (العلمي والمهني والتقني والدولي) في مهارة واحدة هي مهارة إنتاج نص حجاجي / مهارة الدفاع عن موقف، وبالرغم من فصل القائمين على الشأن التربوي بين المهارتين إلا أنهما تشكلان مهارة واحدة فقط. إضافة إلى ذلك نستنتج غياب المهارات الشفهية، فالمتعلم طوال مساره الدراسي لا يتعلم تقنيات إنتاج نصوص شفهية كيفما كان نوعها، ولعل السبب في ذلك مرتبط بأشكال التقييم المناسبة للمهارة الشفهية، وفي هذا السياق وجب البحث عن طرق تقويمية تستوعب النصين ؛ الكتابي والشفهي.

- تعقيب على المراجع المقترحة من لدن الدكتور عماد عبد اللطيف فيما يخص تدريس البلاغة بالجامعة المصرية.

اقترح الباحث، كما سبقت الإشارة، مجموعة من المحاور لتدريس البلاغة بالجامعة المصرية، محاور تستغرق فصلا دراسيا كاملا، مكونا من ست عشرة حصة، وقد توزعت المحاور بين الشقين النظري والتطبيقي. غير أن المتأمل في

---

[5] عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، ص 12

[6] نفسه: 23

مقترحات المحتوى ومادة الدراسة سيلاحظ أن الباحث اعتمد على مرجع أساسي في بناء التعلمات وهو كتاب "ما البلاغة؟ للكاتب مجدى أحمد التوفيقي"، هذا المرجع كتب سنة 2013 ويتضمن سبعة فصول: يتناول الفصل الأول " تعريف البلاغة"، والثاني "مشكلات البلاغة"، والثالث "البلاغة الغربية" في حين يتناول الفصل الرابع "البلاغة العربية"، أما الخامس فقد خصص ل "البلاغة المستقرة"، والسادس ل "البلاغة الحديثة،" والأخير ل "البلاغة الاتصالية". ويبدو أن مقترح الدكتور عماد عبد اللطيف في حاجة إلى مناقشة، فاقتراح تدريس البلاغة في موسم دراسي فقط يقطع امتداداتها؛ ذلك أن الدرس البلاغي يجب أن يكون حاضرا طيلة المسار الدراسي الجامعي، لأن البلاغة تخترق كل الخطابات الاحتمالية، أو كما يقول الدكتور محمد العمري، البلاغة إمبراطورية تضم إمارات مختلفة، والأصل أن يوزع الدرس البلاغي على سلك الإجازة/ الباكالوريوس وفق المقترح الآتي:

- الفصل الأول : تطور البلاغة الغربية
- الفصل الثاني: تطور البلاغة العربية
- الفصل الثالث: البلاغة الحديثة: مفهومها ومفاهيمها
- الفصل الرابع : تحليل نصوص بلاغية
- الفصل الخامس: تحليل وإنتاج نصوص بلاغية مختلفة
- الفصل السادس: إنتاج نصوص بلاغية مرتبطة بالحياة اليومية

يجد هذا المقترح مسوغاته من المبررات الآتية:

1 : وجوب مصاحبة الدرس البلاغي للطالب طيلة مساره الجامعي.

2 : إدراك نسق تطور البلاغتين الغربية والعربية مدخل لفهم التحولات التي حصلت على المستوى التاريخي ومسببات هذه التحولات.

3 : إدراك أن البلاغة تحاول الإجابة عن أسئلة عصرها، فلكل عصر نموذجه البلاغي.

4 : التدرج من استيعاب المفاهيم إلى تطبيقها إلى استعمالها إنشائيا.

5 : إدماج معارف المواد الأخرى في النسق البلاغي؛ فكما هو معلوم فإن مواد الأسلاك الجامعية متنوعة بين دراسة النقد، والسرديات، والشعر، والمسرح والسنيما.... ومن ثم فإن الطلبة سيطبقون المفاهيم البلاغية التي اكتسبوها لتحليل نصوص درسوها في مواد أخرى، وبهذا يكون للمواد المدرسة رابط ومعنى.

6: المقترح يراعي مبدأ التدرج في تدريس البلاغة.

ثم إن اقتصار الدرس البلاغي الجامعي على مؤلف واحد، هو إقصاء لجهود مجموعة كبيرة من الباحثين أمثال محمد العمري، ومحمد الولي، ومحمد مشبال، والحسين بنوهاشم، وعماد عبد اللطيف نفسه. فمثلا يمكن توسيع دائرة المراجع المعتمدة في التدريس، وتتبع تاريخ البلاغة العربية من كتابي محمد

العمري الموسومين ب "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" و "المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني"، ومقارنة مفهوم البلاغة عند الدكتور مجدى بمفهومها عند محمد العمري.... وفي ما يخص البلاغة الغربية فيمكن اقتراح كتاب "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية لمحمد الولي"... .

وفي الأخير، ومساهمة منا في تسطير برنامج تدريسي للبلاغة العربية أقترح العمل على برمجة محاور متسلسلة لتدريس البلاغة العربية، وقد قمت بتتبع هذا المسار من خلال أعمال محمد العمري، كما حاولت التوقف عند المفاهيم الكبرى للبلاغة العامة، بعد تعريفها، وهي قراءة وجب أن تطور لتشكل المسار الصحيح، في نظري، لتدريس البلاغة العربية عبر ربط ماضيها بحاضرها، استشرافا لمستقبلها الذي يجب أن يكون مزدهرا. إضافة إلى هذا الهدف تسعى هذه القراءة إلى توحيد المصطلح البلاغي، فمحمد العمري يحمل مشروعا بلاغيا رفقة زملائه وتلامذته، وهو مشروع ينطلق من إعادة قراءة البلاغة العربية، ثم ربطها بالبلاغة الجديدة، ليقترح في الأخير البلاغة العامة كمجال جامع لكل البلاغات الخاصة، ومن خلال مفهوم البلاغة العامة(المستمد من البلاغة العربية القديمة والبلاغة الغربية) تتضح المفاهيم المركزية في البلاغة العربية.

1- البلاغة العربية القديمة

شهدت البلاغة العربية مسارات متعددة عبر التاريخ، فقد تنوع حضورها في الثقافة العربية، بين الحضور بالقوة والحضور بالفعل، وبين الانتشار والانحسار وإعادة الانتشار مع البلاغة العامة في العصر الحديث. إنها محطات تاريخية متعددة تتبعها محمد العمري من خلال كتبه: "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، و"البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، وبالأخص في كتابه "المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني".

ففي كل زمن تلبس البلاغة مفهوما مختلفا عن الزمن الذي سبقه أو الزمن الذي يليه، " فمفهومها عند الجاحظ وابن سنان الخفاجي، مثلا، بعيد كل البعد عن مفهومها عند عبد القاهر الجرجاني والسكاكي، ومفهومها عند كل هؤلاء (أي إلى حدود القرن السادس الهجري) بعيد عن مفهومها عند الصلاح الصفدي وابن حجة وغيرهما من بلاغيي العصور المتأخرة. ونظير هذه الاختلافات – الملحوظة في الثقافة العربية- موجود ومرصود بقوة في الثقافة الغربية؛ من أرسطو إلى بيرلمان"[7].

تتبع محمد العمري في المحاضرة والمناظرة مسار البلاغة العربية بدءا من روافدها في التراث العربي قبل الإسلام وصولا إلى مرحلة انحسارها مع

[7] - العمري((محمد): أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 11 .

السكاكي، وشراح مفتاحه فيما بعد؛ حين أصبحت البلاغة مسجونة في قفص ثلاثة علوم هي : علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني.

يقصد محمد العمري ببلاغة الانتشار كل الاجتهادات التي "ساهم بها المنشغلون بالخطاب الاحتمالي المؤثر من زوايا عديدة: البديعيون ونقاد الشعر، والبيانيون، وعلماء الخطابة، ومنظرو الإنشاء والكتابة، وقراء نظريتي الشعر والخطابة عند اليونان، من بداية التفكير البلاغي إلى القرن الخامس الهجري، بل حتى السابع منه، حيث كان حازم آخر المجتهدين (ت 684- 1285م)"[8]؛وعليه فإن زمن الانتشار الذي عاشته البلاغة العربية كان ممتدا منذ بداية التفكير البلاغي الانطباعي خلال عصر ما قبل الإسلام، وصولا إلى القرن السابع الهجري.

خلال هذه الفترة كانت البلاغة تطير بجناحين، أحدهما يرتبط ببلاغة التخييل (الشعر مثلا) والآخر ببلاغة التداول (الحجاج/ الخطابة). وكان هذان الجناحان يسيران بطريقة متوازنة متوازية، الأمر الذي مكن البلاغة العربية من الانتعاش والانتشار، أو بعبارة محمد العمري كانت البلاغة عامة، والقصد بالبلاغة العامة عنده، أنها " علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه التخييلي والتداولي"9، فالبلاغة خلال هذه الفترة التاريخية كانت تُعنى بدراسة الخطاب الاحتمالي المؤثر تحليلا وإنشاء؛ أي إن البلاغة لم تكن فقط تقدم الوسائل التي تمكن الباحث من تحليل خطاب ما، بل كانت تزوده أيضا بالتقنيات التي يجب أن يتبعها كي يصير شاعرا مُفلقا، أو خطيبا بارعا أو هما معا.

من هنا يتضح أن البلاغة العربية قبل القرن السابع كانت تعنى بمجالين؛ مجال التخييل (الشعرية) ومجال التداول (الخطابية)، ولعل أبز الحجج على ذلك هو تنوع المؤلفات القديمة بين مقاربة الشعر (نقد الشعر...) ومقاربة الخطابة (البيان والتبيين..).

بعد ذلك سوف تدخل البلاغة نفق الاختزال، إذ بدأت " عملية اختزال البلاغة العربية مع الجرجاني نفسه، ثم خطت خطوة واسعة مع السكاكي، وبلغت نهايتها مع القزويني وباقي الشراح والملخصين"10 .

فالجرجاني حين أقصى بلاغة الموازنات الصوتية رغم وجودها في الشعر العربي، وهذا الوجود لم يكن ثانويا؛ بل شكل عنصرا مميزا للشعر عن باقي الخطابات ، كان قد بدأ مسار اختزال منهجي للبلاغة العربية القديمة، ليقوم السكاكي بعده في مفتاح العلوم بحصر البلاغة في مباحث ثلاثة؛ هي: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني.

---

[8] - العمري (محمد): المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، ص 13 .

[9] - العمري (محمد): البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 11.

[10] -العمري (محمد): المحاضرة والمناظرة، ص 17.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن محمد العمري لا يعتبر السكاكي مسؤولا عن هذا الاختزال، لأن السكاكي، حسبه، لم يكن يكتب كتابا في البلاغة، بل كان همه هو خط خطوط عريضة لعلم الأدب، "فالسكاكي ليس ملوما على هذا التحويل الذي أقصى الغرابة الشعرية وأحل محلها المقصدية المقامية، لأن كتابه ليس " مؤلفا في البلاغة "، بدليل عنوانه ومقدمته: مفتاح العلوم، أي علوم الأدب. التأديب هنا قريب من مفهوم الثقافة عندنا"[11].

" وقد أدى اختزال البلاغة العربية، بعد عصر الجرجاني وحازم، إلى إقصاء المسارات البلاغية التي ارتبطت: 1) بنقد الشعر ونظريته ارتباطا حيا، ثم 2) بالخطابية في أبعادها المعرفية والعلامية والسوسيولوجية، فغابت نظرية المحاكاة والتخييل، وغابت أسئلة التوسع في اللغة، وحلت محلها الأشكال المنطقية المجردة والأمثلة المكرورة، والأطر النحوية الصورية. فهيمن التقسيم والتفريع على غير أساس من روح البلاغة وأسرارها، ومورست عملية التنسيق والتجنيس على نفس الأسباب فجاءت خالية من الروح"12 .

بعد السكاكي والقزويني وشراح المفتاح ستدخل البلاغة العربية خندقا من التعليمية، إذ ستصير علما يضم ثلاثة مباحث، وكل مبحث يضم أساليب محددة يُستدل على تعريفها بشواهد مسكوكة، فصار هَم البلاغي هو التعرف على هذه الأساليب ودراستها في النصوص الشعرية، وهنا ستقصى بلاغة الخطابة/ الحجاج وستهيمن بلاغة الشعر، أو لنقل بنوع من الدقة بلاغة تحليل الشعر،وبعبارة أخرى سيتم فصل البلاغة عن الإبداع بصفة عامة.

2 - البلاغة العربية الجديدة

قبل الحديث عن مسار البلاغة العربية بعد عصور اختزالها، وجب الحديث عن مآلات البلاغة الغربية هي الأخرى، لأن مفهوم البلاغة الجديدة في الثقافة العربية مفهوم يستمد نفس الغايات التي قامت عليها البلاغة الغربية؛ فكلتاهما عرفتا اختزالا خلال فترات زمنية محددة، ثم ظهرت الحاجة إلى إعادة إحيائهما تحت اسم البلاغة العامة.

اضطرت البلاغة الغربية بعد هيمنة النزعات العقلية المنطقية(الديكارتية)، والنزعات اليقينية اللاهوتية(هيمنة الكنيسة) إلى الانحسار، فمجال نمو وحيوية وانتشار البلاغة هو مجال الحرية بكل معانيها، ولما كان الفكر العقلي الديكارتي يقوم على القطعيات والمسلمات المنطقية، وكان الفكر الديني يقوم على البديهيات والمطلقات، ستتراجع البلاغة الغربية هي الأخرى، وستضطر إلى التخلي عن أغلب أراضيها، لتتحول بذلك إلى نظرية في الصياغة تطغى عليها التعليمية.

---

[11] - العمري (محمد): المحاضرة والمناظرة ، ص 19.

[12] - نفسه، ص 27.

لكن، خلال القرن العشرين ستتعالى أصوات ثلة من البلاغيين الجدد أمثال (رولان بارثroland barthes)،و(تيزفطان تودوروف tzvetan todorov)، و(جيرار جنيت gerard genette)،و(شاييم بيرلمان chaim perelman). مطالبة بإحياء البلاغة القديمة وترهين موضوعاتها وقضاياها، خاصة البلاغة الأرسطية. وستعرف هذه الدعوة نجاحا كبيرا حيث ستحياالبلاغة الغربية تحت اسم "البلاغة الجديدة".

وقد قامت البلاغة الجديدة مع (شاييم بيرمان وتيتيكا) خاصة، على محاولة إدماج النسق البلاغي ضمن النسق الفلسفي والمنطقي الأرسطي، فبيرلمان كان يبحث أساسا عن منطق للقيم، لكنه سيكتشف أن صياغة منطق للقيم أمر مستحيل، لأن مجال القيم هو مجال الاختلاف، ومن ثَم مجال المحتمل فقط، فنحن مثلا لا ننازع أحدا في أن الفضيلة أمر محمود، لكننا سنترافع حول تجلياتها، فما أراه فضيلة قد يراه الآخر غير فضيل.

ليعلن بعد ذلك شاييم بيرلمان " أنه فوجئ، وهو يسعى إلى وضع منطق للقيم؛ يوازي المنطق الصوري الرمزي، بأن ما كان يبحث عنه موجود في علم قديم اسمه البلاغة، وهو يقصد بلاغة أرسطو بالتحديد. ولذلك عكف على دراسة هذه البلاغة وإعادة صياغتها في الاتجاه الذي يخدم غرضه، وهو منطق الحجاج، دافعا بريطورية أرسطو نحو الجدل مبعدا إياها عن السفسطة"[13].

سيستلهم مجموعة من البلاغيين العرب من بيرلمان وتيتيكا فكرة تجديد البلاغة العربية، وسينصبون على إنجاز ذلك عن طريق إعادة قراءة المشاريع البلاغية العربية القديمة. ولعل أهم من اضطلع بهذه المهمة: حمادي صمود (التفكير البلاغي عند العرب)، ومحمد العمري (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول – أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها– المحاضرة والمناظرة... في تأسيس البلاغة العامة)، ومحمد الولي (الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية)، ومحمد مشبال (البلاغة والأصول – في بلاغة الحجاج...). إضافة إلى جهود مجلة البلاغة وتحليل الخطاب بالمغرب التي تحاول جمع أصوات كل رواد البلاغة العامة العرب والغربيين، إنتاجا وترجمة.

سيجتمع هؤلاء الباحثون عند فكرة أساسية مفادها أن البلاغة القديمة كانت تطير بجناحين؛ جناح الحجاج وجناح التخييل، وأن الخطاب الذي تشتغل عليه هو الخطاب الاحتمالي المؤثر. وسيعاد بناء إمبراطورية للبلاغة العربية تحت اسم البلاغة العامة، وتحت هذه البلاغة توجد إمارات متعددة، أو بلاغات خاصة متنوعة. ولذلك سيعمل محمد العمري على وضع الأسس والمفاهيم العامة للبلاغة

---

13 - العمري (محمد): أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص 15.

العربية عبر إعادة قراءة المشاريع البلاغية العربية القديمة، وسيعمل محمد مشبال، بداية، في مجال البلاغة الأدبية، محاولا التأسيس للتحليل البلاغي النوعي (البلاغة الخاصة)، في حين سيركز محمد الولي على دراسة الصور البلاغية ووظائفها المتعددة.

المطلب الثاني :أسس البلاغة العربية العامة

تقوم البلاغة العامة، حسب تصور محمد العمري، على مجموعة من المفاهيم والمصطلحات، التي يمكن أن نستمدها من التعريف الذي قدمه لها، فهي أولا خطاب احتمالي، وثانيا خطاب مؤثر، وثالثا إما أن يكون هذا الخطاب تخييليا، أو يكون تداوليا، أو هما معا.ومن ثم يمكن تحديد الأسس الكبرى للبلاغة العامة في زوجين من المفاهيم: الاحتمال والتأثير، والتخييل والتداول.

1-2 - الاحتمال والتأثير

تعتبر ثنائية الاحتمال والتأثير أس الخطاب الذي تتناوله البلاغة، وقد وضح محمد العمري في كتابه الموسوم ب "أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة"، بتفصيل المقصود بالاحتمال والمقصود بالتأثير.

ولتحديد مفهوم الاحتمال استعان محمد العمري بالتعريف الذي قدمه (بول ريكور paul ricoeur)، حينما اعتبر أن الخطاب الاحتمالي، " هو الخطاب الذي يمتد بين الاعتباط (أو الهذر) في أسفل السلم، والاستدلال البرهاني، في أعلاه. الخطاب الذي تستوعبه الصيغة القديمة التي انشغل بها الفلاسفة المسلمون في حديثهم عن التصديق و"التخييل"[14].

من خلال هذا التعريف يظهر جليا أن الخطاب الاحتمالي هو الخطاب الذي يبتعد عن اليقينيات والقطعيات، إنه خطاب يسمحبقول عبارة "والله أعلم" في آخره، فهو موضوع اختلاف بين المتلقين، قد يوافق عليه طرف، ويبدي طرف تحفظه إزاءه، ويرفضه طرف ثالث بصفة مطلقة، فيبقى بذلك موضوعا للتداول والنقاش. كما أنه خطاب يبتعد عن الهذر حيث يغيب مفهوم النص وينعدم التواصل العقلي حوله.

"ومن هنا فإن الخطابين التداولي/ الحجاجي، والتخييلي/ الشعري خطابان احتماليان، وبذلك يكونان موضوعين للبلاغة"[15] .

إلا أن هذين الخطابين ليسا منفصلين بصفة مطلقة عمليا، ففي الخطابات المتنوعة دائما ما نجد تداخلا بين القطبين؛ حيث يمكن أن تلعب الحجة وظيفة تخييلية، وتلعب الصورة وظيفة حجاجية.

والاحتمال في الخطاب يستدعي حضور مفهوم آخر هو مفهوم الاختيار، فالخطاب لكي يكون احتماليا يجب أن يكون إنشاؤه مبنيا على الاختيار؛ "ذلك أن

---

14 - العمري (محمد): أسئلة البلاغة، ص 18.

15 - نفسه، ص 19 .

الاختيار يستلزم الاحتمال، لا يتصور في غيابه. والاختيار و"التخيير" يستلزم وجود احتمالات نختار بينها، هذا تحصيل حاصل"[16]، فمثلا حينما أريد أن أعبر عن غضبي اتجاه فعل ما، فأنا أضع نصب عيني مجموعة من الاحتمالات التي يمكن أن تناسب حالتي، فأقول: أشعر بالغضب، أو أنا غضبان، أو صدمني ما قمت به... ومن خلال هذه الأمثلة يمكن أن نلاحظ أن الاحتمال والاختيار لا يكون فقط بين الكلمات، وإنما يمكن أن ينصب حول الصيغ الصرفية (غاضب/ غضبان) وحتى التركيبية بأن أضيف ضمير المتكلم أنا، أو أحذفه... .

أما التأثير فيعرفه محمد العمري من خلال تحليله نصا لحازم القرطجاني، يقول فيه: " لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع... وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"[17] .

من خلال هذا النص سوف يعرف محمد العمري التأثير بكونه تفاعلا بين متخاطبين سواء كانا حقيقيين أو افتراضيين. فكل نص يندرج ضمن الخطابات التي تدرسها البلاغة يجب أن يتميز بقصدية التأثير، وهذا التأثير يختلف بين الخطاب التداولي الذي يهدف أساسا إلى الإقناع والتيقين، وبين الخطاب التخييلي الذي يسعى إلى طلب التخييل أو التوهيم. ومعنى ذلك أن البلاغة تستوعب "الخطاب التداولي الحجاجي كله: من الإشهار إلى المناظرات، وكل أشكال الحوار والمناقشات من جهة، وكل صور التعبير الأدبي بالمعنى الحصري للأدبية بما فيها الشعر والسرد وما تفرع عنهما، أو بني عليهما"[18]،فالخطاب الإشهاري يسعى إلى إقناع المستهلك بالشراء، والخطاب السياسي يدعو المواطن إلى التصويت أو تغيير قناعاته السياسية، في حين تدعو الرواية إلى فتح مجال التخييل والتخيل... .

2-2 - البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول:

يتحدد مفهوم البلاغة العامة عند محمد العمري في كتابه" البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول "في تقاطع التخييل والتداول"، إنها النقطة الجامعة بين جناحي البلاغة، هذه المنطقة الجامعة هي منطقة الاحتمال والتأثير. فقد عرض في كتابه وجهتي نظر حديثتين مختلفتين للعلاقة بينهما؛ تذهب الأولى إلى فصل التخييل عن التداول، ويمثلها (بول ريكو paul ricoeur)، من خلال مقاله المعنون ب : "الخطابية، الشعرية، التأويلية".فقد فحص في هذا المقال، حسب محمد *العمري*، عناصر الالتقاء وعناصر الافتراق بين الخطاب التخييلي

---

[16] - العمري (محمد): المحاضرة والمناظرة، ص 43.

[17] - حازم القرطاجني : منهاج البلغاء ص 19-20، نقلا عن كتاب أسئلة البلاغة، ص 20.

[18] - العمري (محمد): أسئلة البلاغة، ص 21.

والخطاب التداولي. "وبرغم اعتراف الباحث بوجود منطقة تقاطع واسعة؛ تستحق لفظ région ذا الدلالة الجغرافية القوية (وهو منطقة الاحتمال)، فإن ذلك لا يكفي، في نظره، لجعل هذا الإقليم المشترك عاصمة فيدرالية للشعرية والخطابية؛ مع كل ما تضمنه هذه الفيدرالية من حرية في معالجة خصوصيات الطرفين. ويعلل هذا الرفض باختلاف المبحثين في المنطق والهدف"[19]؛ذلك أن هدف الشعر هو الإمتاع، في حين تهدف الخطابية إلى الإقناع.

أما الاتجاه الثاني فإنه يذهب إلى الإقرار بإمكانية قيام تداخل بين التخييل والتداول في إطار بلاغة عامة تجمع بين بلاغة الإمتاع وبلاغة الإقناع، ويمثل هذا التوجه(أوليفيي روبول olivier reboul) بصفة خاصة، الذي ذهب إلى البحث عن حل ثالث أو منطقة ثالثة بين التخييل والتداول من خلال كتابه الموسوم ب"البلاغة"، فقد نقل عنه محمد العمري نصا يقول فيه : "سنتبنى نحن حلا ثالثا؛ لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة région التي يتقاطعان فيها بالتحديد، بعبارة أخرى، ينتمي إلى البلاغة بالنسبة إلينا كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث: المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة؛ كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعومتين بالحجاج"[20].

لقد كشف كتاب "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" عن جهد تنظيري وتطبيقي سعى من خلاله محمد العمري إلى تتبع المسار التاريخي للحوار بين الخطاب التخييلي والخطاب التداولي، سواء في البلاغة العربية أو البلاغة الغربية. فاستخلص بذلك خلاصة مفادها أن كلمة بلاغة تتردد بين ثلاثة استعمالات/ مفاهيم كبرى: المفهوم الأرسطي الذي يخصصها لحقل الإقناع والتداول ووسائله وأدواته، والمفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب وصيغ تحسين الكلام، والمفهوم النسقي الذي يسعى إلى جعل البلاغة علما أعلى يجمع التخييل والتداول معا.

وقد مثل المفهوم الثالث مجال الاكتشاف الذي بسطه الباحث للقارئ العربي من خلال كتبه اللاحقة، وصولا إلى كتابه الأخير المعنون ب"المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني".

تجميع

تمتد البلاغة الجديدة عند محمد العمري إذا، بوصفها"إنشاء احتماليا، من أقصى حدود التخييل إلى أقصى درجات التصديق. تحده عتبتان افتراضيتان: عتبة

---

19 - العمري (محمد): البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 17 (بتصرف).

20 - العمري (محمد): البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 22.

الهذر، حيث ينعدم مفهوم النص، وعتبة البرهان والتجريب، حيث تحسم الخلافات، وتفض المنازعات بالعد والكيل والوزن.

في هذه المنطقة الشاسعة، في هذه الامبرطورية المترامية الأطراف، المتنوعة التضاريس: من محيطات الخيال وظلماته، إلى فضاءات البيداء المكشوفة لأشعة العقل، يمتد الاحتمال بين الأقاويل المخيلة/ الشعرية والأقاويل المصدقة الخطابية"[21] .

فموضوع علم البلاغة هو: الخطاب الاحتمالي المؤثر القائم على الاختيار مناسبة وإغرابا. الاحتمال نابع من بناء الخطابة على ادعاء الصدق مع احتمال الكذب(الخيال)، وبناء الشعر على ادعاء الكذب مع احتمال الصدق"[22].

فالبلاغة العامة بهذا المعنى علم يهتم بدراسة خطاب يمتاز بالاحتمالية والتأثير، وهذا التأثير يمكن أن يكون تأثيرا تخييليا (الشعر – المسرح – الرواية...)، ويمكن أن يكون إقناعيا (الخطابة – الرسالة – الخطاب السياسي – الخطاب الديني...)، أو هما معا.

لكن محمد العمري حين يفرق بين التخييل والتداول لا يقر بأنهما مفصولان على المستوى الواقعي، فيمكن للخطاب التخييلي أن يعتمد على الحجج، كما يمكن للخطاب التداولي الاعتماد على الصور مثل السخرية والاستعارة والمجاز... ف"الشعري ينزع نحو التخييل، والخطابي ينزع نحو التصديق، أما على مستوى الإنجاز فالتخييل والتصديق متداخلان في إقليم (région) واسع، التخييل والتصديق جناحان للبلاغة، يتوغلان في جدعهما، ويلتصقان بعمودها الفقري، تخييل مصدق، وتصديق مخيِّل، وكمال البلاغة في هذا التقاطع، ففيه أنتجت الكلاسيكيات الخالدة"[23] .

استنتاج :

من خلال تعريف الاحتمال والتأثير والتخييل والتداول باعتبارهم أسسا للبلاغة العامة، وسمات يتسم بها الخطاب الذي تهتم البلاغة بدراسته، يمكن القول مع بول ريكور على لسان محمد العمري: "إن موضوع علم البلاغة هو : الخطاب الاحتمالي المؤثر القائم على الاختيار مناسبة أو إغرابا. الاحتمال نابع من بناء الخطابة على ادعاء الصدق مع احتمال الكذب (الخيال)، وبناء الشعر على ادعاء الكذب مع احتمال الصدق"[24].

---

[21] - العمري (محمد): "المغالطة في فضاء الاحتمال"، ص 1.

[22] - العمري (محمد): المحاضرة والمناظرة، ص 47.

[23] - العمري (محمد): "المغالطة في فضاء الاحتمال"، ص 1.

[24] - بول(ريكور): الاستعارة الحية، ص 51-52، نقلا عن المحاضرة والمناظرة، ص 47.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى القول إنه لا يمكن تحديد زمن معين لبداية البلاغة، فهي مصاحبة للوجود البشري منذ بدايته، لكن تتبع مسارات تطورها يكشف عن تدرج انطلق من ملاحظات فطرية انطباعية بسيطة دون الحاجة إلى تعليلات، ليتطور بعد ذلك عبر مجموعة من المشاريع البلاغية والنقدية والنحوية والصرفية والدينية والفلسفية، فتلتقي بعد ذلك كل روافد البلاغة في بحر الجرجاني، ليعد مشروعه البلاغي أول وجود للبلاغة بالفعل، ثم ستشهد البلاغة انحسارا وتقوقعا على يد السكاكي ومن تلاه، حيث جمدت البلاغة وقعدت في قواعد جافة وصورية. لتنتظر البلاغة العربية في رفوف المكتبات إلى حدود القرن العشرين فتنتعش من جديد وتستعيد أراضيها المسلوبة، وتعلن على حضورها تحت اسم البلاغة العامة.

البلاغة العامة علم شامل يضم تحت جناحيه بلاغات خاصة، ولوصف النصوص وتحليلها من مبدأ بلاغي عام وجب التنبه إلى أن لكل خطاب بلاغته الخاصة. وينطلق هذا الوجوب من فكرة أنه مادام لكل نوع ظروف وملابسات تحكم إنتاجه وتلقيه، وتوجه غاياته وأهدافه، فإنه يتعين على الباحث البلاغي أن ينطلق في تحليله من مبدأ مغايرته لغيره منأنواع الخطابات الأخرى.

وبعد هذه القراءة يبدو جليا الصعوبات التي تقف عائقا أمام تدريس البلاغة العربية، وهي عوائق مرتبطة بصعوبة توحيد المصطلح البلاغي بين مجموع الدارسين العرب، إضافة إلى تمكين الأساتذة من تكوينات بيداغوجية حديثة في تدريس البلاغة؛ فالملاحظ هو غياب التأطير البيداغوجي للأساتذة على المستوى الجامعي.

لائحة المراجع:

- عماد عبد اللطيف، (تدريس البلاغة العربية: التاريخ، الحاضر، المستقبل)، عالم الفكر، عدد 167، أكتوبر- ديسمبر 2018 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

- محمد العمري:

* أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة (دراسات وحوارات)، أفريقا الشرق، - المغرب، 2013.

* البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول،أفريقيا الشرق،- المغرب ط 2، 2012.

* المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، مواجهة بين زمن الجرجاني وزمن القزويني، أفريقيا الشرق- المغرب، ط 1، 2017.

*" المغالطة في فضاء الاحتمال"، مجلة سياقات، العدد 5، أبريل 2017.

تدريسية البلاغة العربية: المفاهيم وأساليب الأجرأة
قراءة في مشروع عماد عبد اللطيف

د. نورالدين ناس الفقيه
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
فاس/ المملكة المغربية

استهل الدكتور عماد عبد اللطيف مقاله المطول حول تدريس البلاغة العربية[1] بالإشارة إلى أن أعدادا كبيرة من الطلاب العرب قد درست البلاغة في مراحل التعليم الإعدادي والثانوي والجامعي، سواء أكانت الموضوعات المدروسة فيها أسلوبا أم صورة أم تأريخا أم سيرة علم من أعلام البلاغة أم نبذة عن كتاب من كتبها، وهو الأمر الذي يجعل البحث في تدريسها ظاهرة تسترعي الاهتمام.

ساق الباحث في تأصيله لمقاله البحثي أربعة أسئلة متفاوتة الأهمية، فذكر أن السؤال المطروح الجاري على الألسن هو : ماذا ندرّس في مقررات البلاغة؟، وفي المقابل ثمة سؤال مهمل هو : لماذا ندرّس البلاغة؟ وهناك سؤال يمنح قليلا من الاهتمام هو : كيف ندرّس البلاغة؟ بينما يكاد يُهمل سؤال في غاية الأهمية هو : ما حاجات الطالب الذي يدرس البلاغة.؟ وما إمكاناته؟

بين الباحث أن عمله يروم تتبع خيوط تدريس البلاغة في العالم العربي تاريخيا، وفحص واقعه،واقتراح خطة مستقبلية لتجاوز مشكلاته، سعيا إلى تجسير الفجوة القائمة في الدراسات المتاحة حول تدريسها، وذلك من خلال التركيز على إجابة أسئلة منها : كيف دُرّست البلاغة قديما وحديثا؟ وما توجهات البحث في تدريسها؟ وما واقع تدريسها في الوقت الراهن؟ وما إيجابيات المقررات المتداولة لتيسيرها وسلبياتها؟ وما المقترحات التي يمكن أن تؤدي إلى تطوير تدريسها؟ وفي محاولة الإجابة عن السؤال الأخير يشير الباحث إلى أنه سيتعرض لمجموعة من الأسئلة الجزئية منها : لماذا ندرّس البلاغة؟ أيَّ معارف أو مهارات نسعى إلى إكسابها لدارسيها؟ وكيف نكسبهم إياها؟

أوضح الباحث أن عمله يسعى– إجابة عن هذه الأسئلة- إلى معالجة ثلاث مسائل أساس كالآتي :

- المسألة الأولى تخص الخبرات القديمة المتعلقة بأساليب تدريس البلاغة في البلاغات القديمة ومنهجياته، وتحديدا البلاغات المصرية والصينية واليونانية والعربية.
- المسألة الثانية تتغيا تحليل واقع تدريس البلاغة الراهن في العالم العربي الحديث والمعاصر، وتشمل مقررات تدريس البلاغة وطرق تدريسها، استنادا إلى نتائج استبيان ميداني، وفحص مدقق لمعظم كتب تدريسها.

[1]-د.عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية : التاريخ، الحاضر، المستقبل": 43.

- المسألة الثالثة تقدم تصورا لبلاغة المستقبل، وتتضمن تحديدا لأهداف تدريسها، وطرق التدريس ومحتواه وتوزيعه.[2]

خصص الباحث المحور الأول في مقاله لاستعراض تاريخ تدريس البلاغة في الحضارات القديمة، وبالأخص في مصر والصين القديمتين، وأشار في هذا الصدد إلى اتسام المعلومات حولهما بالاختزال والعمومية، بخلاف تاريخ تدريس البلاغة في اليونان القديمة الذي يتسم بالتفصيل والدقة.

بين الباحث أن تعليم البلاغة في مصر والصين القديمة كان يستند أساسا إلى المحاكاة، ولربما كان الفراعنة أول من ألفوا في البلاغة بوصفها العلم الذي يدرّس قواعد الكلام، على نحو ما نجد في مفتتح تعاليم "بتاح حتب" (2670 قبل الميلاد) التي أشار إليها الدكتور " حسن سليم" في كتابه " الأدب المصري القديم"[3]، إذ اعتبرت هذه التعاليم أقدم كتب البلاغة التعليمية المعروفة، وتوصف - في وثيقة تعود إلى العصور الوسطى- بأنها " الكلام الحسن التعبير الذي نطق به الأمير العظيم...الوزير بتاح حتب، عندما كان يعلم الجاهلَ العلم، وقواعد الكلام المنسجم"[4].

لقد أدرك المصريون القدماء أهمية الكلام الحسن/ البليغ، فمجدوا قوة الكلام ودعوا إلى إتقانه، واعتبروه صناعة، كما أثر عنهم أنهم كانوا يدعون المتعلمين إلى تقليد أجدادهم ومحاكاتهم في صناعة الكلام.

أما فيما يخص البلاغة الصينية القديمة فقد أشار الدكتور عماد عبد اللطيف إلى قلة البحوث المنجزة حولها، مبينا أن الصينيين درسوا حزمة من الظواهر التي اعتاد الباحثون دراستها تحت مظلة علم البلاغة، مثل : استعمال اللغة في التحدث، والإقناع، وأنماط الخطاب، والكلام، والأسلوب، والبيان، والحجاج، والمناظرة، وغيرها.وذكر أن هناك كتبا تعليمية صينية حول أنواع النثر والشعر المختلفة، بالإضافة إلى كتب فن الرسائل التي تلبي بعض الحاجيات العلمية، مع وجود تعليمات بشأن كيفية كتابة التقارير الرسمية والرسائل في أواخركتيبات الإرشادات الموجهة للموظفين، كما أشار إلى ذلك النمط من كتب تعلم مقالات الوظيفة العامة، والمسماة بالمقالات ثُمانية الأرجل.

وقد استخلص الباحث أن المعلومات التي وصلتنا بخصوص هذين النوعين من البلاغة تبقى قاصرة عن تقديم صورة واضحة لتدريس علم البلاغة بالمقارنة مع الحضارة اليونانية التي شغل فيها علم البلاغة مكانة محورية في بنية المعارف اليونانية القديمة. ونبه إلى أن الثراء المعرفي للبلاغة اليونانية كان بمثابة شَرَك وقع فيه بعض الباحثين الذين ظنوا أنها اخترعت هذا العلم، وغير مسبوقة إليه[5].

---

[2]-تدريس البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص 8

[3]- حسن سليم، " الأدب المصري القديم"، طبعة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 2000م، ص 1

[4]- المرجع نفسه، ص 177

[5]-تدريس البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص 10

استعرض الدكتور عماد عبد اللطيف قيمة الإسهام اليوناني في إرساء نظريات البلاغة ومقارباتها وطرق تدريسها كذلك، مبينا أن طرق تدريس البلاغة كانت أحد ميادين الصراع بين البلاغيين لقرون طويلة منذ تدشين السوفسطائيين ممارساتهم البحثية والتدريسية في القرن الخامس قبل الميلاد وما واكب ذلك من انتقادات لطرق تدريس البلاغة.

وقد عمل الباحث على تتبع بعض أهم ممارسات تدريس البلاغة عصرئذ استنادا إلى مجموعة من المصادر، أهمها الفصل الذي كتبه عبد الله المسلمي في تقديمه ترجمة محاورة " منكسينوس" التي تحمل عنوانا فرعيا هو " عن الخطابة"[6]، حيث بين اضطلاع السوفسطائيين بتعليم فن الكلام (الريطوريقا) مع "جورجياس" (483- 375 ق م) الذي أرسى قواعد هذا العلم الثلاث ممثلة في المقابل، وتوازن العبارة، والسجع. ثم ذكر " إيزوقراط" (436- 338 ق م) الذي جعل من تدريس الخطابة الغاية القصوى من تعليم الطبقة الراقية.

بين الباحث[7] أن إسهامات المدرسة السوفسطائية ومدرسة " إيزوقراط" تمثل توجها مستقلا في تدريس البلاغة، إذ يجمع بينهما التعامل مع البلاغة بوصفها محور عملية التدريس التي تحفز الطلاب على تبوئ المكانة والسلطة في المجتمع. وفي المقابل ذكر موقف الفلاسفة المعادي لتدريس البلاغة باعتباره أشبه بتعليم تقنيات الحيل، وقد جسد هذا الموقف " أفلاطون" الذي انتقد الأساس الأخلاقي الذي تفتقده ممارسات تعليمها، داعيا إلى إلقائها في البحر وفصلها عن السياسات التقليدية التي تشتغل فيها كالسياسة والقضاء، وإحلال تعليم الجدل محلها .وقد سلك المنحى نفسه

" أرسطو" الذي انتقد تدريس نوع بعينه من الخطابة هو " الخطابة القضائية " التي قد تضيع بسببها مصالح المتقاضين.

استخلص الباحث عماد عبد اللطيف أن تدريس البلاغة اليونانية، منذ نشأتها، كان مدفوعا بأغراض عملية حياتية مباشرة، ولم يكن نشاطا متعاليا أو مفارقا للواقع، وبين أن طريقة تدريس السوفسطائيين للمهارة البلاغية قديما كانت تقوم على بناء نموذج تعليمي يحاكي ظروف الواقع المستهدف من تعلم البلاغة، وذكر أنه في وقت لاحق التحم بهذا البعد العملي التداولي للبلاغة بعد جمالي يقرن البلاغة بالأدب في العصر الهلليني، حيث أشار إلى سيرورة الترابط بين تعلم النحو في مرحلة أولى والبلاغة في مرحلة لاحقة.

فيما يخص تدريس البلاغة العربية، يشير الدكتور عماد عبد اللطيف [8]، إلى أنه لم تصلنا معلومات دقيقة وافية بشأن هذا العنصر، رغم ازدهار علم البلاغة

---

[6] - عبد الله حسن المسلمي، أفلاطون، محاورة منكسينوس، أوعن الخطابة "، منشورات الجامعة الليبية، 1972، ص 24 و25

[7] -تدريس البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص 11

[8] -نفسه ص 13

في الحواضر العربية الكبرى، وهو ما اعتبره مفارقة غريبة سماها " مفارقة العلم والمهارة"،أي المفارقة بين تدريس علم البلاغة وإكساب المهارات البلاغية.وقد استشهد - في هذا الصدد- برأي لابن خلدون[9] ينص على أن دراسة علم البلاغة لا تؤدي إلى اكتساب المهارات البلاغية،وأن تعلم علم البلاغة مرتبط أساسا بدعم القدرات التحليلية والنقدية، وليس القدرات الإنشائية التي جعلها نتاجا للممارسة فقط، مركزا على آليتي الحفظ والترديد بوصفهما السبيل الأمثل إلى اكتساب المهارات البلاغية.

وأورد الباحث قولا لشوقي ضيف [10]، يشير فيه إلى أن المتكلمين هم أول من وضعوا أصول علم البلاغة إذ كانوا يعلمون الشباب في البصرة كيفية صياغة كلامهم صياغة تخلب ألباب سامعيهم، مما جعلهم يعالجون الموضوعين الأساسين للبلاغة : ماذا نقول؟ وكيف نقول؟

وقد خلص الباحث إلى أن التراث العربي لا يكشف عن أن البلاغيين العرب أولوا موضوع تدريس البلاغة عناية كبرى، فلم يكتبوا عن ممارسات تدريسها رغم اهتمامهم في مفتتح كتبهم ببيان غاية تدريسها، بخلاف العرب المحدثين الذين اهتموا بقضايا تدريس البلاغة متوسلين بمنهجيات التدريس والتربية، مع وعيهم بضرورة تقديم مراجعات نقدية للبلاغة القديمة.[11]

لقد أشارالدكتور عماد عبد اللطيف إلى أن المراجعات النقدية للبلاغة العربية منذ أواخر القرن الثامن عشر انصبت على نقد المحتوى البلاغي، مقتصرة على المتن السكاكي، في الوقت الذي لم يول نقد طرق تدريس البلاغة كبير اهتمام. وبين أن هناك نوعين من البحوث المعنية بتدريس البلاغة في الوقت الراهن : الأول عبارة عن بحوث تعالج تدريس البلاغة فيما قبل الجامعة، والثاني عبارة عن بحوث تخص تدريس البلاغة في المرحلة الجامعية.

بالنسبة للنوع الأول، ربط الباحث بين تراكم كم كبير من الدراسات المتعلقة بتعليم البلاغة وازدهار البحوث التربوية الميدانية، وذلك منذ النصف الثاني من القرن العشرين. وعادة ما تكون عينة هذه الأبحاث من طلاب المدارس الإعدادية أوالثانوية، أو من دارسي العربية من الناطقين بغيرها، ويكون محور اهتمامها هو دراسة أثر متغير أو أكثر في تعليم البلاغة، مثل طرق التدريس أو المحتوى أو وسائط التعلم أوخصوصية المكان.

ساق الباحث مجموعة من الدراسات المعاصرة حول تدريسية البلاغة في الوطن العربي، والتي تعددت موضوعاتها وتنوعت ما بين فحص كفايات مدرسي البلاغة وقياس قدراتهم الشخصية؛ وتقويم مستوى معلمات البلاغة في تدريس هذه

---

[9]-ورد هذا الرأي في "مقدمة ابن خلدون"، تحقيق علي عبد الواحد وافي، نشر دارنهضة مصر، القاهرة،ط7، 2014 ، ج 3، ص 1146

[10]- شوقي ضيف، "البحث البلاغي : طبيعته، مناهجه،أصوله، مصادره"، دار المعارف، ط1992،6، ص 55.

[11]- تدريس البلاغة العربية (مرجع سابق)،ص 16

المادة؛ ومعالجة طرق تدريس البلاغة في مرحلة التعليم العام؛ واستكشاف الصعوبات التي تواجه تدريس البلاغة في المدارس لأهل العربية وكذا للناطقين بغيرها؛ علاوة على مظاهر تدريسها عن طريق الوسائط الرقمية.

أما النوع الثاني المرتبط بتدريس البلاغة في المرحلة الجامعية، فيتميز بمحدوديته من حيث الكم مقارنة بالنوع الأول، وتركزت البحوث المنجزة فيه حول دراسة درجة صعوبة الأساليب البلاغية المدروسة في بعض الجامعات،وكذا تطور تدريس هذه المادة من المعيارية إلى الوظيفية.

قدم الباحث مجموعة من الخلاصات لقراءته في دراسات النوعين السالفين، محددا مواطن النقص التي شابت هذه البحوث، وبعض عللها المنهجية خاصة.

انتقل بعد ذلك الدكتور عماد عبد اللطيف ليشخص واقع تدريس البلاغة العربية انطلاقا من دراسة ميدانية تستهدف تعرف واقع دراسة البلاغة في الجامعات العربية، متوسلا في ذلك بالتواصل المباشر مع أساتذة البلاغة وطلابها على امتداد الوطن العربي، علاوة على تقديم تساؤلات مفتوحة حول ما يدرس في مقرر البلاغة في فضاء تواصل عمومي هو الفيسبوك . وتوخيا لدقة أكثر، أجرى الباحث استبيانا عموميا يتضمن أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، واصفا عينة البحث وطبيعة الاستبيان الذي تمحورت أسئلته حول المحتوى،وطرق التدريس، وتوجهات الطلاب نحو المقرر، ودرجة ارتباطه بالواقع.

قام الباحث بدراسة وصفية تحليلية لما يدرس في مقرر البلاغة في الجامعة [12]، فتوصل إلى أن مقررات هذه المادة تدرّس – في كثير من الأحيان- من خلال كتيبات محاضرات حول علوم المعاني والبيان والبديع من تأليف الأساتذة المحاضرين الذين يعمد غالبهم إلى صيغ مختزلة من كتاب الإيضاح للقزويني، مقتصرين على حذف أبواب معينة، أو تقليص أمثلة وشواهد، أو حذف شروحات وتعليقات، رغم أن عددا كبيرا من الطلبة المستجوبين يودون دراسة كتب أخرى بالنظر إلى كون الكتب المقررة لا تلبي حاجاتهم.

سجل الباحث – من خلال استبيانه- أيضا الحضور الباهت للبلاغة الحديثة والمعاصرة تأليفا وترجمة، وهي نتيجة فاجأت الباحث، إذ كان يتوقع غيابا تاما لهذا النوع، بمعنى إن حضورها ولو كان باهتا مؤشر يبقى قابلا للتطوير.

استخلص الباحث عماد عبد اللطيف أيضا هيمنة النصوص الأدبية في المشهد الدراسي البلاغي، متبوعة بالنصوص المقدسة (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)، في ظل غياب تام للصور واللوحات والأشكال والأفلام والعروض، منبها إلى أن البحوث البلاغية الحديثة تشهد اهتماما متزايدا بالأبعاد التداولية للبلاغة، وتنفتح شيئا فشيئا على خطابات الحياة اليومية، مستنتجا أن هناك فجوة بين ما يدرَس وما يدرّس في البلاغة العربية.

---

[12]- تدريس البلاغة لعربية (مرجع سابق) من ص 23 إلى ص 37

وانطلاقا من البحث في كيفية تدريس البلاغة في الجامعة، استنتج الدكتور عماد عبداللطيف أن المحاضرات الشفهية هي الوسيلة المستعملة بكثرة، من منظور أن البلاغة ينظر إليها باعتبارها علما نظريا بحتا، مع تسجيل الضعف البالغ في استعمال تقنيات التعليم الحديثة في تدريس هذا العلم.

قدم الباحث تحليلا يتسم بطابع تاريخي لتوجهات الباحثين العرب نحوتدريس البلاغة، وحصرها في ثلاثة هي : تدريس كتب التراث البلاغي ؛ وتدريس كتب تيسير البلاغة وتسهيلها وتهذيبها ؛ وموقع تعليم البلاغة من مشاريع تحديثها.

- **التوجه الأول : تدريس كتب التراث البلاغي:**

يرى الباحث أن هذا التوجه مرتبط بتصور سكوني محنَّط للمعرفة، إذ يعتبر أصحاب هذا الاتجاه التراث البلاغي العربي (السكاكي تحديدا) منجزا سرمديا صالحا للتدريس دون قيد الزمان أو المكان. ويتجلى هذا التصور في تدريس كتب بلاغية تراثية كاملة، سواء كانت تنتمي إلى البلاغة السكاكية، مثل الإيضاح للقزويني، أو ماقبلها مثل دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، كما يتجلى في كتب المختارات، وعادة ما تقتصر مهمة الأستاذ على شرح النص التراثي في شكل حاشية شفهية أو كتابية على المتن القديم.

بين الباحث عماد عبد اللطيف دواعي لجوء الأساتذة المعاصرين إلى هذا التوجه،من قبيل كونه غير مجهد علميا، وكونه متسقا مع تصور محافظ يرى أن المنجز البلاغي القديم لا يبارى... ؛ولا يرى الباحث مانعا من دراسة التراث، غير أنه يرفض قصر تدريس البلاغة عليه من منظور أن ذلك يعوق الطلاب عن دراسة المنجز البلاغي العربي في تنوعه وثرائه.

- **التوجه الثاني: تدريس كتب تيسير البلاغة وتسهيلها وتهذيبها:**

بين الباحث أن هذا التوجه تأسس في بواكير القرن العشرين، وظل مزدهرا إلى الآن، وهو يقوم على اعتبار مفهوم البلاغة العربية وقضاياها وغاياتها قد بلغت الحد الأقصى من الكمال، وتبقى مهمة أساتذة البلاغة هي تيسير هذه المعرفة وتسهيلها وتهذيبها عن طريق حذف بعض التفريعات، وتقليص الشواهد، والتخفيف من حضور القضايا الجدلية والنقاشات الخلافية.

وبالنظر إلى كون هذا النوع من الكتب يهيمن على مشهد تدريس البلاغة، فقد خصه الباحث بدراسة وصفية تحليلية نقدية، انطلق فيها من نقد الأساس المعرفي لكتب تيسير البلاغة ممثلا في النموذج السكاكي الذي يقوم على فلسفة إنشائية، تتغاضى عن البعد الوظيفي وتنصرف إلى الاهتمام بالتفصيلات الدقيقة للأساليب والظواهر البلاغية.

ويشير الباحث إلى أن معظم الكتب المدرسية تقدم البلاغة بوصفها حزمة ظواهر وأساليب، في تهميش واضح للمعرفة والتمهير، إذ يطلب من المتعلمين

التمييز بين الأساليب والظواهر وتحديد عناصرهما، دون أن يطلب منهم إنتاج نص أو كلام ما يتضمن تلك الأساليب والظواهر.
ويبين الباحث طبيعة المفارقة الحاصلة بين ممارسة الشفاهي والتنظير المكتوب، حيث استبعد الأداء من ممارسات تدريس البلاغة السكاكية المدرسية بشكل شبه مطلق، وتم حصرها باعتبارها أداة من أدوات تفسير القرآن وعلما من علومه، أو بوصفها العلم المنتج لقواعد الجمال الأدبي نثرا وشعرا، مما جعل هيمنة الهوية الجمالية والدينية للبلاغة التعليمية يقلص تدريس عناصر الأداء، بل ويهمشه.

ويواصل الباحث نقده للأساس المعرفي لكتب تيسير البلاغة بالإشارة إلى عقم طريقة التدريس بواسطة آلية التعريف والشاهد التي سبق لأرسطو انتقادها – في التراث اليوناني- حينما وجه الخطاب إلى جورجياس قائلا " إن محاولة تعليم البلاغة بواسطة حفظ الأمثلة البليغة يشبه محاولة تعليم شخص ما كيفية تجنب ألم الأقدام عن طريق مشاهدة كثير من أنواع الأحذية وقوالبها".

كما وقف الباحث على ضعف البعدين النقدي والتحليلي المرتبط بالتركيز على تلازم ثنائية البلاغة والإعجاز في القرآن الكريم، وتأثير هذا التلازم في غياب نقد الكلام البشري وتعرية تلاعباته وكشف فجواته.

ويؤكد عماد عبد اللطيف أن حدود التحليل البلاغي في البلاغة السكاكية يقتصر على الاستشهاد والتمثيل، ويتجاهل السياقات الفعلية لتداول الكلام،ومما يزيد الطين بلة افتراض وجود قارئ مثالي يتلقى النصوص دون سياقها.

ينتقد الباحث كذلك هيمنة شروح تلخيص كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي الذي بلغ قمة نضج الكتابة في البلاغة العربية، غير أنه يبقى توجها من بين توجهات أخرى كثيرة يستحق بعضها أن يدرس مثل كتابي " أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز " لعبد القاهر الجرجاني.

وقد استعرض الباحث بعض المحاولات التجديدية التي سعت إلى إحلال الدلائل والأسرار محل شروح التلخيص، غير أنها اتسمت بالمحدودية.

يضاف إلى ذلك أيضا تهميش البلاغات غير العربية في ضوء السيطرة المطلقة للنموذج السكاكي الذي اعتبره الباحث نسقا مغلقا يتأبى على الاختراق، زد على ذلك هيمنة اللغة الأدبية على الخطاب المدروس في قصور واضح عن مواكبة ما يشهده العالم المعاصر من تحولات عميقة تشمل دراسة الصور والحركة ضمن ما يعرف بالمنعطف المرئي.

ويؤكد الباحث أن الانشغال بالنصوص العليا -لا سيما القرآن الكريم والشعر- جعل مجال الدرس البلاغي مقيدا ومحصورا ومغيّبا لنصوص الحياة اليومية وخطاباتها، وفي هذا السياق، دعا الدكتور عماد عبد اللطيف المهتمين إلى إنجاز أطروحات جامعية تستكشف القواعد الحاكمة لبلاغات خطابات الحياة اليومية، ومقارنتها بخطابات الأدب.

بعد نقد المرتكزات التي يقوم عليها تصور البلاغة وتدريسها في النموذج السكاكي، عرج الباحث على نقد منهجية تأليف كتب تيسير البلاغة[13]، حيث لاحظ ضعف الاهتمام بالتأسيس النظري وإهمال تناول منهجية التأليف وأهدافه وغاياته، وهو ما يجليه صغر حجم فواتيح معظم تلك الكتب ومداخلها . وساق الباحث في هذا الصدد مجموعة من النماذج مثل فاتحة كتاب "مورد البلاغة"، ومقدمة كتاب "علوم البلاغة التطبيقية"، ومقدمة كتاب "البلاغة العربية"، ومقدمة كتاب "علم المعاني" وغيرها، والتي لا تتجاوز في بعضها سطرين ونصف السطر، رغم أن صفحات موضوع الكتاب قد تتجاوز ستمائة صفحة.

كما وجه الباحث سهام نقده إلى هشاشة صياغة الأهداف المعرفية لكتب تيسير البلاغة أو غيابها كلية، مرجعا ذلك إلى غموض السؤال المعرفي الذي يحركها، وغياب الوعي بأهمية التراكم المعرفي. وقد بين أن الأسئلة التي يفترض أن تطرح من قبيل : كيف تكتسب المعرفة البلاغية؟، وما أفضل الطرق لتدريسها ؟، وما الذي يميز المنهاج المقدم عن غيره؟، وما المصادر الأساس التي اعتمدها المؤلف؟، وما تأثيرها المرجو على الدارس؟ وما الطريقة الفضلى لاستعمال كتابه لغرض تحقيق إفادة قصوى؟ ...كل هذه الأسئلة لا يسمع حسيسها في مقدمات كتب تدريس البلاغة، وهو ما يشكل نقطة سوداء في أسسها المنهجية.

- **التوجه الثالث : موقع تعليم البلاغة من مشاريع تحديثها :**

يرى الدكتور عماد عبد اللطيف أن أصحاب هذا التوجه استهدفوا تطوير التصورات المعرفية المقترنة بعلم البلاغة نفسه، إذ كان تحديث تدريس العلم ناتجا ثانويا من نواتج البحث في تحديث العلم، وهو ماتجليه المشروعات الكبرى لتحديث علم البلاغة، مثل أعمال أمين الخولي، ومحمد العمري وغيرهما. وقد بين الباحث الأسس التي قام عليها مشروع أمين الخولي ضمن رؤيته التجديدية لتدريس البلاغة في العالم العربي والقائمة عل مفهومي "التخلية" و" التحلية"، وهما مصطلحان يردان بكثرة لدى المتصوفة، للإشارة إلى ما يجب أن يستبقى من البلاغة السكاكية المهيمنة على تدريس البلاغة في عصره، أو يستبعد منها، أو يضاف إليها.

كما بين الباحث أن هذا المشروع أحدث تأثيرا هائلا في مجاله، غير أنه تم العدول عنه والنكوص – في فترة من فتراته- إلى تدريس الإيضاح مرة أخرى. وفي محاولة للإجابة عن سبب هذه الردة، قرر الدكتور عماد عبد اللطيف أن لذلك علاقة بالتحولات المجتمعية والسياسية والإيديولوجية العاصفة، التي أعادت تشكيل عقل العالم العربي، وبين أن الاقتراحات التي قدمت لتطوير تدريس البلاغة في ذلك الزمان كانت نتاج تحولات في فهم ماهية العلم ووظيفته.

[13]- تدريس اللغة العربية (مرجع سابق) من ص "32 إلى ص35

وقد استغرب الدكتور عماد عبد اللطيف من عدم تأثر تدريس البلاغة في الأكاديميات والمدارس العربية بمحاولات تحديثها على مستوى أهداف التدريس وطرقه ومناهجه ومقرراته وأساليب تقييمه ووسائطه وغيرها،مؤكدا أن البلاغة السكاكية مازالت – بتقسيماتها التقليدية ومسائلها وشواهدها ولغتها – مهيمنة على تدريس البلاغة، وأن محاولات تطوير تدريس هذه المادة تكاد تتوقف على تأليف كتب تعليمية تجري تغييرات محدودة متفاوتة في المتن السكاكي.

و أشار الباحث إلى بعض الأعمال المتميزة التي تمردت على قاعدة الاجترار، مثل كتاب " دروس في البلاغة" للأزهر الزنّاد[14]، الذي سعى إلى تطعيم البلاغة بمعطيات الدرس اللساني، غير أن هذا التمرد لم يكن كليا بحكم احتفاظ الكتاب المذكور بهيكل البلاغة العربية القديمة في ترتيب أبوابها ومصطلحاتها ومسائلها. وقد تحسر الدكتور عماد عبد اللطيف على عدم وضع الأزهر الزنّاد علم البلاغة في إطاره التاريخي الكوني، مما فوت عليه الإسهام في تطوير تعليم البلاغة بشكل جذري.

انتقل الباحث للحديث عن بلاغة المستقبل[15] بوصفها،وتحديد أهدافها، وتوزيع محتوياتها. وقد قدم نموذجا لمقرر مقترح في فصل دراسي واحد، يخص تدريس البلاغة للطلاب الجامعيين في أقسام اللغة العربية أو ما يوازيها، ويستند إلى مرجع أساس هو كتاب " ما البلاغة؟" لمجدي توفيق.

يصف الباحث أقسام الكتاب وفصوله التي تناولت تعريف البلاغة، وتحليل مشكلات دراستها،وعرضا موجزا للبلاغة العربية، يليه آخر مطول للبلاغة العربية، مع إفراد فصل مخصوص للبلاغة المستقرة (السكاكية)، يتبعه فصل آخر عن البلاغة الحديثة، وأخير عن البلاغة التواصلية.

لقد ذكر الدكتور عماد عبد اللطيف صعوبات تدريس البلاغة للطلاب الجامعيين،والتي أجملها الدكتور مجدي توفيق في ثلاث هي : مشكلة المصطلح، وتحديدا تعدد مفاهيم المصطلح التراثي الواحد، وتعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، ومشكلة التصنيف، وتحديدا تعدد التفريعات والتقسيمات للظواهر، ومشكلة الطابع الفلسفي للبلاغة ، لا سيما تأثير علم الكلام.

ووجه الباحث عماد عبد اللطيف بعض الانتقادات لهذا المؤلف من قبيل عدم مناقشته سبل التعامل مع صعوبات المحتوى البلاغي التي ذُكرتْ، واكتفائه بتوصيتين عامتين. وبين أن الصعوبات الثلاث تخص متن العلم ومحتواه، وأنها مثيرة للجدل، خاصة المشكلة الثالثة، إذ يمكن المحاججة بأن الصلة بين الفلسفة والبلاغة تمثل مصدر إثراء للبلاغة، كما نبه إلى إغفال المؤلف الحديث عن الصعوبات الخاصة بتدريس علم البلاغة، أو تقييمه، أو الخاصة بالطالب، أو

[14]- الأزهر الزناد، "دروس في البلاغة"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان. ط 1992

[15]- -"تدريس البلاغة العربية" (مرجع سابق)، من ص 37 إلى ص 42

السياق التعليمي، أو العلاقة بين العلم والواقع؛مؤكدا(عبد اللطيف) أن الصفحات الثلاث المكرسة لـ " كيف ندرس البلاغة؟" تعتبر إضاءة نظرية خافتة لطريق عملي طويل، ومع ذلك تتميز خطة كتاب "ما البلاغة؟" بمجموعة من الميزات، مثل تكسير انغلاق المقررات الراهنة على البلاغة العربية، وتكسير انغلاق المقررات الراهنة على الماضي، وانطلاقها من الوعي بغرضية العلم، ومن وعي مدرِك لتاريخية العلم وتطوره،ومحاولة إطلاع القارئ على حالة العلم في اللحظة الراهنة.

لقد اعتبر الباحث عماد عبد اللطيف كتاب " ما البلاغة؟" نواة لعمل شامل في تدريس البلاغة، بعد سد فجواته المتمثلة في تجاهل البلاغات القديمة غير اليونانية، وتوسيع قاعدة الجزء المتعلق ببلاغة السكاكي، والتوجهات المعاصرة في الدرس البلاغي . والأهم إضافة بعد مهاري يغير من الطابع النظري للكتاب، ويتحقق ذلك بإكساب الطلاب ثلاثة أنواع من المهارات البلاغية هي :

1- مهارات إنتاج الكلام البليغ.
2- مهارات تحليل النصوص والخطابات البلاغية.
3- مهارات نقد النصوص والخطابات.[16]

وقد أورد الباحث عماد عبد اللطيف تصورا لمقرر يسعى إلى تجسير تلك الفجوات، ويتضمن أهداف المقرر ووصفه وتوزيع وحداته.

أولا : أهداف المقرر :

يسعى المقرر المقترح إلى تجسير الفجوات القائمة في المقررات الراهنة في تعليم البلاغة، وذلك بواسطة:

1- إعادة صياغة هوية علم البلاغة بوصفه علما يوفر مقاربات ومناهج لتحليل الإقناع، والتأثير، والجمال،في النصوص والخطابات العليا والحياتية ونقدها، ويوفر تدريبات عملية لتعزيز القدرة على إنتاج خطابات ونصوص تتمتع بالإقناع والتأثير والجمال.
2- إبراز البعد التاريخي لعلم البلاغة، من خلال رصد مراحل تطوره منذ الألفيات السابقة على الميلاد حتى الوقت الراهن.
3- إبراز البعد الثقافي والاجتماعي لعلم البلاغة، من خلال ربط مسائله وقضاياه ومنهجياته بالسياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهرت فيه.
4- إبراز الطابع المهاري لتدريس البلاغة، بواسطة الاهتمام بإكساب الطلاب حزمة من المهارات البلاغية وثيقة الصلة.
5- تدريس البلاغة بوصفها معرفة غير تخصصية، ترتبط بعلاقات وثيقة مع علوم التواصل واللغة والأدب وعلم النفس والاجتماع وغيرها.

[16]- تدريس البلاغة (مرجع سابق)، ص 38

6- الاحتفاء بالتعدد العلاماتي للرسائل البلاغية، ودراسة الأبعاد البلاغية للصور والألوان والأصوات وغيرها.
7- الاحتفاء بتعدد المقاربات لتشمل المقاربة المعيارية والنقدية والوصفية.
8- إدراج نصوص الحياة اليومية وخطاباتها في مدونة التدريس، سواء في مستوى استنباط القواعد، أو الاستشهاد عليها[17].

ثانيا : وصف المقرر:

بين عماد عبد اللطيف أن مقرر البلاغة المقترح يسعى إلى إكساب الطالب/ة معرفة نظرية أساسية بعلم البلاغة في تطوره التاريخي وتعدده الثقافي ووظائفه المتنوعة. ويعنى المقرر بصقل مهارات الطلاب البلاغية، وتشمل:

1- مهارات إنتاج الخطابات البليغة بواسطة التدرب على تأليف نصوص بلاغية قادرة على إنجاز الإقناع والتأثير، وأدائها بفعالية.
2- مهارات تحليل النصوص تحليلا بلاغيا بواسطة التدرب على إنجاز تحليلات دقيقة للظواهر البلاغية في مجموعة متنوعة من النصوص الأدبية، والدينية، وخطابات الحياة اليومية.
3- مهارات التقييم النقدي للنصوص البلاغية، بواسطة الكشف عن طرق إنجاز الإقناع والتأثير، وآليات التلاعب البلاغي.

قدم الدكتور عماد عبد اللطيف توزيعا للمقرر المقترح الذي يشمل حزمة من المواضيع والقضايا المتنوعة، مشيرا إلى أنه حرص على أن يتضمن التوزيع مراجع ومصادر أساسية، يمكن تكييفها وتغييرها لتتلاءم مع تصور الأستاذ للمقرر. وقد جعل الباحث المقرر قسمين : الأول يغلب عليه الطابع النظري، وحافظ فيه على التتابع الأساسي للفصول الأولى لكتاب " ما البلاغة؟" باعتباره الأساس النظري للمقرر؛أما القسم الثاني فتطبيقي يقدم مهارات متنوعة في إنتاج الكلام البليغ، وتحليله، ونقده، بهدف تجسير الفجوات المشار إليها آنفا.

كما وضع الدكتور عماد عبد اللطيف جدولا[18]، لتوزيع الوحدات والمهارات الدراسية، موزعا على ثلاث خانات أفقية، تتضمن الأولى رقم الأسبوع، والثانية المحتوى ومادة الدراسة، والثالثة الأنشطة القبلية. ويرتبط إنجاز هذا التصور بخمسة عشر أسبوعا دراسيا، يليها اختبار نهاية الفصل الدراسي.

إذا حللنا طبيعة المحتوى ومادة الدراسة في الجدول، تبين لنا غزارتها وتنوعها، إذ بعد التعريف بطبيعة المقرر (أهدافه ومخرجاته وأدوات التقييم)، يتم الانتقال إلى التعريف بمفهوم البلاغة وأهمية دراستها، وتحديد المهارات البلاغية، ثم تعريف البلاغة والفصاحة والبيان، وتحديد مشكلات البلاغة: المصطلحات، والتصنيفات، والأبعاد الفلسفية، ثم المرور إلى التعرف على البلاغات القديمة

17- تدريس البلاغة (مرجع سابق)، ص 39
18- تدريس البلاغة العربية (مرجع سابق)، ص 40-41

(المصرية واليونانية والرومانية)، ثم التوقف عند البلاغة العربية من خلال رصد سيرورتها التاريخية، والإحاطة بمشروع علم الأدب للسكاكي وإسهاماته البلاغية، ودراسة مواضيع علم المعاني والبيان والبديع، وبيان موقعها من علم الأدب. بعد ذلك يتم الانتقال إلى دراسة البلاغة الحديثة بالوقوف على إسهامات البلاغة العربية والغربية، ثم يوجه الطلاب في مراحل لاحقة إلى التدرب على إنتاج كلام بليغ، وتحليل النصوص البلاغية، والتدرب على مهارات تقييم النصوص البلاغية من المنظور الجمالي أو التداولي بواسطة عروض ينجزها الطلاب أنفسهم.

وقد اقترح الدكتور عماد عبد اللطيف عددا من الأنشطة القبلية التي يمكن التوسل بها لتنفيذ المحتويات، منها العصف الذهني، والبحث في المعجم عن معاني بعض الكلمات المفاتيح، والإجابة عن أسئلة مباشرة، وكتابة فقرات عن إحدى البلاغات غير العربية، وفقرات عن كتاب بلاغي أو شخصية بلاغية عربية من التراث، واختيار فكرة من أفكار البلاغة المعاصرة وتطبيقها على نص عربي، وتحليل نموذج بلاغي قد يكون أبياتا من الشعر، أو خطبة، أو قصة قصيرة،أو وصية...إلخ، واختيارالطالب نصا أو خطابا يقيمه من زاوية كفاية الإقناع أو فعالية التأثير أو التلاعب أو الجمالية أوغيرها، مع البرهنة بأدلة وافية على دقة تقييمه. ويلح عماد عبد اللطيف على الحضور الفعال للطلبة من خلال تعويدهم على التحليل وإبداء الرأي، والنقد وفق معايير محددة ومضبوطة.

خلص الباحث من خلال استبيانه السابق إلى هيمنة طرق التلقين والحفظ على تدريس البلاغة، الأمر الذي يتعارض مع تصور البلاغة بوصفها معرفة مهارية إنتاجية. لذا نجده يؤكد ضرورة تبني طرق تدريس تفاعلية، تحفز الطلاب على تعزيز مهارات النقد والإبداع. ويقترح – في هذا الصدد- تبادل الطلاب الأدوار مع الأستاذ في القسم النظري من المقرر، عن طريق إعداد الموضوعات وإلقائها أمام الطلاب، بهدف تعزيز مهارات التواصل العام من ناحية، ومهارات نقد الأداء من ناحية أخرى، مؤكدا ضرورة توفير مساحة واسعة للأداء أمام االدارسين، ومناخ ملائم لتقديم انتقادات حرة على أداء الزملاء الآخرين.

وختم الدكتور عماد عبد اللطيف دراسته هذه بإجمال ما فصل فيه القول عبر صفحات ممتدة من التحليل والمقارنة والنقد،حيث بين أن عمله هذا يسعى إلى جذب اهتمام أساتذة البلاغة قصد تأمل ممارساتهم التعليمية، مع محاولة تجسير الفجوات المقدمة في الدراسات البلاغية.

- **ملاحظات عامة حول المنجز:**

- يمتلك الأستاذ الدكتور عماد عبد اللطيف منهجية محكمة في معالجة الموضوع المطروح : تدريس البلاغة العربية : التاريخ، الحاضر، المستقبل، من خلال الجمع بين مناهج متعددة تراوحت بين التاريخي والوصفي والتحليلي والنقدي.

- يوظف أدوات بحثية موضوعية – الاستبيان والبحث الميداني- للوصول إلى نتائج دقيقة.
- يبلور تصوره المطروح حول المقرر المطروح في تدريس البلاغة الجديدة بطريقة إجرائية واضحة المعالم والخطوات.
- ينبش في أعماق الإشكالات المطروحة لحلحلتها، وتشخيص أعطابها، واقتراح حلول عملية لتجاوزها.

وكنت أود من الأستاذ الدكتور عماد عبد اللطيف التوقف عند مشروع الباحث المغربي محمد العمري لتحديث البلاغة العربية [19]، وذلك عند عرضه لبعض التجارب في هذا الصدد، إذ أشار إلى تجربة الباحث أمين الخولي وتجربة الباحث محمد العمري، وفصل نوعا ما في التجربة الأولى دون أن يتطرق إلى التجربة الثانية. وأرجو أن يتم ذلك في عمل لاحق من أعمال الدكتور المجتهد عماد عبد اللطيف الذي أضحى من رواد البلاغة الجديدة في العالم العربي كما تشهد بذلك أعماله الوفيرة في هذا المجال، مع جرأته في التحليل، وموضوعية نقده، مما يجعله مؤهلا – رفقة ثلة من الباحثين المتميزين- لتطوير تدريس علم البلاغة الذي يرى البعض أنه لم ينضج ولم يحترق، والمؤمل مع الدكتور عماد بلوغ تدريسية هذا العلم مرحلة النضج دون الاحتراق.

المصادر والمراجع

د.عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية: التاريخ، الحاضر،المستقبل"،عالم الفكر، العدد 176، أكتوبر-ديسمبر 2018.

1- الأزهرالزناد، دروس في البلاغة، المركزالثقافي العربي، بيروت، 1992.
2- حسن سليم، "الأدب المصري القديم"، طبعة هيئة الكتاب المصرية، القاهرة 2000م.
3- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دارإفريقيا الشرق، 2005.
4- محمد العمري، " البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها"، ط1، 1998.
5- شوقي ضيف،"البحث البلاغي : طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره"، دارالمعارف، ط6، 1992.
6- عبد الله حسن المسلمي، "أفلاطون،محاورة منكسينوس، أو عن الخطابة"، منشورات الجامعة الليبية، 1972.
7- "مقدمة ابنخلدون"، تحقيق علي عبدالواحد وافي، نشر دارنهضة مصر، القاهرة،ط7، 2014.

---

[19]- ينظر على سبيل المثال لا الحصر كتابه " البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"، دار إفريقيا الشرق، 2005، وكتابه " البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها"، ط1، 1998.

بعض صور أجرأة البلاغة السكاكية في الدرس التعليمي
(آلية التعريف – أنموذجا)
استضاءة بتجربة "عماد عبد اللطيف" البلاغية

د. دنيا لشهب

التراث البلاغي السكاكي أدغال ساحرة، فيها بعض الحَزْن التي غلظت وصعب مسلكها، وفيها شعابها الوعرة التي لا يعرفها إلا أهلها، لكنها مع ذلك تبقى منجزا مشرقا يعكس جهودا عظيمة، فهو غرة المصنفات التي وضعت اللبنات الأساس لصرح البلاغة العربية إلى حدود الراهن. ولا يمكن تحديد تاريخ محدد لميلاد البلاغة لأنها موجودة مع وجود الإنسان في كل زمان ومكان، بيد أنها ارتبطت في سياقنا التاريخي بالقرآن الكريم أولا، وبكل أفانين القول الأخرى ثانيا - الشعرية منها على وجه مخصوص- لذلك تمثلت وظيفتها الأسمى في تفسير القرآن الكريم، للوقوف عند أسرار إعجازه، وتلمُّسِ سمْتِه البياني، والأسلوبي، والفني الخارق، والقبض على أرواح الجماليات المترسبة في آيه البينات، وإدراك ضروب تفرده النظمي العجيب، المخالف لأنواع الصناعة التي يعرفها الشعراء، والبلغاء، والفصحاء. لذلك أخذت على عاتقها مهمة تفسير الخطاب وتكشيفه بدل إنتاجه، فكثرت التصانيف بعد مفتاح السكاكي[1] وتناسلت، من تلخيص القزويني، إلى شراح التلخيص، إلى الحواشي، إلى المنظومات وهلم جرا وسحبا. فكان من مُسْفرات ذلك طغيان التقعيد والمعيارية والأقيسة المنطقية على روحها، وكثرة الأقسام، والتفريعات، والتلوينات، والمباحث، والمسائل المتشعبة التي اتسمت بالإلغاز والتعمية حتى استغلقت على الفهم أحيانا، فتجرأ النقاد والدارسون بنعتها بالجمود والتحجر.

وهنا صدحت بعض الأصوات منددة بتجديد البلاغة، وبعثها من مرقدها، مع إبقاء جسور من الوفاء والولاء للبلاغة السكاكية وما تلاها. وفي هذا الخندق انبثقت جهود البلاغي النابه الدكتور **"عماد عبد اللطيف"**، صاحب الاسم الأكاديمي الناضج المغني عن تعريفه، الذي تبنى مشروعا حداثيا بكرا، تمثل في سحب البلاغة من برجها العالي إلى قلب الحياة اليومية، وجعلها جزءا من انشغالات الإنسان العربي الحياتية، متجاوزا دورها التقعيدي والتنظيري إلى دورها الوظيفي والتداولي، فاتحا بذلك آفاقا جديدة للدرس البلاغي.

لا نعدم في مسار هذا البلاغي معالم من الجِدّة، تتمثل في الخوض في مواضيع نال فيها قصب السبق، فقد نحا بالبلاغة منحى جديدا، صال بها وجال في

---

[1]- صنف أبو يعقوب السكاكي مؤلف "مفتاح العلوم"، وخصص الجزء الثالث منه في علوم البلاغة، لكنه لم يخل من الحشو والتعقيد، فصنف الخطيب القزويني تلخيصا له يجمله، ونال حظا من الشهرة والرواج، فتعاقبت عليه القراءات والشروح والحواشي والمنظومات.

المعترك اليومي ليجعلها عِلْما يصلح لدراسة الخطاب الإنساني عامة، بكل أنماطه وأشكاله، فقد خلخل الاعتقاد الراسخ بارتباط البلاغة بالجمالية والفنية والإمتاع، إلى اعتقاد آخر أكثر شمولية قادر على تجديد وظائفها واستثمارها في دراسة جميع أنواع الخطابات البشرية اليومية والثقافية والاجتماعية والتعليمية...، فلا شيء محظور.

ولعل أهم ما ميز مقاربته هو الانعتاق من صرامة البلاغة السكاكية إلى معانقة الراهن السياسي، فقد أنجز الأطروحة الأولى من نوعها في البلاغة السياسية المعاصرة في العالم العربي، حلل من خلالها بعض خطب الرئيس السادات، راصدا أسلوبي الاستعارة والتناص[2]، ليشق بذلك مسارا آخر في درب البلاغة. فاعتناؤه بتحليل الخطاب السياسي كان بداية الغيث لاهتمامه ببلاغة المخاطَب أو ما يسمى بالجمهور، التي اهتم فيها بدراسة استجابات الجمهور المصري في الفضاء العام من منظور بلاغي، مركزا على ردود أفعالهم اللغوية المتجسدة في تعليقات، وآراء، ووجهات نظر، وغير لغوية المتجسدة في هتاف، وتصفيق، ورموز، الشيء الذي قاده إلى تحديد الأسس النظرية والمنهجية لبلاغة الجمهور[3]. ولم يقتصر على جعل البلاغة تنفتح على فضاءات التداول فقط، بل جعلها تهتم أيضا بفضاءات التواصل الافتراضي، الشيء الذي أفضى به إلى تأليف **"بلاغة الحرية"** الذي عالج فيه خطاب الربيع العربي المجسد لجماهير تواقة للحرية، مع تحليل خطابات استجابة السلطة للجمهور، ليبرهن في كل ذلك على قدرة الدرس البلاغي على مواكبة مقتضيات الواقع، ومستجدات الراهن[4].

تروم هذه الورقة بعد هذا المهاد إلى التطرق إلى مقال الدكتور عماد عبد اللطيف المتعلق بتدريس البلاغة العربية، في مدارسنا الإعدادية، والثانوية، والجامعية، الذي سعى من خلاله «إلى استكشاف تاريخ تدريس البلاغة في أقطار العالم العربي، وفحص واقعه، واقتراح خطة مستقبلية لتجاوز مشكلاته، سعيا إلى تجسير الفجوة القائمة في الدراسات المتاحة حول تدريسها وذلك من خلال التركيز على إجابة أسئلة، منها: كيف دُرست البلاغة قديما وحديثا؟ وما توجهات البحث في تدريسها؟ وما واقع تدريسها في الوقت الراهن؟ وما إيجابيات المقررات المتداولة لتيسيرها، وسلبياتها؟ وما المقترحات التي يمكن أن تؤدي إلى تطوير تدريسها؟»[5]. وقد حدد الناقد خطة بحثية دقيقة لمعالجة الموضوع تمثلت في تقديم إطلالة تاريخية معمقة تعود القهقرى إلى تاريخ تدريس البلاغة في مصر، والصين القديمة، واليونان، وعند العرب، وكذا منهجيات تدريسها، مفيضا في خصائصها وبعض مفارقاتها.

---

[2] - ينظر كتاب الدكتور عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث.

[3] - ينظر كتاب الدكتور عماد عبد اللطيف، لماذا يصفق المصريون.

[4] - ينظر كتاب الدكتور عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة.

[5]- عماد عبد اللطيف،تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل:2018، ص 7.

ثم انتقل إلى رصد واقع تدريس البلاغة العربية لكشف الهوة الفاصلة بين الدراسات التربوية والدراسات المتخصصة في البلاغة، باعتماد دراسة ميدانية مشفوعة باستبيان ميداني، موظفا أدوات بحثية موضوعية، ومستثمرا تحليل نتائجها للخلوص إلى استنتاجات دقيقة، تكشف بجلاء حقيقة واقع تدريسية البلاغة في أرجاء العالم العربي، مركزا عنايته على مقررات تدريس البلاغة في الجامعة، متسائلا عن طبيعة محتواها، لتكشف له نتائج الاستبيان عن هيمنة تدريس النصوص التراثية القديمة على حساب نصوص البلاغة الحديثة، والمعاصرة، وهيمنة النصوص الأدبية عما سواها. الشيء الذي جعله يستنتج«أن كتب تدريس البلاغة هي المنطقة الأضعف فيحلقة تدريس البلاغة العربية»[6]، وأن هناك نزوعا شبه جماعي من طرف الطلاب نحو تغيير هذه المقررات، يقول الدكتور عماد عبد اللطيف موضحا ذلك: «ويبدو أن هناك إجماعا بين دارسي البلاغة على رفض الكتب التي درسوها، ففي سؤال حول رغبة دارسي البلاغة في دراسة كتاب آخر غير ما درسوه بالفعل، أيد 77% من المشاركين ذلك، في مقابل 8% فقط لم يبدوا رغبة في دراسة كتاب آخر غير الذي درسوه بالفعل. والفرق بين النسبتين كبير جدا، ودال على أن الكتب التي درسها المشاركون لم تلب حاجاتهم»[7].

وأما عن طرق تدريسها، وكيفياتها، وتقنياتها، فقد أسفرت النتائج على أنها مملة وغير مشوقة في عمومها لانبنائها على المحاضرات الشفهية، و«هيمنة الشرح النظري، وندرة استعمال تكنولوجيا التعليم»[8]. وقد مكّن هذا الاستقصاء الناقد من رسم صورة مصغرة لمشهد تدريس البلاغة في العالم العربي، والذي تحكمه ثلاثة توجهات حسب رأيه، يتمثل التوجه الأول في تدريس البلاغة القديمة بحذافيرها وحرفيتها من مصادرها الأم، لتكون عبارة عن حاشية جديدة له. ويتمثل الثاني في تقديم مسائل البلاغة السكاكية القديمة لكن شريطة تيسيرها بإحداث تغييرات وتعديلات في طريقة تقديمها، وهو المهيمن في تدريس البلاغة العربية في واقعنا التعليمي العربي. أما الثالث فهو من دعاة التحديث الذي يُجري تغييرات جذرية على متن البلاغة القديمة، بواسطة عمليات إحلال وتجديد، أو تحلية وتخلية، من رواده الشيخ أمين الخولي[9].

ولن يكتفي عماد عبد اللطيف باستقراء الواقع، ورصد أدوائه، وتوصيف أعطابه، بل لابد أن يقدم حلولا عملية، وبدائل موضوعية، ويقترح مشاريع دقيقة ساعيا من خلالها إلى استئصال شأفة الداء، وإقالة عثرات طرق تدريس البلاغة العربية، والرقي بها في معارج الإصلاح والتهذيب، وقد انتحل لغرضه هذا

---

6 - عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 22.

7 - نفسه، ص 23.

8 - نفسه، ص 24.

9 - عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 24.

مقترحا منهاجيا شاملا لمقرر المستقبل، واصفا إياه، ومحددا أهدافه، وموزعا محتواه، مستشرفا به آفاق واعدة للبلاغة العربية عبر المدى الوسيع.

ومن الأمور التي ينبغي أن يُحمد عليها هذا الناقد هي التحلي بفضيلة الاجتهاد، وركوب موجة المبادرة، فهي سنن حميدة ولاشك، تتطلب مجهود فريق بحثي محكم، وقد أنجزها بمفرده. فضلا عن اعتنائه بالجانب الديداكتيكي واقترح استراتيجيات جديدة لتدريس البلاغة العربية مرورا بقناة المدرسة، مما يعكس حسّا رساليا، ونوازع إصلاحية يتسم بها الرجل، كما يُفصح عن وعي عميق بأهمية مراجعة ما يُدرّس داخل أسوار مؤسساتنا التعليمية، فالاكتواء بنار هذا الهم التعليمي قاده إلى نقد الأساس المعرفي للتوجه الثاني، مسلطا الضوء على عدد من المسائل المرتبطة بتحديد المشكلات التي ينطوي عليها تدريس النموذج السكاكي، باعتباره الأساس الذي تعتمده جل كتب التيسير، وقد عدّد سبع معضلات من بينها: التدريس بواسطة آلية التعريف والشاهد، فجلّ «الكتب البلاغية تبدأ بتقديم تعريفات للبلاغة والفصاحة، وتقعيد لشروط تحققها، تتلوها أقسام للعلوم الثلاثة يتضمن كل منها أبوابا من الظواهر البلاغية، تتشكل بدورها من قواعد، وأمثلة عليها»[10]. فمعرفة شروط تحقق الفصاحة والبلاغة، وكشْفِ معنييهما،أمر ضروري لدارسي علم البلاغة، وهو ما يفسر سر تقدّمهما على فنون البلاغة الثلاث - المعاني، والبيان، والبديع - وذلك لاعتبارهما غاية هذه الفنون ومقصدها. فبالنهاية لا يُقصد من توخِّي المعاني، والبيان، والبديع، في الكلام، إلا تأدية المعنى بلفظ فصيح بليغ رائق، محترز عن الخطإ والتعقيد، مناسب لطبيعة المقام الذي قِيل فيه. بيد أن هذا المسعى الجليل «سرعان ما يتوارى ويُتناسى في حين تقتنص الجزئيات والتفاصيل بؤرة الاهتمام. فبدلا من معرفة كيف يمكن أن يؤدّي الالتفات على سبيل المثال، إلى تعقيد المعنى أو تحسينه، ينصرف الاهتمام إلى تقسيم أنواعه، ويدور الجدل حول: إلى أي العلمين (المعاني والبديع) ينتمي. وما حدث لاحقا هو عزل الإطار الإنشائي الناظم لعلوم البلاغة، عن أبوابها وفصولها، وتحولها إلى ما يكاد يكون سجلا تفصيليا دقيقا للأساليب والظواهر البلاغية. وبعد عمليات التلخيص المتوالية عبر قرون،استحالت كتب البلاغة إلى ما يشبه القواميس الاصطلاحية المسهبة»[11]، حبلى بالأبواب، والأقسام، والأنواع، وما يتفرع عنهم من جزئيات ودقائق. ولعل اعتماد آلية التعريف والشاهد في تدريسها يزيد من إذكاء هذا الأمر، ويؤدي بالنهاية إلى عدم إدراك ماهية البلاغة السكاكية إدراكا حقيقيا.

وقد حدا هذا الأمر بالناقد إلى اعتبار«مراجعة أثر آلية الشاهد والمثال في الممارسة البلاغية للمتعلم مسألة ضرورية، وتحتاج إلى معالجة عميقة، اقترح أن

---

[10] -عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 29.

[11] - عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، ص 27.

تنجز بواسطة أبحاث تجريبية ميدانية تقيس أثر التعلم من خلال الشواهد. وتزداد أهمية هذه الدراسات في سياق دراسات اللغة العربية وآدابها، نظرا إلى أن معظم فروع هذا الحقل المعرفي تُدرّس بواسطة آلية التعريف والشاهد»[12]. فإلى أي حد ينجح التدريس بآلية التعريف والشاهد في تحقيق تمثّل حقيقي للبلاغة، واستيعاب شامل لمتنها؟

لذلك أقدم بين يدي هذه المداخلة طريقة للإفادة من البلاغة السكاكية والنص التراثي عامة، تتمثل في تغيير زاوية النظر المعتمدة في تدريسها، فبدلا من الانكباب على دراسة التعريفات والحدود، أقترح الانشغال بعلمية صياغة التعريف نفسه، ودقة انتقاء آليته.

فإذا تفحصنا أحد كتب التراث البلاغي، ولنأخُذْ كتاب**"مفتاح تلخيص المفتاح"** لشمس الدين بن مظفر الخلخالي (ت 745 ه) - وهو من شراح تلخيص مفتاح السكاكي- على سبيل التمثيل، لوجدنا أن صاحبه قد اعتمد آليات متنوعة في التعريف على نحو من الدقة، والتنوع، والنضج العلمي، تصلح لأن تكون بمفردها موضوعا للدراسة، والتمحيص.

وإذا كان المقال لا يتضح إلا بالمثال، فلْنَسُقْ تمثيلا لذلك عبر عرض، ورصد مجموعة من الآليات التي اعتمدها هذا البلاغي في سوْق تعريفاته، وذلك على النحو الآتي:

يعتبر التعريف أحد أهم الأدوات المنهجية المعتمدة في تقعيد العلوم، وضبط مسائلها، وتدقيق مباحثها، وقد كان هذا الشارح (أي الخلخالي)، على وعي تام بمسألة التعريف هذه، وبأهميته في إدراك كنه المصطلح، وإزالة الغموض عنه، حتى يتحقق الإفهام، فقد امتلك من النضج المصطلحي ما يكفي ليدرك الغبش الذي يمكن أن ينتج عن عدم فهم المصطلحات والإحاطة بمعانيها، هذا الوعي نتج عنه اعتناء خاص بتعريف المصطلحات باعتبارها مفاتيح وهوية العلوم، وبوابات التبيين والإفهام، فتعددت أنواع التعريف عنده واختلفت طرقه، وفيما يلي عرض لبعض أنماطها:

أولا: التعريف اللغوي

هو «تعريف الشيء بذكر معناه أو معانيه اللغوية التي يتأسس عليها المعنى الاصطلاحي»[13]، فهو الإحاطة بمعنى المصطلح وتحديده تحديدا دقيقالا يقبل الالتباس بغيره، ويشترط وضْعه من جهة واضع اللغة.

وقد توسل الشارح بهذا النوع من التعريف في كثير من المواضع التي يكون له علاقة بالمعنى الاصطلاحي، أو يُفضي إليه، فكان يحيل القارئ على

---

[12] - المرجع نفسه، ص 29.

[13] - محمد الدحماني، قضية التعريف في تراث فخر الدين الرازي، مجلة دراسات مصطلحية، العدد 6، السنة 2006، ص 42.

أصل اللفظة وتعدد معانيها وربما تطور استعمالها، كما فعل في مصطلح الفصاحة فقال: «أما الفصاحة فأصلها من الفصيح، وهو اللبن الذي أخذت عنه الرغوة، وقد فصُح اللبن بالضم، إذا أخذت عنه الرغوة...، ثم قالوا: فصُح بالضم فصاحة، وهو فصيح إذا خلصت لغته من اللكنة، وجادت ولم يلحن، فهي في اللغة: الظهور والبيان»[14].

واستعماله للمعنى اللغوي لا يكون غاية لذاته مطلقا، بل يجعله جسرا للعبور إلى المعنى الاصطلاحي، يقول مثلا في تعريف الإدماج: «ومن المعنوي الإدماج يقال: أدمجت الشيء إذا لففته في ثوب، والإدماج بتشديد الدال هو الدخول في الشيء والاستحكام فيه، وكلاهما يناسب ههنا، وهو أن يُضمّن كلام سيق لمعنى معنى آخر»[15].

يُستنتج من هذا النموذج أن المعنى اللغوي ما هو إلا وسيلة يسخرها للوصول إلى المعنى الاصطلاحي.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي:

هو تعريف يُحدِّد فيه المصطلحيُّ «جنس المصطلح ويميّزه عن غيره»[16]، ليرفع عنه اللّبس والغبش الذي يحجب معناه حتى يتحقق الإفهام والوضوح. وقد طغى هذا النوع من التعريف عند الشارح حتى غطى على غيره، لاسيما في مصطلحات علم البديع التي يمكن أن نطمئن إلى القول بأنها نالت حظا وفيرا من هذا النوع من التعريف، تليها مصطلحات علم المعاني، في حين كان حظ مصطلحات علم البيان خجولا، إذ توسل في تعريف مصطلحاتها بأدوات تقعيدية أخرى. وأمثلة ذلك كثيرة عنده لا سبيل إلى حصرها، وحسبي منها هذا النموذج:

قال في تعريف التعقيد باعتباره أمرا مخلا بفصاحة الكلام: «وأما التعقيد: فهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد لخلل إما في نظم الكلام فلا يدري السامع كيف يتوصل إلى معناه... وإما في الانتقال»[17].

ثالثا: التعريف الاشتقاقي

الاشتقاق «هو صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف»[18]، تنحصر وظيفته في«بيان وتبين المفاهيم الأصلية اللغوية التي تُبنى عليها المفاهيم الاصطلاحية»[19].

---

14 - شمس الدين بن مظفر الخلخالي الخطيبي،مفتاح تلخيص المفتاح، تحقيق وتعليق هاشم محمد هاشم محمود، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، 2007، ص32.

15 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص692.

16 - رشيد السلاوي، مصطلح النقد في تراث محمد مندور (1907 – 1965)، عالم الكتب الحديث إربد – الأردن، وجدارا للكتاب العالمي عمان – الأردن، الطبعة الأولى، 2009، ص33.

17 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص50 -52.

18 - المعجم الوسيط / مادة شق.

19 - محمد الدحماني، قضيةالتعريففيتراثفخرالدينالرازي، ص42.

والعودة إلى الأصل الاشتقاقي للمصطلح كانت من بين الآليات المعتمدة في التعريف عند الشارح، نستشهد على ذلك بقوله في تعريف الحقيقة: «اعلم أن الحقيقة بحسب اللغة (فعيلة) إما بمعنى مفعول من حققت الشيء أحقه إذا أثبته، فمعناها: المثبت، واللفظ متى استعمل في وضع أول كان مثبتا في موضعه الأصلي، وإما بمعنى فاعل من حق الشيء يحق إذا وجب، معناها: الواجب وهو الثابت، واللفظ المستعمل في وضع أول ثابت في موضعه الأصلي»[20].

وقد برع في التحليلات الاشتقاقية وأجاد، مما كشف براعته اللغوية، ومقدرته الصرفية، التي جعلت المصطلحات طيِّعة بين يديه يُقلِّبُها حيث يشاء، على أوجهها الدلالية المختلفة.

رابعا: التعريف بالمرادف:

الترادف: إيراد كلمتين أو أكثر بمعنى واحد،: فهو «عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد»[21]، «فكأن اللفظين راكبان أحدهما خلف الآخر على مركب واحد وهو المعنى»[22].

والشارح تدرّج بهذا النوع من التعريف لسبر أغوار مصطلحاته، وتكشيف معانيها، ومن أمثلته قوله في الطباق باعتباره محسنا معنويا: «وأما المعنوي فمنه المطابقة، وتسمى الطباق والتضاد أيضا وهي الجمع بين متضادين»[23].

وقوله في الجناس: «وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سمي الجناس مزدوجا ومكررا أو مردّدا»[24].

وهكذا فقد حرص الشارح على إيراد المصطلح وإتباعه بمرادفاته. والحقيقة أن هذا النوع من التعريف لا يخلو من فائدة، تتمثل في إثراء رصيد القارئ بالعديد من المصطلحات ذات الحمولة الدلالية الواحدة، كما أن جمع المترادفات والمتشاركات في الدلالة في باب واحد، يؤدي إلى تجنب التكرار، وتفادي معضلة تضخم المصطلح.

خامسا: التعريف بالتقسيم:

هو«تعريف الشيء بذكر الأقسام التي ينقسم إليها، ومعلوم أن أقسام الشيء خاصة من خواصه»[25]. وقد وظف الشارح هذا النمط في تعريف مصطلحاته مستفيدا من هذا الأساس النظري الذي وفرّه المناطقة، حيث استخدم التقسيم للوصول إلى التعريف، ومن أمثلته قوله في تعريف القلب: «ومن اللفظي

20- الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص 554.

21 - التعريفات / مادة الترادف.

22 - دستور العلماء / مادة الترادف.

23 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص639.

24 - المصدر نفسه، ص708.

25 - عبد الحفيظ الهاشمي، حد البرهان وبرهان الحد عند ابن وهب الكاتب، مجلة دراسات مصطلحية، العدد1، السنة2002، ص73.

القلب وهو أنواع: الأول قلب البعض نحو: الشاعر والشارع، والقريب والرقيب، والثاني قلب الكل كالدرب والبرد، والثالث المقلوب المستوي، وهو أن يكون كلاما إذا ما كان قلبته كان إياه»[26]. فبدلا من تعريف مصطلح القلب تعريفا جامعا مانعا، عدل عن ذلك إلى ذكر أقسامه، جاعلا لكل قسم مسمى خاصا به. وقوله في تعريف التشبيه باعتبار أداته: «التشبيه باعتبار أداته على قسمين: مؤكد، ومرسل: المؤكد ما حذفت أداته...، والمرسل ما ذكرت أداته كما في مثل: زيد كالأسد»[27].

وأحيانا قد يُفَرِّع عن الأقسام الأولى أقساما ثانية ويفرِّع عن الأقسام الثانية أقساما ثالثة، كما فعل في تعريف التشبيه باعتبار طرفيه.

سادسا: التعريف بالمثال

هو: «تعريف الشيء بذكر أمثلته من نوعه»[28]، أي بعبارة أدق: «تعريف المصطلح بتقديم مثال عليه»[29]. والشارح درج على استخدام المثال كآلية للتعريف، إذْ ترك تعريف بعض المصطلحات أحيانا واقتصر على ذكر شاهدها، وأمثلة ذلك كثيرة عنده حسبنا منها قوله في ضعف التأليف: «أما ضعف التأليف فمِثل: ضرب غلامه زيداً، فإن رجوع ضمير المفعول إلى المتأخر عنه لفظا ومعنى وحكما ممتنع عند الجمهور»[30]. وقوله في تعريف مخالفة القياس: «ومخالفة القياس اللغوي كما في قول الشاعر:

الْحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ»[31].

سابعا: التعريف بالمخالف (المقابل)

ويكون بتعريف المصطلح بنقيضه وضده، وهو قليل الورود عنده مقارنة مع أنماط التعريف السالفة، ومن أمثلته قوله في تعريف أحد أنواع التشبيه: «والتشبيه المردود بخلاف المقبول، وهو القاصر عن إفادة الغرض كتشبيه ثوب أسود غاية السواد بثوب آخر أوغر في السواد»[32]. وقوله في المقابلة: «والمراد بالتوافق خلاف التقابل، لا التناسب فإنه غير مشروط فيها»[33]. وقوله: «فليضحكوا يقابل وليبكوا، وقليلاً يقابل كثيرًا»[34]. وقوله أيضا: «فإن أَحْسَنَ يقابل أَقْبَحَ، والدِّين يقابل الكُفر»[35].

ثامنا: التعريف بالأداة:

---

[26] - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص 724.

[27] - المصدر نفسه، ص548.

[28] - محمد الأمين ولد محمد مصطفى، التعريف المصطلحي عند الأصوليين، مجلة مصطلحيات، العدد2- 3 (مزدوج)، السنة2012، ص166.

[29] - رشيد السلاوي،مصطلح النقد في تراث محمد مندور، ص37.

[30] - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص45.

[31] - المصدر نفسه، ص41.

[32] - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص550.

[33] - المصدر نفسه، ص644.

[34] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[35] - المصدر نفسه، ص645.

الأداة في اللغة هي الوسيلة التي يُؤدى بها فعل ما، وتُوصِل إلى المراد، قال ابن فارس: «الهمزة والدال والواو كلمة واحدة... يقال: أَدَا – يَأْدُو – أَدْواً، وهذا شيء مشتق من الأداة لأنها تعمل أعمالا حتى يوصل بها إلى ما يُراد»[36].

وقد كثُر هذا النوع من التعريف عند الشارح إذ يُعرِّف المصطلح بذكر أداته،لاسيما في علم المعاني الذي تكثر فيه الأدوات باعتباره علما يتقاطع مع علم النحو من وجوه كثيرة، ومن أمثلته قوله في تعريف النهي: «ومن أنواع الطلب: النهي وله حرف واحد وهو لا الجازمة في نحو قولك: لا تفعل»[37].

وقوله في تعريف التمني: «منها التمني واللفظ الموضوع له: ليْت، ولا يشترط في التمني (إمكانه)، بل قد يكون ممكنا مثل: ليث زيدا يجيء»[38].

تاسعا: التعريف بالغرض:

كثيرا ما يعدل عن تعريف المصطلح بالحدِّ، إلى ذكر الغرض منه، ويستعيض عنه بتعداد فائدته، ومن أمثلته الكثيرة قوله في تنكير المسند: «أما تنكير المسند فإما لإرادة عدم حصر المسند في المسند إليه...، وإما لتفخيم شأن المسند وتعظيمه...، أو لتحقير شأنه وانحطاطه»[39].

وقوله في تقديم المسند: «وأما تقديم المسند على المسند إليه فإما لتخصيصه بالمسند إليه...، وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت...، وإما للتفاؤل...، وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه»[40].

وعدوله عن تعريف المصطلح إلى ذكر فائدته والغرض منه يُنبئ بأهمية هذا الأخير في الإحاطة بدلالة المصطلح. لذلك كثرت هذه الآلية في التعريف عنده وطغت لاسيما في مصطلحات علم المعاني على وجه الخصوص.

عاشرا: التعريف بالوصف:

الوصف «عبارة عما دلّ على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه، أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة»[41]. والتعريف بالوصف آلية أخرى درج الشارح على توظيفها مُثريا بها أنماطَ تعريفِ مصطلحاته، ومن أمثلتها الكثيرة قوله في تعريف الفصاحة: «فهي في اللغة الظهور والبيان، ويُوصف بها اللفظ المفرد والكلام، والمتكلم، يقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح»[42].

---

36 - مقاييس اللغة / مادة أدو.
37 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص363.
38 - المصدر نفسه، ص336.
39 - المصدر نفسه، ص277 – 278.
40 - المصدر نفسه، ص286 – 287.
41 - التعريفات / مادة الوصف.
42 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص32.

وقوله في تعريف الاستتباع: «هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفا آخر إما مدحا، أو ذما، وهذا أعم من الأول»[43].

والتعريف بالوصف يثير حفيظة البعض، ويفتح باب النقدبحجة أن «التعريف بالوصف يُولي وجهته شطر الصفات العرضية ولا يهتم بالصفات الجوهرية - حال الحد والرّسم - إلا عرضا، ويعتبر الدكتور علي القاسمي أن التعريف بالوصف يمكن أن يُعدّ بمثابة محاولة غير ناضجة للتعريف»[44]. لكن لا يخفى ما لهذا النوع من فائدة في التخفيف من معضلة التعريف الذي يستعصي الوصول إليه أحيانا عن طريق الحدِّ والرسم، فيُلجأ حينئذ إلى الوصف.

أحد عشر: التعريف السياقي

هو نمط آخر من التعريف استعمله الشارح «وصورته أنه صياغة لمعنى المفهوم ترد تبعا لاستدلال أو بيان لأمر آخر متعلق به، فيكون التعريف نتيجة غير مقصودة بالأصالة، وهو بذلك تعريف عرضي لا يُقصد إليه في الأصل وإنما يأتي استطرادا وتوضيحا»[45]. فكثيرا ما تُسَاقُ تعاريف عرضية لم تكن مقصودة لذاتها وإنما جاءت في سياق تعاريف أخرى مرتبطة بها، وغالبا ما يكون الغرض منها التبيين والتوضيح. ومن أمثلتها قوله في أركان التشبيه: «...أما إذا كان طرفا التشبيه حسيين فإما أن يكون بالبصر كما في تشبيه الخدّ بالورد، وإما بالسمع كما في تشبيه الصوت الضعيف بالهمس، وهو الصوت الخفي كالأطيط عند تشبيهه بصوت الفراريج، وإما بالشم...»[46]، فتعريف الهمس هو تعريف سياقي لم يُقصد في الأصل وإنما سيق للتوضيح والإفهام.

اثنا عشر: التعريف بالاحتراز عن العيوب:

أحيانا يلجأ إلى نوع آخر من التعريف يتجلى في ذكر عيوب المصطلح وتعدادها، والدعوة إلى الاحتراز عنها، ومن أمثلة ذلك قوله في تعريف فصاحة الكلام:«أما فصاحة الكلام فهو خلوصه من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها»[47]، فقد جعل هذه المحاذير الثلاثة السبيل المُؤدي إلى تعريف فصاحة الكلام وإدراك مدلولها.

وقوله في تعريف فصاحة المفرد: «فهي خلوصه من ثلاثة أشياء: من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس اللغوي»[48].

وهو نمط يكشف بحق عن حسّ مصطلحيٍّ ناضجٍ عند الشارح، فقد حرص في عموم كتابه، على تنويع أنماطه وإثرائها، وَعْياً منه بأهمية ضبط

---

[43] - المصدر نفسه، ص691.

[44] - محمد الأمين ولد محمد مصطفى، التعريف المصطلحي عند الأصوليين، ص159.

[45] - المرجع نفسه، ص182.

[46] - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص496.

[47] - المصدر نفسه، ص45.

[48] - المصدر نفسه، ص34.

تعريف مصطلحاته التي كانت هي مقصده الأول من شرحه لتلخيص مفتاح السكاكي كما صرّح بذلك في مقدمة كتابه، ولا نستطيع أن نميّز نمطَ تعريفٍ سائدٍ عنده، فقد استخدمها بشكل متوازن على العموم دون طغيان نوع على آخر، لكننا نستطيع أن نسجل في المقابل غياب التعريف بالحد[49]، إلا لِماما كتعريفه لمصطلح فصاحة المتكلم مثلا – والذي أخذه عن القزويني – حيث قال فيه: «وأما فصاحة المتكلم فهي: ملكة يُقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[50]، وهو تعريف لم يسلم من النقد حيث قال بهاء الدين السبكي: «الحدّ لا يُذكر فيه شيء مشتق من المحدود»[51]، فذكر لفظ الفصيح المشتق من الفصاحة يُخل بشروط الحدّ الصارمة التي وضعها المناطقة.

ربما يُعزى هذا لصعوبة هذا النوع من التعريف باعتباره الأمثل والأكمل، إذ تلزم فيه الدقة المتناهية في الإحاطة بدقائق المصطلح من جهة، أو لاستعصاء إيجاد حدّ جامع مانع لبعض المصطلحات من جهة أخرى، الأمر الذي جعله يضرب صفحا عنها، ويعدل إلى غيرها.

بعد هذا العرض المسهب لآليات التعريف المستقاة من أحد كتب شراح البلاغة السكاكية، يمكن التنبيه إلى ما يلي:

إن الغاية من عرض الطرق المعتمدة في التعريف عند هذا الشارح، هي تفتيق مدارك المتعلمين على كيفية صناعة التعريف، فبدلا من حفظه بقضه وقضيضه، نوجه عنايته إلى تعرّف كيفية صياغته.

إن تنوع أنماط هذه التعاريف، والذي صدر عن مرجعيات متنوعة (لغوية – نحوية – صرفية – بلاغية – فلسفية...)، وخلفيات مدركة تماما أن أُولى مقاصد التعريف هي الإفهام، لقمين بإكساب المتعلمين المهارات، والمناهج، والآليات التي تمكنهم من الإنتاج بدل الاستهلاك.

اكتساب ثقافة التعريف وسيلة استدلالية حجاجية بامتياز، تمهر المتعلمين على صناعة الرأي الخاص، والتفنن في الدفاع عنه بآليات متنوعة، بما يضمن لهم إقرار وجهات نظرهم، ودحض غيرها، وبما يكفل لهم المساهمة في بناء الفكر، وانتقاد الأعطاب، والأدواء المجتمعية، فيقوى ساعدهم، ويتلقفوا مشعل البناء، والتنمية.

---

49 - عرف صاحب الكليات الحدّ بقوله: "حدّ الشيء: هو الوصف المحيط بمعناه المُميّز له من غيره...وحدُّ الحدِّ: الجامع المانع الذي يجمع المحدود ويمنع غيره من الدخول فيه"، وقد ميّز بين الحدّ والرسم بقوله: "والحدّ: تعريف الشيء بالذات، كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق، والرسم: تعريف الشيء بالخارج، كتعريف الإنسان الضاحك". كل/ الحدّ. وعرّفه الدكتور محمد بوحمدي بقوله: "وهكذا فإن الحدّ أو التعريف هو وصف الشيء وصفا مساويا بدون زيادة تُخرج فردا من أفراد الموصوف، أو نقصان يُدخل فيه غيره". دراسات مصطلحية، كيفية صياغة التعريف عند السكاكي، العدد1، السنة2001، ص58.

50 - الخلخالي، مفتاح تلخيص المفتاح، ص56.

51 - بهاء الدين السبكي، شروح التلخيص، الجزء1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، نشر أدب الحوزة، دون طبعة، دون تاريخ، ص121.

النص التراثي البلاغي متن ثر، له سلطته المطلقة، وأبوابه منيعة موصدة، يحتاج إلى طرقات متعددة، وإلى طريقة جديدة للتعامل معه لاسيما بعد قلة الزاد في التذوق الفني، وضعف السليقة، وغياب الممارسة، وهذه بعض صور أجرأته في درسنا التعليمي.

احتفاء مناهجنا التعليمية بنصوص من هذا التراث، يخلق نوعا من التواصل معه، والتآخي مع أعلامه من طرف المتعلمين، فلا تقشعر أبدانهم عند سماع بعض الرموز من قبيل السكاكي، والقزويني، والخلخالي، والتفتازاني، والشريف الجرجاني، والسبكي، والدسوقي، وغيرهم، بل تتألف جسور عامرة بالإكبار، والإلف، والتقدير تصل الراهن بالماضوي، فمن لا تراث له لا مستقبل له.

إن ارتداء جلباب المُجايلة، واستيراد أفكار الحداثة واستثمارها في بيئتنا أمر لا مناص منه، لكن ليكن ذلك بعد استنفاذ كل محاولات استنطاق تراثنا واستغلال كنوزه ودرره.

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار،المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية - الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، أشرف على إخراج الطبعة: شعبان عبد العاطي عطية، وأحمد حامد حسين، وجمال مراد حلمي، وعبد العزيز النجار، مكتبة الشروق الدولية، ،الطبعة الرابعة 1425 هـ - 2004 م.
- أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفَوي (1094 هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، الطبعة الثانية 1413 هـ - 1992 م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المجمع العلمي العربي الإسلامي، 1399 هـ - 1979 م، (د. ط).
-رشيد السلاوي، مصطلح النقد في تراث محمد مندور (1907 – 1965)، عالم الكتب الحديث إربد – الأردن، وجدارا للكتاب العالمي عمان – الأردن، الطبعة الأولى 1429 هـ - 2009 م.
- شمس الدين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي (ت 745 هـ)،مفتاح تلخيص المفتاح، تحقيق وتعليق: هاشم محمد هاشم محمود، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى 2007 م.

- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري،جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء، تحقيق: غيات الدين الحيدر آبادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1975.
- علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني(ت 716 هـ)، معجم التعريفات، قاموس مصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة،تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى، (د. ت).
- مجموعة من المؤلفين، شروح التلخيص، وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي، وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له، وحاشية الدسوقي على شرح السعد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، نشْرُ أَدَبِ الحَوْزَة، (د. ط - د. ت).
- عبد الحفيظ الهاشمي، حد البرهان وبرهان الحد عند ابن وهب الكاتب، مجلة دراسات مصطلحية، العدد 1، السنة 2002.
- عماد عبد اللطيف، تدريس البلاغة العربية، التاريخ، الحاضر، المستقبل، مجلة عالم الفكر، العدد 176، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، السنة 2018.
- محمد الأمين ولد محمد مصطفى، التعريف المصطلحي عند الأصوليين، مجلة مصطلحيات، العدد 2- 3 (مزدوج)، السنة 2012.
- محمد الدحماني، قضية التعريف في تراث فخر الدين الرازي، مجلة دراسات مصطلحية، العدد 6، السنة 2006.
- محمد بوحمدي، كيفية صياغة التعريف عند السكاكي، دراسات مصطلحية، العدد 1، السنة 2001.

فهرس الموضوعات